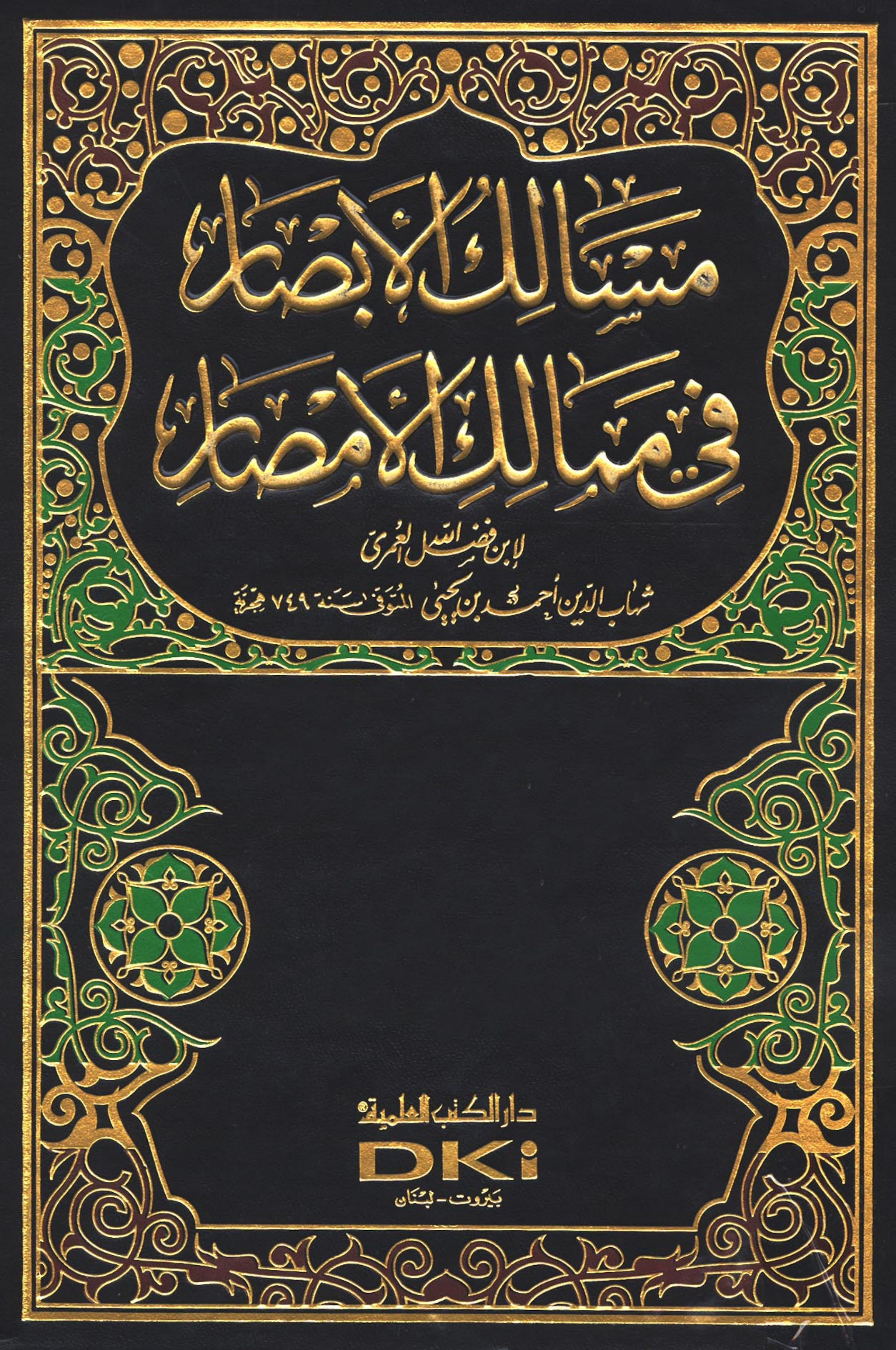
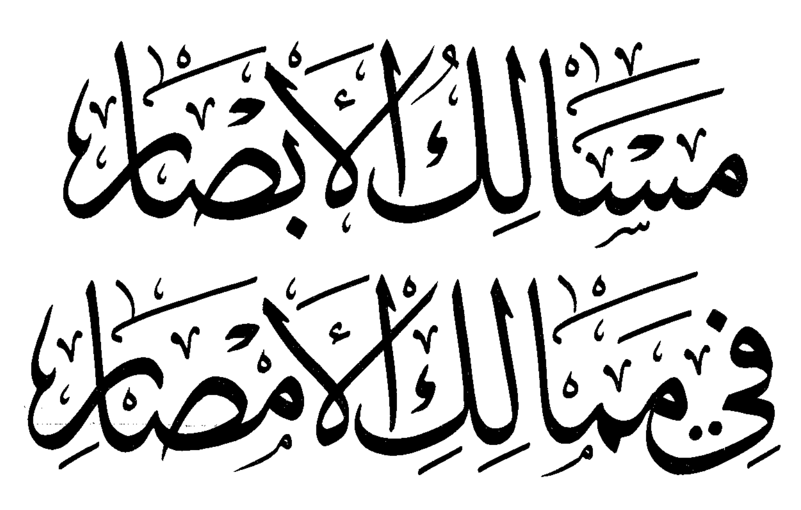

مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار
لابن فضل الله العمري
شهاب الدين أحمد بن يحيى المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية
دار الكتب العلمية
DKi
بيروت - لبنان



لابن فضل الله العمري
شهاب الدين أحمد بن يحيى
المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية

أشرف على تحقيق الموسوعة
وحقق هذا السفر
كامل سلمان الجبوري

الجزء السادس

طبقات الفقهاء وأصحاب المذاهب الإسلامية



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title : MASĀLIK AL-ʾABṢĀR FĪ MAMĀLIK AL-ʾAMṢĀR

الكتاب : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

Classification: Lexicons

التصنيف : موسوعات

Author : Šahābuddīn Ibn fadlullah al-ʿUmari

المؤلف : شهاب الدين ابن فضل الله العمري

Editor : Kāmil Salmān al-Jubūri and: Mahdi al-Najm

المحقق : كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الناشر : دار الكتب العلميـــة – بيروت

Pages : 10240 (15 Volumes)

عدد الصفحات : 10240 (27 جزءاً في 15 مجلداً)

Size : 17*24

قياس الصفحات: 17*24

Year : 2010

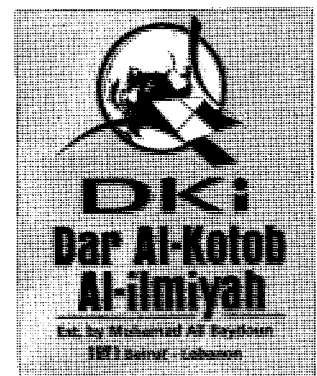
سنة الطباعة : 2010

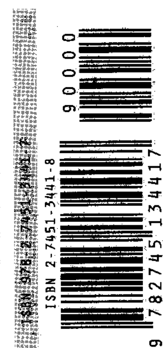
Printed in : Lebanon

بلد الطباعة : لبنـــان

Edition : 1st

الطبعة : الأولى





بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

وبعد:

فهذا هو السفر السادس من موسوعة «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لشهاب الدين، أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري الدمشقي، المتوفى بها سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م.

وقد تناول فيه تاريخ وتراجم مشاهير الفقهاء وأصحاب المذاهب الإسلامية.

وقد اعتمدت في تحقيق هذا السفر على ثلاث نسخ وهي:

١ـ نسخة مكتبة لاله لي ـ مكتبة السليمانية ـ استانبول برقم ٢٠٣٧، يغلب الظن أنها بخط المؤلف، وإن له تكن بخطه فإنها نقلت عن نسخة المؤلف.

وجعلتها (الأصل) في عملي.

٢ـ نسخة أيا صوفيا ـ مكتبة السليمانية ـ استانبول برقم ٣٤١٩، وهي نسخة قديمة عليها تملك محمد بن علي بن عيسٰى بن داود بن شيركوه الأيوبي سنة ٧٦١هـ.

وقد وقّفها السلطان العثماني محمود خان وعليها ختم بإسم أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين.

وعليها تأييد الوقفية يعود تاريخه سنة سبع و... وسبعمائة.

٣ـ مخطوطة أحمد الثالث ـ طوبقبو سراي ـ استانبول برقم ٢٧٩٧/ ٦.

وقد كتبت في الأصل برسم خزانة السلطان المملوكي، الملك المؤيد شيخ ابن

عبد الله المحمودي (ت٨٢٤هـ/ ١٤٢١م) ووقفها الملك المؤيد على طلبة العلم بجامعه (المؤيدي) في القاهرة.

أما طريقتي في تحقيقه فقد ذكرتها في مقدمتي للسفر الأول من الموسوعة.

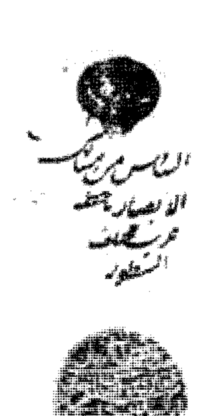
هذا ما استطعت أن أُقدمه للقاريء الكريم والباحث الفاضل، أرجو أن أكون قد قمت بإحياء جزء من تراثنا الخالد ما استطعت، وحسبي أني كنت مخلصاً فيه.

والله من وراء القصد

وهو حسبي ونعم الوكيل

جمهورية العراق ـ الكوفة

كامل سلمان الجبوري



صفحة العنوان لمخطوطة لاله لي ـ مكتبة السليمانية ـ استانبول رقم ٢٠٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم وعلى الله توكلت وإليه أنيب
وإذ [illegible] الحديث [illegible] الجانبين ولم ندع منهم [illegible] مشرق ولا مغرب
ولا مطلع هلال ولا كوكب حتى وصلنا [illegible] الأحياء
وسكان المدن والأحياء ولم يبق إلا ذكر مجتهدي الفقهاء [illegible]
ونبدأ بالأئمة بأبي حنيفة ثم مالك ثم الشافعي ثم ابن حنبل ثم أهل الظاهر
ذكرناهم اقتداء بالشيخ ونتبع إثر كل [illegible] مشاهير أتباعه وجماهير
أشياعه ونبدأ بأهل الجانب الشرقي على عادتنا فيما سلك ونعوذ بالله من
إضلال النفس وإخطاء الطرق [illegible] فأما أهل الجانب
الشرقي فالإمام المقدم فيهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطا الكوفي
إمام أئمة الإسلام وناصر شريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام
أول من دون الفقه والأحكام ودون القضايا للحكام وقام بالأمر على
[illegible] وأتى الحق على وجهه ونفقه فغلب الناس بفقهه
[illegible] دليل ولا [illegible] لو شاء أن يستدل على أن سواري
المسجد ذهب لفعل [illegible] الثريا واستقل لو اطلع على [illegible]
لما رضي [illegible] أو جاوز الجوزاء لما استطاب مقاما في أوطانها
أو حل بذات الشمس لأنف عن مجاورة سلطانها أراده المنصور على
القضاء فأبى ولم تخدعه الدنيا [illegible] بجواري
عوارفها فكف عن بوائق الآثام وعف عن طوارق المنام [illegible]
من قليل الدنيا المعاش [illegible]

٢

الصفحة الأولى لمخطوطة لاله لي ـ مكتبة السليمانية ـ استانبول برقم ٢٠٣٧

وحكي عن قوم انهم قالوا لا ينعقد في الاجماع بخبر الواحد والقياس وليس بصحيح
وقال ابو العباس القرطبي وحكي عن قوم انه لا ينعقد خلاف من
انكر القياس فذكر كلام القاضي عبد الوهاب والله اعلم
وهذا الفصل تم ذكر الفقهاء من المذاهب الاربعة واهل القول الظاهر
بالجانبين الشرقي والغربي الى آخرهم وبه تم هذا السفر من كتاب
مسالك الابصار في ممالك الامصار ويتلوه ان شاء الله تعالى في
السفر السابع واما من حفظ السنة العرب وسعى في تحصيل لغاتها واضطرب
وبالله التوفيق ومنه نستمد الاعانة على التحقيق
والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على سيدنا محمد واله وصحبه الطيبين الطاهرين
حسبنا الله ونعم الوكيل



الصفحة الأخيرة لمخطوطة لاله لي ـ مكتبة السليمانية ـ استانبول رقم ٢٠٣٧



صفحة العنوان لمخطوطة أيا صوفيا ـ مكتبة السليمانية ـ استانبول برقم ٣٤١٩

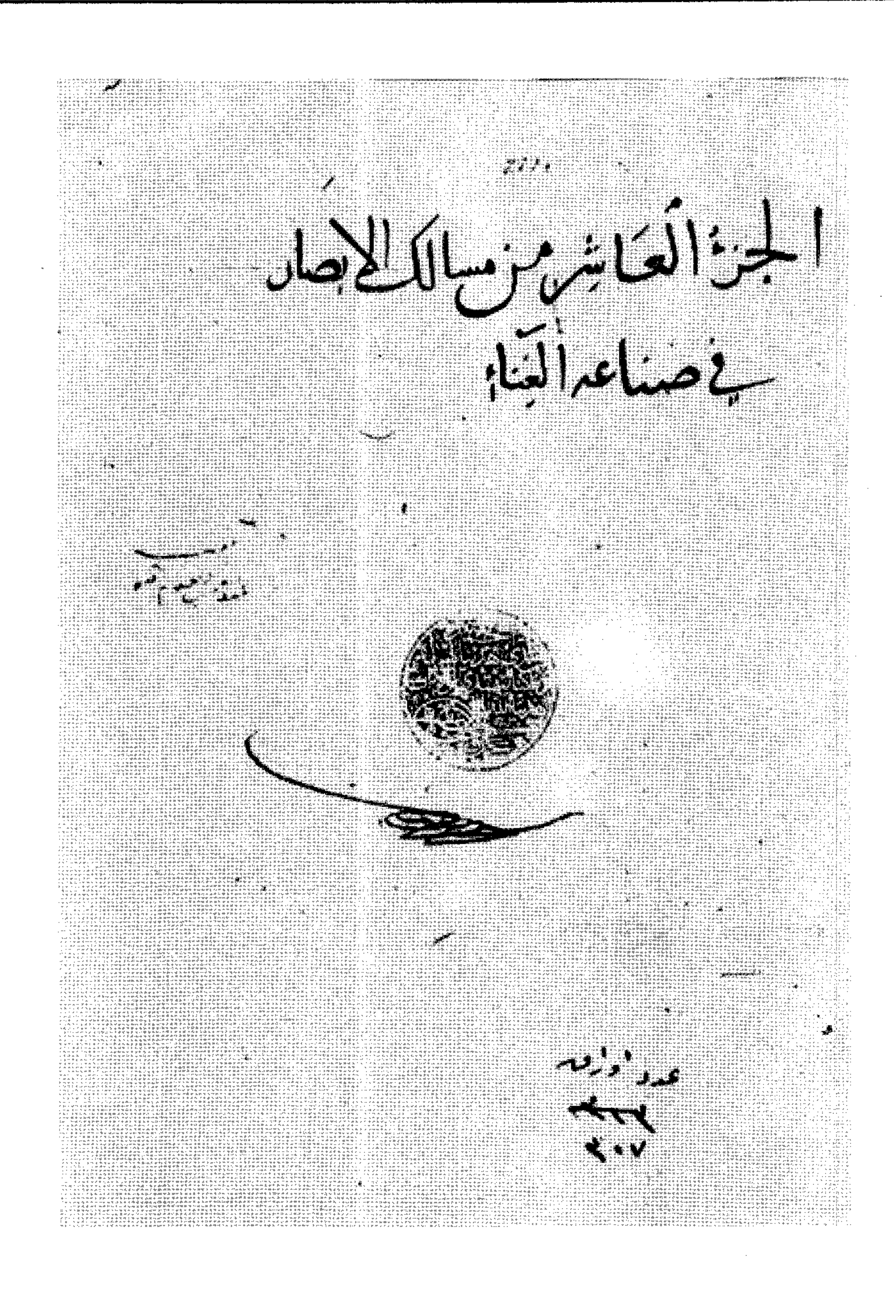
بسم الله الرحمن الرحيم

الصفحة الأولى لمخطوطة أيا صوفيا ـ مكتبة السليمانية ـ استانبول برقم ٣٤١٩

وايضا فان معظم الشريعة صادرة عن الاجتهاد والنصوص لا تفي بالعشر
من اعشار الشريعة فهولاء ملتحقون بالعوام وكيف يعتدون مجتهدين
ولا اجتهاد عندهم وقال ابو بكر الرازي لو تقدم داود في
مسألة حادثة في عصره خالف فيها بعض اهل زمانه لم يكن خلافا عليهم ثم
قال ولاجل ذلك لا يعد خلافه خلافا من الفقهاء ولم يذكروه في كتبهم فقد
انعقد الاجماع على اطراحه وترك الاعتداد به والجمهور من العلماء على الاعتداد
بقول اهل الظاهر في الاجماع والاختلاف وقال ابو العباس ابن
تيمية جمهور الفقهاء يذكرون داود واصحابه في جملة الفقهاء الذين
يعتد بهم في الاجماع والنزاع كما ذكرهم ابو اسحق الشيرازي في طبقات
الفقهاء وهذا هو المعروف عند اصحاب اهل العلم والمصنفين منهم من
اهل الاصول والفقه والحديث من اصحاب ابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد
وقال القاضي عبد الوهاب المالكي وحكي عن قوم انهم قالوا لا
يعتد في الاجماع بخبر الواحد والقياس هذا وليس بصحيح وقال
ابو العباس القرطبي وحكي عن قوم انه لا يعتد بخلاف من انكر القياس
فذكر كلام القاضي عبد الوهاب والله اعلم

وبهذا الفصل تم ذكر الفقهاء من المذاهب الاربعة واهل
القول بالظاهر بالجانبين الشرقي والغربي الى آخرهم وبه تم هذا السفر
من كتاب مسالك الابصار في ممالك الامصار ويتلوه ان شاء الله تعالى في
السفر السابع واوله من حفظ السنة الشريفة وسعى في تحصيل لغاتها
ما اضطرب وبالله التوفيق ومنه نستمد الاعانة على التحقيق
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الصفحة الأخيرة لمخطوطة أيا صوفيا ـ مكتبة السليمانية ـ استانبول برقم ٣٤١٩


الجزء العاشر من مسالك الابصار
في صناعة الغناء

صفحة العنوان لمخطوطة أحمد الثالث ـ طوپقپوسراي ـ استانبول برقم ٦/٢٧٩٧

الصفحة الأولى لمخطوطة أحمد الثالث ـ طوبقبوسراي ـ استانبول برقم ٢٧٩٧/٦

آخر السفر العاشر من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ويتلوه

إن شاء الله تعالى في السفر الحادي عشر والذي قد انتهينا إلى ذكر الأدباء

وأنبهنا الغافل لهم عيون الأنباء وسنذكرهم على ما قدمنا القول

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

ورضي الله عن أزواجه أمهات المؤمنين الطيبين الطاهرين

وعن التابعين وتابع التابعين وعنا وعن والدينا والمسلمين

والحمد لله رب العالمين حسبنا الله ونعم الوكيل

وافق الفراغ [illegible] في [illegible] ذي القعدة الحرام

في [illegible] الأخضر [illegible] أحسن [illegible]

على [illegible] أسعد [illegible]

[illegible]

وإن تجد عيبا فسد الخللا جل من لا عيب فيه وعلا

والحمد لله على ما أولى فنعم ما أولى ونعم المولى

سيبلى الكف مني في التراب ويبقى الخط بعدي في الكتاب

فيا ليت الذي يقرأ كتابي يدعو لي بالخلاص من الحساب

الصفحة الأخيرة لمخطوطة أحمد الثالث ـ طوبقبوسراي ـ استانبول برقم ٦/٢٧٩٧

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

لابن فضل الله العمري
شهاب الدين أحمد بن يحيى
المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية

أشرف على تحقيق الموسوعة
وحقق هذا السفر
كامل سلمان الجبوري

الجزء السادس

طبقات الفقهاء وأصحاب المذاهب الإسلامية

/٢/ بسم الله الرحمن الرحيم

وعلى الله توكلت وإليه أنيب

وإذ قد ختمنا فقهاء المحدثين بالجانبين، ولم ندع منهم زينة مشرق ولا مغرب، ولا مطلع هلال ولا كوكب، حتى وصلنا سبب الأموات بالأحياء، وسكان المدن والأحياء، فلم يبق إلاَّ أن نذكر مجرد الفقهاء، ونكتفي بفراقد النبهاء، ونبدأ من الأئمة بأبي حنيفة، ثم الشافعي، ثم ابن حنبل، ثم أهل الظاهر، ذكرناهم اقتداءً بالشيخ أبي إسحاق[١] حيث ذكرهم في طبقات الفقهاء، ونُتبع رأس كل مذهب بمشاهير أتباعه، وجماهير أشياعه، ونبدأ بأهل الجانب الشرقي على عادتنا فيما سلف، ونعوذ بالله من إحلال التقصير وإطناب السرف، وبه نستعين.

* * *

(١) إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشيرازي، أبو إسحاق: العلامة المناظر. ولد في فيروزآباد (بفارس) سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م وانتقل إلى شيراز فقرأ على علمائها. وانصرف إلى البصرة ومنها إلى بغداد (سنة ٤١٥هـ) فأتم ما بدأ به من الدرس والبحث. وظهر نبوغه في علوم الشريعة الإسلامية، فكان مرجع الطلاب ومفتي الأمة في عصره، واشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة. وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية على شاطىء دجلة، فكان يدرس فيها ويديرها. عاش فقيراً صابراً. وكان حسن المجالسة، طلق الوجه، فصيحاً مناظراً، ينظم الشعر. وله تصانيف كثيرة، منها «التنبيه ـ ط» و«المهذب ـ ط» في الفقه، و«طبقات الفقهاء ـ ط» و«اللمع ـ ط» في أصول الفقه، وشرحه، و«الملخص» و«المعونة» في الجدل. مات ببغداد وصلى عليه المقتدى العباسي.
ترجمته في: طبقات السبكي ٣/ ٨٨ ووفيات الأعيان ١/ ٤ واللباب ٢/ ٢٣٢ والأعلام ١/ ٥١.

طبقات الفقهاء الحنفية

فقهاء الحنفية في الجانب الشرقي

ـ فأما أهل الجانب الشرقي، فالإمام المقدم.

منهم:

[١]

أبو حنيفة، النعمان بن ثابت بن زَوْطى الكوفي(١)

أحد أئمة الإسلام، وسراج الأمة المستصبح في الظلام، نشر بمذهبه الأعلام، ونصر شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، أول من دَوَّن الفقه والأحكام، ودوَّخ القضايا للحكام، وقاس الأمر على شبهه، وأتى بالحق على وجهه، وتفقه فغلب الناس بفقهه، وكان لا يعجزه دليل، ولا يعجبه ذليل، لو شاء أن يستدل على أن سواري المسجد ذهب، لفعل، ولو قَصّر، لاحتذى بالثريا وانتعل، لو أطل على المجرة، لما رضي شرباً في أعطانها، أو جاور الجوزاء، لما استطاب مقاماً في أوطانها، أو حل في دارة الشمس، لأنف من مجاورة سلطانها، أراده المنصور على القضاء فأبى، وجرد للمضاء سيفه فنبا، ولم تخدعه الدنيا بزخارفها، ولا سرته بعواري عوارفها، فكفَّ عن بوائق الأنام، وعفَّ عن طوارق المنام، تقللاً من قليل الدنيا المعار، وتعرياً مما تلبسه من رداء العار، وكان لو شك /٣/ في الماء، لما شربه، أو ظن في الهواء، لما استلذ مستطيبه، تقدم بالاستحقاق والزمان، وقدم عملاً

---

(١) **ترجمته في**: المتروكين ١٠٠، تذكرة الحفاظ ١/ ١٥٨، ميزان الاعتدال ٤/ ٢٦٥، التاريخ ٨/ ٨١، تقريب التهذيب ٢/ ٣٠٣، تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٤٩، الجرح والتعديل ٨/ ٤٤٩، طبقات الفقهاء ٨٦، المجروحين ٣/ ٦١، معجم البلدان ١/ ٤١٧، طبقات الحفاظ ٧٣، تاريخ بغداد ١٣/ ٣٢٣، وفيات الأعيان ٥/ ٤٥٥، المعرفة والتاريخ (راجع فهرس الأعلام)، التاريخ لابن معين ٢/ ٦٠٧ رقم ٢٥٣٠، طبقات خليفة ١٦٧، التاريخ الصغير ٢/ ٤٣، الكامل في التاريخ ٥/ ٥٨٥، العبر ١/ ٣١٤، مرآة الجنان ١/ ٣٠٩، البداية والنهاية ١٠/ ١٠٧، سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٩٠، الجواهر المضيئة ١/ ٢٦، النجوم الزاهرة ٢/ ١٢، خلاصة تذهيب الكمال ٤٠٢، شذرات الذهب ١/ ٢٢٧ وانظر: مناقب أبي حنيفة للإمام الموفق بن أحمد المكي، والإمام حافظ الدين المعروف بالكردري، من منشورات دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١، تاريخ الإسلام (السنوات ١٤١ـ ١٦٠هـ) ص٣٠٥.

حلَّ به دار الأمان، لم يكن في الأربعة أحد معه، ولا جاء منهم إلاَّ من تبعه، وضح ضوء نهاره، ووضع كل تصنيف إجلالاً لمقداره.

أسف للتقصير عنه سفيان، وأنبتَّ دونه البتِّي عثمان، وجهد ابن أبي ليلى بالكوفة خلفه فما أدركه، وابن جريح بمكة وما سلك مسلكه، ووثب الليث بمصر فما زاد على أن ولج عرينه، وحرص مالك إمام دار الهجرة فما حصل إلاَّ على المدينة، وكان لا يمثل بذكائه إياس، ولا يجيء معه في فقهه على قياس، فما جاء مثله ابن الماجشون، ولا تقدمه الشافعي وداره بين الصفا والحجون، ولا خرج ذو فقه في الفروع عن ظلِّه الأثيث، ولا جاراه ابن حنبل إلاَّ وكان له القديم ولذاك الحديث، ولقد كثرت طائفته، وتفرعت من بحره الأنهار، وتوزعت من شمسه الأقمار، وجال ذكره في الأرض، فضوعها عبقاً، وضوّاها، ثم ألقى جرانه مشرقاً، فتملك أكثر أهل الأرض مذهبه، وتوقَّل أشرف المطالع كوكبه، حتى عمّ صيته، وانتعش به كل عالم إذا ذكر معه يحييه وكأنه يميته.

وأدرك أربعة من الصحابة، وهم: أنس بن مالك، وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة، وأبو الطفيل عامر بن واثلة بمكة، ولم يلق أحداً منهم، ولا أخذ عنه، وأصحابه يقولون لقي جماعة من الصحابة، وروى عنهم، ولم يثبت ذلك عند أهل النقل.

وذكر أبو بكر الخطيب / ٤/ في تاريخ بغداد[1]: أنه رأىَ أنس بن مالك، وأخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان، وسمع عطاء بن أبي رباح، وأبا إسحاق السبيعي، ومحارب بن دثار، والهيثم بن حبيب، ومحمد بن المنكدر، ونافعاً مولى عبد الله بن عمر، وهشام بن عروة، وسماك بن حرب، وروى عنه عبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح، والقاضي أبو يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني، وزفر بن الهُذيل.

وكان عالماً، عاملاً، زاهداً، عابداً، ورعاً، تقياً، كثير الخشوع، دائم التضرع إلى الله تعالى.

ونقله أبو جعفر المنصور من الكوفة إلى بغداد، فأراده أن يوليه القضاء فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة لا يفعل، فقال الربيع بن يونس الحاجب: ألا ترى أمير المؤمنين يحلف، فقال أبو حنيفة: أمير المؤمنين على كفارة أيمانه أقدر مني على كفارة أيماني، وأبى أن يلي، فأمر به إلى الحبس في الوقت، والعوام يدّعون أنه

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٢٥.

تولى عدد اللَّبِن أياماً ليكفر بذلك عن يمينه، ولم يصح هذا من جهة النقل.

قلت: وذكر ثقات من أهل التاريخ أنه كان على ربع من أرباع بغداد في بنائها حين بناها المنصور.

وقال الربيع: رأيت المنصور ينازل أبا حنيفة في أمر القضاء، وهو يقول: اتق الله، ولا تسترعِ في أمانتك إلاَّ من يخاف الله، والله ما أنا مأمون الرضا، فكيف أكون مأمون الغضب؟ ولو اتجه الحكم عليك، ثم تهددني أن تغرقني في الفرات أو تدع الحكم، لاخترت أن أغرق، ولك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لك، ولا أصلح لذلك، فقال له: كذبت، أنت تصلح، فقال: قد حكمت لي على نفسك، كيف يحل لك أن تولي قاضياً على أمانتك وهو كذاب.

وحكى الخطيب أيضاً في بعض الروايات[1]: أن المنصور لما بنى مدينته ونزلها، ونزل المهدي في الجانب الشرقي، وبنى مسجد /٥/ الرصافة، أرسل إلى أبي حنيفة، فجيء به، فعرض عليه قضاء الرصافة فأبى، فقال له: إن لم تفعل ضربتك بالسياط قال: أو تفعل؟ قال: نعم، فقعد في القضاء يومين، فلم يأته أحد، فلما كان في اليوم الثالث أتاه رجل صفار ومعه آخر، فقال الصفار: لي على هذا درهمان وأربعة دوانيق ثمن تَوْر صُفْر، فأنكر الرجل، فقال أبو حنيفة للصفار: ما تقول؟ قال: استحلفه لي، فقال أبو حنيفة للرجل: قل والله الذي لا إله إلاَّ هو، فجعل يقول، فلما رآه أبو حنيفة معتمداً على أن يحلف، قطع عليه، وضرب بيده على كمه، وأخرج درهمين ثقيلين، وقال للصفار: هذان الدرهمان عوض عن باقي تورك، فنظر الصفار إليهما وقال: نعم، فأخذ الدرهمين، فلما كان بعد يومين اشتكى أبو حنيفة، فمرض ستة أيام ثم مات.

وكان يزيد بن عمر بن هبيرة أمير العراقين أراده أن يلي القضاء بالكوفة أيام مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية، فأبى عليه، فضربه مائة سوط وعشرة أسواط، كل يوم عشرة أسواط، وهو على الامتناع، فلما رأى ذلك خلى سبيله.

وكان أحمد بن حنبل إذا ذكر ذلك، بكى، وترحم على أبي حنيفة، وذلك بعد أن ضرب الإمام أحمد على القول بخلق القرآن.

وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: مررت مع أبي بالكناسة فبكى، فقلت له: يا أبت ما يبكيك؟ فقال: يا بني في هذا الموضع ضرب ابنُ هبيرة أبي على أن

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/٣٢٨.

يلي القضاء، فلم يفعل.

وكان أبو حنيفة حسن الوجه، حسن المجلس، شديد الكرم، حسن المواساة لإخوانه، وكان ربعة من الرجال، وقيل: كان طُوالاً، تعلوه سمرة، أحسن الناس منطقا، وأحلامهم نغمة.

وذكر الخطيب[(١)]: أن أبا حنيفة رأى في النوم كأنه ينبش قبر رسول الله ﷺ، /٦/ فبعث من سأل ابن سيرين، فقال ابن سيرين: صاحب هذه الرؤيا يثير علماً لم يسبقه إليه أحد قبله.

وقال الشافعي: قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ فقال: نعم رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته.

وقال الشافعي: الناس عيال على هؤلاء الخمسة، من أراد أن يتبحر في الشعر فهو عيال على زهير بن أبي سلمى، ومن أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق، ومن أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكِسَائي، ومن أراد أن يتبحر في التعبير فهو عيال على مقاتل بن سليمان، ومن أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة. كان أبو حنيفة ممن وفق له. حكاه الخطيب[(٢)].

وقال يحيى بن معين: القراءة عندي قراءة حمزة، والفقه فقه أبي حنيفة. على هذا أدركت الناس.

وقال جعفر بن ربيع: أقمت على أبي حنيفة خمس سنين، فما رأيت أطول صمتاً منه، فإذا سئل عن الفقه تفتح، وسال كالوادي، وسمعت له دوياً وجهارة بالكلام، وكان إماماً في القياس[(٣)].

قال علي بن عاصم: دخلت على أبي حنيفة، وعنده حجَّام يأخذ من شعره، فقال للحجام: تتبع مواضع البياض، فقال الحجام: لا. قال: ولم؟ قال: لأنه يكثر. قال: فتتبع مواضع السواد لعله يكثر. وحكيت لشريك هذه الحكاية فضحك، وقال: لو ترك أبو حنيفة قياسه لتركه مع الحجام.

وقال عبد الله بن رجاء: كان لأبي حنيفة جار بالكوفة إسكاف، يعمل نهاره أجمع حتى إذا جنه الليل رجع إلى منزله، وقد حمل لحماً فطبخه، أو سمكة فيشويها. ثم لا يزال يشرب حتى إذا دب الشراب فيه غرد بصوت غردٍ، وهو يقول: [من الوافر]

أضاعُوني وأيَّ فتًى أضاعوا ... ليومِ كريهةٍ وسِدَادِ ثَغْرِ

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣٥. (٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٦. (٣) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٦.

/٧/ فلا يزال يشرب، ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم. وكان أبو حنيفة يصلي الليل، ويسمع جلبته، ففقد أبو حنيفة صوته، فسأل عنه فقيل: أخذه العسس منذ ليال وهو محبوس، فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من غدٍ، وركب بغلة، واستأذن على الأمير، فقال الأمير: ائذنوا له، وأقبلوا به راكباً، ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ببلغته، ففعل. ولم يزل الأمير يوسع له في مجلسه وقال: ما حاجتك؟ قال: إن لي جاراً إسكافاً أخذه العسس منذ ليال، يأمر الأمير بتخليته، فقال: نعم، وكل من أُخذ في تلك الليلة إلى يومنا، فأمر بتخليتهم أجمعين، فركب أبو حنيفة والإسكاف يمشي وراءه، فلما نزل أبو حنيفة مضى إليه، وقال: يا فتى أضعناك، فقال: لا بل حفظت ورعيت ـ جزاك الله خيراً ـ عن حرمة الجوار ورعاية الحق وتاب الرجل ولم يعد إلى ما كان[1].

وقال ابن المبارك: رأيت أبا حنيفة في طريق مكة، وقد شُوي لهم فصيل سمين، فاشتهوا أن يأكلوه بخلٍّ، فلم يجدوا شيئاً يصبون فيه الخل فتحيروا، فرأيت أبا حنيفة وقد حفر في الرمل حفرةً، وبسط عليها السفرة، وسكب الخل على ذلك الموضع، فأكلوا الشواء بخل، فقالوا: تحسن كل شيء، فقال: عليكم بالشكر، فإن هذا شيء ألهمتُه لكم فضلاً من الله عليكم[2].

وقال ابن المبارك: قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة، ما سمعته يغتاب عدواً له قط، فقال: والله هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها.

وقال أبو يوسف: دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة فقال الربيع حاجب المنصور ـ وكان يعادي أبا /٨/ حنيفة ـ: يا أمير المؤمنين هذا أبو حنيفة يخالف جدك، كان عبد الله بن عباس يقول: إذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو بيومين جاز الاستثناء، وقال أبو حنيفة: لا يجوز الاستثناء إلاَّ متصلاً باليمين، فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين إن الربيع يزعم أنه ليس لك في رقاب جندك بيعة.

قال: يحلفون لك، ثم يرجعون إلى منازلهم، فيستثنون فتبطل إيمانهم. فضحك المنصور، وقال: يا ربيع لا تعرض لأبي حنيفة، فلما خرج أبو حنيفة، قال له الربيع: أردت أن تشيط بدمي، قال: لا ولكنك أردت أن تشيط بدمي، فخلصتك، وخلصت نفسي[3].

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٦٠.
(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٦٢.
(٣) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٦٢.

وكان أبو العباس الطوسي سيّىء الرأي في أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك، فدخل أبو حنيفة على المنصور وكبراء الناس، فقال الطوسي: اليوم أقتل أبا حنيفة، فأقبل عليه، فقال: يا أبا حنيفة، إن أمير المؤمنين يدعو الرجل، فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو، أيسعه أن يضرب عنقه؟ فقال: يا أبا العباس أمير المؤمنين يأمر بالحق أم بالباطل؟ قال: بالحق، قال: أنفذ الحق حيث كان، ولا تسأل عنه، ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه: إن هذا أراد أن يوبقني فتحيَّلتُ[١].

وقال يزيد بن الكميت: كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى، فقرأ بنا علي بن عيسى المؤذن ليلةً في عشاء الآخرة، سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ وأبو حنيفة خلفه، فلما قضى الصلاة، وخرج الناس نظرت إلى أبي حنيفة، وهو جالس يتفكر ويتنفس، فقلت: أقوم لا يشتغل قلبه بي، فلما خرجت تركت القنديل، ولم يكن فيه إلاّ زيت قليل، فجئت وقد طلع الفجر وهو قائم، وقد أخذ بلحية نفسه وهو يقول: يا من يجزي بمثقال ذرة خيرٍ خيرا، ومن يجزي بمثقال ذرة /٩/ شرٍ شرا، أجر عبدك النعمان من النار، ومما يقرب منها من السوء، وأدخله في سعة رحمتك. قال: فأذَّنت وإذا القنديل يزهر، وهو قائم، فلما دخلت، قال: تريد أن تأخذ القنديل، قد أذَّنت لصلاة الغداة، فقال: اكتم علي ما رأيت، وركع ركعتين، وجلس حتى أقمت الصلاة، وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل[٢].

وقال أسد بن عمرو: صلى أبو حنيفة فيما حُفظ عليه صلاة الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة، وكان عامة ليلة يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة، وكان يُسمع بكاؤه في الليل حتى يرحمه جيرانه. وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة.

وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه: لما مات أبي سألنا الحسن بن عمارة أن يتولى غسله، ففعل، فلما غسله قال: رحمك الله وغفر لك لم تفطر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسد يمينك منذ أربعين سنة، وقد أتعبت من بعدك، وفضحت القراء[٣].

وروي أن أبا عمرو بن العلاء سأله عن القتل بالمثقل هل يوجب القود أم لا؟ فقال: لا، فقال له أبو عمرو: ولو قتله بحجر؟ فقال: ولو قتله بأبا قبيس يعني الجبل المطل على مكة. فعاب قليلو المعرفة هذا على أبي حنيفة، وزعموا أنه ناقضَ العربية.

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٦٣. (٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٥٥. (٣) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٥٥.

والجواب: أن أبا حنيفة كوفي، ومن مذهب الكوفيين ولغتهم في الأسماء الستة إعرابها في الأحوال الثلاثة بالألف، ويستدلون على ذلك بقول الشاعر: [من الرجز]

إنَّ أباها وأبا أباها قدْ بَلَغا في المجدِ غايتاها

وولد أبو حنيفة سنة ثمانين من الهجرة، وتوفي في رجب، وقيل: في /١٠/ شعبان، وقيل لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة خمسين ومائة، وقيل: بل توفي سنة إحدى وخمسين، وقيل: اثنتين. والأول أصح. وتوفي بالسجن ببغداد ليلي القضاء فلم يقبل. هذا هو الصحيح، وقيل: لم يمت في السجن، وقيل: إنّه توفي في اليوم الذي ولد فيه الشافعي، ودفن بمقابر الخيزران، وقبره هناك يزار.

وبنى عليه شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي مستوفي مملكة السلطان ملكشاه السلجوقي مشهداً، وقبة في سنة تسع وخمسين وأربعمائة، وبنى عنده مدرسة كبيرة للحنفية، فلما فرغ من عمارة ذلك ركب إليها في جماعة من الأعيان؛ ليشاهدوها، فبينما هم كذلك، إذ دخل عليهم الشريف أبو جعفر مسعود البياضي الشاعر، وأنشد: [من الطويل]

ألَمْ تَرَ أنَّ العلمَ كانَ مُبدَّداً فجمّعَهُ هذا الموسَدُ في اللَّحْدِ

كذلكَ كانتْ هذه الأرضُ مَيتةً فأنشرَها فِعلُ العميدِ أبي سعدِ

فأجازه أبو سعدٍ جائزةٍ سنية.

وأما نسب أبي حنيفة فهو: النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه مولى تيم الله بن ثعلبة، وجده زوطى من أهل كابل، وقيل: من أهل الأنبار، وقيل: من أهل نسا، وقيل: من ترمذ، وهو الذي مسه الرق فأعتق، وولد ثابت على الإسلام.

وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: أنا إسماعيل بن حماد بن نعمان بن ثابت بن المنعم بن المرزبان، من أبناء فارس الأحرار، والله ما وقع علينا رق قط. ولد جدي سنة ثمانين، وذهب ثابت إلى علي بن أبي طالب وهو صغير، فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته، ونحن نرجو أن يكون /١١/ الله تعالى قد استجاب ذلك لعلي فينا. والنعمان بن المرزبان أبو ثابت هو الذي أهدى لعلي بن أبي طالب الفالوذج في يوم المهرجان، فقال: مهرجونا كل يوم كذا[١].

/١٢/ ومن أصحابه:

---

(١) بعده بياض في الأصل بمقدار ٦ أسطر.

[٢]

أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خُنَس بن سعد بن حبتة الأنصاري(١)

صاحب أبي حنيفة، وساحب ذيله على كل منيفة، ذو مذهب لو أفرد لاستقل، ولكثر بنفسه وما قل، بعلمٍ لو تدفق لزخر، ولو تجسد لفخر، ولو عرض لاحتقر كل

(١) **ترجمته في**: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٣٠- ٣٣١، والتاريخ لابن معين ٢/ ٦٨٠، ومعرفة الرجال له ٢/ ٢١ رقم ٧، والعلل ومعرفة الرجال لأحمد ١/ ٣٥٦ رقم ٦٧٩، و٢/ ٣٥٦ رقم ٢٥٧٥، وطبقات خليفة ٣٢٨، وتاريخ خليفة ٤٥٦، والتاريخ الصغير ١٩٩، والتاريخ الكبير ٨/ ٣٩٧ رقم ٣٤٦٣، والضعفاء الصغير ٢٨٠ رقم ٤١٣، وجزء ابن التمار (الملحق بالضعفاء والمتروكين للنسائي) ٣١٠، والكنى والأسماء لمسلم، الورقة ١٢٢أ، والضعفاء الكبير للعقيلي ٤/ ٤٣٨- ٤٤٤ رقم ٢٠٧١، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٤٣١، وأحوال الرجال للجوزجاني ٧٦ رقم ٩٧، والمعرفة والتاريخ ١/ ١٧٣ و٢/ ٢٢٩ و٧٨٢- ٧٨٤ و٧٨٩- ٧٩١ و٣/ ٤، ٥، وأخبار القضاة لوكيع ٢/ ١٤٥ و١٥٤ و١٧٤ و٣/ ٩٥ و١٥٨- ١٦٠ و١٧٤ و٢٥٣- ٢٦٤، وتاريخ الطبري ٤/ ٢٢٥ و٥/ ٥٧٣ و٥٨٣ و٦/ ٧٤ و٨/ ١٦٢، والكنى والأسماء للدولابي ٢/ ١٥٩، والمعارف ٤٨٩ و٤٩٩ و٦٢٥، والجرح والتعديل ٩/ ٢٠١- ٢٠٢ رقم ٨٤١، والجليس الصالح ٣/ ٢٦٤، والمجروحين لابن حبّان ٢/ ٢٧٥ و٣/ ٨ و١٥ و٦٥ و٧١، ومشاهير علماء الأمصار ١٧١ رقم ١٣٥٦، والثقات لابن حبّان ٧/ ٦٤٥، ومروج الذهب (طبعة الجامعة اللبنانية) ٢٥٠٢ و٢٥٥٢ و٢٩٧٥، والكامل في الضعفاء لابن عديّ ٧/ ٢٦٠٢- ٢٦٠٤، وطبقات الشعراء لابن المعتز ٤٣ و٢٦١، والعقد الفريد ١/ ٢٦٨ و٣٠٨ و٢/ ٢٠٨ و٥/ ٧٣ و٦/ ٥ و١١، وأمالي المرتضى ١/ ٢٥٢، والفهرست لابن النديم ٢٠٣، ونشوار المحاضرة ١/ ٢٥١ و٢٥٢ و٢٥٤ و٢/ ٢٢٣ و٢٢٨ و٢٣١ و٣٨٧، وشرح أدب الكاتب ١٣ و٨٠، والانتقاء لابن عبد البر ١٧٢، وتاريخ بغداد ١٤/ ٢٤٢- ٢٦٢ رقم ٧٥٥٨، وتاريخ جرجان ٤٤٤- ٤٤٥، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٣٤، وتاريخ حلب للعظيمي ٢٣٤، والتذكرة الحمدونية ١/ ٣٤٨ و٢/ ٢١٩، وربيع الأبرار ١/ ٨١٨، والبيان والتبيين ٢/ ٨٩أ، وبهجة المجالس ١/ ٣٦٥، والأذكياء لابن الجوزي ٧٧ و٨١، والحمقى والمغفّلين له ٢٣ و٣٧، ومجالس العلماء ٢٥٧، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٧٨- ٣٩٠ رقم ٨٢٤، وتهذيب الأسماء واللغات ق٢ج١/ ٢٧٣ رقم ٤٤٦، والإشارات إلى معرفة الزيارات ٧٣، والكامل في التاريخ ٦/ ٧٣ و١٥٢ و١٥٩ و٢١٧، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٥، وخلاصة الذهب المسبوك ١٢٩- ١٣٣، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٧٠- ٤٧٣ رقم ١٤١، والعبر ١/ ٢٨٤- ٢٨٥، ودول الإسلام ١/ ١١٧، ومرآة الجنان ١/ ٣٨٢- ٣٨٨، والبداية والنهاية ١٠/ ١٨٠، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٩٢، ومختصر التاريخ لابن الكازروني ١٢٩ و١٣٣، ونزهة الظرفاء ٢٦، ٢٧ و٧٢، والمغني في الضعفاء ٢/ ٧٥٦- ٧٥٧ رقم ٧١٧٦، وميزان الاعتدال ٤/ ٤٤٧ رقم ٩٨٩٤، وتارج التراجم ٦٠، وألفيّة العراقي ٢/ ١٦٣، ومناقب أبي حنيفة للمكي ٤٦٣- ٥٠٨، ومناقب أبي حنيفة للكردري ٢/ ٣٨٩- ٤١٨، ولسان الميزان ٦/ ٣٠٠- ٣٠١ رقم ١٠٨١، والعيون والحدائق ٣/ ٢٩٠، والجواهر المضيّة ٢/ ٢٢٠، والفوائد البهيّة ٢٢٥، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٠٧، ومفتاح السعادة ٢/ ١٠٠- ١٠٧، وشذرات الذهب ١/ ٣٨٩- ٣٠١، وهدية العارفين ٢/ ٥٣٦، وتاريخ الأدب العربي ٣/ ٢٤٥؛ وعقلاء المجانين لابن حبيب ٧٩ و١٦٥، تاريخ الإسلام (السنوات ١٨١- ١٩٠هـ) ص٤٩٦ رقم ٤٥٥.

عالم ما اقتنى وما ذخر. بحر موجه مكفوف، وبدر بالنجوم محفوف، وفجر متألق يزيد جوهره في الشفوف، وإمام تقدم والعلماء خلفه صفوف. استقضاه الرشيد، وارتضاه لحلول بنائه المشيد، فانتقاه لتسليم المقاليد، وانتضاه سيفاً للتقليد، وكان موضع أمانته، ومرجع أمور ديانته، حتى كان يدخله إلى ما وراء حجابه، ويستدعيه بغير محضر من حُجَّابه، ويعارضه أحياناً في حَرمه، ويفاوضه فيما يكون بينه وبين حُرَمِه، ويسارَّه حيث لا يكون نجي، ويشاوره فيما أمره به الله والنبي ﷺ، فعظمت لهذا لديه مكانته، وعرفت بالتسديد في دين الله متانته، واتسع له ذيل مال من الحلال مكسبه، ومن تحف الرشيد وأهل بيته سببه، وما زال على هذا حتى خبت ريحه، وآواه في مستقر الترب ضريحه.

ذكر الخطيب[1] عن أبي يوسف قال: توفي أبي وخلفني صغيراً في حجر أُمي، فأسلمتني إلى قصار أخدمه، فكنت أدع القصار وأمر إلى حلقة أبي حنيفة، فأجلس أسمع، فكانت أمي تجيء خلفي إلى الحلقة تأخذ بيدي، وتذهب بي إلى القصار، وكان أبو حنيفة يعتني بي؛ لما يرى من حضوري، وحرصي على التعلم، فلما كثر ذلك على أمي، وطال عليها هربي، قالت لأبي حنيفة: ما أرى لهذا الصبي فساداً / ١٣/ غيرك. هذا صبي يتيم لا شيء له، وإنما أطعمه من مغزلي، وأؤمل أن يكسب دانقاً يعود به على نفسه، فقال لها أبو حنيفة: مُرِّي يا رَعناء، هذا هو ذا والله يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق، فانصرفت عنه، وقالت له: أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك. قال أبو يوسف: ثم لزمته، فنفعني الله بالعلم، ورفعني حتى تقلدت القضاء، وكنت أُجالس الرشيد، وآكل معه على مائدته، فلما كان في بعض الأيام، قدم إليَّ الرشيد فالوذجة، فقال لي: يا يعقوب، كل منه فَليس في كل يوم يعمل لنا مثلها، فقلت: وما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه فالوذجة بدهن الفستق، فضحكت، فقال لي: مم ضحكك؟ فقلت: خيراً، أبقى الله أمير المؤمنين، فقال: لتخبرني، فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها، فعجب من ذلك، وقال: لعمري إن العلم ليرفع وينفع ديناً ودنيا، وترحم على أبي حنيفة وقال: كان ينظر بعيني عقله ما لا يراه بعيني رأسه.

وزاد السمعاني، في تاريخه: أن الرشيد سأل أبا يوسف عن أمه، فقال له: هي حية باقية، فقال: يحمل ذلك إليها، ويذكر لها ذلك، وتُبر قسم أبي حنيفة.

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٤٧.

وقال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف يقول: صحبت أبا حنيفة سبع عشرة سنة لا أُفارقه في فطر، ولا أضحى إلاَّ من مرض.

وولي أبو يوسف القضاء لثلاثة من الخلفاء للمهدي، والهادي، والرشيد، وكان الرشيد يكرمه ويبجله، وحج معه، واجتمع بمالك وناظره في مقدار الصاع، وهو أول من خوطب بقاضي القضاة في خلافة الرشيد، ولم يخاطب بها أحدٌ قبله، وهو أول من غير لباس العلماء إلى هذه الهيأة.

وقال محمد بن جرير الطبري: كان أبو يوسف فقيهاً، عالماً، حافظاً، وكان يعرف /١٤/ بحفظ الحديث، وكان يحضر المحدث خمسين حديثاً وستين، ثم يقوم فيمليها على الناس، وكان كثير الحديث.

وقال طلحة بن محمد الحافظ: كان أبو يوسف مشهور الأمر، ظاهر الفضل، وهو صاحب أبي حنيفة، وأفقه أهل عصره، ولم يتقدمه أحدٌ في زمانه، وكان نهايةً في العلم، والحكم، والرياسة، والقدر، وهو أول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة، وأملى المسائل، ونشرها، وبث علم أبي حنيفة في أقطار الأرض، وقد قيل: لولا أبو يوسف، ما ذكر أبو حنيفة، ولكنه هو نشر قوله، وبث علمه.

وقال هلال الرأي: لم يكن في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف، كان يحفظ التفسير والمغازي، وكان أقل علومه الفقه.

وقال ابن كرامة: كنت عند وكيع بن الجراح يوماً، فقال رجلٌ: أخطأ أبو حنيفة، فقال وكيع: كيف يقدر أبو حنيفة يخطئ ومعه مثل أبي يوسف، وزفر في قياسهما، ومثل يحيى بن أبي زائدة، وحفص بن غياث، وحبان، ومندل، وحفظهم للحديث، والقاسم بن معن في معرفته باللغة والعربية، وداود الطائي، والفُضيل بن عياض في زهدهما وورعهما، من كان هؤلاء جلساؤه لم يكن يخطىء؛ لأنه إن أخطأ ردّوه.

وقال أبو حنيفة: أصحابنا هؤلاء ستة وثلاثون رجلاً: منهم ثمانية وعشرون يصلحون للقضاء، ومنهم ستة يصلحون للفتوى، ومنهم اثنان يصلحان يؤدبان القضاة وأصحاب الفتوى، وأشار إلى أبي يوسف وزفر.

توفي في خلافة الرشيد سنة اثنتين وثمانين ومائة عن تسع وثمانين سنة، ودفن في مقابر قريش.

/١٥/ ومنهم:

[٣]

محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء(١)

الفقيه الحنفي، توقد؛ لأنه لمعة فرقد، وبان به نسبه في شيبان، هو وإن كان لمولى، فإنه من ذوي النسب الصريح أولى، رفعه علمه، وشفعه حلمه، ولم يقلع غمامه الممطر حتى غادر الغدر، وأبلى في بث العلم العذر، ولازم العلم إلى أن حصّل وفرّع وأصّل، وأبقى من جامعيه ما لا يعدوهما المصلّى، ولا يجلى مثلهما في دجى الليل الصباح المجلّى، لقد أدّت أبوابهما إلى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وتنفع، وتبصّر بشريعة نبي الرحمة المشفع، ويزيد على كل تصنيف، فيتغطى حياءً منها بذيوله ويتلفع.

أصله من قرية على باب دمشق اسمها حرستا، ورحل أبوه من الشام إلى العراق، وأقام بواسط فولد له بها محمد المذكور، ونشأ بالكوفة، وطلب الحديث، ولقي جماعةً من أعلام الأئمة.

وحضر مجلس أبي حنيفة سنتين، ثم تفقه على أبي يوسف صاحب أبي حنيفة،

---

(١) **ترجمته في**: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٣٦، والتاريخ لابن معين ٢/ ٥١١، ومعرفة الرجال له ١/ ١٥٥ رقم ٨٥٤ و٢/ ٢١ رقم ٩٨، وتاريخ الطبري ٨/ ٢٤٧ و٥٢٠، والجرح والتعديل ٧/ ٢٢٧ رقم ١٢٥٣، ومروج الذهب (طبعة الجامعة اللبنانية) ٢٥٠٨ و٢٨٩٣ و٢٨٩٤ و٣١٩٢، والمجروحين لابن حبّان ٢/ ٢٧٥، ٢٧٦، وأخبار القضاة لوكيع ٣/ ١٦٦، والانتقاء لابن عبد البر ٢٤، والفهرست لابن النديم ٢٥٧، وتاريخ بغداد ٢/ ١٧٢ـ ١٨٢ رقم ٥٩٣، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٣٥، وتاريخ حلب للعظيمي ٢٣٦، والأنساب ٧/ ٤٣٣، واللباب ٢/ ٢١٩، والإشارات إلى معرفة الزيارات ٩٨، والكامل في التاريخ ٦/ ١٢٥، والكامل في الضعفاء ٦/ ٢١٨٣ـ ٢١٨٤، ووفيات الأعيان ٤/ ١٨٤ـ ١٨٥ رقم ٥٦٧، وتاج التراجم لابن قطلوبغا ٤٠، والعيون والحدائق ٣/ ٣٥، ٣٥١، وترتيب المدارك ١/ ٣٩٤، وخلاصة الذهب المسبوك ١٦٠، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٨، والعبر ١/ ٣٠٢، وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٣٤ـ ١٣٦ رقم ٤٥، والمغني في الضعفاء ٢/ ٥٦٧ رقم ٥٤٠٣، ودول الإسلام ١/ ١٢٠، وميزان الاعتدال ٣/ ٥١٣ رقم ٧٣٧٤، والمعين في طبقات المحدّثين ٦٨ رقم ٧٠١، ومرآة الجنان ١/ ٤٢٢ـ ٤٢٤، والوافي بالوفيات ٢/ ٣٣٢ـ ٣٣٤ رقم ٧٨٢، ولسان الميزان ٥/ ١٢١، ١٢٢ رقم ٤١٠، والجواهر المضيّة ٢/ ٤٢، ومناقب أبي حنيفة للكردري ٥٦، وتهذيب الأسماء واللغات ج١ق١/ ٨٠ـ ٨٢ رقم ١٠، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٣٠ ـ١٣١، وشذرات الذهب ١/ ٣٢١، والفوائد البهيّة للكنوي ٧٢، والطبقات السنيّة للغزّي (مخطوطة التيمورية) رقم ٥٤٠ تاريخ، ج٣/ ٢٨٨، وكشف الظنون ٢/ ١٠١٤، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٤/ ١٥٢ـ ١٥٥ رقم ١٣٧٣، ومقدّمة كتاب السير الكبير للشيباني، إملاء محمد بن أحمد السرخسي، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ـ طبعة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٧١، تاريخ الإسلام (السنوات ١٨١ـ ١٩٠هـ) ص٣٥٨ رقم ٣١٢.

وصنف الكتب الكثيرة النادرة، منها: «الجامع الكبير» و«الجامع الصغير» وله في مصنفاته المسائل المشكلة خصوصاً المتعلقة بالعربية، ونشر علم أبي حنيفة، وكان من أفصح الناس، ولما دخل الشافعي بغداد كان بها، وجرى بينهما مجالس ومسائل بحضرة هارون الرشيد.

وقال الشافعي: ما رأيت أحداً يسأل عن مسألة فيها نظر إلاَّ تبيَّنت الكراهة في وجهه إلاَّ محمد بن الحسن.

وقال أيضاً: حملت من علم محمد بن الحسن وقر بعير.

وقال الربيع بن سليمان المرادي: كتب الشافعي إلى محمد بن الحسن وقد طلب منه كتباً لينسخها، فتأخرت عنه: [من مجزوء الرمل]

قُلْ لِمَنْ لَمْ تَرَ عَيْنا ... مَنْ رآهُ مِثْلَهُ
ومَنْ لهُ بِعِلْمِهِ ... دليلُ حقٍّ دَلَّهُ
/١٦/ العلمُ يَنْهَى أهلَهُ ... أنَ يمنعوهُ أهلَهُ
لعلَّهَ يَبْذُلُهُ ... لأهلِهِ لعَّلهُ

فأنفذت إليه الكتب من وقته.

ورُوِيَ عن الشافعي أنه قال: ما رأيت سميناً ذكياً إلاَّ محمد بن الحسن، ويُسمّى ابن أبي حنيفة.

ولم يزل محمد ملازماً للرشيد حتى خرج إلى الري خرجته الأولى، فخرج معه، ومات في سنة تسع وثمانين ومائة، ومولده سنة خمس وثلاثين ومائة، وقيل: سنة إحدى، وقيل: سنة اثنتين، ومات هو والكسائي في يوم واحد، وكان الرشيد يقول: دفنت الفطنة والعربية بالري.

ومنهم:

[٤]
زُفَرْ بن الهُذَيل(١)

بدرٌ لا يستره طلوعه، وفجر لا يكتمه صديعه، وجواد جرى إلى أقصى أمدٍ

---

(١) ولد سنة ١١٠هـ.
ترجمته في: ميزان الاعتدال ٢/ ٧١، الجرح والتعديل ٣/٦٠٨، لسان الميزان ٢/ ٤٧٦، المشاهير ١٧٠، العبر ١/ ٢٢٩، الفهرست ٢٠٢، الجواهر المضية ١/ ٢٤٣، طبقات الفقهاء ١٣٥، التاريخ لابن معين ٢/ ١٧٢ رقم ٢٤٥٩، طبقات ابن سعد ٦/ ٢٧٠، ذكر أخبار أصفهان ١/ ٣١٧، وفيات الأعيان ٢/ ٧١ رقم ٢٢٩، الوافي بالوفيات ١٤/ ٢٠٠ رقم ٢٧٥، تاريخ الإسلام (السنوات ١٤١ـ ١٦٠هـ) ص٣٨٩.

يستطيعه. لم يزل زمانه كله ربيعاً، وأيام دهره أعياداً جميعاً؛ لعلم يبثه. وعمل يَسّره إذا آن بعثه، وصفات كان في سماء المفاخر كوكبها، وفي أصائل تلك الأيام مُذهبها. فخاراً يشدخ الهام. وينسخُ بالتطبع سجايا الإلهام. وكان فَضلُهُ شقيق شقائق النعمان، وردء أبي حنيفة في تحقيق الإيمان فكان فرد أصحابه، ورديف سحابه، موجهاً لمذهبه، ومتشبهاً بمذهبه، لفضلٍ أوتيه، وفقه لا يخطىء مستفتيه.

قال أبو جعفر الطحاوي: كان سبب انتقال زفر إلى أبي حنيفة أنه كان من أصحاب الحديث، فوردت عليه وعلى أصحابه مسألة فأعيتهم، فأتى أبا حنيفة، فسأله عنها، فأجابه في ذلك، فقال له زفر: من أين قلت هذا؟ فقال: لحديث كذا والقياس من جهة كذا، ثم قال له أبو حنيفة: لو كانت المسألة كذا، ما كان الجواب فيها؟ قال: فكنت فيها أعمى مني في /١٧/ الأولى، فقال: الجواب فيها من جهة كذا. قال: ثم زادني مسألة أخرى، وأجابني فيها وبين وجهها، قال: فرحت إلى أصحابي، فسألتهم عن المسائل، فكانوا فيها أعمى مني، فذكرت لهم الجواب؛ وبينت لهم العلل، فقالوا: من أين لك هذا؟ فقلت: من عند أبي حنيفة، فصرت رأس الحلقة بالثلاث مسائل، ثم انتقلت إلى أبي حنيفة. قال أبو جعفر: فكان أحد العشرة الذين دونوا الكتب مع أبي حنيفة.

قال محمد بن الحسن: حضرت زفر وأبا يوسف يتناظران. فكان أبو يوسف يقهره بكثرة الرواية عن أبي حنيفة والأخبار، فإذا صارا إلى المقايسة قهره.

قال زفر: ما خالفت أبا حنيفة في قول إلاَّ وقد كان أبو حنيفة يقول به.

وقال الطحاوي: لما قدم يوسف بن خالدٍ البصرة، كان يأتي عثمان البتي وهو رئيسها وفقيهها، ويناظره، ويذكر له خلاف أبي حنيفة. فيسبون أبا حنيفة، فلم يزالوا كذلك حتى قدم زفر بن الهذيل البصرة، فكان أعلم بالسياسة منه، فكان يأتي حلقة البتي، ويناظره ويتبع أصوله، ثم يسألهم عن فروعهم، فإذا وقف على خروجهم عن الأصل، ناظر البتي عليه حتى يتبين خروجه عن أصله، فيستحسن أصحاب البتي ذلك من زفر، فيقول لهم: ففي هذا الباب أحسن من هذا الأصل، ويذكر لهم قول أبي حنيفة ويقيم الحجة عليهم، ويأتيهم بالدلائل عليه، ويطالب البتي بالرجوع إليه، ويشهد أصحابه عليه بذلك، فيقول لهم: هذا قول أبي حنيفة، فما مضت الأيام حتى تحولت الحلقة إلى زفر، وبقي البتي وحده.

توفي في شعبان سنة ثمان وخمسين ومائة عن ثمان وأربعين سنة.

/١٨/ ومنهم:

[٥]

نوح الجامعُ ابن أبي مريم يزيد بن معاوية. أبو عِصْمَة المَرْوَزِي[١]

القاضي الحنفي، نوح الجامع، ونور المجامع. لا تتحلى الفضائل إلاَّ بزينته، ولا يشق طوفان العلوم إلاَّ على سفينته، كثرت على خواطره سوانح الفتوح، وعمّت الآفاق بفضله دعوة نوح، وكان على عهد إمامه إماماً، وممن يرجع إلى اختياره ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا﴾ [سورة الرعد: ٧] .

تفقه على أبي حنيفة، وجالسه حتى صار من أكبر أصحابه. وروى الحديث عن جماعة من التابعين.

قال السمعاني: استقضي على مرو، وأبو حنيفة حي، فكتب إليه أبو حنيفة بكتاب موعظة، وذلك الكتاب تتداوله المراوزة بينهم، ثم استقضي مرة أخرى بعد موت أبي حنيفة.

وقال محمد بن علي بن الحسين بن شقيق: سمعت أبي يقول: كان أبو عصمة نوح الجامع صحيح الرواية إلاَّ أنه ابتلي بالقضاء، وإنما قيل له الجامع؛ لأنه أول من جمع فقه أبي حنيفة بمرو، وقيل: لأنه كان جامعاً بين العلوم، وقيل: لأنه أخذ الفقه عن أبي حنيفة، والحديث عن الحجاج بن أرطأة، ومن كان في زمانه، والمغازي عن محمد بن إسحاق، والتفسير عن الكلبي ومقاتل، وكان مع ذلك عالماً بأمور الدنيا، فسمي الجامع.

---

(١) **ترجمته في**: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٧١ (دون ترجمة)، ومعرفة الرجال لابن معين برواية ابن محرز ١/رقم ١١٠، والعلل ومعرفة الرجال لأحمد برواية ابنه عبد الله ٣/رقم ٥٨٦٠، وتاريخ خليفة ٤٢٦، وطبقات خليفة ٣٢٣، والتاريخ الكبير للبخاري ٧/ ٣٩٦ رقم ١٧٢٧ (في ترجمة معلّى بن هلال) و٨/ ١١١ رقم ٢٣٨٣، وتاريخه الصغير ١٨٩، والكنى والأسماء لمسلم، ورقة ٨٦، وأحوال الرجال للجوزجاني ٢٠٣ رقم ٣٧٥، والكنى والأسماء للدولابي ٢/ ٣١، والضعفاء الكبير للعقيلي ٤/ ٣٠٤، ٣٠٥ رقم ١٩٠٥، والجرح والتعديل ٨/ ٤٨٤ رقم ٢٢١٠، والمجروحين لابن حبّان ٣/ ٤٨، ٤٩، والكامل لابن عدي ٧/ ٢٥٠٥ـ ٢٥٠٨، والضعفاء والمتروكين للدارقطني ١٦٧ رقم ٥٣٩، ورجال الطوسي ٣٢٤ رقم٦، والسابق واللاحق ٣٣٨، وموضح أوهام الجمع والتفريق ٢/ ٤٢٩ـ ٤٣٠، وتهذيب الكمال (المصوّر) ٣/ ١٤٢٧، والكاشف ٣/ ١٨٦، ١٨٧ رقم ٥٩٩٧، والمعين في طبقات المحدّثين ٧٠ رقم ٧٢٦، ودول الإسلام ١/ ١١٤، والمغني في الضعفاء ٢/ ٧٠٣ رقم ٦٦٨٣، وميزان الإعتدال ٤/ ٢٧٥، ٢٧٦ رقم ٩١٣١، وفيه قال: «نوح بن ميمونة، أجوّز أن يكون نوح بن أبي مريم»، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٤٨٦ـ ٤٨٩ رقم ٨٧٦، وتقريب التهذيب ٢/ ٣٠٩ رقم ١٦٩، وخلاصة تذهيب التهذيب ٤٠٥، تاريخ الإسلام (السنوات ١٧١ـ ١٨٠هـ) ص٣٨٦ رقم٣٠٧.

وقيل: كانت له أربعة مجالس: مجلس للأثر، ومجلس لأقاويل أبي حنيفة، ومجلس للنحو، ومجلس للشعر، وكان على قضاء مرو.

توفي سنة ثلاث وسبعين ومائة.

وروي من شعره قوله: [من الطويل]

إذا كنتَ في الدنيا مُصراً على الذي ... يضرُّكَ منها كنتَ فيها مُضَيَّعا

لَحا الله أياماً يكنَّ ركائبا ... إلى حيث لا يَلقى الفتى ثَمَ مَنْزَعا

هنالكَ يَلقى المرءُ ما قدَّمتْ لَهُ ... يداهُ وما قدْ كانَ فرَّق جُمّعا

إنَّ فيضَ الدَّمعِ للبؤسِ صالحٌ ... رويدَكَ قدِّمْ قبلَ موتِكَ أدْمعا

/١٩/ ومنهم:

[٦]

أسد بن عمرو بن عامر بن عبد الله بن عمر بن عامر البَجَلِيّ، الكوفي، أبو عمرو(١)

القاضي، صاحب أبي حنيفة، أحد الأعلام المشهورين، والحكام المذكورين، أسد لا يولج له غاب، ولا يطمع لسواه في رغاب، كان له من الرشيد التقريب، ومكان لا يدانيه القريب، لما له من قدم صدق، وقدم فضل له يستحق.

تفقه على أبي حنيفة ولازمه، وسمع الحديث من جماعة، ورواه عنه آخرون.

قال أبو نعيم: كان أول من كتب كُتُبَ أبي حنيفة أسد بن عمرو، ولي القضاء ببغداد بعد أبي يوسف للرشيد، وحج معه معادلاً له.

وقال الخطيب: تولى قضاء واسط.

وقال ابن سعد: أسد بن عمرو البجلي من أنفَسِهم. وعنده حديث كثير، وهو ثقة إن شاء الله تعالى، وصحب أبا حنيفة وتفقه عليه وكان من أهل الكوفة، فقدم بغداد

(١) **ترجمته في**: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٣١، وتاريخ خليفة ٤٥٩، والتاريخ لابن معين ٢/ ٢٧، ٢٨، والتاريخ الكبير ٢/ ٤٩ رقم ١٦٤٦، والضعفاء الصغير للبخاري ٢٥٤ رقم ٣٣، والضعفاء للنسائي ٢٨٥ رقم ٥٣، والجرح والتعديل ٢/ ٣٣٧ـ ٣٣٨ رقم ١٢٧٩، والمجروحين لابن حبّان ١/ ١٨٠، والكامل في الضعفاء ١/ ٣٨٩، وتاريخ بغداد ٧/ ١٦ـ ١٩ رقم ٣٤٨٤، والكامل في التاريخ ٦/ ١٩٨، والمغني في الضعفاء ١/ ٨٦ رقم ٦٠٩، وميزان الاعتدال ١/ ٢٠٦ـ ٢٠٧ رقم ٨١٤، والكشف الحثيث ٩٦ـ ٩٧ رقم ١٣٤، والموضوعات لابن الجوزي ٢/ ١٣٦، ولسان الميزان ١/ ٣٨٣ـ ٣٨٥ (دون رقم)، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٨، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٠٣، تاريخ الإسلام (السنوات ١٨١ـ ١٩٠هـ) ص٦٧ رقم ١٦.

فولي قضاء الشرقية بعد العوفي.

وقال هلال بن يحيى الرازي: كنت أطوف بالبيت فرأيت هارون الرشيد يطوف مع الناس ثم أتى إلى الكعبة، فدخل معه بنو عمه، قال: فرأيتهم جميعاً قياماً وهو قاعد وشيخ قاعد معه أمامه، فقلت لبعض من كان معي: من هذا الشيخ؟ فقال لي: أسد بن عمرو قاضيه، فعلمت أنه لا مرتبة بعد الخلافة أجل من القضاء.

وقال يحيى بن معين: كان أسد بن عمرو صدوقاً، وكان يذهب مذهب أبي حنيفة، وولي القضاء فأنكر من بصره شيئاً فرد عليه القِمطر؛ واعتزل القضاء.

وتوفي سنة ثمان وثمانين ومائة. وقال ابن سعد: سنة تسعين ومائة.

ومنهم:

[٧]

الحسن بن زياد اللُّؤلُؤي(١)، أبو علي

الفقيه مولى الأنصار، كوفي نزل بغداد، وضرب بالأسداد، وزاد على دجلة في الامداد، عرف بين أمثاله من العلماء البحار باللؤلؤي لما أخرج. وبابن زياد لأنه زاد

---

(١) **ترجمته في**: البيان والتبيين للجاحظ ٢/ ٢٧٨ و٤/ ٧٥، والتاريخ لابن معين ٢/ ١١٤ رقم ١٧٦٥، وتاريخ الدارمي ٨٢ رقم ١٨٧، والعلل ومعرفة الرجال لأحمد ٢/رقم ٣٠٢٩، وأحوال الرجال للجوزجاني ٧٧ رقم ٩٩، والضعفاء والمتروكين للنسائي ٢٨٩ رقم ١٥٦ والضعفاء الكبير للعقيلي ١/ ٢٢، ٢٢٨ رقم ٢٧٦، وتاريخ خليفة ٤٦٤، وبغداد لابن طيفور ٣٤، وأخبار القضاة لوكيع ٣/ ١٨٨- ١٩٠، والكنى والأسماء للدولابي ٢/ ٣٠، والجرح والتعديل ٣/ ١٥ رقم ٤٩، والعيون والحدائق ٣/ ٣٦٢، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدّي ٢/ ٧٣١- ٧٣٢، والفهرست لابن النديم ٢٠٤، وتاريخ بغداد ٧/ ٣١٤- ٣١٧ رقم ٣٨٢٧، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٣٦ و١٤٠، وأخبار أبي حنيفة وأصحابه للصيمري ١٣١- ١٣٣، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ١٣٢- ١٣٣ رقم ١٦٤، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون ١/ ٤٢٠ رقم ١٠٩٤، ونثر الدرّ ٣/ ٣٦، والعقد الفريد ٣/ ٧، ومحاضرات الأدباء ١/ ١٨٧، ومناقب أبي حنيفة للموفق المكي ١/ ٤٦ و١٧٠ و١٧٣ و١٨٥ و٢٦٤ و٢/ ١٣٢، والأذكياء لابن الجوزي ٤٠، ونزهة الظرفاء للغساني ٣٠، والكامل في التاريخ ٦/ ٣٥٩، واللباب ٣/ ٧٢، ووفيات الأعيان ٥/ ٤١١، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٧، والعبر ١/ ٣٤٥، وميزان الاعتدال ١/ ٤٩١ رقم ١٨٤٩، والمغني في الضعفاء ١/ ١٥٩ رقم ١٤٠٥، ودول الإسلام ١/ ١٢٧، ومرآة الجنان ٢/ ٢٩، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٥٥، والوافي بالوفيات ١٢/ ٢٢ رقم ١٥، وغاية النهاية ١/ ٢١٣ رقم ٩٧٥، ومناقب أبي حنيفة للكردري ٥٦ و٢٢٩ و٣٥٣، والوفيات لابن قنفذ ١٥٧، ولسان الميزان ٢/ ٢٠٨- ٢٠٩ رقم ٩٢٧، وجامع المسانيد ٢/ ٤٣٣، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٨٨، وطبقات الفقهاء لطاش كبري زاده ١٨- ٢٠، ومفتاح السعادة ٢/ ١٢٠، والجواهر المضيّة ٢/ ٥٦- ٥٧ رقم ٤٤٨، وشذرات الذهب ٢/ ١٢، والفوائد البهيّة ٦٠- ٦١، والطبقات السنيّة، رقم ٦٨٦، وكشف الظنون ٢/ ١٤١٥ و١٤٧٠ و١٥٧٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٠١- ٢١٠هـ) ص٩٨ رقم ٨٣.

ما شاء من الفوائد ولم يحرج، يفاخر /٢٠/ بلؤلؤه الفريد، ويغاير البحار بأنها تجهد ولا تبلغ ما تريد.

أخذ عن الإمام أبي حنيفة، وتفقه عليه، وكان أحذق الناس في السؤال، حتى قيل: لو صار الناس مُجيبين، لوسعهم الحسن بن زياد سائلاً. تفقه عليه جماعة من الأئمة الكبار، وله أقوالٌ في المذهب قالها من تلقاء نفسه، ودوَّنها الناس في الكتب، وتفرد بالرواية عن أبي حنيفة في وقته، وعمر حتى توفي أقرانه ودرجوا.

قال الحسن بن زياد: كتبت عن ابن جريج اثني عشر ألف حديث كلها يحتاج إلبها الفقهاء، نقله الخطيب.

قال أحمد بن يونس: ولي الحسن بن زياد القضاء، فلم يوفق فيه، وكان حافظاً لقول أصحابه، فبعث إليه البكائي: ويحك إنك لم توفق للقضاء، وأرجو أن يكون هذا لخيرة أرادها الله بك، فاستعف، فاستعفى واستراح.

قال أحمد بن عبد الحميد الحارثي: ما رأيت أحسن خلقاً من الحسن بن زياد، ولا أقرب مأخذاً، ولا أسهل جانباً، وكان يكسو مماليكه كما يكسو نفسه.

واستفتي في مسألة فأخطأ، ولم يعرف الذي أفتاه، فاكترى منادياً فنادى أن الحسن بن زياد استفتي يوم كذا وكذا في مسألة فأخطأ، فمن كان أفتاه الحسن في شيء، فليرجع إليه. ومكث أياماً لا يفتي حتى وجد صاحب الفتوى، فأعلمه أنه أخطأ والصواب كذا وكذا.

قال محمد بن منصور الأسدي: سألت نمر بن جدار. فقلت: أيما أفقه الحسن بن زياد، أو محمد بن الحسن؟ فقال: الحسن: والله لقد رأيت الحسن يسأل محمد بن الحسن حتى بكى محمد مما يخطئه، فقلت له: لقد لقيت أبا يوسف وحسناً ومحمداً فكيف رأيتهم؟ قال: أما محمد، فكان أحسن الناس جواباً، ولم يكن سؤاله على قدر جوابه، وكان الحسن أحسن الناس سؤالاً، ولم يكن جوابه على قدر سؤاله، وكان أبو يوسف /٢١/ أحسن الناس جواباً وسؤالاً .

ومنهم:

[٨]

عَافِية بن يزيد بن قيس بن عافية بن شداد بن ثمامة بن سلمة بن كعب بن أوْد، الأودي، الكوفي[1]

أحد من تفقه بحضرة الإمام أبي حنيفة، ودون المسائل وأثبتها، وغرس الفضائل

(١) توفي سنة ١٨٠هـ.

=

وأنبتها، سالت به أودية أود، وشرفت العرب بدءاً على عود، سامت مجاراته السحب، فقصر عنان الجود، وطاولت مجده الرعانُ فَعُلِمَ قصر الطود، وظنت مماثلة كلمه الدرر فَعُلّقت في ترائب الخود. أدنى فضائله كافيه، وأقصى فواضله أنه كان عافية.

ذكره أبو بكر الخطيب[1]، وأسند عنه حديثاً واحداً، وقال: ولاه أمير المؤمنين المهدي القضاء ببغداد في الجانب الشرقي.

وقال علي بن محمد بن كاس بإسناده: كان أصحاب أبي حنيفة الذين يذاكرونه: أبو يوسف، وزفر، وداود الطائي، وأسد بن عمرو، وعافية بن يزيد الأودي، والقاسم بن معن، وعلي بن مسهر، ومِندل وحبَّان ابنا علي، وكانوا يخوضون في المسألة، فإن لم يحضر عافية، قال أبو حنيفة: لا ترفعوا المسألة حتى يحضر عافية. فإذا حضر عافية، فإن وافقهم، قال أبو حنيفة: أثبتوها، وإن لم يوافقهم، قال: لا تثبتوا.

قال علي بن الجعد: رأيت محمد بن عبد الله بن علاثة، وعافية بن يزيد الأودي وقد شرك المهدي بينهما في القضاء يقضيان جميعاً في المسجد الجامع هذا في أدناه، وهذا في أقصاه، وكان عافية أكثرهما دخولاً على المهدي.

وقال إسماعيل بن إسحاق: كان عافية بن يزيد يتقلد القضاء للمهدي، وكان عالماً، زاهداً، فصار إلى المهدي في يوم من الأيام، واستأذن عليه واستعفاه من القضاء، فسأله عن سبب استعفائه، فقال: كان قد تقدم إليَّ خصمان موسران وجيهان منذ شهرين في قضية معضلةٍ، وكان يدعي بينة /٢٢/ وشهوداً، ويدلي بحجج تحتاج إلى تأمل وتثبت، فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا، أو يعن لي وجه فصل بينهما. قال: فوقف أحدهما من خبري على أني أحب الرطب السكر، فعمد في وقتنا وهو أوقات الرطب إلى أن جمع رطباً سكراً لا يتهيأ في وقتنا جمع مثله إلاَّ لأمير المؤمنين، وما رأيت أحسن منه، ورشا بوابي جملة من الدراهم على أن يدخل الطبق إلي، ولا يبالي أن يرد، فلما دخل إلي أنكرت ذلك، وطردت بوابي، وأمرت برد

= ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣١، سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٩٨، أخبار القضاة ٣/ ٢٥١، تاريخ خليفة ٤٤٢، تهذيب الكمال ١١/ ٥، المنتظم ٩/ ٥١ـ ٥٣، تاريخ بغداد ١٢/ ٣٠٧ـ ٣١٠، الجواهر المضيّة ٢/ ٢٨٤، التاريخ لابن معين ٢/ ٢٨٤، العيون والحدائق ٣/ ٢٨١، طبقات الشعراء لابن المعتز ٥٨، البداية والنهاية ١٠/ ١٧٦.

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٠٧.

الطبق فرد، فلما كان اليوم تقدم إلي مع خصمه، فما تساويا في عيني، ولا في قلبي، وهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل، فكيف يكون حالي لو قبلت؟ ولا أمن أن تقع علي حيلة في ديني، فأهلك وقد فسد الناس، فأقلني أقالك الله واعفني، فأعفاه.

وقال الأصمعي: كنت يوماً عند الرشيد، فرفع إليه في قاضٍ كان استقضاه يقال له عافية بن يزيد الأودي، فأمر بإحضاره، فأحضر، وكان في المجلس خلق كثير، فجعل أمير المؤمنين يخاطبه، ويوقفه على ما رفع إليه، فعطس أمير المؤمنين، فشمته بالحضرة من قرب منه سواه، فإنه لم يشمته، فقال له الرشيد: ما بالك لم تشمتني كما فعل القوم؟ فقال عافية: لأنك يا أمير المؤمنين لم تحمد الله، فلذلك لم أشمتك، هذا النبي ﷺ عطس عنده رجلان، فشمت أحدهما، ولم يشمت الآخر، فقال: يا رسول الله ما بالك شمت هذا ولم تشمتني؟ قال: لأن هذا حمد الله، فشمتناه وأنت لم تحمد الله، فلم أشمتك، فقال له الرشيد: ارجع إلى عملك، أنت لم تسامح في عطسة، تسامح في غيرها، وصرفه منصرفاً جميلاً، وزبر القوم الذين كانوا رفعوا عليه.

/ ٢٣/ ومنهم:

[٩]

إسماعيل بن اليسع الكندي، أبو عبد الرحمن، الفقيه، الحنفي(١)

قاضي مصر، أول من أقام بها مذهب أبي حنيفة في ذلك الزمان، وبث في جنبات روضها شقائق النعمان، وهمى فيها، فاعترف النيل للغيث، وزأر في نواحيها، فسكت في عرينه الليث. ولي قضاء مصر، وحكم بمذهب أبي حنيفة، ولم يكن أهل مصر يعرفونه.

قال ابن يونس: ولي قضاء مصر من المهدي سنة أربع وستين ومائة، ثم روى بسنده. قال: قدم علينا إسماعيل بن اليسع الكوفي قاضياً بعد ابن لهيعة، وكان من خير قضاتنا، وكان يذهب إلى قول أبي حنيفة. ولم يكن أهل مصر يعرفون مذهب أبي حنيفة، قال: وكان مذهبه إبطال الأحباس، فثقل أمره على أهل مصر وشق.

وكتب الليث بن سعد إلى المهدي في أمره، وكتب إليه: إنَّا لم ننكر عليه شيئاً في مال ولا دين، غير أنه أحدث أحكاماً لا نعرفها ببلدنا فعزله.

---

(١) **ترجمته في**: أخبار القضاة لوكيع ٣/ ٢٣٦، الجرح والتعديل ٢/ ٢٠٤ رقم ٦٩٢، الولاة والقضاة للكندي ٣٧١ـ ٣٧٣، تاريخ الإسلام (السنوات سنة ١٧١ـ ١٨٠هـ) ص٤٢ رقم ١٩.

وقال يحيى بن بكر: كان إسماعيل بن اليسع مأموناً فقيهاً، وكان يصلي بنا الجمع، عليه كساء مربع من صوف وقطن وقلنسوة خز.

وقال أبو عمر في أخبار قضاة مصر: جاء الليث بن سعد إلى إسماعيل بن اليسع فجلس بين يديه، فرفعه إسماعيل، فقال الليث: إنما جئت مخاصماً لك. قال: فيمَ؟ قال: في إبطالك أحباس المسلمين، وقد حبس رسول الله ﷺ، وحبس عمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، فمن بقي بعد هؤلاء، وقام فكتب إلى المهدي فورد الأمر بعزله، وكانت ولايته ثلاث سنين وصرف سنة سبع وستين ومائة.

/ ٢٤/ ومنهم:

[١٠]

الحكم بن عبد الله بن مسلمة بن عبد الرحمن، أبو مطيع القاضي، القرشي، مولاهم البلخي الفقيه(١)

أحد أصحاب أبي حنيفة، وأحد من تفقه عليه، رجل في الدين لا تلين له حصوة، ولا تجيئ البحار من علمه حشوة، أشد على الشيطان من ألف عابد، وأمد إلى ما يزع السلطان من كل ساعد، لا يخشع للسيوف تحملها العواتق، ولا للسيول ليس تمنعها العوائق، بجرأة ليست بهوج، وطريقة ليس فيها عوج.

تفقه به الفقهاء الخراسانيون من أصحاب أبي حنيفة، وولي قضاء بلخ، وكان بصيراً بالرأي، وكان عبد الله بن المبارك يعظمه، حدث عن الإمام أبي حنيفة، ومالك ابن أنس، وسفيان الثوري، وغيرهم، وروى عنه طائفة، وولي القضاء ست عشرة سنة، وكان يخضب بالحناء.

قال عبد الله بن المبارك: أبو مطيع له المنة على جميع أهل الدنيا.

---

(١) **ترجمته في**: الطبقات الكبرى ٧/ ٣٧٤، والتاريخ لابن معين ٢/ ١٢٤، وطبقات خليفة ٣٢٤، والعلل ومعرفة الرجال لأحمد ٣/ ٢٩٩- ٣٠٠ رقم ٥٣٣١، والضعفاء الكبير للعقيلي ١/ ٢٥٦- ٢٥٧ رقم ٣١٢، والكنى والأسماء للدولابي ٢/ ١١٧، والجرح والتعديل ٣/ ١٢١- ١٢٢ رقم ٥٦٠، والمجروحين لابن حبّان ١/ ٢٥٠، والكامل في الضعفاء ٢/ ٦٣١- ٦٣٢، والضعفاء والمتروكين للدارقطني ٧٧ رقم ١٦٢، وتاريخ جرجان ٣٥٠، وتاريخ بغداد ٨/ ٢٢٣- ٢٢٥ رقم ٤٣٣٦، والموضوعات لابن الجوزي ١/ ١٣١، والعبر ١/ ٣٣٠، والمغني في الضعفاء ١/ ١٨٣ رقم ١٦٥٨، وميزان الاعتدال ١/ ٥٧٤- ٥٧٥ رقم ٢١٨١، ودول الإسلام ١/ ١٢٦، والوافي بالوفيات ١٣/ ١١٣ رقم ١٢٢، ومناقب أبي حنيفة للكردري ٥، والكشف الحثيث ١٥٥- ١٥٦ رقم ٢٥٤ ولسان الميزان ٢/ ٣٣٤ رقم ١٣٦٩، وشذرات الذهب ١/ ٣٥٧، تاريخ الإسلام (السنوات ١٩١- ٢٠٠هـ) ص١٥٨ رقم ٧٦.

وقال مالك بن أنس لرجل: من أين أنت؟ قال: من بلخ، قال: قاضيكم قام مقام الأنبياء.

قال محمد بن الفضيل البلخي: سمعت عبد الله بن محمد العابد يقول: جاء كتاب في كل مدينة يقرأ على المنابر، وفيه مكتوب ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[1] وكان الخليفة ولّى العهد صبياً، قال: فلما جاء الكتاب بلخ ليقرأ، سمع أبو مُطيع فقام فزعاً، ودخل على والي بلخ، وقال: بلغ من خطر الدنيا أننا نكفر بسببها، وكرر مراراً حتى أبكى الأمير، فقال الأمير لأبي مطيع: إني معك وإنني عامل لا أجترىء بالكلام، ولكن كن مني آمناً، وقل ما شئت. وكان أبو مطيع يومئذ قاضياً، فلما أُذِّن ارتقى أبو مطيع المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، وأخذ بلحيته فبكى، قال: يا معاشر المسلمين بلغ من خطر الدنيا أن نجر إلى الكفر من قال ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ غير يحيى بن زكرياء فهو كافر. قال: فرج أهل المسجد بالبكاء، وقام الذي أُرسل مع الكتاب وهرب.

/ ٢٥/ وذكر في المحيط والبدائع: أن ابنةً لأبي مطيع البلخي صارت جدةً في تسع عشرة سنة، فقال أبو مطيع: فضحتنا هذه الجارية. وصورته أنها حملت لتسع سنين، وولدت لستة أشهر، فحملت هذه البنت لتسع سنين، ووضعت لستة أشهر، فذلك تسع عشرة سنة.

ومما وقع من مثل هذا ما رواه الدارقطني: أن عباد بن عباد المهلبي قال: أدركت فينا ـ يعني المهالبة ـ امرأة صارت جدة، وهي بنت تسع عشرة سنة.

ومات أبو مطيع البلخي ببلخ في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين ومائة وهو ابن أربع وثمانين سنة.

ومنهم:

[١١]

إبراهيم بن رُسْتَم، أبو بكر المروزي[2]

أحد المشاهير الأعلام والجماهير من أئمة الإسلام، كان متشدداً في الدين

---

(١) سورة مريم: الآية ١٢.

(٢) **ترجمته في**: المنتظم ١٠/ ٢٣٥، الجواهر المضية ١/ ٨٠، تاريخ بغداد ٦/ ٧٠، الفوائد البهية ٩ـ ١٠، ميزان الاعتدال ١/ ٣٠، لسان الميزان ١/ ٥٦ـ ٥٨، تاج التراجم ٣، كتائب أعلام الأخيار رقم ١١١، الطبقات السنية رقم ٣٧.

وصعباً في الحق لا يلين، ثبتاً لا يتزعزع، وطوداً لا يتضعضع، وبطلاً في مضائق الجهاد لا يتتعتع، و مُطلع شهب لوامع، ومسير كلم جوامع، ومحرر دروس، ومحبر طروس، ومقرر فروع يجنى منها طيبات الغروس، طالما أشرقت به أرجاء بغداد، وأحدقت به من أهلها زمر أهل الاستعداد، وأكثر الأمراء إليه الترداد، وبما لديه الاعتداد، وتكرر حضورهم إليه، ورتبته في صدورهم تزداد.

تفقه على محمد بن الحسن، وروى عن نوح بن أبي مريم، وأسد بن عمرو، وتفقه عليه جماعة، وسمع الحديث من مالك، وابن أبي ذئب، وسفيان الثوري، وطبقتهم، وقدم بغداد غير مرة، وحدث بها، وروى عنه أحمد بن حنبل وطائفة.

قال ابن رستم: عرض علي أمير المؤمنين المأمون القضاء، فقلت: ما أصلح له. والله أن كنت صادقاً ما يسعك أن تستقضيني، ولئن كنت كاذباً، فأولى أن لا تستقضيني فتركني، وانصرف إبراهيم إلى منزله، فتصدق بعشرة آلاف درهم.

ونقل الحاكم في تاريخ نيسابور. قال: كان إبراهيم بن رستم من أهل كرمان، ثم نزل مرو في سكة الدباغين، وكان من أصحاب /٢٦/ الحديث، أخذ عليه في أحاديث، فخرج إلى محمد بن الحسن، فكتب كتبهم، وحفظ كلامهم، فأتاه ذو الرياستين إلى منزله، فلم يتحرك له، ولا فرق أصحابه عنه، فقال له: يأتيك وزير الخلافة، فلا تقوم من أجل هؤلاء الدباغين عندك، فقال بعض المتفقهة: نحن من دباغي الدين الذي رفع إبراهيم بن رستم حتى جاءه وزير الخلافة. ومات بنيسابور، وكان قدمها حاجاً. وكانت وفاته في جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين ومائتين.

ومنهم:

[١٢]

إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة الكوفي، الفقيه، القاضي، أبو حيان، وأبو عبد الله(١)

شملته سعادة ذلك الجد، ونهضت به سيادة ذلك الماجد لما جَدَّ، على أنه كان

(١) **ترجمته في**: العلل ومعرفة الرجال لأحمد ٢/رقم ٣٠٢٩، والمعارف لابن قتيبة ٤٩٠، والمعرفة والتاريخ للفسوي ٢/ ٢٤٤، وأخبار القضاة لوكيع ٢/ ١٦٧ـ ١٧٠، وتاريخ الطبري ٨/ ٥٩٧، والجرح والتعديل ٢/ ١٦٥ رقم ٥٥٣، ومروج الذهب (طبعة الجامعة اللبنانية) ٣٢٣٨، والأغاني ١٨/ ٨٨، والعيون والحدائق ٣/ ٣٤٢، وتاريخ جرجان للسهمي ٢٠٧، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عديّ ١/ ٣٠٨، وتاريخ بغداد للخطيب ٦/ ٢٤٣ـ ٢٤٥ رقم ٣٢٨٠، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٣٧، والإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني ٩٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٠٥ (في ترجمة أبيه حمّاد بن أبي حنيفة رقم ٢٠٤) و٥/ ٤٠٥ و٤٠٨ و٤١٣ و٦/ ١٤٩ و٧/ ٣٤٩، وميزان الاعتدال ١/ ٢٢٦ رقم ٨٦٦، =

بنفسه كثيراً، وبفضله أثيراً، لعلم ما رنق صفوه، ولا كدر عفوه، سر ذلك الوالد، ومسيّر تلك الفوائد، ومصير الفضاء يقطع مناط القلائد.

تفقه على أبيه حماد، والحسن بن زياد، ولم يدرك جده، وسمع الحديث من أبيه وجماعة، وكان إماماً، جليلاً، فقيهاً، فاضلاً، ذكياً، بصيراً بالقضاء وأسبابه، محموداً فيه، عارفاً بالأحكام والوقائع، والنوازل والحوادث، فقيهاً على مذهب جده، صالحاً، ديناً، عابداً، ولي القضاء بالجانب الشرقي من بغداد، وقضاء الرصافة، قضاة البصرة، وصنف «الجامع في الفقه» عن جده أبي حنيفة، وكتاب «الرد على القدرية» و«كتاب» رسالته إلى البَتِّي وكتاب «الإرجاء» ونقضه عليه أبو سعيد البردعي.

روى الخطيب بسنده عن محمد بن عبد الله الأنصاري قال: ما ولي القضاء من لدن عمر بن الخطاب إلى اليوم أعلم من إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، فقيل له: يا أبا عبد الله ولا الحسن بن أبي الحسن؟ قال: لا والله ولا الحسن بن أبي الحسن.

وقال إسماعيل بن حماد: ما ورد عليَّ مثل امرأةٍ تقدمت إلي، /٢٧/ فقالت: أيها القاضي، ابن عمي زوجني من هذا، ولم أعلم، فلما علمت رددت، فقال لها: ومتى رددت؟ قالت: وقت علمت، قال: فقلت لها: ومتى علمت؟ قالت: وقت رددت. قال: فما رأيت مثلها.

وفي موضع آخر قيل له: إنها من نسل أبي حنيفة، فقال: هذا الفرع من ذلك الأصل.

وحكي أن رجلاً ضرب امرأة فادعت ذهاب سمعها، فاختصما إلى القاضي إسماعيل بن حماد، فتشاغل عنها ساعة، ثم قال: استري عورتك، فضمت ذيلها فعلم أنها كاذبة.

وقال رجل لإسماعيل بن حماد: قد ذهب نصفك، قال: لو بقيت فيّ شعرة لبقي

= والمغني في الضعفاء ١/ ٨٠ رقم ٦٤٨، والعبر ١/ ٣٦١، ومرآة الجنان ٢/ ٥٣، والوافي بالوفيات ٩/ ١١٠ـ ١١١ رقم ٤٠٢٧، ومناقب أبي حنيفة للكردري ١٠٦ و١٦٩ و٣٩٦ و٤٩٣، وتهذيب التهذيب ١/ ٢٩٠ رقم ٥٤١، ولسان الميزان ١/ ٣٩٨ـ ٣٩٩ رقم ١٢٥٧، وتاج التراجم لابن قطلوبُغا ١٧ـ ١٨، والجواهر المضيّة للقُرشي ١/ ٤٠٠ـ ٤٠٣ رقم ٣٢٨، ومفتاح السعادة لطاش كُبري زادة ٢/ ٢٥٨، وأعلام الأخيار، رقم ١٢٠، والطبقات السنيّة، رقم ٤٩٥، والفوائد البهيّة ٤٦، وشذرات الذهب ٢/ ٢٨، وكشف الظنون ١/ ٥٧٥ و٨٣٩ و٢/ ١٣٨٨، تاريخ الإسلام (السنوات ٢١١ـ ٢٢٠هـ) ص٧٤ رقم٤١ .

فيها ما يقضي عليك.

وقال أبو العيناء: لما ولي إسماعيل بن حماد البصرة دسّ عليه محمد بن عبد الله الأنصاري إنساناً يسأله عن مسألة. فقال: اتق الله أيها القاضي، رجل قال لامراته، فقطع عليه إسماعيل، وقال: قل للذي دسك، إن القضاة لا تفتي.

ومات إسماعيل سنة اثنتي عشرة ومائتين.

ومنهم:

[١٣]

خلف بن أيوب، أبو سعيد، الفقيه، العامري، البلخي، الزاهد(١)

أحد المشاهير الأعلام المتقدمين.

رجل ما أدار على مثله النجم مقلته، ولا أقلَّ الوهم عن طريقه نقلته، أنعم منه بخلف صالح، وسلف مضى وقد أضاء في وجه الزمن الكالح، معلم الطريقة، ومُعلم لإعلان الشريعة وأسرار الحقيقة، أشبه إمامه أبا حنيفة في مناقبه، وخلفه، وكلاهما خلفٌ من فقد صاحبه.

تفقه على أبي يوسف، وأخذ الزهد عن إبراهيم بن أدهم، وصحبه مدة، وسمع الحديث من جماعة، وروى له الترمذي في كتابه، وكان مفتي أهل بلخ وزاهدهم وعابدهم.

قال أبو عمرو محمد بن علي الزاهد: سمعت مشايخنا يذكرون أن السبب لثبات ملك آل سامان أن أسد بن نوح جد الأمير إسماعيل خرج إلى المعتصم، وكان أسد رجلاً بهياً. /٢٨/ حسن المنظر، شجاعاً، عالماً، فصيحاً، عاقلاً، فتعجبوا من حسنه، وجماله، وشجاعته، وعقله.

فقال له المعتصم: هل في أهل بيتك أشجع منك؟.

قال: لا.

---

(١) **ترجمته في**: المنتظم ١١/٥٨، طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧٥، تاج التراجم ٢٧، تقريب التهذيب ١/ ٢٢٥، الجرح والتعديل ٣/ ٣٧٠ـ ٣٧١، الجواهر المضية ٢/ ١٧٠، سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٤١، الفوائد البهية ٧١، تاريخ نيسابور للحاكم ١١، ميزان الاعتدال ١/ ٦٥٩، العبر ١/ ٣٦٧، طبقات الفقهاء لطاش كبرى زاده ٤٣، الطبقات السنية رقم ٨٤٥، تهذيب التهذيب ٣/ ١٤٧ـ ١٤٨، تقريب التهذيب ١/ ٢٢٥، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١٠٥، إيضاح المكنون ١/ ٤٨.

قال: فهل فيهم أعقل منك؟.

قال: لا.

قال: فلم يعجب الخليفة ذلك منه، فدخل عليه بعد ذلك، فأجابه بمثل ذلك، فلم يعجبه، فقال للمعتصم: هلا قلت: ولم ذلك؟.

فقال له: ولم ذلك؟.

قال: لأنه ليس في أهل بيتي أحدٌ وطىء بساط الخليفة وشاهد طلعته غيري، فأنا أفضلهم إذاً. فاستحسن المعتصم منه ذلك، وتمكن موقعه لديه، وولاه بلخ، فلما وردها تولى الخطبة بنفسه، ثم إنه سأل عن علماء بلخ فذكر له خلف بن أيوب ووصفوا له زهده وعلمه وتجنبه السلطان، فاشتهى أسد بن نوح لقاءه، فترقب مجيئه الجمعة، فلما رآه أسد بن نوح ترجل وقصده، فلما رآه خلف قد قصده، قعد مكانه وغطى وجهه بردائه، فقال السلام عليكم، فأجابه جواباً خفياً، فسلم المرة الثانية، فأجاب ولم يرفع رأسه، فرفع أسد بن نوح رأسه إلى السماء، ثم قال: اللهم إن هذا العبد الصالح يبغضنا ونحن نحبه فيك، ثم ركب ومر فأخبر بعد ذلك أن خلف بن أيوب مرض، فذهب إليه يعوده، فقال: هل لك من حاجةٍ؟ قال: نعم حاجتي أن لا تعود إلي. قال: وهل غير ذلك؟ قال: إن مت فلا تصل علي، وعليك السواد، فلما توفي خلف بن أيوب شهد أسد بن نوح جنازته راجلاً، فلما بلغ المصلى، نزع السواد وتقدم فصلى عليه فسمع صوتاً: بتواضعك وإجلالك لخلف بن أيوب ثبتت الدولة في عقبك فلا تنقطع أبداً.

ذكرها الحاكم في تاريخ نيسابور[1].

وقد ذكر هذه الحكاية أبو الفرج ابن الجوزي في المنتظم[2]، ثم قال: وفي رواية أخرى أن أسد بن نوح رأى النبي ﷺ في المنام كأنّة يقول له: يا أسد بن نوح ثبت ملكك وملك بنيك بإجلالك لخلف بن أيوب. /٢٩/ وهذه زيادة على ما رواه الحاكم.

وقد ذكر الحافظ أبو عبد الله الذهبي[3]: أن وفادة أسد بن نوح كانت على [عهد] المأمون والله أعلم.

---

(١) تاريخ الإسلام ٩ / ٥٤٢ ـ ٥٤٣ عن تاريخ نيسابور.

(٢) المنتظم ١١/ ٥٩.

(٣) تاريخ الإسلام ٩/ ٥٤٣.

قال الحاكم في تاريخ نيسابور[١]: توفي خلف بن أيوب في شهر رمضان سنة خمس عشر ومائتين.

ومنهم:

[١٤]
موسى بن سليمان الجُوزَجانيّ[٢]

أحد القومة بالدين والقولة، ولو أن خصمه أسدُ العرين، له أسوة بمن تقدم، وسلوة عما يروق من وجه دينار ودرهم، لم يغتر بزخرف الدنيا الغرور، ولا بتقلب حزن وسرور.

تفقه على يد أبي يوسف، ومحمد بن الحسن، وروى عنهما الكتب والأمالي.

قال أبو بكر الخطيب[٣]: كان فقيهاً، بصيراً بالرأي، يذهب مذهب أهل السنة، سكن بغداد، وحدث بها.

وقال ابن أبي حاتم: كان يكفر القائلين بخلق القرآن. كتب عنه أبي، وقال: كان صدوقاً.

وقال الصيمري: كان من الورع والدين، وحفظ الحديث والفقه بالمنزلة الرفيعة.

وقال إبراهيم بن سعيد: أحضر المأمون أبا سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني، ومعلى بن منصور الرازي، فبدأ بأبي سليمان لسنه وشهرته بالورع، فعرض عليه القضاء، فقال: يا أمير المؤمنين احفظ حقوق الله تعالى في القضاء ولا تولِّ على أمانتك مثلي، فإني والله غير مأمون على القضاء، ولا أرضى نفسي لله أن أحكم في عباده. قال: صدقت وقد أعفيناك فدعا له بخير، وأقبل على معلى بن منصور، فقال له مثل ذلك، فقال: لا أصلح، فقال: /٣٠/ ولم؟ قال: لأني رجل أداين وأتقاضى، فأبيت مطلوباً وطالباً، قال: نأمر بقضاء دينك وتتقاضي ديونك، فمن أعطاك قبلناه، ومن لم يعطك عوضناك مالك عليه، قال: فأنا شكوك في الحكم، وفي ذلك تلف أموال الناس. قال: يحضر مجلسك أخوانك أهل الدين فما شككت

---

(١) تاريخ الإسلام ٩ / ٥٤٣ عن تاريخ نيسابور.

(٢) **ترجمته في**: الجرح والتعديل ٨/ ١٤٥ رقم ٦٥٢، الفهرست لابن النديم ٢٠٥، الأسامي والكنى للحاكم ج١ ورقة ٢٤٦ أ، ب، طبقات الفقهاء للشيرازي ١٣٧، ١٤٠، تاريخ بغداد ١٣/ ٣٦ـ ٣٧ رقم ٦٩٩٣، الجواهر المضية ٢/ ١٨٦، تاريخ الإسلام (السنوات ٢١١ـ ٢٢٠هـ) ص٤٢٣ رقم ٤٢١.

(٣) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٩.

فيه سألتهم عنه، وما صح عندك أمضيته، قال: أنا أريد رجلاً أوصي إليه من أربعين سنة، فما أجد من أوصي إليه، فمن أجد من يعينني على قضاء حقوق الله الواجبة عليك، قال: فأعفاه[١].

ومنهم:

[١٥]

عيسى بن أبان بن صدقة بن موسى الفقيه القاضي[٢]

أحد المشهورين من أئمة أصحاب أبي حنيفة، وأرباب الرتب المنيفة، أبى له تمامه النقيصة، وأنف له شرفه أن يبتاع المعالي رخيصة. أخذ الفقه على كبر، وصب عليه ثوب السهاد وصبر، وجدّ فيه حتى كان إماماً، ودخل مدنه، ولم يُلِمَّ به إلماماً، ورأى ما سواه نقصاً فأنفِ إلاَّ أن يكون تماماً.

تفقه على محمد بن الحسن وصحبه، وسبب تفقهه أنه قال: دخلت مكة في أول العشر من ذي الحجة مع صاحب لي وعزمت على الإقامة شهراً، فجعلت أتم صلاتي، فلقيني بعض أصحاب أبي حنيفة فقال لي: أخطأت فإنك تخرج إلى منى وعرفات، فلما رجعت من منى، بدا لصاحبي أن يخرج وعزمت على أن أصاحبه، فجعلت أقصر الصلاة، فقال لي صاحب أبي حنيفة: أخطأت فإنك مقيمٌ بمكة، فإن لم تخرج منها لا تكون مسافراً، فقلت: أخطأت في مسألة في موضعين، ولم ينفعني ما جمعت /٣١/ من الأخبار، فرحلت إلى مجلس محمد بن الحسن، واشتغلت بالفقه.

وقال محمد بن سماعة: كان عيسى بن أبان حسن الوجه، وكان حسن الحفظ للحديث، قال: وكنت أدعوه أن يأتي محمد بن الحسن فيقول: هؤلاء يخالفون الحديث، فلم أزل به حتى جلس في مجلس محمد بن الحسن، فقلت لمحمد: هذا

---

(١) بعده بياض في الأصل بمقدار سطرين.

(٢) **ترجمته في**: تاريخ خليفة ٤٧٦، وأخبار القضاة لوكيع ٢/ ١٧٠ـ ١٧٢، وتاريخ بغداد ١١/ ١٥٧ـ ١٦٠ رقم ٥٨٥٠، وتاريخ حلب للعظيمي ٢٥٠، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٦/ ٤٦٠، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٣٧، والفهرست لابن النديم ٢٠٥، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ص١ج٢/ ٤٤ رقم ٤٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٤٠ رقم ١٤١، والجواهر المضيّة ١/ ٤٠١، والفوائد البهيّة ١٥١، وكشف الظنون ١/ ١٤٣، ١٤٤٠، وإيضاح المكنون ١/ ٢٣، ٢٦، وهدية العارفين ١/ ٨٠٦، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٢١ـ ٢٣٠هـ) ص٣١١ رقم ٣١٩.

عيسى بن أبان معه ذكاء ومعرفة بالحديث، وأنا أدعوه إليك فيأبى ويقول: إنَّا نخالف الحديث، فأقبل عليه محمد بن الحسن وقال له: ما الذي رأيتنا نخالفه من الحديث لا تشهد علينا حتى تسمع؟ قال: فسأله عن خمسةٍ وعشرين باباً في الحديث، فجعل محمد بن الحسن يجيبه عنها، ويخبره بما فيها من المنسوخ، ويأتي بالشواهد والدلائل، فالتفت إلى عيسى، وقال: كان بيني وبين النور ستر فارتفع عني. قال: ولزم محمد بن الحسن لزوماً شديداً حتى تفقه، وكان يعظمه المأمون والمعتصم.

قال ابن سعد: ولي قضاء البصرة سنة إحدى عشرة ومائتين لما عزل عنها إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة.

قال أبو بكر الخطيب[1]: واستخلفه قاضي القضاة يحيى بن أكثم على القضاء بمعسكر المهدي لما خرج مع المأمون إلى فم الصلح، فلم يزل على عمله إلى وقت رجوع يحيى بن أكثم وذلك سنة عشر ومائتين.

وقال بكار بن قتيبة: كان لنا قاضيان لا مِثل لهما إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة وعيسى بن أبان. قال بكار: سمعت هلال بن يحيى يقول: ما قعد في الإسلام قاضٍ أفقه من عيسى بن أبان في وقته.

وقال أبو حازم القاضي: ما رأيت لأهل بغداد حدثاً أذكى من عيسى بن أبان وبشر بن الوليد، وقال أيضاً: تقدم رجلان إلى عيسى بن أبان، فادعى أحدهما على صاحبه دعوى، فأنكر المدعى عليه، فقال عيسى للمدعي: ألك بينة؟ قال: نعم. فأحضرَ البينة، فقال المشهود / ٣٢/ عليه لعيسى: والله الذي لا إله إلا هو، لقد شهدا علي بزور، فقال عيسى للشاهدين: إني لم أدعكما، وإن تقوما لم أمنعكما، وإنما يقضي أنتما، وإني متَّقٍ بكما، فاتقيا الله ربكما، فقاما ولم يشهدا.

وقال أيضاً: كان عيسى رجلاً سخياً جداً، وكان يقول: والله لو أتيت برجل يفعل في ماله كفعلي في مالي لحجرت عليه.

قال: وقدم إليه رجل محمد بن عباد المهلبي، فادعى عليه بأربعمائة دينار، فسأله عيسى عما أدعاه، فأقر له بذلك، فقال الرجل: احبسه لي، قال: أما الحبس فواجب، ولكني لا أرى حبسه، وأنا أقدر على فدائه من مالي قال: فغرمها عنه عيسى بن أبان من ماله.

وقال شعيب بن أيوب ـ وهو من متقدمي أصحاب أبي حنيفة ـ: أتى عيسى بن

(١) تاريخ بغداد ١١/١٥٨.

هارون إلى المأمون بعدة أحاديث خرجها على أصحابنا، وزعم أنهم خالفوها، فقال المأمون لإسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، ولبشر بن الوليد، وليحيى بن أكثم، ولمحمد بن سماعة: إن لم تثبتوا الحجة لأصحابكم على هذه الأقوال بمثل هذه الأخبار وإلا منعتكم من الفتوى بهذا القول، وجمعت الناس على خلافه. قال: فتكلف كل منهم، فلم يعمل شيئاً، فوضع عيسى بن أبان كتابه الصغير، وأدخله على المأمون، فلما قرأه عليه قال متمثلاً[1]: [من الكامل]

حَسَدوا الفَتى إذ لَمْ يَنالوا سعيَهُ فالقومُ أعداءٌ لَهُ وخصومُ

كَضَرائرِ الحَسناءِ قُلنَ لوجهِها حَسَداً وبَغْياً إنَّهُ لَذَميمُ

ومات عيسى بن أبان في صفر، أو في المحرم سنة إحدى وعشرين ومائتين.

ومنهم:

[١٦]

محمد بن سَماعة بن عبيد الله بن هلال بن وكيع التميمي الكوفي[2]، أبو عبد الله القاضي

محافظ على الخير، لافظٌ بما ينفعه، ولا يضر الغير، مَنسِك نُسك، ومنجا أقوام من هلك، ما فاتته أكثر عمره جماعة مشهودة، ولا طاعة معهودة، ولا /٣٣/ ساعة أضاعها، ولا دقيقة في شهوةٍ أطاعها، ولا أقل من هذا، ولا أكثر قدرة عليها واستطاعها.

مولده سنة ثلاثين ومائة، تفقه على أبي يوسف، ومحمد بن الحسن، وكتب النوادر عنهما جميعاً، وروى الكتب، والأمالي، وبرع في المذهب، وصنف

---

(١) من قصيدة قوامها ٣٠ بيتاً في ديوان أبي الأسود الدؤلي ٤٠٣ـ ٤٠٥.

(٢) **ترجمته في**: أخبار القضاة لوكيع ٣/ ٩٥، ٢١٤، ٢٧١، ٢٨٩ـ ٣٢٦، وتاريخ الطبري ٨/ ٢٧١، والفهرست لابن النديم ٢٥٨، ٢٥٩، وتاريخ جرجان للسهمي ٥٢٠، وتاريخ بغداد ٥/ ٣٤١ رقم ٢٨٥٩، ونشوار المحاضرة للتنوخي ٢٢٧، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٥٠ و٦/ ٣٨٧، وتهذيب الكمال (المصوّر) ٣/ ١٢٠٦، ودول الإسلام ١/ ١٤١، والمغني في الضعفاء ٢/ ٥٨٩ رقم ٥٥٩٩، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٤٦ـ ٦٤٧ رقم ٢٢٨، والبداية والنهاية ١٠/ ٣١٢، والوافي بالوفيات ٣/ ١٣٩ـ ١٤٠ رقم ١٠٨٤، والجواهر المضيّة ٢/ ٥٨ـ ٥٩، وتهذيب التهذيب ٩/ ٢٠٤ـ ٢٠٥ رقم ٣١٨، وتقريب التهذيب ٢/ ١٦٧ رقم ٢٧٨، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٧١، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣٣٩، ومفتاح السعادة ٢/ ١٢٤، والفوائد البهية ١٧٠ـ ١٧١، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٣١ـ ٢٤٠هـ) ص٣٢٤ رقم ٣٧٣.

التصانيف، وروى الحديث عنهما، وعن الليث بن سعد وغيرهم.

قال يحيى بن معين: لو كان أصحاب الحديث يصدقون كما يصدق محمد بن سماعة في الرأي، لكانوا فيه على نهاية.

وقال الصيمري: كان سبب كتابة ابن سماعة للنوادر عن محمد بن الحسن أنه رآه في النوم كأنه يثقب الابر فاستعبر، فقيل له: هذا رجل ينطق بالحكمة، فاجتهد أن لا يفوتك من لفظه شيء، فبدأ حينئذ وكتب عنه النوادر. قال: وولي ابن سماعة القضاء ببغداد للمأمون، ثم لم يزل إلى أن ضعف بصره في أيام المعتصم فاستعفى.

وقال محمد بن عمران: سمعت محمد بن سماعة يقول: مكثت أربعين سنة لم تفتني التكبيرة الأولى إلا يوماً واحداً ماتت فيه أمي، ففاتتني صلاة واحدة في جماعة، فقمت فصليت خمساً وعشرين صلاة أريد بذلك التضعيف، فغلبتني عيني، فأتاني آت، فقال: يا محمد صليت خمساً وعشرين صلاة، ولكن كيف بتأمين الملائكة. وقيل: كان يصلي كل يوم مائتي ركعة.

توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين عن مائة وثلاث سنين.

ومنهم:

[١٧]

نصر بن زياد بن نَهِيك، أبو محمد النيسابوري(١)

قاضي نيسابور، حَكَمٌ لا يجور، وعلمٌ قاصده لا يجور، يوضح الحق، ولا يكاد يبين. ويقضي بالعدل ولو على الوالدين والأقربين؛ لشدة في الدين، وقوة حصاتها لا تلين.

أخذ الفقه عن محمد بن الحسن، والأدب عن النضر بن شميل، وسمع الحديث من عبد الله بن / ٣٤/ المبارك وغيره.

قال الحاكم في تاريخ نيسابور: ولي قضاء نيسابور بضع عشرة سنة، ولم يزل محمود الأثر عند السلطان والرعية، وكان من وجوه نيسابور ومن المقبولين في الحديث والرواية، وله عندنا بنيسابور آثار كثيرة مذكورة، وكانت كتب الخليفة إليه متواترة، ثم قال: ورد رجل من هراة فرفع قصة إلى عبد الله بن طاهر، فلما قدم بين

---

(١) **ترجمته في**: الثقات لابن حبان ٩/ ٢١٧، تاريخ نيسابور ١٨، الجواهر المضية ٣/ ٥٣٧، تاريخ الإسلام (لسنوات ٢٣١ـ ٢٤٠هـ) ص٣٧٣ رقم ٤٥٨.

يديه قال: من خصمك؟

قال: الأمير أيده الله.

قال: ما الذي تدعي عليّ؟

قال: ضيعة لي بهراة اغتصبها والد الأمير.

قال: ألك بينة؟

قال: إنما تقام البينة بعد الحكومة إلى القاضي، فإن رأى الأمير أن يحملني وإياه على حكم الإسلام.

قال: فدعا عبد الله بن طاهر القاضي نصر بن زياد ثم قال للرجل: ادّعِ.

قال: فادعى الرجل مرة بعد أخرى، فلم يلتفت إليه نصر بن زياد، ولم يسمع دعواه، فعلم الأمير أنه قد امتنع عن استماع الدعوى حتى يجلس الخصم مع المدعي.

فقام عبد الله بن طاهر من مجلسه حتى جلس مع خصمه بين يديه، فقال نصر للمدعي: ادّعِ.

فقال: إن ضيعة لي بهراة وذكرها بحقوقها وحدودها، هي لي في يد الأمير.

فقال له عبد الله بن طاهر: قد غيرت الدعوى إنما ادعيت أولاً على أبي.

فقال الرجل: لم أشتهِ أن أفضح والد الأمير في مجلس الحاكم فأدّعِي أن والد الأمير، قد كان غصبني عليها، وأنها اليوم في يد الأمير. فسأل القاضي الأمير عن دعواه، فأنكرها، فالتفت إلى الرجل، فقال: ألك بينة؟

قال: لا.

قال: فما الذي تريد؟

قال: يمين الأمير بالله الذي لا إله إلا هو.

قال: فقام الأمير إلى مكانه وأمر أن يكتب إلى هراة برد الضيعة عليه.

وكان يحيي الليل ويصوم الاثنين والخميس والجمعة، ولا يرضى من العمال حتى يؤدوا حقوق الناس إليهم، فدخل عليه أحمد بن حرب يوماً فوعظه وأشار / ٣٥/ في مواعظه بأن يستعفي عما هو فيه، فقال نصر: يا أبا عبد الله ما يحملني على ما أنا فيه إلاَّ نصر الملهوفين، والقدرة على الانتصار للمظلومين، ولعل الله عز وجل قد عرف لي ذلك.

وقال نصر بن زياد: كتب إليَّ المأمون: «كان المتوقع منك بأن تكاتب بأخبار ناحيتك لنعتمد ما تذكره من ذلك» فأجبته «بأن الأمانة التي قلدنيها أمير المؤمنين قد

شغلتني عن غيرها».

قال الحاكم: توفي في صفر سنة ست وثلاثين ومائتين.

ومنهم:

[١٨]

بشر بن الوليد بن خالد، أبو الوليد الكندي(١)

تبلج في وجه الأيام بِشره، وتأرج في عبق الشام نشره، وتقدم في جماهير الأولياء تقدم المشاهير في بكر وائل. علِمَ وعمِل واستقام ولم يمل، وكان لا يبالي بكلمة الحق إذا قالها، ولا يعد مواجهته به عثرةً ليقالها، يصدع بما أمر ويصدع من لا يأتمر، بل كان يقضي وما يعتذر، ويحكم عُذل أم عذر، ويتكلم ولا يبالي ولو أن السيوف جواب، ولا يندم ولو أن السكوت صواب.

أحد أصحاب أبي يوسف. أخذ الفقه عنه خاصةً، وروى عنه كتبه وأماليه، قال بشر: كنا نكون عند سفيان بن عيينة فإذا وردت عليه مسألة مشكلةٌ يقول: ههنا أحد أصحاب أبي حنيفة، فيقال بشر، فيقول: أجب فيها، فأجيب فيقول: التسليم للفقهاء سلامة في الدين.

وكان بشر جميل المذهب، حسن الطريقة، صالحاً، ديناً، عابداً، عالماً، واسع الفقه، حسناً في باب الحكم، وحمل /٣٧/ الناس عنه من الفقه والمسائل والنوادر، بما لا يمكن جمعها كثرة، وكان من المتقدمين عند أبي يوسف، وكان متحاملاً على محمد بن الحسن، منحرفاً عنه، وكان الحسن بن أبي مالك ينهاه عن ذلك، وسمع الحديث من مالك بن أنس وطائفة من الأعيان.

قال أبو بكر الخطيب(٢): ولي بشرٌ القضاء بمعسكر المهدي من جانب بغداد

---

(١) **ترجمته في**: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٥٥، والتاريخ الصغير للبخاري ٢٣٣، وأخبار القضاة لوكيع ٣/ ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٨٢، ٣٢٦، والكنى والأسماء للدولابي ٢/ ١٤٣، والجرح والتعديل ٢/ ٣٦٩ رقم ١٤٢٤، وتاريخ جرجان للسهمي ٩٩، ٢٠٢، وتاريخ بغداد ٧/ ٨٠ ـ ٨٤ رقم ٣٥١٨، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٣٧، ١٣٨، ١٤٠، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٧٩، ٣٨٤، ٣٨٦، والعبر ١/ ٤٢٧، ودول الإسلام ١/ ١٤٥، وميزان الاعتدال ١/ ٣٢٦ـ ٣٢٧ رقم ١٢٢٩، والمغني في الضعفاء ١/ ١٠٨ رقم ٩٢٦، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٧٣ـ ٦٧٦ رقم ٢٤٩، والجواهر المضية ١/ ٤٥٢ـ ٤٥٤ رقم ٣٧٣، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٩٢ـ ٢٩٣، وشذارت الذهب ٢/ ٨٩، والفوائد البهية ٥٤ـ ٥٥، والطبقات السنيّة، رقم ٥٦٧، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٣١ـ ٢٤٠هـ) ص١١٠ رقم ٧٧.

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٨٣.

الشرقي في سنة ثمان ومائتين، فأقام على ولايته سنتين ثم عزل، وولي قضاء مدينة المنصور سنة عشر، فلم يزل يتولاه إلى أن صرف سنة ثلاث عشرة ومائتين.

وقال عبد الباقي بن قانع عن بعض شيوخه: إنّ يحيى بن أكثم كان قد غلب على المأمون حتى كان عنده أكبر من ولده، فشكا بشر بن الوليد إلى المأمون وقال: إنه لا ينفذ قضائي، فأقعده المأمون معه على سريره، ودعا بشر بن الوليد، فقال له: ما ليحيى يشكوك ويقول إنك لا تنفذ أحكامه؟ فقال: يا امير المؤمنين سألت عنه بخراسان فلم يحمد في بلده، ولا في جواره، فصاح به المأمون، وقال: اخرج، فخرج بشر، فقال يحيى: يا أمير المؤمنين قد سمعت فاصرفه، فقال: ويحك هذا لم يراقبني فيك كيف أصرفه؟ فلم يفعل.

وقال أحمد بن عطية: كان بشر يصلي كل يوم مائتي ركعة، وكان يصليها بعدما فلج وشاخ.

وولي بشر القضاء ببغداد في الجانبين جميعاً فسعى به رجل وقال: إنه لا يقول القرآن مخلوق، فأمر به أبو إسحاق المعتصم أن يجلس في منزله، فجلس ووكل ببابه، ونهى أن يفتي أحداً بشيء، فلما ولي المتوكل الخلافة، أمر بإطلاقه، وأن يفتي الناس، ويحدثهم، فبقي حتى كبرت سنة.

ومات ببغداد سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

ومنهم:

[١٩]

محمد بن شجاع الثَّلجي البغدادي، أبو عبد الله(١)

أحد الفقهاء الأعلام في وقته بالعراق، برز على نظرائه، وأحرز الفضل كله

---

(١) **ترجمته في**: أخبار القضاة لوكيع ٣/ ٢٠، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٦/ ٢٢٩٢ـ ٢٢٩٣، والفهرست لابن النديم ٢٥٩، والعيون والحدائق ج٤ق ١/ ١٠٩، وتاريخ بغداد ٥/ ٣٥٠ ـ ٣٥٢ رقم ٢٨٦٩، والأنساب ٣/ ١٣٨، والمنتظم ٥/ ٥٧ـ ٥٨، رقم ١٣٢، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ٣/ ٧٠ـ ٧١ رقم ٣٠٣٥، واللباب ١/ ٢٤١، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٧٩ـ ٣٨٠ رقم ١٦٣، والعبر ٢/ ٣٣ـ ٣٤، وميزان الاعتدال ٣/ ٥٧٧ـ ٥٧٨، رقم ٧٦٦٤، والمغني في الضعفاء ٢/ ٣٣، ٣٤، وميزان الاعتدال ٣/ ٥٧٧، ٥٧٨ رقم ٧٦٦٤، والمغني في الضعفاء ٢/ ٥٩١ رقم ٥٦١١، ودول الإسلام ١/ ١٦١، والكشف الحثيث ٣٧٩ رقم ٦٧٨، وتاج التراجم لابن قطلوبُغا ٥٥، والوافي بالوفيات ٣/ ١٤٨ رقم ١١٠١، والبداية والنهاية ١١/ ٤٠، وتهذيب التهذيب ٩/ ٢٢٠ رقم ٣٤٣، وتقريب التهذيب ٢/ ١٦٩ رقم ٣٠٢، والنجوم الزاهرة ٣/ ٤٢، والفوائد البهية ٢٧١، وخلاصة =

برأيه، وكان خلفاً من أبي حنيفة وصاحبيه، وبدلاً منهم لمن نظر إليه، ضاهى أشعة الشموس نوؤه الثلجي، وصدع ضوؤه حندس السحاب الدجوجي، وأعاد الزمان كله يوماً أبيض، والنهار نهراً به وَضَرُ الظلام يدحض، والدهر لساناً بالنصيحة يمحض، والسحاب وطاباً إذا تطاير نوؤه الثلجي يمحض.

مولده في رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة، وتفقه على الحسن بن زياد اللؤلؤي، وتفقه عليه أبو الحسن القمي، وصنف التصانيف المعتمدة وحكيت أقواله في الكتب، وكان فقيهاً، ورعاً، ثابتاً على رأيه، وهو الذي فتق فقه أبي حنيفة واحتج له، وأظهر علله، وقواه بالحديث، وجلاَّه في الصدر، وكان يرى رأي أهل العدل والتوحيد.

وقال محمد بن شجاع: قال لي إسحاق بن إبراهيم المصعبي: دعاني أمير المؤمنين، فقال: اخترلي رجلاً قد كتب الحديث وتفقه به مع الرأي، وليكن مديد القامة، جميل الخلقة، خراساني الأصل، ممن في دولتنا حتى أقلده القضاء، فقلت: لا أعرف رجلاً هذه صفته غير محمد بن شجاع، وأنا أفاوضه في ذلك، قال: فافعل ثم صِرْ به إليَّ، فدونك يا أبا عبد الله، فقلت: أيها الأمير لست إلى ذلك محتاجاً، وإنما يصلح القضاء لأحد ثلاثة: لمن يكتسب مالاً أو جاهاً أو ذكراً، فأما أنا فمالي وافر، وأنا غني، وأن الأمير ليوجه إلي بالمال لأفرقه، ولو احتجت إلى شيء منه لأخذته، وأما الذكر، فقد سبق لي عند من يقصدنا من أهل العلم والفقه لما فيه كفاية.

وقيل: إن المتوكل همّ بتوليته القضاء، فقيل له: إنه من أصحاب بشر المريسي فامتنع عن توليته.

قال الصيمري: محمد بن شجاع هو المقدم في الفقه والحديث وقراءة القرآن مع ورع وعبادة.

وقال محمد بن شجاع: ادفنوني في هذا البيت؛ فإنه لم يبق فيه طابق إلا ختمت عليه القرآن.

وتوفي فجأة سادس ذي الحجة سنة ست وستين ومائتين، وهو في صلاة العصر ساجداً وقيل: سنة سبع.

ومنهم:

= التهذيب ٣٤١، وشذرات الذهب ٢/ ١٥١، والجواهر المضية ٢/ ٦٠، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٦١ ـ ٢٨٠هـ) ص١٦٥ رقم ١٤١.

[٢٠]

محمد بن زُرْزُور، أبو عبد الله الفقيه الفارسي(١)

أي رجل غلب عليه بلهه، وجلب لها السوء ولهه، على فضل خزنه في حافظته، وحصله بمحافظته، مع إطلاع على الوقائع، واضطلاع بحسن حفظ /٣٨/ الودائع، إلى إقدام يساور به الأسد، ويصابر الخصم الألد، لو عارض السيل المنحدر لرده، أو السيف المصلت لفل حده، وكان لو أتته أطراف الرماح لتلقاها، أو نصال السهام لما توقاها حتى رمي بالجنون، وقلب له ظهر المجون، وفعل عندنا بعاقل ما يفعل بمجنون.

كان بارعاً في الحفظ والعلم، يضرب بحفظه المثل، قال يوماً: إني أحفظ القرآن من أوله إلى آخره، وأحفظ «تفسير ابن سلام» كما أحفظ القرآن، وأحفظ فقه أبي حنيفة كما أحفظ التفسير، وأحفظ «الموطأ» وفقه مالك كما أحفظ فقه أبي حنيفة، وأحفظ بعد ذلك كثيراً من دواوين العرب وأشعارها.

وكان ورعاً زاهداً، وكان يحفظ مناظرات الفقهاء، فيكرهون حضوره لكثرة محفوظه، فحضر يوماً جنازة وحضرها أبو المنهال، وكان عظيم الجاه، رفيع الذكر، فسأله عن مسألة فأخطأ ثم ثانية، ثم ثالثة، فقام ابن زرزور قائماً وصف قدميه، ثم كبّر وصلى عليه كما يصلى على الموتى، وقال: أنت أولى بأن يصلى عليك من هذا الميت. وقيل: إنه فعل مثل ذلك بالقاضي ابن عمران، فلما تغيّر عقله وجد إليه سبيلاً، فحجر عليه، ثم بعث إليه يوماً يخيره في تزويج امراةٍ، أو شراء جارية، وفي أشياء من أسبابه، فقال للرسول: يكون جوابي مشافهةً، فأتاه فقال له: أتاني يخبرني في كذا وكذا، قال: نعم، فما تشاء؟ قال:

أفأتكلم ولي الأمان؟ قال: نعم.

قال: إن كنت خيرتني، وأنا عندك سفيه فقد أخطأت إذ خيرتني، وإن كنت عندك رشيداً، فقد أخطأت في حجرك علي.

ثم قال: الله أكبر أربع مراتٍ كما يصلى على الجنازة، وانصرف، فأطرق القاضي سليمان، ولم يتكلم.

وقيل لابن زرزور وهو في النزع: يا أبا عبد الله كيف حالك؟ فبكى وقال:

---

(١) **ترجمته في**: الجواهر المضية ٣/ ١٥٥، رياض النفوس للمالكي ٤١٤.

حدثني البهلول بن عبيدة أن الله سبحانه وتعالى عمّر نوحاً مائتي سنة وخمسين سنة قبل إرساله، ثم أرسله فلبث في /٣٩/ قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، فلما احتضر قال له ملك الموت: يا أطول الأنبياء عمراً، وأكثرهم عملاً، كيف وجدت الدنيا؟ قال: كبيت له بابان دخلت من باب، وخرجت من الآخر.

وتوفي محمد بن زرزور يوم الاثنين لتسع مضين من ربيع الأول سنة إحدى وتسعين ومائتين.

ومنهم:

[٢١]

عبد الحميد بن عبد العزيز، أبو خازم القاضي(١)

وكان أنقد في حكمه من الصيارف، وأشهر في علمه من المعارف، برأي يفرق بين الماء واللبن، ويتصرف بين الحق والظنن، لو لبس عليه الليل لكشطه، أو دلس عليه الغمام لأسقطه، مع وقوف مع الحق لا يتعداه، وتفطن لو ضل معه النهار لهداه. أنفذ من الرمح إذا صمم، وأقضى من السيف إذا تذمم، لو رفع إليه الدهر لما هاب أن يقضى عليه، أو النجم لسدد سهمه إليه، وكان الخليفة وهو مثل المعتضد، وذلك البأس المتقد طوعاً لقضائه الفصل، ومضائه الذي وقع دونه طائر النصل، فكيف من دون ذلك الطود المشمخِر، والرواق المسبطر.

وكان قد أعطي مزيد حظ من حسن النظر في الحساب والفرائض التي لا تخطىء الأنساب، وجمع من الشروط ما أقرت له الكُتَّاب، وبقي زينة لكل كتاب، أخذ الفقه عن هلال بن يحيى الرازي وغيره، وتفقه عليه أبو طاهر الدباس، وأبو جعفر الطحاوي لما رحل إلى دمشق، وروى الحديث عن محمد بن بشار، وشعيب بن أيوب وغيره.

---

(١) عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبد المجيد السَّكُوني القاضي.
ترجمته في: طبقات الفقهاء للشيرازي ١٤١، والفهرست لابن النديم ٢٠٨، وتاريخ دمشق ط دار الفكر ٣٤/ ٧٨ـ ٨٦ رقم ٣٧٠٦، والمنتظم ٦/ ٥٢ ـ ٥٦ رقم ٧٧، والكامل في التاريخ ٧/ ٥٣٧، ودول الإسلام ١/ ١٧٧، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٣٩ ـ ٥٤١ رقم ٢٧٢، والعبر ٢/ ٩٣ـ ٩٤، والمشتبه ١/ ٢٠١، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٥٤، والبداية والنهاية ١١/ ٩٩، ١٠٠، والجواهر المضية ٢/ ٣٦٦ ـ ٣٦٨ رقم ٧٥٨، ومرآة الجنان ٢/ ٢٢٠ـ ٢٢١، وتبصير المنتبه ١/ ٣٨٧، وتاج التراجم لابن قطلوبُغا ٣٣، وأعلام الأخيار، رقم ١٤٤، والفوائد البهية ٨٦، والطبقات السنية رقم ١١٤٨، وشذرات الذهب ٢/ ٢١٠، وكشف الظنون ١/ ٤٦، ١٦٤، ٥٦٩ و٢/ ١٥٤١، وتاريخ الإسلام (السنوات ٢٩١ ـ ٣٠٠هـ) ص١٨٩ رقم ٢٦٤.

وولي قضاء الشام وقضاء الكوفة، واستقضاه المعتضد على قضاء الشرقية. وكان رجلاً، ديناً، ورعاً، عالماً بمذهب أبي حنيفة وأصحابه، عالماً بالفرائض والحساب والذرع والقسمة، حسن العلم بالجبر والمقابلة، وحساب الدور، وغامض الوصايا، والمناسخات، قدوة في العلم بصناعة الحكم، ومباشرة الخصوم، وأحذق الناس بعمل المحاضر والسجلات والإقرارات، وأما عقله فلا يعلم أن أحداً رآه، وقال إنّه رأى أعقل منه.

قال وكيع القاضي: كنت أتقلد لأبي خازم القاضي أوقافاً /٤٠/ في أيام المعتضد، وكان منها شيء في يد المعتضد، فلما بلغت السنة آخرها، حصلتُ مالها إلا ما أخذه المعتضد، فجئت إلى أبي خازم، فعرفته اجتماع مال السنة، وأستأذنته في قسمته في سبله وعلى أهل الوقف، فقال: هل أخذت ما على أمير المؤمنين؟ فقلت له: ومن يجسر على مطالبة الخليفة؟ فقال:

والله لا قسمتُ الارتفاع، أو تأخذ ما عليه، ثم قال: امض إليه وطالبه، فدخلت على الخليفة، وقلت: إن القاضي أبا خازم امتنع من تفريق مال الوقف حتى يؤخذ ما على أمير المؤمنين. قال: فسكت ساعة، ثم قال: أصاب عبد الحميد، ثم أمر بإحضار المال ودفع إلي أربعمائة دينار، فقبضتها وانصرفت إلى أبي خازم، فقال لي: اجمع ما اجتمع للوقف عندك، وفرقه في غدٍ في سبله، قال: ففعلت ذلك، فكثر شكر الناس من أبي خازم بإقدامه على الخليفة بمثل ذلك، وشكرهم للمعتضد في إنصافه.

وقال أبو طاهر محمد الهذلي: كان أبو حازم جالساً للقضاء فارتفع إليه خصمان، فاجترأ أحدهما، بحضرته إلى ما أوجب عليه التأديب، فأمر بتأديبه فأدب، فمات في الحال، فكتب إلى المعتضد: اعلم، أمير المؤمنين أطال الله بقاءه. أن خصمين حضراني، فاجترأ أحدهما، فأمرت بتأديبه فمات، وإذا كان المراد بتأديبه مصلحة المسلمين، فمات في الأدب، فالدية واجبةٌ في بيت مال المسلمين، فأمير المؤمنين يأمر بحمل الدية؛ لأحملها إلى ورثته. قال: فعاد الجواب إليه بإنفاذ الأمر، وحمل إليه عشرة آلاف درهم، فأحضر القاضي ورثة المتوفى، ودفعها إليهم.

وقال مُكرم بن بكر: كنت في مجلس القاضي أبي خازم، فارتفع إليه شيخ وصبي، فادعى الشيخ على الصبي بألف دينار، فأقر الصبي فطلب الشيخ حبسه، فقال للغلام: قد سمعت، فهل لك أن تنقده البعض وتسأله إنظارك، فقال: لا، فطلب الشيخ حبسه، قال: /٤١/ فتفرس القاضي أبو خازم فيهما ساعة، ثم قال: تلازما إلى أن أنظر بينكما في مجلس آخر، قال: فقلت: لمَ أخر القاضي حبسه؟ فقال:

ويحك إني أعرف في وجه الخصوم وجه المحق من المبطل، وقد صارت لي بذلك دربة لا تكاد تخطىء، وقد وقع لي أن سماحة هذا الغلام بالإقرار هي عن بلية وأمر يبعد من الحق، وليس في تلازمها بطلان حق، ولعلّه ينكشف من أمرهما ما أكون على وثيقة مما أحكم به بينهما، أما رأيت قلة مناظرتهما واختلافهما، وسكون طباعهما مع عظم المال؟ وماجرت العادة بالإقرار عجلاً بمثل هذا المال. قال: فبينا نحن كذلك إذ دخل على القاضي رجل موسر، فقال: قد بليت بابن لي يتلف كل ما يظفر به من مالي، وإن منعته المال يحتال بحيلة اضطر إلى التزام غرم له، وقد بلغني أنه تقدم إلى القاضي وأقر بألف دينار، فلما سمعت بادرت إلى القاضي لأشرح له الأمر.فيداويه بما يشكر، فلما سمع القاضي كلامه تبسم، وقال لي: كيف رأيت؟ فقلت له: لهذا ولمثله فضّل الله القاضي، ثم أمر القاضي بإحضارهما، فأرهب الشيخ ووعظ الغلام، فأقر الشيخ بأن الأمر كذلك، وأنه لا شيء له على الصبي، فأخذ الرجل بيد ابنه وانصرفوا.

ومات أبو خازم في جمادى الأولى سنة اثنتين وتسعين ومائتين.

ومنهم:

[٢٢]

أحمد بن الحسين، أبو سعيد البَرذَعِي(١)

أحد الفقهاء الكبار، وأصحاب التحقيق والإكثار، وكان أي سيف يُسل، وعلم عليه لا يستدل، قطع بجدله كل حجة. وقرع هام الطوائف المحتجة، سرت منه دار السلام بمسلم إلا أنه ورع، وَمسلم إليه في البحث لا يدفع، ثم أقام بمكة المعظمة إذ شارف أجله، وسكن بها على ظاهر قبره ثم نزله، قتل شهيداً في فتنة / ٤٢/ القرامطة، وطار رأسه في تلك الجثث الساقطة، فلزم ذلك المثوى، إلى أن قدم على جنة المأوى.

تفقه على أبي عليّ الدّقاق، وموسى بن نصر، وتفقه عليه أبو الحسن الكرخي،

(١) **ترجمته في**: الفهرست لابن النديم ٢٩٣، تاريخ بغداد ٤/ ٩٩ رقم ١٧٥١، طبقات الفقهاء للشيرازي ١٤١، مرآة الجنان ٢/ ٢٧٤، تاريخ الخميس ٢/ ٩٩١ وفيه: «أحمد بن علي البرذعي» طبقات المعتزلة لابن المرتضى ٦٠، العبر ٢/ ١٦٨، الجواهر المضيئة ١/ ١٦٣ ـ ١٦٦ رقم ١٠٣، العقد الثمين ٣/ ٣٣ ـ ٣٤، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٢٦، الطبقات السنية رقم ١٨٥، الفوائد البهية ١٩ ـ ٢٠، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٠١ ـ ٣٢٠هـ) ٥٢٨ رقم ٢٨١.

وأبو طاهر الدباس وغيرهما، وكان إماما، فقيهاً، مناظراً، بارعاً، من فحول المناظرين.

ورد بغداد حاجاً، فدخل الحاج فوقف على داود بن علي الظاهري، وكان يكلم رجلاً من أصحاب أبي حنيفة، وقد ضعف في يده الحنفي فجلس، فسأله عن بيع أمهات الأولاد، فقال: يجوز، فقال له: لم قلت؟ قال: لأنَّا أجمعنا على جواز بيعهن قبل العلوق فلا يزول عن هذا الإجماع إلاَّ بإجماع مثله، فقال له: أجمعنا بعد العلوق قبل الوضع على أنه لا يجوز بيعها، فيجب أن نتمسك بهذا الإجماع، ولا يزول عنه إلاَّ بإجماع مثله، فانقطع داود وقال: ننظر في هذا.

وقام أبو سعيد وعزم على القعود ببغداد والتدريس لما رأى من غلبة أصحاب الظاهر، فلما كان بعد مديدة رأى في المنام كأنَّ قائلاً يقول: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[1] فانتبه بدق الباب، فإذا قائل يقول له: مات داود الظاهري فإن أردت أن تصلي عليه فاحضر.

وأقام أبو سعيد ببغداد يدرس، ثم خرج إلى الحج، فاستشهد في عشر ذي الحجة في وقعة القرامطة لعنهم الله بمكة سنة سبع عشرة وثلاثمائة.

ومنهم:

[٢٣]

أحمد بن إسحاق بن البُهلُول بن حَسَّان، أبو جعفر التنوخي، الأنباري[2] القاضي الحنفي النحوي

حرص على العلم حتى وجده، ورحل إليه العيس حتى ورده، وأعمل إليه اليعملات على وجاها، وخبط إليه الظلماء يشق قمره دجاها، لا يهوله برد ولا حر، ولا بحر ولا بر، يركب نوازله وسفنه، وينزل بواديه /٤٣/ ومدنه، لفائدة يقتبسها،

---

(١) سورة الرعد: الآية ١٧.

(٢) **ترجمته في**: تاريخ بغداد ٤/ ٣٠ ـ ٣٤ رقم ١٦٣٥، والمنتظم ٦/ ٢٣١ ـ ٢٣٤ رقم ٣٦٦، ونزهة الألباء ٢٤٣ ـ ٢٥٧، ومعجم الأدباء ٢/ ١٣٨ ـ ١٦١ رقم ١٨، والكامل في التاريخ ٨/ ٢٢٣، والمعين في طبقات المحدّثين ١٠٩ رقم ١٢٢٨، والعبر ٢/ ١٧١، والوافي بالوفيات ٦/ ٢٣٥ ـ ٢٣٧ رقم ٢٧١١، والبداية والنهاية ١١/ ١٦٥، والجواهر المضيّة ١/ ١٣٧ ـ ١٤٢ رقم ٧٥، وبغية الوعاة ١/ ٢٩٥ـ ٢٩٦ رقم ٥٤١، وشذرات الذهب ٢/ ٢٧٦، والطبقات السنية، رقم ١٣٤، وكشف الظنون ١/ ٤٦، ٤٥٧ و٢/ ١٩٢٠، تاريخ الإسلام (سنوات ٣٠١ ـ ٣٢٠هـ) ص٥٥٤ رقم ٣٤٤.

وزائدة عما لديه يلتمسها، بحرص يتوقد شراراً، ويتفقد برق الفطنة لا يتوارى، مع حظ من أدب ما نهنه في مذهبه، ولا بخل بإنفاق ذهبه. كل هذا مع قيام بالحق وإن شق، وعمل بما يجب وإن حجب، وتصميم على الحق ولو غضب.

مولده بالأنبار في المحرم سنة إحدى وثلاثين ومائتين. كان ثبتاً في الحديث. ثقةً، مأموناً، جيد الضبط لما حدث فيه، متقناً لعلوم شتى، فقيهاً على مذهب أبي حنيفة وأصحابه، وربما في مسيلات يسيرة، تام العلم باللغة، حسن القيام بالنحو على مذهب الكوفيين، والتتبع لحفظ الشعر القديم والحديث، والأخبار الطوال، والسير، والتفسير، وكان شاعراً كثير الشعر مجيده، خطيباً حسن الخطابة والتفوه بالكلام، لسناً، صالح الحظ من الترسل في المكاتبة، والبلاغة في المخاطبة، ورعاً متخشناً في الحكم.

تقلد القضاء بالأنبار، وهيت، وطريق الفرات من قبل الموفق الناصر، سنة ست وسبعين ومائتين، ثم قلده الناصر دفعةً أخرى، ثم قلده المعتضد،ثم تقلد بعض كور الجبل للمكتفي سنة اثنتين وتسعين، ولم يخرج إليها، ثم قلده المقتدر سنة ست وتسعين بعد فتنة المعتز القضاء بمدينة المنصور من مدينة السلام، وطسوجي قطربل ومسكن والأنبار، وهيت، وطريق الفرات، ثم أضاف له إلى ذلك بعد سنتين القضاء بكور الأهواز مجموعة لما مات قاضيها، فما زال على الأعمال إلى أن صرف عنها سنة سبع عشرة وثلاثمائة.

وحكى الخطيب في تاريخ بغداد(١) عن القاضي أبي طالب محمد ابن القاضي أبي جعفر بن البهلول قال: كنت مع أبي في جنازة، فجاء أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، فجلس إلى جانبه، فأخذ أبي يعظ /٤٤/ صاحب المصيبة ويسليه، وينشده أشعاراً، ويروي له أخباراً، فداخله محمد بن جرير الطبري في ذلك، ثم اتسع الأمر بينهما في المذاكرة، وخرجا إلى فنون كثيرة من العلم والأدب، فلما افترقنا قال لي أبي: يا بُني هذا الشيخ الذي داخلنا اليوم في المذاكرة، من هو؟ فقلت: هذا أبو جعفر الطبري، فقال: ما أحسنت عشرتي يا بني، فقلت: كيف؟ قال: ألا قلت لي في الحال، فكنت أذاكره غير تلك المذاكرة؟ هذا رجلٌ مشهور بالحفظ، والاتساع في صنوفٍ من العلم، وما ذاكرته بحسبها. قال: ومضت على هذا مدة.فحضرنا في جنازة أخرى وجلسنا، فإذا بالطبري قد أقبل، فقلت له: أيها القاضي هذا الطبري قد جاء مقبلاً. قال فأومأ إليه بالجلوس عنده فجلس إلى جنبه، وأخذ أبي يجاريه.فلما جاء إلى

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٣٢ ـ ٣٣.

قصيدة ذكر الطبري منها أبياتاً، قال أبي: هاتها يا أبا جعفر إلى آخرها، فيتلعثم الطبري، فينشدها إلى آخرها، وكلما ذكر شيئاً من السير قال أبي: كان هذا في قصة بني فلان، ويوم بني فلان، مر يا أبا جعفر، فربما مر، وربما تلعثم، فيمر أبي في جميعه. قال: فما سكت أبي يومه ذلك إلى أن بان للحاضرين تقصير الطبري، ثم قمنا فقال أبي: الآن شفيت صدري.

وقال ابن الجوزي في المنتظم[1]: طلبتْ أم المقتدر من القاضي أبي جعفر كتاب وقف ضيعة كانت ابتاعتها، وكان الكتاب في ديوان القضاء، وأرادت أخذه لتحرقه وتبطل الوقف، ولم يعلم أحد بذلك، فقيل لها: قد أحضر القاضي الكتاب، قالت: نريد أن يكون عندنا، فأحس القاضي الأمر، فقال: لا طريق إلى هذا أبداً، أنا خازن المسلمين على ديوان الحكم، فإن مكنتموني من خزنه، وإلاَّ فاصرفوني وتسلموا الديوان دفعةً واحدةً إليكم، واعملوا فيه ما شئتم، وأما أن تفعل شيئاً من هذا على يدي، /٤٥/ فوالله لا كان ذلك أبداً، ولو عرضت على السيف، ونهض القاضي والكتاب معه، فشكت أم الخليفة ذلك إلى ولدها المقتدر، فكلمه مشافهة في ذلك، فكشف له الصورة، وقال مثل ذلك القول والاستعفاء، فقال له المقتدر: مثلك من قُلّد القضاء. أقم على ما أنت عليه بارك الله فيك، ولا تخف ينثلم محلك عندنا، ثم قال المقتدر لوالدته: الأحكام ما لا طريق إلى اللعب فيها، والقاضي أحمد مأمون علينا، محب لدولتنا. ولو كان هذا يجوز لما منعك إياه، فقالت: كأنَّ هذا لا يجوز؟ فقيل لها: لا هذه حيلة من أرباب الوقف على بيعه، وإن الشراء لا يصح، وتحريق كتاب الوقف لا يحل، فارتجعت المال، وفسخت الشراء، وعادت إلى شكر القاضي، وانقلب ذلك الأمر جميلاً عندهم، فقال القاضي: من قدم أمر الله على المخلوقين كفاه الله شرهم.

ومات في سنة ثمان عشرة وثلاثمائة.

ومنهم:

[٢٤]

محمد بن محمد، أبو منصور الماتريديّ[2]

أحد أعلام الدين ومشايخ المسلمين، إمامٌ كل العالم بعلمه يقتدون، وبنهجه

---

(١) المنتظم ٦/ ٢٣٣.

(٢) **ترجمته في**: الجواهر المضية ٣/ ٣٦٠، تاج التراجم ٥٩، كشف الظنون ١/ ٢٦٢، طبقات الفقهاء =

يهتدون، لوهب ريحه على أبي حنيفة، لتطيب به من زفر، وأيقن أن فوق اللؤلؤي من هو أدرى بالدرر، ولما أسي لأبي يوسف إذا انتضت عنه من الحزن، وذهب سواد البصر، ولا أمهل أصحابه لغائب ولو كان محمد بن الحسن المنتظر، ولا بالي بالبلخي إن غاب أو حضر، ولا بابن أبي ليلى، وإن عكفت منه الطير على لحم كريم، ولا بالطائي، وإن رفعت ناره في دجى الليل البهيم، ولكان سابع الستة الذين لا تثبت إلا بإجماعهم المسائل، وثالث الصاحبين ولا رابع لهم في تنوع الفضائل.

كان أحد أئمة الدنيا فقهاً، وعلماً، وورعاً، وفضلاً، وديانة، وخيراً مقبولاً عند الموافق والمخالف، مجمعاً على أنه عديم النظير، وسيف السنة وقامع أهل الزيغ والبدعة، صنف الكتب، وفرع على السنن، /٤٦/ وذب عن حريمها، وقمع مخالفيها، ووصفه سيف الحق، فقال: أبو منصور الماتريدي الذي غاص في بحر العلوم، فاستخرج دررها، وأتى بحجج الدين، فزين بفصاحته، وغزارة علومه غررها.

وقال غيره: كان المعتزلة يلقبون أهل السنة به، وينسبون سالكي طريقة أبي حنيفة في العقائد والأصول إليه. فيقولون: هؤلاء الماتريدية، لشدة ما يغيظهم شأنه وقوة انتصاره لمذهب أهل السنة والجماعة بالبراهين الساطعة، والحجج القاطعة، وله المصنفات الجليلة في الأصول، والرد على أهل الزيغ. ومات بعد الأشعري بقليل، وكانت وفاة الأشعري سنة أربع وعشرين وثلاثمائة.

ومنهم:

[٢٥]

محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله السُّلمي، أبو الفضل الوزير المروزي[(١)]

قاضي بخارى المعروف بالحاكم الشهيد، حصل من العلم على جانب موفور، وحظ به التعب مغفور، وأدرك رجالاً من أهل الحديث الشريف كانت تشد إليهم الرحال، وتسمو إليهم الركائب حالاً على حال، فسمع منهم ما هو السرور لمستمع، والسور الذي لا يباح لمبتدع، فلقي أفراداً، ولقّن منهم مثنى وفرادى، وكان لو أمسك النجم بيده لم يقنع، ولو بلغ الغاية لا يرضى بما يصنع، فجدّ بقريحة تلتهب، وفكرة صحيحة تنتهب، وعاش سعيداً، ومات شهيداً لا يخاف وعيداً.

= لطاش كبري زاده ٥٦، الطبقات السنية رقم ٢٣٠٥، كتائب أعلام الأخيار رقم ١٦٢، مفتاح السعادة ٢/ ٩٦، ١٥١، ١٥٢، الفوائد البهية ١٩٥.

(١) **ترجمته في**: المنتظم ٦/ ٣٤٦ رقم ٥٦٣، البداية والنهاية ١١/ ٢١٥، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٣١ـ ٣٥٠هـ) ص١١٣ رقم ١٥٣.

قال الحافظ أبو عبد الله الحاكم في تاريخ نيسابور: ما رأيت في جملة من كتبت عنهم من أصحاب أبي حنيفة أحفظ للحديث، وأهدى إلى رسومه، وأفهم له منه.

ولما قلد قضاء بخارى كان يختلف إلى الأمير الحميد، فيدرسه الفقه، فلما صارت الولاية إليه، قلده أزمة الأمور كلها، /٤٧/ وكان يمتنع عن اسم الوزارة، فلم يزل به إلى أن تقلدها، ولما ورد السلطان نيسابور سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، ورد بوروده الحاكم، وعقد له مجلس النظر، ثم التمسوا منه مجلساً للإملاء فأجابهم إلى ذلك، ولم يبق بنيسابور أحد من مشايخ الفريقين حتى حضر ذلك المجلس.

قال الحاكم: وسمعت أبا العباس المعراني يقول: ما رأيت في صدور الإسلام أحداً أميل إلى كتبة الحديث من الحاكم أبي الفضل. كان يقدمهم على كافة أهل العلم، ويأنس بهم، ويتحرى مسرتهم، ولا يقصر في برهم، وكان يصوم الاثنين والخميس، ولا يدع صلاة الليل في السفر والحضر، ولا يدع التصنيف في السفر والحضر، كان يقعد والكتب بين يديه وهو وزير السلطان، فيأذن لمن لا يجد بداً من الإذن له، ثم يشتغل بالتصنيف.

قال الحاكم: سمعت أبا العباس المصري ـ وكان من الملازمين لبابه ـ يقول: دعا الحاكم أبو الفضل بالبوابين وقال: قد ذكرت لكم غير مرة أن لا تحجبوا عني أحداً من أهل العلم، واحجبوا الفرسان وأصحاب الأموال، وأنتم لأطماعكم الكاذبة تأذنون للأغنياء وتحجبون الفقراء لرثاثتهم، فلئن عدتم نكلت بكم.

وكان الحاكم لم يزل يدعو في صلاته وأعقابها دعوات ثم يقول: اللهم ارزقني الشهادة، إلى أن سمع عشية الليلة التي قتل من غدها جلبة، فقال: ما هذا، فقالوا: غارة العسكر قد اجتمعوا يلزمون الحاكم الذنب في تأخير الأرزاق عنهم، فقال: اللهم غفراً، ثم دعا بالحلاق فحلق رأسه، وأسخن له الماء، ونظف نفسه، ولبس الكفن ولم يزل طول ليلته يصلي فكبسوه، فقتلوه وهو ساجد وقد صلى الصبح، والكتب بين يديه، وذلك في شهر ربيع الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة.

/٤٨/ ومنهم:

[٢٦]

عبيد الله بن الحسين بن دلال بن دَلَهم، أبو الحسن الكَرْخي[1]

المصنف على مذهب أبي حنيفة، والمصرف في النكت اللطيفة، اقتنى جوهر

---

(١) **ترجمته في**: الفهرست لابن النديم ٢٩٣، وتاريخ بغداد ١٠/ ٣٥٣ ـ ٣٥٥، وطبقات الفقهاء للشيرازي =

العلم النفيس، وجلس في صدر التدريس، فأصبحت سوابح السيول تجري به، وصفائح السيوف دون تجربته، وما زال على هذا حتى قعدت به الزمانة، وقيدت تحته مكانه، فرنق كأس المرض آخر عمره، وكان هذا آخر أمره.

مولده سنة ستين ومائتين.

تفقه على أبي سعيد البردعي، ولقي أبا خازم القاضي، وحضر مجلسه، وسكن بغداد، ودرس بها فقه أبي حنيفة حتى اشتهر ذكره في الآفاق، وبرع له غلمان حذاق، وخرج منهم علماء ومدرسون وقضاة، وكان مع غزارة علمه وكثرة رواياته، عظيم العبادة، كثير الصوم والصلاة، صبوراً على الفقر والحاجة، منقبضاً عن الدولة، مقبلاً على نشر العلم وبثه متقشفاً، وله في المذهب قدم راسخ.

قال الصيمري: صار التدريس ببغداد بعد أبي خازم، وأبي سعيد البرذعي إلى أبي الحسن الكرخي، وإليه انتهت رياسة أصحاب أبي حنيفة، وانتشر أصحابه في البلاد.

قال الصيمري: لما أصاب أبا الحسن الكرخي الفالج في آخر عمره، حضرته وحضر أصحابه: أبو بكر الدامغاني، وأبو علي الشاشي، وأبو عبد الله البصري، فقالوا: هذا مرض يحتاج إلى نفقة وعلاج وهو مقل، ولا يجب أن نبذله للناس، فيجب أن نكتب إلى سيف الدولة بن حمدان، ونطلب منه ما ينفقه عليه، ففعلوا ذلك، فلما أحس الشيخ بما هم فيه، سألهم عن ذلك، فأخبروه، فبكى، وقال: اللهم لا تجعل رزقي إلا من حيث عودتني. قال: فمات قبل أن يحمل سيف الدولة شيئاً، ثم ورد كتاب سيف الدولة ومعه عشرة آلاف درهم، /٤٩/ ووعد أن يمد بأمثالها، فتصدق بها.

وقال أبو عبد الله الحسين بن علي بن سلمة: أنشدت أبا الحسن عبيد الله بن الحسين الكرخي: [من البسيط]

ما إنْ ذكرتُكِ في قومٍ أُحدثُهم إلاَّ وجدتُ فُتُوراً بينَ أحشائِي

= ١٤٢، والأنساب ٥/ ٣٨٦، ٣٨٧، والمنتظم ٦/ ٣٦٩ـ ٣٧٠، والعبر ٢/ ٢٥٥، ودول الإسلام ١/ ٢١١، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٢٦ـ ٤٢٧ رقم ٢٣٨، والبداية والنهاية ١١/ ٢٢٤ـ ٢٢٥، ومرآة الجنان ٢/ ٣٣٣، والجواهر المضية ١/ ٣٣٧، وطبقات المعتزلة ١٣٠، ولسان الميزان ٤/ ٩٨ـ ٩٩، والنجوم الزاهرة ٣/ ٣٠٦، وشذرات الذهب ٢/ ٣٥٨، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٣١ ـ ٣٥٠هـ) ص١٩٧ رقم ٣٣٣.

فأنشدني أبو الحسن لنفسه يريد تضمين هذا البيت: [من البسيط]

كمْ لوعةٍ في الحَشا أبقتْ بهِ سَقَماً ... خوفاً لهجرِكِ أو خوفاً مِنَ النائِي
لاتهجرَنّي فإنِّي لستُ ذا جَلَدٍ ... ولا اصطبارٍ على هجرِ الأخلاءِ
اللهُ يعلمُ ما حُمِّلتُ مِنَ سَقَمٍ ... وما تَضَمّنتُه مِنْ شدةِ الدَّاءِ
لو أن أعضاءَ صَبٍّ خاطبتْ بشراً ... لخاطبتْكِ بوجدي كلُّ أعضائي
فارْعَى حقوقَ فتًى لا يبتغى شَطَطاً ... إلاَّ السلامَ بإيحاءٍ وإيماءِ
هذا على وزنِ بيتٍ كنتُ منشدَهُ ... عارٍ إذا كانَ مِنْ لحنٍ وإقْواءِ
ما إنْ ذكرتُكِ في قومٍ أحدِّثُهم ... إلاَّ وجدتُ فُتُوراً بينَ أحشائي
ولا هَمَمْتُ بشُربِ الماءِ مِنْ عَطَشٍ ... إلاَّ وجدتُ خيالاً منْكِ في الماءِ

وقال أبو القاسم علي بن المُحسّن التنوخي الحنفي عن أبيه عن جده، قال: خرج إلينا أبو الحسن الكرخي يوماً فقال: تعرفون ببغداد رجلاً يقال له ابن أصدق، قال فقلت: أعرفه.

فقلل: أي شيء يعمل؟ فقلت: ينوح على الحسين بن علي.

قال: فبكى أبو الحسن الكرخي، وقال: عندي عجوز هي من صوالح النساء، تكثر من الصوم والتهجد، فانتبهت في جوف الليل فصاحت: أبا الحسن.

قلت: ما لك؟

قالت: الحقني، فجئتها فوجدتها ترعد، فقلت: ما أصابك؟

قالت: رأيت في النوم كأنني في درب من دروب الكرخ فيه حجرة مبيضة مفتوحة الباب، وعليه نساء وقوف، فقلت لهن: ما الخبر؟

فأشارن إلى داخل الدار، وإذا امرأة شابة حسناء بارعة الجمال / ٥٠/ عليها ثياب بياض مروية وفي حجرها رأس يشخب دماً، ففزعت. فقالت: لا عليك أنا فاطمة بنت رسول الله وهذا رأس الحسين، فقولي لابن أصدق حتى ينوح: [من مجزوء الرمل]

لمْ أُمرِّضْهُ فأَسلُو ... لا ولا كانَ مريضا

وانتبهت مذعورة، ثم قال أبو القاسم بن المحسن التنوخي: قال أبو الحسن الكرخي لجدي: قد حملت هذه الأمانة في أداء هذه الرسالة، فقال جدي: سمعاً وطاعة لأمر سيدة النساء رضوان الله عليها، فخرجت إلى ابن أصدق، وقلت له: إن فاطمة تأمرك أن تنوح بالقصيدة التي فيها: لم امرضه فأسلو، فانزعج من ذلك،

وقصصت عليه وعلى من كان عنده، فاكثروا البكاء، وناح بذلك طول ليلته.

وتوفي أبو الحسن الكرخي لعشر خلون من شعبان سنة أربعين وثلاثمائة، وقيل: للنصف من شعبان.

ومنهم:

[٢٧]

أحمد بن عمرو الشيباني، الإمام، أبو بكر الخَصَّاف(١)

فقيه لبيب صالح، وأديب للفضائل ماتح، ومهيب لا تستثبته العيون اللوامح، وقليب أبيحت لدلو ماتح، اختصه المهتدي بالتقريب، وأحله منه المكان القريب، وكان جليسه الذي لا يفارق، وأنيسه الذي لا يأسى بعده المفارق، إذ كان كلاهما من المهتدين، وكل منهما مذكراً للآخر بالدين، ثم بسببه أصيب، وأخذ ماله، ولم يكن له مما له نصيب.

كان فاضلاً، فارضاً، حاسباً، عارفاً بمذاهب أصحابه، مقدماً عند المهتدي بالله، وصنف له كتابه في الخراج، فلما قتل المهتدي نُهب الخصاف، وذهبت بعض كتبه من جملتها كتاب عمله في المناسك لم يكن خرج إلى الناس، وكان زاهداً يأكل من كسب يمينه.

وقال بعض مشايخ بلخ: دخلت بغداد وإذا على الجسر رجلٌ ينادي ثلاثة /٥١/ أيام يقول: ألا إن القاضي أحمد بن عمرو استفتي في مسألة كذا، فأجاب بكذا وكذا وهو خطأ، والجواب كذا وكذا رحم الله تعالى من بلغها صاحبها.

توفي ببغداد سنة إحدى وستين ومائتين، وعدّ [ابن] النديم مصنفاته أربعة عشر مصنفاً منها «الحيل» مجلدين، ومنها كتاب «القصر وأحكامه».

ومنهم:

[٢٨]

أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو الحسن، النيسابوري، الحنفي(٢)

قاضي الحرمين، وشيخ أصحاب أبي حنيفة بلا مدافعة، ومحيي آثاره النافعة،

---

(١) **ترجمته في**: الجواهر المضية ١/ ٢٣٠ ـ ٢٣٢، الوافي بالوفيات ٧/ ٢٦٦، الجواهر المضية ١/ ٢٣٠، الفوائد البهية ٢٩ ـ ٣٠، طبقات الفقهاء ١٤٠، تاج التراجم ٧، كتائب أعلام الأخيار رقم ١٣٧، الفهرست ٣٤٨، تاريخ التراث العربي لسزكين ١/ ٣/ ٨٥، الطبقات السنية رقم ٢٧٢، مفتاح السعادة ٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

(٢) في بعض المصادر وردت كنيته: «أبو الحسين».

جَدَّد رسومه الداثرة، وشيد علومها المتكاثرة، قضى بالحرمين الشريفين قضاء كانت تقص الركبان خبره، وتنشر حبره، دام على هذا حيناً من الدهر، كان شيئاً مذكوراً وسبباً مشكوراً، ثم آب به حب الوطن إلى نيسابور، ونفق والرجال تبور.

تفقه على أبي الحسن الكرخي، وأبي طاهر الدباس، وبرع في المذهب، وتفقه به فقهاء نيسابور من أصحاب أبي حنيفة.

قال أبو بكر الأبهري المالكي شيخ الفقهاء ببغداد بلا مدافعة: ما قدم علينا من الخراسانيين أفقه من أبي الحسين النيسابوري.

وقال الحاكم: سمعت أبا الحسين يقول: حضرت مجلس النظر لعلي بن عيسى الوزير، فقامت امرأة تتظلم من صاحب التركات، فقال: تعودين إليَّ غداً، وكان يوم مجلسه للنظر، فلما اجتمع فقهاء الفريقين، قال لنا: تكلموا اليوم في مسألة توريث ذوي الأرحام.

قال: فتكلمت فيها مع بعض فقهاء الشافعية.

فقال الوزير: صنف هذه المسألة، وبَكِّر بها غداً إليَّ، ففعلت وبكرت بها إليه، فأخذ مني الجزء وانصرفت، فلما كان ضحوة النهار طلبني الوزير إلى حضرته، فقال /٥٢/ لي: يا أبا الحسين قد عرضت تلك المسألة بحضرة أمير المؤمنين وتأملها، فقال: لولا أن لأبي الحسين عندنا حرمات لقلدته أحد الجانبين، ولكن ليس في أعمالنا أجلُّ عندي من الحرمين، وقد قلدته الحرمين، فقلت للوزير: بعد أن رضي أمير المؤمنين المسألة وتأملها، وجب على الوزير أن ينجز أمره العالي بأن يرد السهم إلى ذوي الأرحام، فأجاب إليه وفعله، وانصرفت من حضرة الوزير، ووصل العهد إلي.

وكانت مدة إقامته بالحرمين قاضياً بضع عشرة سنة، ثم انصرف إلى نيسابور سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، ثم ولي القضاء بها سنة خمس وأربعين.

وتوفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة .ومنهم:

= **ترجمته في**: العبر ٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩١، الوافي الوفيات ٨/ ٣٤ رقم ٣٤٣٥، تاج التراجم ١٥، شذرات الذهب ٣/٧، طبقات الفقهاء ١٤٤، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٥ـ ٢٦ رقم ١٣، العقد الثمين ٣/ ١٤٥، الجواهر المضية ١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٨، الفوائد البهية ٣٦، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٥١ ـ ٣٨٠ هـ) ص٥٠.

[٢٩]

محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر، أبو جعفر، الهِنْدُاوني، البلخي(١)

أحد الفقهاء الكبار المشاهير، فقيه لا تعييه حجة، ولا تغويه محجة، أحيا مذهب إمامه حتى أطلق عليه اسمه، وأطلع على ما اطلع عليه فهمه. ضرب للطلب أكباد الإبل وأعملها، وأخذ أوقار العلم وحملها، وأشرق به عصره، فدقت ذهبيته، وظهرت بالطيب تحت ذيل النسيم خبيئته.

تفقه على الاستاذ أبي بكر الأعمش، وكان إماماً، فاضلاً، عارفاً، جليلاً، تفقه على مذهب أبي حنيفة حتى كان يقال له من كماله في الفقه: أبو حنيفة الصغير، وأفتى بالمشكلات، وشرح المعضلات، ورحل من بلخ إلى بخارى، فوجد بها الميداني، ومحمد بن الفضل البخاري، فاجتمعوا في بيت محمد بن الفضل في يوم جمعة، وكان يوماً مطيراً.

فقال أبو جعفر: أنا مسافر، ولا جمعة على مسافر، وقال الميداني: أنا أعمى ولا جمعة على أعمى. قال محمد بن الفضل: قد ورد إذا ابتلت /٥٣/ النعال فصلوا في الرحال، وهذا شامل للكل، وكان غرضهم عدم التفرق.

فلما عاد أبو جعفر الهندواني إلى بلخ سئل عن أهل بخارى، فقال: رأيت فقيهاً ونصف فقيه، فقيل له: من الفقيه؟ فقال: الميداني، ونصف الفقيه: محمد بن الفضل، فقيل له: ولِمَ ؟ قال: لأن محمد بن الفضل لا يعرف الحسبانيات، وأما الميداني فإنه اتقن هذا الفن، وقيل: إن محمد بن الفضل [اشتغل] بالحسبانيات، وصار قدوة.

ومات في ذي الحجة سنة إثنين وستين وثلاثمائة.

ومنهم:

[٣٠]

أحمد بن علي، أبو بكر الرازي، الجصَّاص(٢)

صاحب التصانيف، خُطب للقضاء فما نظر إليه بطرف مقلته، ولا التفت إليه

---

(١) **ترجمته في**: العبر ٢/ ٣٢٨، مرآة الجنان ٢/ ٣٧٥، الوافي بالوفيات ٣/ ٣٤٧ رقم ١٤٢٥، الجواهر المضية ٢/ ٦٨، الفوائد البهية ١٧٩، شذرات الذهب ٣/ ٤١، اللباب ٣/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤، سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٣١ رقم ٨٧، النجوم الزاهرة ٤/ ٦٩، هدية العارفين ٢/ ٤٧، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٥١ ـ ٣٨٠هـ) ص٢٩٨ .

(٢) **ترجمته في**: طبقات الفقهاء للشيرازي ١٤٤، الفهرست ٢٠٨، الجواهر المضية ١/ ٨٤، تاريخ بغداد =

استحقاراً له لقلته، لحقّ عرف يقينه، وألف منه عوائد يقينه، وأنف لجواده السابق أن يقاد بأرسانه، ولطوده الشاهق أن يلبس عليه جناح طيلسانه، فما اغتر بالقضاء وتحسينه، ولا سلم إليه نحره ليذبحه بسكينه.

سكن بغداد وكان وردها في شبيبته، وعنه أخذ فقهاؤها، وإليه انتهت رياسة الأصحاب بها، تفقه على الكرخي، وصنف المصنفات التي أدرك بها من سبقه، وأعيى من رام أن يلحقه، وكلامه فيها يدل على تفقهه، وسيلان ذهنه، وكان حافظاً للفقه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، مشهوراً بالزهد، ورحل إليه المتفقهة. وخوطب في أن يلي قضاء القضاة فامتنع، وأعيد عليه الخطاب فلم يفعل.

قال أبو بكر الأبهري: خاطبني المطيع على قضاء القضاة، وكان السفير في ذلك أبو الحسن بن عمرو، فأبيت عليه، وأشرت بأبي بكر الرازي، فأحضر الخطاب، وخوطبت في المعاونة عليه، فامتنع، فخلوت به، فقال لي: تشير عليَّ بذلك، فقلت: لا أرى لك ذلك، فقيل لي: تشير علينا /٥٤/ بإنسان ثم تشير عليه أن لا يفعل، قلت: نعم، إمامي في ذلك مالك بن أنس، أشار على أهل المدينة أن يقدموا نافعاً القارئ في مسجد رسول الله ﷺ، وأشار على نافع أن لا يفعل، فقيل له في ذلك، فقال: أشرت عليكم بنافع لا أعرف مثله، وأشرت عليه أن لا يفعل؛ لأنه يحصل له أعداء وحساد، وكذلك أنا أشرت عليكم؛ لأني لا أعرف مثله، وأشرت عليه أن لا يفعل؛ لأنه أسلم لدينه.

توفي يوم الأحد سابع ذي الحجة سنة سبعين وثلاثمائة عن خمس وستين سنة، وصلى عليه صاحبه أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي.

= ٤/ ٣١٤ رقم ٢١١٢، المنتظم ٧/ ١٥٠ رقم ١٣٨، العبر ٢/ ٣٥٤، البداية والنهاية ١١/ ٢٩٧، الكامل في التاريخ ٩/ ٩، شذرات الذهب ٣/ ٧١، تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٥٩، تاج التراجم ٦، الفوائد البهية ٢٧، طبقات المفسرين ٥٥ رقم ٥٠ وفيه «توفي في العشر الأول من ذي الحجة سنة ست وسبعين وثلاث مائة». مفتاح السعادة ٢/ ٧، ٨، تاريخ التراث العربي ٢/ ٩٥- ٩٦ رقم ٢٣، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٤٠- ٣٤١ رقم ٢٤٧، الوافي بالوفيات ٧/ ٢٤١، النجوم الزاهرة ٤/ ١٣٨، هدية العارفين ١/ ٦٦، طبقات الأصوليين ١/ ٢٠٣ - ٢٠٥، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٥١ - ٣٨٠ هـ) ص٤٣١.

ومنهم:

[٣١]

الحسين بن علي بن محمد بن جعفر، أبو عبد الله القاضي[١]، الحنفي عرف بالصَّيمَريّ[٢]

صدع جنح زمانه حتى تكشف صدفه عن منضد لؤلوه، وانجلى سُدفه عن مبيض جؤجؤه. سكن بغداد من صباه معدوداً في جلتها، مردوداً فائض بحره على دجلتها، مجاوراً فيها الإمام، مجارياً للبحر وجاراً للغمام، ثم أتى الشام ففتقه أنهاراً، وفرقه نهاراً، وملأه علماً جماً تعمل إليه المهارى.

كان إمام أصحاب أبي حنيفة في وقته، ومن أعيان المصنفين، سمع الدارقطني وجماعة، وتفقه على القاضي أبي عبد الله الدَّامغاني، وروى عنه هو وأبو بكر وأبو الوليد الباجي، وشرح «مختصر الطحاوي» في عدة مجلدات. وله مصنف في مناقب أبي حنيفة.

قال الخطيب في تاريخ بغداد[٣]: أحد الفقهاء المذكورين من العراقيين، حسن العبادة، جيد النظر، سكن (بغداد) وكتبت عنه، وكان صدوقاً، وافر العقل، جميل المعاشرة، عارفاً لحقوق أهل العلم، وولي قضاء المدائن في أول أمره. ثم ولي القضاء بأخرة بربع الكرخ، ولم يزل يتقلده إلى حين وفاته.

وقال أبو القاسم بن العديم /٥٥/ في تاريخ حلب: اجتاز بحلب أو ببعض

---

(١) **ترجمته في**: تاريخ بغداد ٨/ ٧٨ ـ ٧٩ رقم ١٤٦٣، والأنساب المتفقة لابن القيسراني ٩١، ٩٢، والأنساب لابن السمعاني ٨/ ١٢٨، ومختصر دمشق ٧/ ١٥٩ رقم ١٢٩، والمنتظم ٨/ ١١٩ رقم ١٦٠، (١٥/ ٢٩٣ رقم ٣٢٥٤)، ومعجم البلدان ٣/ ٤٣٩، والكامل في التاريخ ٩/ ٥٢٧، واللباب ٢/ ٢٥٥، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٦٧، والعبر ٣/ ١٨٦ وفيه: «الحسن»، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦١٥ـ ٦١٦، رقم ٤١٢، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٥٢٧، ومرآة الجنان ٣/ ٥٧، والبداية والنهاية ١٢/ ٥٢، والجواهر المضية ٢/ ١١٦ ـ ١١٨، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٨، وتاج التراجم لابن قطلوبُغا ٢٦، وطبقات الفقهاء لطاش كبري زادة ٨٠، والطبقات السنية، رقم ٧٧، وكشف الظنون ٢/ ١٦٢٨، ١٨٣٧، وشذرات الذهب ٣/ ٢٥٦، والفوائد البهية ٦٧، وهدية العارفين ١/ ٣٠٩، وتهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٣٤٧ـ ٣٤٨، ومعجم المؤلفين ٤/ ٣٥، والأعلام ٢/ ٢٦٧، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٢١ ـ ٤٤٠هـ) ص٤٢٥ رقم ١٦١.

(٢) الصَّيْمَري: هذه النسبة إلى موضعين، أحدهما منسوب إلى نهر من أنهار البصرة يقال له الصيمر عليه عدّة قرى، منها صاحب الترجمة. «الأنساب ٨/ ١٢٧ ـ ١٢٨».

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ٧٨.

عملها حاجاً على طريق الشام، وهو من كبار الحنفيين وأعيانهم المصنفين، وكان قاضياً عاقلاً خبيراً.

وتوفي ليلة الأحد حادي عشر شوال سنة ست وثلاثين وأربعمائة عن خمس وثمانين سنة.

ومنهم:

[٣٢]

محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن عبد الملك الدَّامغانيُّ، قاضي القضاة، أبو عبد الله[(١)]

رجل سودته نفسه، وسَوَّرته على منازل القمر شمسه، وسوغته الموارد شجراته وغرسه، وعلا قدره حتى ناطح رتبة الوزراء، ورمق الكواكب بالإزراء، وعقدت عليه الخلفاء خناصرها، وعدت منه حيث تبذخ ناصرها، فلهذا كانت رتبته لا تطاول، وهضبته لا تحاول، والأيام تختلف عليه، وسعادته لها تتداول.

قال الخطيب[(٢)]: كان يذكر أنَّ مولده سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة بالدَّامغان. ورد بغداد في شبيبته، ودرس بها الفقه على أبي الحسين القدوري، وأبي عبد الله الصيمري، وبرع في العلم حتى ساد أهل زمانه عقلاً، ونباهةً، وعلماً، ورزانة، وله

---

(١) ورد اسمه في بعض المصادر: «محمد بن علي بن محمد بن حسن بن عبد الوهاب بن حسويه الدامغاني».
ترجمته في: تاريخ بغداد ٣/ ١٠٩، رقم ١١١٣، والأنساب ٥/ ٢٥٩، والمنتظم ٩/ ٢٢ ـ ٢٤ رقم ٢٥ (١٦/ ٢٤٩ ـ ٢٥٢ رقم ٣٥٤٧) وتاريخ دمشق (مخطوطة التيمورية) ٣٨/ ٦٥١، و٣٩/ ٣٢٧، والإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني ١٩٠، ومعجم البلدان ٢/ ٤٣٣، و٤/ ٢٧، والكامل في التاريخ ١٠/ ١٤٦، واللباب ١/ ٤٨٦، وتاريخ دولة آل سلجوق ٨٠، ومختصر تاريخ ابن الساعي ٢١٤، والإعلام بوفيات الأعلام ١٩٧، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٨٥ ـ ٤٨٧ رقم ٢٤٩، والمعين في طبقات المحدثين ١٣٧ رقم ١٥١١، والعبر ٣/ ٢٩٢، ودول الإسلام ٢/ ٨، والبداية والنهاية ١٢/ ١٢٩، والوافي بالوفيات ٤/ ١٣٩ رقم ١٦٥٥ ومرآة الجنان ٣/ ١٢٣، والجواهر المضية ٢/ ٩٦ـ ٩٧، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢١ـ ١٢٢، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٦٠، وتاريخ الخلفاء ٤٢٦، وشذرات الذهب ٣/ ٣٦٢، والفوائد البهية ١٨٢ـ ١٨٣، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٤/ ٣٠٥ـ ٣٠٦ رقم ١٥٤١، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٧١ ـ ٤٨٠هـ) ص٢٤٧ رقم ٢٦٣.
والدامغاني: نسبة إلى دامغان وهي بلدة كبيرة بين الري ونيسابور، وهي قصبة قومس. «معجم البلدان/ مادة (دامغان)».

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ١٠٩.

أصحاب كثيرون تفقهوا عليه، وانتشروا في البلاد، ودرسوا ببغداد، وولي قضاء القضاة ببغداد سنة سبع وأربعين وأربعمائة، وطالت أيامه، وانتشر ذكره، وكان نزهاً، عفيفاً، انتهت إليه الرئاسة في مذهب العراقيين، وكان وافر العقل، سديد الرأي، وجرت أموره في حكمه على السداد.

وكان القاضي أبو يوسف قاضي الرشيد في أيامه حشمةً، وسؤدداً، وبقي في القضاء مدة ثلاثين سنة وثلاثة أشهر، ولقد شهد له أبو الطيب الطبري شيخ الشافعية، وكان / ٥٦/ يقول: أبو عبد الله الدامغاني القاضي أعرف بمذهب الشافعي من كثير من أصحابنا.

وفي ذيله: اجتمع له ما لم يجتمع لغيره في سيادته، وعلو رتبته من الحلم، والعلم، وجزالة الرأي، والاطلاع على غوامض الأحكام الشرعية. قال: وكان قد حصل العلم بجهد جهيد، وفقر حتى سمعت أنه كان يحرس في درب بالكرخ ويأكل من إجرة الحراسة على ما جرت به عادة السلف من احتمال المشقة في طلب العلم.

وقال محمد بن عبد الوهاب في طبقات الفقهاء: كان أبو عبد الله الدامغاني قد جمع الصورة البهية، والمعاني الحسنة من الدين، والعقل، والعلم، والحلم، وكرم المعاشرة للناس، والتعصب لهم. وكانت له صدقات في السر، واتصاف في العلم لم يكن لغيره، وكان يورد من المداعبات في مجلسه، والحكايات المضحكة في تدريسه نظير ما يورده الشيخ أبو إسحاق الشيرازي فإذا اجتمعا صار اجتماعهما نزهةً.

وقال السَّمعاني: إمامان ما اتفق لهما الحج: أبو إسحاق الشيرازي، وقاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني. أما أبو اسحاق فلم يقدر على الاستطاعة: الزاد والراحلة، ولكن لو أراد الحج لحملوه على الأحداق إلى مكة، وأما الدامغانيّ فلو أراد الحج على السندس والإستبرق كان يمكنه ذلك، ولم يحج.

وتوفي في رجب سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، ودفن بداره، ثم نقل، ودفن في القبة إلى جانب أبي حنيفة.

ومنهم:

[٣٣]

أحمد بن محمد بن صاعد بن محمد[1]، أبو نصر، قاضي القضاة

رجل يرى النجم أحد مواطىء قدميه، وعبيد الليل وإماء النهار من خدميه، كان

---

(١) **ترجمته في**: تاريخ نيسابور (مخطوط) رقم ٢٤٦، والمنتخب من السياق ط الفكر ١١٨ ـ ١٢٠ رقم =

الرمح أقل قَلَميه، والعلم أحد علميه، أذعنت الأبطال لشجاعته، /٥٧/ وتوقته الأسود أوان احتدم مجاعته، وأمّنت العلماء على مقالته، وانضمت العلماء دائرةً لهالته، وكان زعيم الجيش، ومقيم صدر المحفل إذا مال به الطيش، لولا آخرة أوقعت حظه في انتكاسه، ووصلت شعاعه بانعكاسه، وحركت من القذى آخر ما رسب في كأسه.

ذكره أبو الحسن عبد الغافر الفارسي في السِّياق(١) فقال: صدر المحافل المقدم، العزيز من وقت صباه في بيته وعشيرته، الفائق أقرانه بوفور حشمته. رُبّي في حجر الإمامة، وكان من أوجه الأحفاد عند القاضي الإمام صاعد. وأخصّهم بحسن نظره، وكان في عهد الصِّبا برجولية في طبعه، وميل إلى الاشتغال بالفروسية والرمي، واستعمال الاسلحة،وتعلم ما يتعلق بذلك، فرأى جده صاعد ذلك منه، فأقره عليه، وعلم أنه سيسود به عشيرته بالتفرس، فنشأ على ذلك، وكان من أجمل شبان زمانه، وأكملهم آلةً، وأجمعهم لأسباب الفروسية والسياسة، حتى اضطرب الزمان وانقرضت دولة آل سبكتكين عن خراسان، وتحركت رياح آل سلجوق في حدود سنة ثلاثين وأربعمائة، ووقع القحط مع انقلاب الدولة، وظهر الغلاء والجلاء، وتتابعت المحن، وظهر اللصوص والعيارون في البلد، وكانوا يغيرون على السكك والخانات المعروفة الموسومة بالخزائن، فاحتاج البلد وأهله إلى أن يطاف بالليالي ويحرس الناس عن القتل وبالبيات، ويدفع أذى العيارين، وكان هذا الصدر متهيباً لذلك، فأشار عليه جده صاعد بردع المفسدين، وأفتاه بدفع ذلك، وقتل العيارين واللصوص لما فيه من المصلحة، فقام بذلك أحسن قيام، وساس الرعايا أبلغ سياسة، ولم يزل /٥٨/ بأهل الزعارة والفساد واللصوص حتى أتى على أكثرهم، وتولى قتلهم بنفسه ودفعهم عن المسلمين حتى سكنت تلك النائرة، واستقلت الدولة السلجوقية، وزال الغلاء بعض الزوال، فحصل له ما سبق به أقرانه وأقاربه من أهل العلم، وسادهم وتقدم عليهم، ثم لم يزل يرتفع أمره لما فيه من المروءة والرجولية والهمة العالية إلى أن فوضت

= ٢٤٦، والمنتظم ٩/ ٤٩، ٥٠ رقم ٧٤ (١٦/ ٢٨٤ رقم ٣٥٩٦)، والكامل في التاريخ ١٠/ ١٨٠، والعبر ٣/ ٢٩٩، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٩٤، ومرآة الجنان ٣/ ١٣٣، والجواهر المضية ١/ ٢٧٩ ـ ٢٨١ رقم ٢٠٧، وكتائب أعلام الأخيار، رقم ٢٨٢، والطبقات السنية ٢/ رقم ٣٢٤، والفوائد البهية ٣٤، ٣٥، ٣/ ٣٦٦ وشذرات الذهب ٣/ ٣٦٦. تاريخ الإسلام (السنوات ٤٨١ ـ ٤٩٠هـ) ص٧٤ رقم ٣٩).

(١) المنتخب من السياق ١١٨ـ ١١٩.

رياسة نيسابور إليه، فصار رئيس الرؤساء بها، وساعدته الاتفاقات الحسنة من أسباب الدنيا، فأجرى الرئاسة ورسومها على أحسن مجاريها، ورسم المحافل والمشاهد والمجامع أحسن رسم وأزينه، وكان ملحوظاً من السلطان وأركان الدولة بعين الاحترام والإكرام، سافر إلى العسكر مرات، ونال من المكرمة والحشمة والجاه ما لم ينله غيره، ولم يلحق وجه حاله غيره في هذه المدد إلى نيف وأربعين وأربعمائة، فمال بعد ذلك بعض الميل إلى التعصب في المذهب، وأخذ الهوى بزمام اختياره إلى ما لا يليق بالكبار مثل ذلك من المبالغة في العناد ومطاولة الأقران من سائر الفرق حتى أدى إلى إفحاش العلماء والأئمة، وإعزاء بعض الطوائف على بعض، والخروج عن الاعتدال في المصاحبة والمؤالفة. فكان ذلك غضاً من منصبه واتساق أحواله وأموره إلى أن فترت تلك الفترة بعد اشتعال نيرانها، وتأذى طائفة من أهل السنة بها إلى سنة نيف وخمسين، وأفضى الأمر إلى أحوال غير مرضية حتى انتهت نوبة الولاية إلى السلطان الب ارسلان، فانجلت تلك السحابة عن نوبة العدل والإنصاف واستقامة الأمور وإزالة الرسوم الممقوتة، وكان هذا الصدر صاحب الترجمة خالياً عن العمل، مشتغلاً بأمور نفسه مع /٥٩/ الأبهة والحشمة والنعمة، وقد بعث رسولاً إلى ما وراء النهر، وأحمد سعيه في الدولة الماضية، وعهد من حشمته ورزانة نفسه أمور، فبقي على ذلك مدة إلى ابتداء الدولة الملكشاهية، فصار مقدم البلد أيام الكهولة، وأدى الحال إلى تفويض القضاء بنيسابور إلى هذا الصدر، قاضي القضاة على الإطلاق، وجرى في ذلك من العدل والإنصاف ونقاء الجيب وصون اليد وصيانة النفس، ورد الحقوق إلى أهلها، والقبض على الأيدي الخاطئة، وكان يجمع الوصايا، وما يفضل من التركات طول السنة، ثم يفرقها على العلماء والصالحين من الفرق في شهر رمضان، وسن سنناً صالحة في الأمور، وعقد مَجلس الإملاء عشيات الخميس في الجامع القديم على رسم أسلافه، وكان يحضر ذلك المجلس من دب ودرج من الفرق بالنوب، ويتقرب إليه المشايخ والأمور بالحضور، ولم يزل يرتفع أمره لحسن سيرته، وكان صدوق اللهجة، يحب كل من ظهر عنده صدق في مقالته، ويبغض الكذب وأهله أشد البغض، وكانت أموره كلها متناسقة، وأسبابه منتظمة، ومساعيه مع قضاء حقوق المعارف، وحضور التهاني، والقيام لكل من يستعين به ما بلغ ما يؤول إلى صلاح حاله إلى أن أدركه قضاء الله الذي لا بدَّ لكل أحدٍ منه، بعد امتداد مرض به، كفر عنه بعض ما سلف له من الخطايا التي لا يخلو الإنسان منها.

ومات ليلة الثلاثاء قبل الصبح الثامن من شعبان سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة.

ومنهم:

[٣٤]

علي بن محمد بن الحسن بن عبد الملك بن عبد الوهاب الدَّامغاني[١]

قاضي القضاة، أبو الحسن ابن قاضي القضاة أبي عبد الله الحنفي، جدَّ وهمّ لداته أن يلعبوا، واستراح ودأبُ أمثاله أن يلعبوا، وهان عليه الطلب، وشأن نظرائه أن يستصعبوا، ثم كان أشد ما يكون في دين الله قوة، وأعظم ما يكون وقاراً في فتوة. لم يأخذه في الله عارضة تأنيب، ولا معارضة مريب، ولا مفاوضة صديق حميم، ولا سلطان مهيب حتى طار رُغب مجلسه في النفوس، وطاح رداء الكبرياء عن مناكب مزررة الكبر بالرؤوس.

مولده في مستهل رجب سنة تسع وأربعين وأربعمائة، تفقه على والده، وبرع في مذهبه، وولي القضاء بباب الطاق، ومن بغداد إلى الموصل، وله من العمر ست عشرة سنة وهذا شيء لم يكن لغيره.

قال ابن النجار: ولم يسمع أن قاضياً تولى القضاء أصغر سناً منه، وسمع الحديث من ابن هزار مرد الصريفيني، وأبي بكر الخطيب، وأبي يعلى الحنبلي، وغيرهم، وحدث باليسير، وروى السلفي عنه، وولي القضاء لأربعة من الخلفاء: القائم، والمقتدي، والمستظهر، ولما ولي المسترشد أقره على قضاءٍ القضاة.

قال ابن الجوزي في المنتظم[٢]: ولا يعرف أن قاضياً تولى لأربعة خلفاء غيره وغير القاضي شريح.

قال ابن النجار: جرت أموره في قضاياه وأحكامه على السداد والاستقامة، وكان فقيهاً، فاضلاً، كثير المحفوظ، متديناً، عفيفاً، نزهاً، ذا مروءة وصدقات، وبر ومعروف، وكانت له معرفة حسنة بالشروط وكتب السجلات.

وقال أبو العباس الواسطي: حكى لي جماعة أن عاملاً من عمال السلطان

---

(١) **ترجمته في**: الوافي بالوفيات ٢٢/ ٨٦، الجواهر المضية ٢/ ٥٩٩، المنتظم ١٧/ ١٧٥ وفيه: علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الملك...»، شذرات الذهب ٤/ ٤٠، الكامل ٩/ ١٨٩، مرآة الزمان ٨/ ٨١، عيون التواريخ ١٢/ ٩١، شذرات الذهب ٤/ ٤٠، البداية والنهاية ١٢/ ١٨٥، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٢٧، العبر ٤/ ٣٠، ذيل تاريخ بغداد ٤/ ١٩، مرآة الجنان ٨/ ٨١، دول الإسلام ٢/ ٤١، البداية والنهاية ١٢/ ١٨٥، النجوم الزاهرة ٢١٩.

(٢) المنتظم ١٧/ ١٧٥.

محمد بن / ٦١/ ملكشاه وجب عليه حق، فحبسه قاضي القضاة علي بن محمد الدامغاني، فنفذ السلطان لأجل الإفراج عنه، فقال الرسول للقاضي: السلطان يقول لك تفرج عن هذا العامل، فقال له: من السلطان؟ فقال: محمد العجمي: فقال: قل له إن السلطان محمد العربي قال لي: لا تفرج عنه، فعاد الرسول وقد ضاق صدره من ذلك، فحكى السلطان ما قال له، فقال السلطان للرسول: قل للقاضي: يقبل من السلطان محمد العربي.

وقال ابن الجوزي(١): حضر أبو الحسن الدامغاني باب الحجرة، فقال له الخادم: أمير المؤمنين يسمع كلامك، ويقول: أنحن نحكمك أم أنت تحكمنا، قال: فكيف يقال لي هذا وأنا بحكم أمير المؤمنين؟ فقال: أليس قد تقدم إليك بقبول قول فلان فلم تفعل؟ قال: فبكى وقال: قل لأمير المؤمنين إذا كان يوم القيامة جيء بديوانٍ، فسئلت عنه، فإذا جيء بديوان القضاء، كفاك أن تقول: وليته لذلك المدبر ابن الدامغاني، فتسلم أنت، وأقع أنا، فبكى الخليفة، وقال: افعل ما تريد.

قال ابن الجوزي(٢): وناب في الوزارة في الأيام المستظهرية، والمسترشدية مرات بمشاركة غيره معه، وتفرد بأخذ البيعة للمسترشد، وكان ورعاً، مهيباً، مقدماً عند الدولة، ذا رأي، وحزم، وسؤدد، وهو أحد من قتله الطب.

قال محمد بن عبد الملك الهمذاني: علا جوفه، فظنوه استسقاء، فأعطوه الحرارات، ومنعوه البوارد، وكان في جوفه مادة دوائها البقلة، فلم يمكنوه من شرب الماء، فلما أنضجتها الحرارات بأن لهم الخطأ، وقيل إنّ أنشد عند موته: [من الكامل]

والناسُ يَلْحَونَ الطّبيبَ وإنما غَلَطُ الطبيبِ إصابَةُ المِقْدَارِ

/ ٦٢/ ومات في المحرم سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وصلى عليه ولده، وحضر أرباب الدولة، ونواب القضاء، والشهود، وأهل العلم، وخدم الخليفة.

ومنهم:

[٣٥]

الحسين بن علي بن أبي القاسم، أبو علي، اللّامِشي(٣)

من أهل سمرقند، كان يضرب به المثل في علم الخلاف، وعدم التكليف على

---

(١) المنتظم ١٧/ ١٧٦. (٢) المنتظم ١٧/ ١٧٦.

(٣) **ترجمته في**: المنتظم ١٠/ ١٠ رقم ٨، ١٧/ ٢٥١ رقم ٣٩٥٠، معجم البلدان ٥/ ٨، مرآة الزمان ج٨ ق١/ ١٢٧، تاريخ الإسلام (السنوات ٥٢١- ٥٤٠ هـ) ص٧٢ رقم ١٦.

طريقة الأسلاف، وقول الحق ولو على رأسه الأسياف، يلج على الأسد غَابَهُ، ويتبسط في القول ولا تقبضه المهابة، تقدم على كل موصوف، ودَوَّم نسره الطائر على كل معروف، لعلمٍ أبى الله أنه يخفيه، ودين حسبه منه أن يوصف بما فيه.

ذكره أبو سعد السمعاني في ذيله، فقال: إمامٌ فاضلٌ، متدين، خيّر، غزير الفضل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكان يدخل على الملوك، ويقول الحق في وجوههم.

قدم بغداد سنة خمس عشرة وخمسمائة في رسالة من جهة خاقان محمد بن سليمان ملك ما وراء النهر إلى الإمام المسترشد بالله.

وقال أبو الفرج بن الجوزي(١): بعث رسولاً إلى دار الخلافة، فقيل له: لو حججت، وقد وصلت بغداد، فقال: لا أجعل الحج تبعاً لرسالتهم، فرجع إلى سمرقند.

وقال أبو سعد: قدم علينا مرة، فتكلم مع... في مسائل، وأجاد الكلام فيها.

قال: وسمعت أبا بكر السمرقندي الزاهد يقول: بت مع اللامشي فخرج نصف الليل، ومر على وجهه، فقمت وتبعته بحيث لا يراني، فوصل إلى نهرٍ كبير عميق، فخلع ثيابه، واتّزر بمئزر، وغاص في الماء، وبقي زماناً لا يرفع رأسه من الماء، فظننت أنه غرق، فصحت وقلت: يا مسلمين غرق الشيخ، فإذا بعد ساعة قد ظهر، وقال لي: يا بني ما غرقت، ولكن أردت أن أتخذ /٦٣/ لله تعالى سجدةً على أرض هذا النهر، فإنَّ أحداً لم يسجد لله عليها سجدة.

قال أبو سعد: وسمعت أبا بكر محمد بن عمر البلخي بمرو يقول: خرجت مع الإمام اللامشي إلى بستان له، فلما رجعنا وعبرنا في وسط البلد، وكان الناس في الأسواق والدكاكين يسلمون عليه.

توفي يوم الاثنين خامس شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وهو ابن إحدى وثمانين سنة.

ومنهم:

[٣٦]

عمر بن عبد العزيز بن مازه البخاري، أبو حفص بن أبي المفاخر، المعروف بالحسام الشهيد(٢)

والإمام القانع بالعيش الزهيد، حرص على الشهادة حتى ختم بها عمله، وخدم

---

(١) المنتظم ١٧/ ٢٥١.

(٢) **ترجمته في**: الكامل في التاريخ ١١/ ٨٦، ودول الإسلام ٢/ ٥٥، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٩٧ رقم =

بنجاح سعيه لها أمله، وكان مدة حياته في جهاد لا تنزع سرابيله، ولا تمسك حجج الباطل غرابيله. ولا تنقشع عن رؤوس أهل العناد أبابيله.

مولده في ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة، تفقه على والده، وسمع الحديث. وحدث باليسير، وبرع في المذهب واجتهد وبالغ إلى أن صار أوحد عصره وفريد دهره في علم النظر، وحاز قصب السبق دون أقرانه، ورأى الخصوم الكبار بخراسان والعراق في حياة والده وناظرهم، وظهر كلامه عليهم، وارتفع أمره بما وراء النهر إلى أن صار السلطان يصدر عن رأيه، ويتلقى إشارته بالقبول، وعاش مدة محترماً مقبولاً عند الخاص والعام.

وعاش في حرمة وافرة، وقبول زائد إلى أن رزقه الله الشهادة بعد وقعة قطوان وانهزام المسلمين في صفر سنة ست وثلاثين وخمسمائة بسمرقند، ونقل إلى بخارى بعد سنة، فدفن عند والده.

قال السمعاني: سمعت أنه لما خرج في هذه الكرة كان يودع أصحابه وأولاده وداع من لا يرجع إليهم.

/ ٦٤/ ومن تصانيفه: «الجامع الصغير المطول» و«الفتاوى الصغرى» و«الفتاوى الكبرى».

ومنهم:

[٣٧]

عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن علي بن لقمان النَّسَفِيّ، ثم السمرقندي(١)

العلامة أبو حفص، نجم الدين، صاحب المنظومة في الخلافيات المظهرة

= ٥٧، والجواهر المضية ٢/ ٦٤٩ـ ٦٥٠، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٦٨ـ ٢٦٩، وتاج التراجم لابن قطلوبغا ٤٦ـ ٤٧، وطبقات الفقهاء لطاش كبري زادة ٩٣، ومفتاح السعادة له ٢/ ٢٧٧، وكتائب أعلام الأخيار، رقم ٣٤٢، والطبقات السنية، رقم ١٦٢٩، وكشف الظنون ١١، ٤٦، ١١٣، ٥٦٣، ٥٦٩، ١٢٢٢، ١٢٢٤، ١٢٢٨، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٣١، ١٤٣٥، ١٤٧١، ١٩٩٨، والفوائد البهية ١٤٩، وهدية العارفين ١/ ٧٨٣، وإيضاح المكنون ٢/ ١٢٤، وتذكرة النوادر ٥٧، وتاريخ الأدب العربي ٦/ ٢٩٤ ـ ٢٩٦، ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٩١، تاريخ الإسلام (السنوات ٥٢١ ـ ٥٤٠هـ، ص٤١٩، رقم ٢٩٠.

(١) **ترجمته في**: الجواهر المضية ٢/ ٦٥٧، معجم الأدباء ١٦/ ٧٠ ـ ٧١، عيون التواريخ ١٢/ ٣٧٥، تاج التراجم ٤٧، ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ٥/ ٩٨، التحبير للسمعاني ١/ ٥٢٧ ـ ٥٢٩، مرآة الجنان ٣/ ٢٦٨، شذرات الذهب ٤/ ١١٥، لسان الميزان ٤/ ٧٢٢، طبقات الفقهاء لطاش كبري زادة ٩٢، =

للمحاسن الخفيات، الباهرة بالمعاني الوفيات، وكان رجل دهره إطلالاً على النوب، وإطلالاً لدم المآقي في الكرب، وإطلاعاً لصحبه في ظلم النوائب، واتلاعاً لجيد مناظرته غير هائب، كل هذا إلى أدب ما نقص منه حظه، ولا نكص عنه حفظه، وكان لا يماثل لفظه الدر الثمين، ولا تتفارق عقود السبح في يده ويعود اللائمين.

مولده سنة إحدى أو اثنتين وستين وأربعمائة.

قدم بغداد حاجاً سنة سبع وخمسمائة، وحدث بكتاب: «تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار» من جمعه وتأليفه، روى فيه عن عامة مشايخه ومستجازاته ومتناولاته عن جميع مشايخه، قال: وهم خمسمائة وخمسون رجلاً.

كان مبرزاً، متفنناً، صنف في كل نوع من العلم في التفسير، والحديث، والشروط، ومن مصنفاته «القند في ذكر علماء سمرقند»(١).

وأورد أبو الحسن البيهقي في كتاب «وشاح دمية القصر» للشيخ أبي حفص النسفي: [مخلع البسيط]

الأمنُ واليُمنُ في ثلاثٍ   في الحِلْمِ والرِّفْقِ والسَّخاوهْ
والشَّرُّ والشُّؤمُ في ثلاثٍ   في البحثِ والظلمِ والعَداوهْ

ومن شعره قوله: [من السريع]

كمْ ساكتٍ أبلغُ مِنْ ناطقٍ   وراجلٍ أشجعُ مِنْ فارسِ
ولاحقٍ يسبق عُرباً مضوا   بفضلِ دِيْنٍ وهو مِنْ فارسِ

/ ٦٥/ ومن قوله: [من المتقارب]

تزورُ المشاهدَ مُستشفعاً   بحُرمةِ مَنْ دفنُوهمْ هُناكْ
فكُنْ آخذاً أنْتَ أوصافَهمْ   نزُورَكَ حيّاً ومَيْتاً لِذاكْ

وقيل: أن أبا حفص لما حج أراد أن يزور الزمخشري، فلما وصل إلى منزله دق الباب، فقال له الزمخشري: من ذا؟

فقال: عمر.

فقال: انصرف.

= العبر ٤/ ١٠٢، طبقات المفسرين للسيوطي ٨٨، طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٥ ـ ٧، كتائب أعلام الأخيار رقم ٣٠٧، الطبقات السنية رقم ١٦٤٦، الفوائد البهية ١٤٩ ـ ١٥٠، هدية العارفين ١/ ٧٨٣، إيضاح المكنون ٢٥، ١١٧.

(١) طبع بتحقيق الأستاذ يوسف الهادي، نشر مركز التراث المخطوط ـ طهران ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

فقال: عمر لا ينصرف.

فقال: الزمخشري: إذا نُكِّرَ ينصرف.

وتوفي بسمرقند في جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وخمسمائة.

ومنهم:

[٣٨]

الحسن بن أحمد بن أبي سهل، أبو بكر، شمس الأئمة، السَّرْخَسِيّ(١):

مصنف المبسوط، والفقيه الذي الفقهُ بيده منوط، استمد من شمس الأئمة حتى كان بدراً تماماً، وصدراً إماماً، وبحراً يريك كل قطرة غماماً، ثم كان به أمس، ومنه خلفا لما غابت الشمس، لقب بلقبه، وأخذ من علمه ملء حقائبه، وملء حقبه.

تفقه على شمس الأئمة أبي محمد بن عبد العزيز بن أحمد الخلواني ولقب لقبه، وكان إماماً، فاضلاً، متكلماً، فقيهاً، أصولياً، مناظراً، يتوقد ذكاءً، لزم شمس الأئمة، وتخرج به حتى صار في النظر فرد زمانه، وواحد أقرانه، وأخذ في التصنيف والتعليق، وناظر وشاع ذكره، صنف كتاب المبسوط في الفقه في أربعة عشر مجلداً إملاءً من خاطره، من غير مطالعة كتاب، ولا مراجعة تعليق، بل كان محبوساً في الجب بسبب كلمة نصح بها، وكان يملي عليهم من الجب /٦٦/ وهم على أعلى الجب يكتبون ما يملى عليهم.

حكى عنه أنه كان جالساً في حلقة الأشغال، فقيل له: حكي عن الشافعي أنه كان يحفظ ثلاثمائة كراس، فقال: حفظ الشافعي زكاة ما أحفظ، فحسب حفظه فكان اثني عشر ألف كراس، وله عدة مصنفات كلها معتمد عليها.

وحكي عنه أنه لما خرج من السجن كان أمير البلد قد زوج أمهات أولاده من خدامه الأحرار، فسأل العلماء الحاضرين عن ذلك فكلهم قال: نعمَ ما فعلت، فقال شمس الأئمة: أخطأت؛ لأن تحت كل خادم امرأة حرة، فكان هذا تزويج الأمة على الحرة.

فقال الأمير: أعتقت هؤلاء ووجد العقد، فسأل العلماء فكلهم قال: نعم ما

(١) ترجمة في: الجواهر المضية ٣/٧٨، تاج التراجم ٥٢، كشف الظنون ١/٤٦ وفيها اسمه: «محمد بن أحمد ..» طبقات الفقهاء لطاش كبري زاده ٧٥ـ ٧٦، الطبقات السنية رقم ١٧٨٨، كتائب أعلام الأخيار رقم ٢٢٦٧، مفتاح السعادة ٢/١٧٦، الفوائد البهية ١٥٨ـ ١٥٩، هدية العارفين ٢/٧٦.

فعلت، فقال شمس الأئمة: أخطأت؛ لأن العدة تجب على أمهات الأولاد بعد الإعتاق فكان تزويج المعتدة من الغير، ولا يجوز. فألبس الله جواب هذه المسألة على العلماء في موضعين من مسألة واحدة؛ ليظهر فضل شمس الأئمة على غيره(١).

/ ٦٧/ ومنهم:

[٣٩]

علي بن أبي بكر بن عبد الجليل بن أبي بكر، برهان الدين، أبو الحسن، المَرْغِينَاني الراشدي(٢)

صاحب الهداية، أرشدت تصانيفه الضّلال، ومد بتثقيفه أفياءها وارفة الظلال، وأوقدها مصابيح تشب لقِفّال، وقلدها مفاتيح لا تتأشب معها أقفال، كواكبه طُلّعٌ، وكواعبه سوافر تتطلع، وكتائبه بغير لثم السطور لا تتبرقع.

كان إماماً جليلاً، زاهداً، حجاجاً، أستاذاً، عاملاً، فاضلاً، متبحراً، نحريراً، قدوة، محققاً، فصيحاً، كاشفاً للأسرار الفقهية، كبير القدر، بعيد الصيت، ومن تصانيفه: «بداية المبتدىء وكفاية المنتهي» قريب من ثمانين مجلداً، و«التجنيس والمزيد»، و«مناسك الحج» وأما كتاب «الهداية» فهو العمدة في المذهب، وغالب المدرسين منه يلقون دروسهم، وعليه يرمون نفوسهم(٣).

/ ٦٨/ ومنهم:

[٤٠]

علي بن الحسن بن محمد البَلْخي، أبو الحسن الزاهد، الفقيه، الحنفي، الجعفري، عرف بالبرهان البلخي(٤)

إمام الحرم، وغمام الكرم، أقام بجوار البيت الحرام، وقام بما قعد عنه الكرام،

(١) بعده بياض في الأصل بمقدار ٨ أسطر.

(٢) **ترجمته في**: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٣٢ رقم ١١٨، وتاج التراجم ٤٢، وطبقات الفقهاء لطاش كبري زاده ١٠١، والجواهر المضيّة ٢/ ٦٢٧-٦٢٩ رقم ١٠٣٠، ومفتاح السعادة ٢/ ٢٦٣-٢٦٤، وكتائب أعلام الأخيار رقم ٤٢٥، والطبقات السنيّة، رقم ١٤٥٧، وكشف الظنون ١/ ٢٢٧، ٢٢٨، ٣٥٢، ٥٦٩ و٣٢/ ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٦٢٢، ١٦٦٠، ١٨٣٠، ١٨٥٢، ١٩٥٣، ٢٠٣٢، والفوائد البهية ١٤١-١٤٤، وإيضاح المكنون ٢/ ٥٧٠، وهدية العارفين ١/ ٧٠٢، والأعلام ٥/ ٧٣، ومعجم المؤلفين ٧/ ٤٥، تاريخ الإسلام (السنوات ٥٩١-٦٠٠هـ) ص ١٣٧ رقم ١٤٠.

(٣) بعده بياض في الأصل بمقدار ١٠ أسطر.

(٤) **ترجمته في**: كتاب الروضتين لأبي شامة ١/ ٩١، تاريخ دمشق ٤١/ ٣٣٩-٣٤١ رقم ٤٨٥٧، ودول =

وأقبلت الركائب تهوى إليه، وترى تمام الحج الوقوف عليه، وهو يَنشُرُ إزاء الركن اليماني جرأته، ويطوف بالبيت العتيق حول حجراته، حتى استدعت غروس دمشق وده الفارك، واسترعت عهده وقد حيل دونها بضربٍ كأفواه الحيتان الأوارك، فراجعها بعد مطال، وضاجعها بعد هجر طال، وكان بها ظاهر الكرامة، طاهر الثوب من دنسٍ لا يدنس بالملامة.

تفقه ببخارى على الإمام عبد العزيز بن عمر بن مَازَه وغيره، وسمع الحديث من جماعة بما وراء النهر.

قال ابن عساكر(١): قدم دمشق سنة بضع عشرة وخمسمائة ونزل بالمدرسة الصادرية، فناظر في الخلافيات، وعقد مجلس التذكير، وحصل له قبول، فحسده علي بن مكي الكاساني مدرس الصادرية إذ ذاك، وتعصب عليه الحنابلة؛ لأنه أظهر خلافهم، فمضى إلى مكة، وجاور بها، وصار [إمام] الحنفية بالمسجد الحرام، ثم ندم الكاساني على خروجه، وقال لجماعة من أصحابه كاتبوه إلى مكةٍ، ورغّبوه في الرجوع إلى دمشق، واذكروا له أن علياً الكاساني يسلم المدرسة إليه.

قال ابن عساكر(٢): الكتب على يديّ، فأوصلتها إليه بالمسجد الحرام سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، فذكر أن عوده في ذلك العام متعذر، فلما كان بعد ذلك مضى إليه الفقيه سعيد بن علي بن عبد الله البوزكندي، وحمله إلى بغداد، وتوجه به إلى دمشق فقدمها وتسلم المدرسة، واشتغل بالتدريس والتذكير، فحصل له جماعة كثيرة، ووجاهة عند الخاصة والعامة.

وكان صحيح /٦٩/ الاعتقاد، حسن السمت، محباً لنشر العلم، مراعياً للأصحاب، سخي النفس، وعقد مجلساً للإملاء، فحضره خلق كثير، وجمع كبير، وكانت كتبه بخراسان، فوجه من جاءه بها، وجعلت له دار طرخان مدرسة فدرس بها، ودرس أيضاً بمسجد خاتوني، ووقفت عليه أوقاف، وفتح عليه فتوح، ولم يدخر منها شيئاً، ولا يمسها، ثم إنه خرج إلى حلب ليفقه أهلها، وينشر السنة بها، فانتفع به

= الإسلام ٢/ ٦٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٧٦ رقم ١٨٤، والعبر ٤/ ١٣١، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٧٤، ومرآة الجنان ٣/ ٢٨٨، والجواهر المضية ٢/ ٥٦٠_ ٥٦٢، والدارس في تاريخ المدارس ١/ ٤٨١، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٠١، وطبقات الفقهاء لطاش كبري زادة ٩٤، وكتائب أعلام الأخيار، رقم ٣٤٥، والطبقات السنية، رقم ١٤٧٥، ومختصر تنبيه الطالب ٨٠، ٨٧، ٩٤، ٩٥، وشذرات الذهب ٤/ ١٤٨، والفوائد البهية ١٢٠، ١٢١، تاريخ الإسلام (السنوات ٥٤١_ ٥٥٠هـ) ص ٣١٧ رقم ٤٤٩.

(١) تاريخ دمشق ٤١/ ٣٣٩.

(٢) تاريخ دمشق ٤١/ ٣٤٠.

خلائق هناك، وأزال البدعة التي كانت في التأذين.

قال الصاحب أبو القاسم ابن العديم: أخبرني والدي. قال: لما فتح نور الدين محمود المدرسة الكبيرة المعروفة بالحلاوية بحلب لأصحاب أبي حنيفة، استدعى البلخي إليها، فجاء ومعه جماعة من الفقهاء، ودخلها وألقى بها الدروس، وكان الأذان بحلب في المنارة على قاعدة الشيعة يزاد فيه «حي على خير العمل محمد وعلي خير البشر»، فلما سمع البلخي ذلك أمر الفقهاء، فصعدوا المنارة وقت الآذان، وقال لهم: مُرُوا المؤذنين ليؤذنوا الأذان المشروع، ومن امتنع منهم كبوه على رأسه، فصعد الفقهاء وفعلوا ما أمرهم به، فأذن المؤذنون الأذان المشروع، واستمر الأمر على ذلك إلى أن مرض نور الدين بقلعة حلب، ودخل نصير الدين أخوه إلى حلب، فأعاد الشيعة الآذان أياماً ثم ترك.

قال ابن العديم: كان سبب خروج البلخي بعد ذلك من حلب أن بعض الأمراء المختصين بمجد الدين أبي بكر بن الداية كان ساكناً إلى جانب المدرسة، فبلغ البلخي عنه أنه يشرب الخمر، فأمر الفقهاء أن ينكروا عليه فمشوا إليه فقام إليهم وضربهم، فجمع البلخي الفقهاء، وأمرهم بالدخول إليه، فدخلوا إليه وأراقوا الخمر، وضربوه فشق ذلك على ابن الداية، وأخرجه من حلب.

قال ابن العديم: وأخبرني ابن قاضي العسكر قال: حدثت /٧٠/ عن حاجب شمس الملوك صاحب دمشق: أنه كان لشمس الملوك في مقابلة المسجد الذي عمرته والدته الخاتون للبلخي مدرسةً، قصرٌ له يشرب فيه، وعنده المغنون له بالملاهي، وكان الشيخ إذا علم بهم أمر الفقهاء بأسرهم، فيصعدون إلى السطح، ويكررون ليشوشوا عليه ما هو فيه، فكان يتكدر عليه لذته ويتشوش عليه، قال الحاجب: فأخذني في بعض الليالي وليس معنا ثالث، وقال لي: لابد من قتل هذا الشيخ الكلب العجمي، واستصحب معه سيفاً، وجاء إلى المسجد، وإذا بالشيخ قاعد فيه، فأعمى الله بصره عنه، وأنا أبصره، فقال لي: ما أراه هنا وأين هو هذا الفاعل الصانع؟ فلما رأيته كذلك لم أعلمه أني أراه، فجعل يدور عليه ولا يراه، ثم جاء إلى حائط هناك، فقال: اقعد إلى الأرض حتى أصعد على كتفيك. قال: ففعلت ذلك وصعد على كتفي، فلما وضع يده على رأس الحائط، انقلب إلى خلف، ووقع مغمى عليه، قال: فابتدرت إليه، ووضعت رأسه على ركبتي، وجعلت أسكنه وأسأله، فلما أفاق قال لي: لا تسأل ما تم علي، وإن حدثت به أحداً ضربت عنقك، اعلم أني لما هممت بالطلوع فما هو إلا أن وضعت يدي على رأس الحائط، وصعدت، وإذا بأسد عظيم

قد لطمني فألقاني وأنا استغفر الله مما جرى، ولا بد لي في غدٍ من زيارة هذا الشيخ، فلما كان في الغد أتى شمس الملوك إلى الشيخ وزاره واستغفر وتاب، ثم كان من بركة الشيخ أن ذلك القصر وقف خانقاه على الصوفية إلى الآن بطريق النيرب.

وقال أبو العلا بن أمين الدولة: كان سبب توبة نور الدين محمود بن زنكي عن شرب الخمر، وإقباله على الخير والصلاح أنه دخل ذات يوم على البلخي يزوره، فأخذ الشيخ يعظه فرق قلبه /٧١/ وبكى، فقيل للشيخ سراً: اذكر له في الخمر شيئاً، فشرح الشيخ، وأطنب في ذكر الخمر، وذكر ما جاء فيها من الأحاديث ونور الدين يبكي، ولم يزل حتى تاب نور الدين على يد الشيخ توبة نصوحاً في ذلك الوقت.

قال ابن العديم: حدثني ابن قاضي العسكر، قال: حدثني جماعة من الفقهاء من أصحاب البلخي منهم والدي، قال: عمَّر آنق صاحب دمشق داراً فاحتاج فيها رخاماً، فذكرت له أسكفة عظيمة من الرخام على باب مسجد دمشق، فأمر بقلعها، وعمل أسكفة عوضها من غيرها، فجاؤوا، واقتلعوها وحملوها ومعهم الملاهي لحملها، فبلغ الخبر الشيخ، فخرج من منزله، وتبعه جماعة من الفقهاء، وجعل لا يمر بمحلةٍ إلاَّ اجتمع معه خلق منها حتى كثروا جداً، ولا يعلمون إلى أين يذهب، فلقيهم في الطريق ومعهم الأسكفة، فقال لهم: ارجعوا، فلم يسعهم إلا امتثال أمره، فعادوا ووضعوها في مكانها، ثم أتوا إلى آنق صاحب دمشق، فأخبروه فأنكر عليهم امتثال أمره، فقالوا: لو لم نفعل ذلك هلكنا من كثرة الخلق علينا. فأنفذ إليه، فقال له السلطان: دمشق لك هبها لي، فقام وخرج ماشياً حتى أتى بصرى، والوالي بها ربيع الإسلام أمين الدولة فأكرمه، وأحسن إليه، وأنزله في مدرسة كانت له هناك، فوقع بين صاحب دمشق ووالي بصرى خلاف، فأتى صاحب دمشق إلى بصرى محاصراً لها، فأرسل إلى واليها أنفذ إلي البلخي ليصلح بيننا. فقال ربيع الإسلام للشيخ: إن هذا الجبار قد سأل أن تخرج إليه، فأجابه الشيخ إلى ذلك، فخرج إليه فالتقاه صاحب دمشق، وأكب على قدميه يقبلها والشيخ لا يرفعه عنهم، ثم قال له: ما جئت إلاَّ لأجلك فإني لم ألق خيراً منذ خرجت، /٧٢/ ولا لقيت دمشق خيراً منذ خرجت، ولابد من الرجوع إليها معي، وأخذه معه وعاد، فتلقاه أهل دمشق أحسن لقاء.

قال ابن العديم في تاريخه: أنا داوود بن عمر خطيب بيت الأبار، حدثني عبد الرحمن بن عساكر، قال: أحكي لك حكايتين عن الشيخ البلخي. أما إحداهما فإنه استفتي في قضية، فأفتى فيها، فحمل صاحب الفتيا الفتوى إلى ديوان نور الدين، فلم يعملوا بها، فجاء إلى الشيخ، فحكى له ذلك، فشق عليه وقال: بلد لا يعمل فيها بما

يفتي به الفقهاء لا أسكنه، وقام ولبس ثيابه وخرج ليرحل من دمشق، فبلغ ذلك نور الدين فخرج في أثره، فلحقه في المزة، فجاء ونزل وتلقاه، وقال: ما الذي دعاك إلى هذا؟ فقال: أفتي بشيء لا يعمل به، لا حاجة لي إلى سكنى بلدة تكون بهذه الصفة. فاعتذر إليه، وقال: لابل يعمل بقولك وبما تفتي به. وسأله في العود فأجاب إلى ذلك، فرجع نور الدين معه ماشياً على قدمه من المزة حتى دخل إلى المدرسة الصادرية بباب الجامع.

أما الثانية: فإنه كان بالصادرية بواب يتصفح حال الفقهاء، فجاء إلى الشيخ يوماً وقال: إن فلاناً وفلاناً من الفقهاء يجتمعان بالبيت الفلاني ويشربان الخمر، فقال: لا تتكلم بشيء، وإذا رأيتهم على هذه الحالة، فأعلمني بذلك، وعمد الشيخ إلى السوق فاشترى منه ما يصلح للنقل على الشرب، وتركه في مئزر مشدود عنده، فجاء البواب في بعض الليالي، فقال: هما يشربان الساعة، فأخذ الشيخ ذلك النقل بيده، وأتى إلى الباب الذي فيه الفقيهان، ووقف على الباب، وقال: اللهم تب عليهما، ونقر الباب، فلم يسعهما إلا فتحه، فناولهما ذلك النقل، وقال: خذا هذا واستعملاه، فأخذاه، فلما أصبحا جاءا إلى الشيخ وتابا على يده، وحسنت توبتهما، ثم صارا إمامين في الفقه، ودرَّس كل منهما بمدرسة بدمشق.

وسئل يوماً /٧٣/ عن مسألة في الزهد، فنزل عن المنبر، وقال: مكانكم حتى أرجع إليكم، وراح إلى بيته بالمدرسة، وكان عنده ديناران، فأخذهما، وتصدق بهما، ثم عاد إلى مجلس وعظه، وقال: سألني هذا عن الزهد، وكان عندي ديناران، فاستحييت من الله أن أتكلم في الزهد، وعندي شيء من الدنيا. وقبل موته بقليل جرى بين الصوفية بخانقاه السمياطي نقار، فجاءهم الشيخ ودق الباب، فقالوا: من؟ فقال: علي البلخي، فعرفوه وفتحوا له، فدخل وأصلح بينهم، وخلع ثيابه لتعمل الصوفية بها استغفاراً كما جرت العادة لهم، فلم يبق عليه إلا ثوب واحد، وخرج وصلى فأصابه بردٌ فتأثر بدنه لذلك، فأصبح وذكر الدرس، ثم بعد أيام خرج وصلى بهم الصبح، وكان يؤم بهم، ويطيل الصلاة. يبدأ بغلس، ويختم بإسفار، فقرأ في الصلاة ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ﴾[١] فأجهش الناس بالبكاء عندما قرأ ذلك، فركع وأتم الصلاة، ودخل منزله، فلم يخرج منه بعد ذلك حتى مات يوم الخميس في شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، ودفن بمقبرة باب الصغير.

---

(١) سورة غافر: الآية ٩.

قال ابن قاضي العسكر: دعوت عند قبره في أمور أهمتني ثلاث دعوات، فاستجيب لي، وهو أول من درس بالمدرسة الحلاوية بحلب، وبالطرخانية بدمشق، وبمسجد خاتون ظاهر دمشق، وبالمدرسة البلخية المجاورة للصادرية جوار الجامع الأموي، وإليه نسبت.

ومنهم:

[٤١]

محمد بن عبد الحميد بن الحسين بن الحسن بن حمزة، أبو الفتح السمرقندي المعروف بالعلاء العالم(١)

فهو أبو الفتح المعروف بالعلاء، بل الموصوف بالعُلا، جمع الأسفار المفيدة، ولزم الأسفار البعيدة، وكان لسانه /٧٤/ في الجدال أمضى من الصِّفاح في الجلاد، وأوحى من الرماح في الجهاد، أقرب إصابة من السهام، وأسْرع إجابة من الإلهام، وأشد إنارة من التخيّل في الافهام، وأشد من تحقيق البراهين في إزالة الأوهام، وقع الاتفاق على حسن طرائقه في الخلاف، وحدائقه البديعة الافواف، تفقه واعتزل، وجدّ في العبادة وقط ما هزل.

مولده في جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، صنف التصانيف في علم الخلاف منها: الطريقة المعروفة بطريقة العلاء العالم في مجلدات عدة، وشاعت في البلدان.

وكان إماماً، فقيهاً، فاضلاً، مناظراً، بارعاً، وله العباره الحسنة، والباع الطويل في علم الخلاف والجدل، ثم إنه تنسك، وترك المناظرة، واشتغل بالخير إلى أن توفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة.

ومنهم:

[٤٢]

عبد الغفور بن لقمان بن محمد الكردري(٢) أبو المفاخر، القاضي الحنفي، الدانقيني، قاضي حلب

رجل عنده الناس أسوياء، لا يشينه اللين والرياء، ولديه السلطان كآحاد الناس

---

(١) ترجمته في: الأنساب ١/ ٢٥٥-٢٥٦، معجم البلدان ١/ ١٨٩، تاريخ الاسلام (السنوات ٥٥١-٥٦٠هـ) ص ٩٧ رقم ٧١، ص ٣٦٠ رقم ٤١٦.

(٢) ترجمته في: الجواهر المضية ٢/ ٤٤٣، تاج التراجم ٣٧، معجم البلدان ٤/ ٤٥٠، الطبقات السنية =

في اطراد القياس، لا يبالي إذا رضي الله بمن غضب، ولا إذا وصل سبب الحق بما اقتضب، ولا إذا أطل دم الباطل بأي كف خضب، وقوفاً مع الشريعة المطهرة، ونزعاً لجلابيب الأباطيل المشهرة.

تفقه على الإمام أبي الفضل عبد الرحمن الكرماني، وبرع في الفقه وحدث بحلب، وكان يحفظ المبسوط لمحمد بن الحسن، وصنف التصانيف الحسنة.

قال أبو القاسم عمر بن العديم في تاريخ حلب: قدم الكردري حلب، فولاّه الملك العادل نور الدين محمود القضاء بها، وولي التدريس بالمدرسة التي وقفها حسام الدين لاجين بحلب، وسمعت شيخنا أبا هاشم عبد المطلب /٧٥/ يصفه بالدين، ويثني عليه بالعلم والفقه، ويفضله على العلاء بن الغزنوي، وعلى الكاساني، وكان يتورع أن يجلس للحكم على حصر المدرسة، ويأمر برفعها إذا جلس للقضاء، ويقول: هذه الحصر للدرس فلا يجوز استعمالها لغيره، وكان له برسم القضاء حصير صغير يجلس عليها للحكم.

قال أبو هاشم: لما ولّى الملك العادل نور الدين أبا الفضل الشهرزوري قضاء القضاة بالبلاد الشامية، واستناب ابنه أبا حامد، قال السلطان نور الدين: نريد حاكماً يحكم على مذهب الإمام أبي حنيفة بحلب، فذكر له الكردري، فسير إليه وعرض عليه القضاء فامتنع، وقال: بنو الشهرزوري لا أقدر على النيابة عنهم، فسير إليه نور الدين، وقال له: أنت نائب نور الدين لا غير، وليس للقاضي عليك أمر ولا ولاية، فأجاب وتولى القضاء، فجعل أبو حامد بن القاضي يقول: امضوا إلى النائب، وقولوا للنائب، فغضب القاضي الكردري من ذلك، وتبين الغيظ في وجهه، فقيل له: لست إلا نائب نور الدين، فجعل بعد ذلك يمضي القضايا على ما يختار استقلالاً، فكان عنده غلام جعله لمجلس الحكم يدعى سويداً يحضر الخصوم إلى مجلس الحكم، فحضر بعض التجار وأدعى أن له على نور الدين دعوى، فقال: الكردري لسويد: امض إلى نور الدين، وادعه إلى مجلس الحكم، وعرفه أنه حضر شخص يطلب حضوره، فمضى سويد في طلب نور الدين، فقيل لنور الدين: إن تاج الدين الكردري قد أرسل سويداً يطلب المولى إلى مجلس الحكم، وذكر أنه حضر تاجرٌ، وذكر أنه له دعوى شرعية على المولى. فقال نور الدين: يحضر الفرس حتى نركب إليه السمع

=
رقم ١٢٧٩، طبقات الفقهاء لطاش كبري زاده ١٠٨، الفوائد البهية ٩٨-٩٩، هدية العارفين ١/ ٥٨٧، إيضاح المكنون ١/ ٤٢٥.

والطاعة، قال الله تعالى / ٧٦/ ﴿إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ﴾[(١)] ثم نهض وركب حتى دخل باب المدينة، فاستدعى سويداً، وقال له: امضِ إلى القاضي تاج الدين، وسلم عليه، إنني جئت إلى هنا امتثالاً لأمر الشرع، وهذا وكيلي يسمع الدعوى، وإن توجهت عليَّ يمين أحضر إن شاء الله تعالى، قال: فحضر الوكيل وسمع الدعوى، وتوجهت اليمين، فقال الكردري: توجهت اليمين فليحضر، فلما بلغ نور الدين ذلك، استدعى التاجر، وأصلح الأمر فيما بينه وبينه وأرضاه.

توفي بحلب في رجب سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة.

ومنهم:

[٤٣]

محمد بن محمد بن محمد، أبو عبد الله السّرخسيّ[(٢)]

رضي الدين، صاحب «المحيط»، بوَّأته حلب مقامها، وقصرت في عينه مدداً أقامها، وقدمت له حلاوة حلاوتيها، ما طاب له به كل زمان مر، وأرته كل أوان ماسَرّ، وأقام بين أهلها ولا يظن إلا أنه بين الكواكب نازل، وان ما وجده يهم جدّ وصوب السحائب هازل، ولم يزل بينهم حتى أثرى وأصبح لا يرى المال وإن جل كُثرا.

قال: كان من الفقهاء المعتبرين من الحنفية، قدم حلب، ودرَّس بالمدرسة النورية والحلاوية بعد محمود الغزنوي، فتعصب عليه جماعة، ونسبوه إلى التقصير وإلى أنه ادّعى تصنيف المحيط، وحاله في الفقه تقصر عن ذلك، وذكر أن هذا الكتاب صنفه [شيخه] وأنه وقع به وادّعاه لنفسه، وكان أكثر الناس في ذلك تعصباً افتخار الدين الهاشمي، وكتبوا فيه رقاعاً إلى نور الدين الشهيد يذكرون أنهم أخذوا عليه تصحيفاً كثيراً، فأوجب ذلك عزله عن التدريس، فسار إلى دمشق فتولى تدريس المدرسة المعروفة بمسجد خاتون، فلما مرض / ٧٧/ مرض الموت أحضر المحيط وفتق كعابه جميعها، فأخرج منها ذهباً مقداره ستمائة دينار، وأوصى أن تفرق على فقهاء، المدرسة، ولم يكن له وارث ومات، فجاء نواب الحشر، وطلبوا أن ينزعوه،

(١) سورة النور: الآية ٥١.

(٢) **ترجمته في**: الجواهر المضية ٣/ ٣٥٧، تاج التراجم ٥٨، كشف الظنون ٢/ ١٦٢٠، طبقات الفقهاء لطاش كبري زادة ١٠٤، مفتاح السعادة ٢/ ٢٧٢، الطبقات السنية رقم ٢٣٠١، الفوائد البهية ١٨٨- ١٩١، كتائب أعلام الأخيار رقم ٣٦٢، إيضاح المكنون ٢/ ٥١٤، هدية العارفين ٢/ ٩١.

وكانت خاتون واقفة المدرسة في الحياة، ولها جاه، فامتنع الفقهاء من دفع ذلك إلى نواب الحشر بجاهها.

ومنهم:

[٤٤]

أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني(١)

علاء الدين صاحب «البدائع»، وساحب جلبات الصنائع، وندرة أصحاب الإمام أبي حنيفة في الزمن الأخير، لم يكن فيهم من ملاصق سجاله، ولا من تضايق مجاله، وكان يُسكتُهم إذا هدر، ويبكّتهم في حلبة السباق إذا بدر، هذا إلى سعة صدر، ورفعة قدر، وقربٍ من الملوك، وبعدٍ لا تطأ قدم الثريا أثره المسلوك، وكثرة استحضار، وقدرة قوّى لا تبدرك بإحصار، إلاَّ أنه ربما احتد، وجدّل الخصماء وما اعتد، وكان يأخذ نفسه بلقاء الأقران إذا التقى الجمعان، واتقى الصدغان، ويربط لهذا كرائم الخيل، وينعت من سبقه الباتك زائد السيل.

تفقه على محمد بن أبي أحمد السمرقندي، وقرأ عليه معظم تصانيفه، وزوجه شيخه بابنته فاطمة الفقيهة العالمة.

قال ابن العديم في تاريخ حلب: كان الكاساني قد أقام ببلاد الروم، فتناظر هو وبعض الفقهاء في مسألة: المُجتهِدَين مصيب ومخطىء والحق في جهةٍ واحدةٍ، وهذا الذي يقوله مذهب المعتزلة، وجرى بينهما كلام في ذلك، فرفع الكاساني على ذلك الفقيه المقرعة، فتأذى ملك الروم، وقال لوزيره: هذا قد أفتأت على الرجل، فاصرفه عنه، فقال الوزير: هذا الرجل شيخ العلم، وله حرمة وافرة ولا ينبغي /٧٨/ أن نصرفه بل نُنفذه رسولاً إلى نور الدين محمود بن زنكي، ونتخلص منه بهذه الطريق، فسير من الروم رسولاً إلى حلب، وكان قدم الرضي السرخسي صاحب المحيط حلب، فولاه السلطان نور الدين المدرسة الحلاوية، وكان في لسانه لكنة، فتعصب عليه جماعة من الفقهاء الحنفية، وصغروا أمره عند نور الدين، فأوجب ذلك عزله عن التدريس فاتفق وصول الكاساني في الرسالة إلى نور الدين، فاحترمه وأكرمه، فاجتمع فقهاء المدرسة، وطلبوا من السلطان أن يوليه التدريس، فعرض عليه نور الدين ذلك

---

(١) **ترجمته في**: الجواهر المضية ٤/ ٢٥، تاج التراجم ٨٤، بغية الطلب ١٠/ ٤٣٤٧، كشف الظنون ١/ ٣٧١، طبقات الفقهاء لطاش كبري زاده ١٠٢ـ ١٠٣، كتائب أعلام الأخيار رقم ٣٥٧، الطبقات السنية رقم ١٨٤٠، الفوائد البهية ٥٣.

فأجاب إلى ذلك، وقال: هذه الرسالة أمانة معي، فإذا أعدت الجواب إليهم عدت بعد ذلك، فكتب نور الدين خطه للكاساني بالمدرسة، فرجع وأعاد الجواب، وبسطت له سجادة بالمدرسة، وكانت تبسط كل يوم، ويجتمع الفقهاء حولها إلى أن عاد، فخرج جماعة عظيمة من الفقهاء وتلقوه، وأكرمه السلطان، وفوض إليه النظر في أمر المدرسة وزاوية الحديث بالجامع، فحدث، ودرَّس أيضاً بالمدرسة الجاوليَّة.

قال ابن العديم: وكان حريصاً على تعليم العلم، ونفع الطلبة، مواظباً على ذكر الدرس، فقيهاً، عالماً، صحيح الاعتقاد، كثير الذم للمعتزلة وأهل البدع، مصرحاً بشتمهم ولعنهم في دروسه، وصنف في الفقه والأصول، وكان له حصان يركبه ولا يركب غيره، ويقول: لا يركب الفحل إلاَّ الفحل، وكان له رمح يصحبه في الحضر والسفر، وكان عنده نخوة الإمارة وعزة النفس، وكان شجاعاً، وكان لا يأكل في عمره إلا اللحم المطبوخ بالماء والحمص.

قال ابن العديم: وحدثني والدي، قال: كان الكاساني كثيراً ما يعرض النقرس في رجليه، ووجع المفاصل، وكان يحمل في محفة من منزله، ويخرج إلى الفقهاء، ويذكر /٧٩/ الدرس، ولا يمنعه ذلك الألم من الأشغال، ولا يخل بذكر الدرس، وكان نور الدين ربما عاده في بعض الوقت.

قال: ولم تزل حرمة الكاساني تعظم وتزيد، ويرتفع أمره عند نور الدين ومن بعده من الملوك إلى أن تناقصت في أيام الملك الناصر صلاح الدين، فلزم مكانه بالمدرسة، ثم عظم بعد ذلك أمره عند الملك الظاهر غازي، وما زال يحترمه إلى أن مات، وكان يصعد إلى القلعة راكباً، وينزل حيث ينزل الملك الظاهر، فاتفق أن صعد يوماً والفقهاء بأجمعهم بين يديه، فلما وصل إلى باب القلعة، قام البواب وقال: يدخل الشيخ ويرجع الفقهاء، فلوى الشيخ عنان حصانه، وقال: يرجع الشيخ أيضاً، فبلغ الملك الظاهر ذلك، فأرسل في الحال من أدخل الشيخ والفقهاء إلى مجلس السلطان.

قال ابن العديم: وسمعت قاضي العسكر يقول: قدم الكاساني دمشق، فحضر إليه الفقهاء وطلبوا منه الكلام معهم في مسألة، فقال: أنا لا أتكلم في مسألة فيها خلاف أصحابنا، فعينوا مسألة، فعينوا مسائل كثيرة، فجعل يقول: ذهب إليها من أصحابنا فلان، فلم يزل كذلك حتى أنهم لم يجدوا مسألة إلاَّ وقد ذهب إليها واحدٌ من أصحاب أبي حنيفة، فانفض المجلس، ولم يتكلموا معه.

ومما وجد ونقل من شعر الكاساني على ظهر نسخةٍ بكتاب البدائع: [من الوافر]

سَبَقْتُ العالمينَ إلى المَعالي ... بصائبِ فكرةٍ وعلوِّ هِمَّهْ

ولاحَ بحكمتي نُورُ الهُدى في ... ليالٍ بالضَّلالة مُدلهِمَّهْ

يُريدُ الجاحدونَ ليطفِئُوهُ ... ويأبَى اللهُ إلا أنْ يُتِمَّهْ

قال ابن العديم: سمعت ضياء الدين محمد بن خميس الحنفي يقول: حضرت الشيخ الكاساني عند موته، فشرع في قراءة سورة إبراهيم حتى انتهى إلى قوله تعالى /٨٠/ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[1] فخرجت روحه عند فراغه من قوله وفي الآخرة.

وكانت وفاته يوم الأحد بعد الظهر عاشر رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة. ودفن داخل مقام إبراهيم الخليل بظاهر حلب، وخلف ولداً ذكراً فتولى الملك الظاهر غازي تربيته، والقيام بأمره، وكان صبياً واجتهد في اشتغاله بالفقه، فلم ينجب.

ومنهم:

[٤٥]

محمد بن يوسف بن الخَضِر بن عبد الله الحنفي، الحلبي، أبو عبد الله[2]

ويعرف بابن الأبيض، أبو عبد الله، شمس الدين.

قاضي العسكر، وقائل القول لا ينكر، وقائد الجحفل إلا أنه لحياءه لا يظهر، ولظهوره لا يذكر، تقلد الملك منه رأياً ماضياً، وجرد عزماً قاضياً، وصرح لحلب منه زبدتها، ووضح به في وجه شهبائها المُغبر زينتها، وعلا مقامها بمقامه في موطنها، وطارت بروق صرائرها المصلتة السيوف ذعراً من جوشنها، وترسل بكلم ألطف من الوسائل، وأشجى من تغريد حمام الرسائل.

مولده بحلب في صفر سنة ستين وخمسمائة، وتفقه على والده يوسف بن الخضر، وأبي بكر الكاساني، وتفقه عليه أبو القاسم بن العديم مؤرخ حلب. وقال: نشأ بحلب، فلما انتقل أبوه إلى دمشق وولي القضاء بها، سار إلى والده وتقدم ونفق على الملك العادل، فولاه قضاء العسكر وسيره إلى الملوك في الرسائل، وقلده عدة مدارس، ولم يزل كذلك حتى حصل بينه وبين ابن شُكر وحشة خاف منها على نفسه،

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٢٧.

(٢) **ترجمته في**: الجواهر المضية ٣/ ٤٠٧، التكملة للمنذري ٤/ ٢٩١، كتائب أعلام الأخيار رقم ٤٣٢، الطبقات السنية رقم ٢٣٧٨، الفوائد البهية ٢٠٣، الدارس ١/ ٤٨١ـ ٤٨٢.

وكان العادل قد سيره رسولاً إلى حلب /٨١/ وإلى الديار الرقيَّة.

قال ابن العديم: وكان قد اتصل بوالدي، فلما ورد حلب عرض عليه الملك الظاهر غازي المقام بحلب، وضمن له أشياء، فأجابه إلى ذلك، وسار إلى البلاد الشرقية لأداء الرسالة، وعاد إلى حلب فأقام بها، وسير جواب الرسالة إلى الملك العادل، وولاه الملك الظاهر مدرسة شاذ بخت، قال: وحكى لي إنما سيره الملك العادل في هذه الرسالة؛ ليتلطف في طلب الدستور بألطف حيلة، وذلك أنه قال له: قد علم مولانا أنني قد تأهلت بحلب، وأنا أستخرج الإذن الكريم في المقام عند أهلي عند قضاء شغل السلطان، فأذن له في ذلك ظناً منه أنه يقيم مدة ثم يعود، ولم يزل بعد ذلك مقيماً بحلب إلى أن ولّى الملك الظاهر افتخار الدين أبا هاشم عبد المطلب الهاشمي رياسة أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه، فاستوحش لذلك، وترك منصبه وسافر إلى حماة، فأنزله الملك المنصور محمد بن عمر بها، وأكرمه وولاه المدرسة النورية بها، ثم إنّ الملك الظاهر طلب من والدي عوده فسار والدي إليه إلى حماة، وأعاده إلى منصبه بحلب.

قال ابن العديم: وكان دمث الأخلاق، حسن المحاضرة، كريم الطباع، غزير العلم، كثير الورع، مليح النظم والنثر، أنشدني لنفسه: [من الطويل]

أشدُّ المُحبِّينَ اشتياقاً ووحشةً ... لمحبوبهِ صَبٌّ يبيتُ على وَعدِ
يخافُ اجتناباً واقعاً عنْ تعمُّدٍ ... وأصعبُ ما كان التجنُّبُ عنْ عَمْدِ

توفي في رمضان سنة أربع عشرة وستمائة فجأة، وكان قد استدعى فقهاء المدرسة للإفطار عنده، ثم صلى العشاء والتراويح وسجد، فمات رحمه الله، ودفن من صبيحته بمقام إبراهيم الخليل عليه السلام.

/٨٢/ ومنهم:

[٤٦]

عبد الله بن علي بن صابر بن عبد الجليل الفرغاني، أبو بكر، الفقيه الحنفي(١)

أحد الشهداء الذين قتلوا صبرا، وبوّئوا من حواصل الطير الخضر المعلقة بساق

(١) ورد اسمه في بعض المصادر: «عبد الله بن علي بن أبي بكر بن صائن بن عبد الجليل بن الخليل....»
ترجمته في: تاريخ ابن الدبيثي (باريس ٥٩٢٢) ورقة ٩٨، التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٤٨٧ـ ٤٨٨ رقم ١٧١٨، تلخيص مجمع الأداب ٤/ ٢/ رقم ١٠٨٦، المختصر المحتاج إليه ٢/ ١٥٤ـ ١٥٥ رقم ٧٩١، =

العرش قبرا، من الأحياء الذين عند ربهم يرزقون، والأوعياءِ غير أنهم لا ينطقون، وأمسوا نوراً في قناديل الجنة التي إليها يأوون، وروحاً في سرابيل النعيم، فلهذا على الأحياء لا يلوون.

قال ابن النجار في ذيله: سكن سمرقند، وكان متولي الخطابة، قدم علينا بغداد حاجاً في صفر سنة ستمائة، وسمع الحديث من شيوخنا، وكان إماماً كبيراً في المذهب، والخلاف، والجدل، ومعرفة الحديث، والنحو، واللغة، وله النظم والنثر، وما رأت عيناي إنساناً جمع حسن الصورة مع لطف الأخلاق، وكمال التواضع، وغزارة الفضل، ومتانة الدين، والبراعة، وحسن الخط، والقدرة على الإنشاء نظماً ونثراً، وفصاحة اللسان، وعذوبة الألفاظ، والصدق، والنبل، والثقة. ولقد كان من أفراد الدهر، ونوادر العصر، كامل الصفات، بعيد المثل، قل أن تلد النساء مثله. ولقد تأدبنا بأخلاقه، واقتدينا بأفعاله، وتعلمنا من فوائده وفرائده، واقتبسنا من علومه ما ينفس بالخناجر على الحناجر. وأنشدنا لنفسه: [من المتقارب]

تَحَرَّ فديتُكَ صِدْقَ الحديثِ ... ولا تَحْسبِ الكذبَ أمراً يسيرا

ومَنْ كانَ بالكذبِ مُستهتراً ... سيدعُو ثُبُوراً ويَصلَى سَعِيرا

قال ابن النجار: وبلغنا أنه قتل شهيداً ببخارى صابرا محتسباً على يد التتار الكفرة حين استولوا عليها في ذي الحجة سنة ست عشرة وستمائة.

/ ٨٣/ ومنهم:

[٤٧]

محمود بن أحمد بن عبد السيد بن عثمان بن نصر بن عبد الملك أبو المحامد، جمال الدين، الحصيريّ[1]

البخاري المولد، الحنفي، نزيل دمشق، أحد أئمة الحنفية ورئيسهم في وقته غير

= الجواهر المضية ١/ ٢٧٧، بغية الوعاة ٢/ ٥٠، تاريخ الإسلام (السنوات ٦١١ـ ٦٢٠هـ) ص ٢٩٥ رقم ٣٧٠.

(١) **ترجمته في**: مرآة الزمان ج ٨ ق ٢/ ٧٢٠ـ ٧٢١، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ٤٩٩ رقم ٢٨٥٠، وذيل الروضتين ١٦١، وتكملة الصلة لابن الأبّار ١٢٧ـ ١٢٩، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٣٩، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٦٣، ودول الإسلام ٢/ ١٤٢، والعبر ٥/ ١٥٢، وسير أعلام النبلاء ٢٣ / ٥٣ـ ٥٤ رقم ٣٦، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٥١، ونثر الجمان للفيومي ٢/ورقة ١٠٢ـ ١٠٣، والبداية والنهاية ١٣/ ١٥٢ـ ١٥٣، والجواهر المضية ٢/ ١٥٥، ونزهة الأنام لابن دقماق، ورقة ٣٦، وذيل =

مدافع، ورأسهم الذي يتابع، ذو المكانة التي تُفْرجُ لها الصدور، وتَخرجُ لرفعتها البدور، وقر له في خاطر السلطان ما خضع له به حتى تسلط عليه، وتطأطأ بسببه لديه، وكان يدخل عليه إذا عرضت له إليه حاجةٌ راكباً حماره، لا ينزل عنه حتى يصير إلى إيوانه، ويسير من باب القلعة، فتتثعلب حوله أسود أعوانه، وكان إذا انتهى إلى السلطان، قام إليه وأنزله عن حماره بيده، ومشى معه حتى يجلسه في مقعده، ولولاه زمان الملك الأشرف موسى ما سلم ابن عبد السلام، ولا تجلى عنه الظلام.

مولده ببخارى سنة ست وأربعين وخمسمائة، وتفقه بها على جماعة منهم ابن منصور قاضي خان، وتفقه عليه جماعة منهم العلامة ذو الفنون محمود بن عابد الصرخدي، وأبو المظفر سبط ابن الجوزي، وأبو الفتوح الملك المعظم عيسى بن العادل، وسمع الحديث بنيسابور وهو كهل، ولو سمع في صغره، لكان سند أهل الشام، وروى مؤلفات محمد بن الحسن، وتفرد بروايتها، وروى عنه الكبار من الشاميين.

قال أبو المحامد بن الصابوني: كان إماماً، فاضلاً، تفقه وصنف، ودرس، وأفتى، وحدث، وانتفع به جماعة كثيرة، وكان جامعاً للعلم والعمل، كثير التواضع، حسن المعاشرة.

قال أبو شامة: فوض إليه تدريس المدرسة النورية بدمشق الشيخ محمود الحصري، وحضر الملك المعظم درسه مع الفقهاء، وذلك في ربيع الأول سنة إحدى عشرة /٨٤/ وستمائة، وكان سيداً، فقيهاً، ديناً، متواضعاً، وصنف في الفقه الكتب الكبار، وصارت عمدةً في المذهب خصوصاً «التحرير في شرح الجامع الكبير».

وتوفي في ثامن صفر سنة ست وثلاثين وستمائة، وازدحم الخلق على جنازته، وحمله الفقهاء على الأصابع، ودفن بمقابر الصوفية في جانب الطريق.

ومنهم:

= التقييد للفاسي ٢/ ٢٧٣ رقم ١٦٠٦، والعسجد المسبوك ٢/ ٤٨٨ـ ٤٨٩، وعقد الجمان للعيني ١٨/ ٢١٩ـ ٢٢٠، والنجوم الزاهرة ٦/ ٣١٣، وتاج التراجم لابن قطلوبغا ٦٩، وطبقات الفقهاء المنسوب لطاش كبري زادة ١٠٧، والطبقات السنية ٣/ ورقة ٧٧٣ـ ٨٠٩، وشذرات الذهب ٥/ ١٨٢، وطبقات الزيله لي، ورقة ٣١، والفوائد البهية ٢٠٥ وفيه وفاته سنة ٦٣٧هـ، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ـ ٦٤٠هـ) ص ٣٠٨ رقم ٤٤٠.

[٤٨]

عبد الله بن عطاء بن حسن بن عطاء بن جبير بن جابر الحنفي، الأذرعي، أبو محمد قاضي القضاة، شمس الدين، عرف بالشمس عبد الله(١)

قاضٍ لا يهاب ملكاً، ولا يحابي مُؤتفكاً، ولا يحل عقداً بذيل الشعر متمسكاً، يقضي بالحق، ولا يهاب، ويقول الصدق فما يعاب، ولقد شهد له يوم نكلت عنه القرناء، ونكصت الجبناء، أرغم فيه معطس السلطان، وصدع في دأديه دُجى العدوان، لقوةٍ وهبها، ونعمة لولاها وجدت كثيراً قد سُلبها، وهو أول من ولي القضاء بدمشق على مذهب الإمام أبي حنيفة استقلالاً.

مولده سنة خمس وتسعين وخمسمائة، كان والده حنبلي المذهب، وكان يتغالى في الشيخ الفقيه محمد اليونيني، ويحبه محبة مفرطة، وبسببه انتقل إلى بعلبك، وقرأ ولده هذا عبد الله على الشيخ الفقيه القرآن العزيز، واستأذنه والده فيما يشتغل به ولده المذكور، فأشار عليه الشيخ الفقيه أن يشتغل في الفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة، فاشتغل، وحفظ مختصر القدوري، ورحل إلى دمشق، وتفقه بحيث صار المشار إليه في المذهب، وكان أحد الأئمة المشكورين، رفيع القدر، كثير الفضل، حسن الهيأة، وافر الديانة، عالي الإسناد، قوالاً بالحق، كثير / ٨٥/ التواضع، عديم النظير، قليل الرغبة في الدنيا، يقنع منها باليسير، ولا يحابي أحداً في الحق، ودرس بالمدرسة المعظمية بسفح قاسيون، وبالمدرسة المرشدية، وهو أول من درَّس بها واستنابه ابن سنى الدولة ومن بعده في نيابة الحكم على مذهبه، ثم وليه مستقلاً للحنفية في سادس جمادى الأولى سنة أربع وستين وستمائة، واستمر قاضي القضاة إلى أن توفي.

---

(١) ورد اسمه في بعض المصادر: «عبد الله بن محمد بن عطاء بن حسن بن عطاء..»
ترجمته في: تاريخ الملك الظاهر ١١٤، ١١٥ و٢٣٦، وذيل مرآة الزمان ٣/ ٩٥، ٩٦، ومسالك الأبصار ٣/ ورقة ٥٤٨، والمقتفي للبرزالي ١/ ورقة ٤٦أ، والعبر ٥/ ٣٠١، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٨١، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٦٦، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٦٨، ودول الإسلام ٢/ ١٧٥، ومرآة الجنان ٤/ ١٧٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٦٨، والوافي بالوفيات ١٧/ ٥٨٢ـ ٥٨٣ رقم ٤٨٧، والجواهر المضية ١/ ٢٨٦ـ ٢٨٧ رقم ٢٥٧، والسلوك ج١ ق ٢/ ٦١٩، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٤٦ـ ٢٤٧، والدارس في تاريخ المدارس ١/ ٥١٢ و٥٤٤، ٥٤٥، والقلائد الجوهرية ١/ ١٥١ـ ١٥٢، وشذرات الذهب ٥/ ٣٤٠، والفوائد البهية ١٠٦، ومعجم الشيوخ للدمياطي ١/ ورقة ٢٥٦أ، ومشيخة ابن جماعة ١/ ٢٨٥ـ ٢٨٩ رقم ٢٧، والطبقات السنية، رقم ١٠٩٩، وطبقات الفقهاء لطاش كبري زادة ١١٦، وأعلام الأخيار ٤٤٨، وذيل التقييد ٢/ ٦٠ رقم ١١٥٤، والدليل الشافي ١/ ٣٨٩، وعقد الجمان (٢) ١٣٥، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٧١ـ ٦٨٠هـ) ص ١٣١ رقم ١٢٣.

قال أبو شامة: وفي سنة أربع وستين وستمائة جاء من مصر من سلطانها الملك الظاهر بيبرس الصالحي ثلاثة عهود، لثلاثة من القضاة: شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطاء الحنفي المذكور، وشمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ أبي عمر الحنبلي، وزين الدين عبد السلام الزواوي المالكي، وجعل كل واحد منهم قاضي القضاة، كما هو المنصب لشمس الدين بن خلكان الشافعي، وكان قد فعل بديار مصر في العام الأول كذلك، وَلَّوا أربعةً كل واحد منهم قاضي القضاة من المذاهب الأربعة، ولكل واحد منهم نائب، فلما وصلت العهود الثلاثة، لم يقبل المالكي والحنبلي، واعتذرا بالعجز والتقصير، وقبل الحنفي؛ لأنه كان نائباً للشافعية واستمر على الحكم، ثم ورد الكتاب بإلزامهما، وأخذ ما بأيديهما من الأوقاف إن لم يفعلا، فأجابا، ثم أصبح المالكي، وأشهد على نفسه بأنه عزل نفسه عن القضاء، وعن الأوقاف فترك، واستمر الحنبلي، ثم ورد الأمر بإلزامه فقبل، واستمر الجميع لكن امتنع المالكي والحنبلي من أخذ جامكية على القضاء، وقالا: نحن في كفاية فاعفيا منها.

قال أبو شامة: ومن العجب اجتماع ثلاثة على ولاية قضاء القضاة، في زمن واحد، كل واحدٍ منهم لقبه شمس الدين، واتفق أنَّ الشافعي منهم استناب أيضاً من لقبه شمس الدين، فقال بعض الظرفاء: [من المجتث]

أهلُ دمشقَ استرابُوا مِن كَثْرَةِ الحُكَّامِ
إذ الجميعُ شموسٌ وكلُّهم ظُلاَّمُ

وقيل أيضاً: [من مجزوء الرمل]

بدمشقٍ آيةٌ قدْ ظهرت للناسِ عاما
كُلَّما وُلِّيَ شمسٌ قاضياً زادتْ ظَلاَما

ولما وضعت الأيدي واحتيط على البساتين في الدولة الظاهرية، حضر السلطان بدار العدل، وجرى الكلام في ذلك، فتكلم القاضي شمس الدين عبد الله المذكور من بين الحاضرين، وقال: اليد لأرباب الأملاك، ولا يحل لأحدٍ أن ينازعهم في أملاكهم، ومن استحل ما حرم الله، فقد كفر، فغضب السلطان الملك الظاهر غضباً شديداً، وتغير لونه، وقال: أنا أكفّر، فجعل بعض أرباب الدولة يسكن غضبه، ويقول: القاضي إنما أشار بالتكفير إلى من أفتى السلطان بذلك. وكان الذي حمل القاضي على ذلك مخافة الله عز وجل وخشيته، وألقى الله على خاطره في ذلك الوقت قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا

﴿تَكْتُمُونَهُ﴾[١] وكانت العقبى إلى سلامة وخير، وصار للقاضي منزلة عند السلطان، وعلم دينه وصدقه في المقالة، وعظم في عينه، ثم كان يقول: لا تثبتوا كتبنا إلا عند القاضي الذي شتمنا.

توفي يوم الجمعة ثامن جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وستمائة ودفن بقاسيون.

ومنهم:

[٤٩]

سليمان بن أبي العزّ بن وُهَيْب بن عطاء[٢]، أبو الربيع، وأبو الفضل الحنفي، قاضي القضاة، صدر الدين

صدر مذهبه الفسيح، ولسان فتاويه الفصيح، وسليمان وقته الذي فُهِّم، وسابق أقرانه الذي قُدّم، صدر الدين المملو، وبدر الإيمان المَجلُو، أضيف إليه بمصر مع القضاء قضاء عسكرها، وحضر /٨٧/ الحروب فأضاء به وجه عثيرها، ثم جذبه الحنين إلى البلد، وأزعجه الأنين شوقاً إلى الولد، فأعيد إلى دمشق متولياً للقضاء، ومتصدياً للمضاء، فكان بها موافاة وفاته، ومكان محياه ومماته.

تفقه على أبي المحامد محمود الحُصيري حتى برع في المذهب، ودرَّس بالظاهرية بدمشق قبل الفراغ من عمارتها، وإيماء قبتها المبنية إلى الهلال بإشارتها.

وكان الملك الظاهر يحبه، ويبالغ في احترامه، وأذن له في الحكم حيث حل، وكان لايكاد يفارقه في غزواته، وحج مرافقاً له.

وكان إماماً، عالماً، عارفاً بدقائق المذهب وغوامضه، انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر والشام، وأقرأ الفقه بدمشق مدّةً، ثم توجه إلى الديار المصرية، واستوطنها،

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٧.

(٢) **ترجمته في**: المقتفي للبرزالي ١/ ورقة ٧٦أ، وذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٠٢، والمختار من تاريخ ابن الجزري ٢٩٧، ودرّة الأسلاك ١/ ورقة ٥٤، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٨١، ودول الإسلام ٢/ ١٧٩، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٦٩، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٨٢، والوافي بالوفيات ١٥/ ٤٠٤ـ ٤٠٥ رقم ٥٥٢، وتالي كتاب وفيات الأعيان ٧٦ رقم ١١٥، والجواهر المضية ٢/ ٥٢، وتاريخ الخلفاء ٤٨٣، ومرآة الجنان ٤/ ١٨٨، والعبر ٥/ ٣١٥، والسلوك ج١ ق٢/ ٦٥١، وعيون التواريخ ٢١/ ١٨١ـ ١٨٢، والنجوم الزاهرة ٧/ ٧٦٧٧، وتاريخ ابن الفرات ٧/ ١١٩، وشذرات الذهب ٥/ ٣٥٧، والدارس ١/ ٤٧٥، وعقد الجمان ٢/ ٢٠٥، والمنهل الصافي ٦/ ٥٧ـ ٥٨ رقم ١١٠١، والدليل الشافي ١/ ٣٢١ رقم ١٠٩٨، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٧١ـ ٦٨٠هـ) ص ٢٦٦ رقم ٣٥٧.

وحكم بها، وأفتى ودرس، وتصدر وقرأ عليه جماعة، ثم عاد إلى الشام بعد وفاته بيسير، واتفق وفاة ابن العديم، فتقلد بعده القضاء بالشام.

وكتب له تقليدٌ بخط أبي جعفر أحمد بن سعيد بن الأثير قال فيه: ولولا تشوقه إلى ولده، وتشوفه إلى بلده، لما حكم إلاَّ بمرأًى منا ومسمع، ولما نقلنا خاتم تصرفه من إصبع إلى إصبع.

ثم أدركته المنية، فمات في ليلة الجمعة سادس شعبان سنة سبع وسبعين وستمائة، ولم يخلف بعده مثله في المذهب، وكان عنده فضائل في غير الفقه، وولي الحكم بعده الرازي.

وله شعر، ومن شعره المروي ما قاله في مملوك حسن الصورة من مماليك المعظم بن العادل زوَّجه بجارية من جواريه موصوفة بالحسن: [من البسيط]

يا صاحبيَّ [أَفِيقا] فانظُرا عَجَباً ... أتى بهِ الدهرُ فينا مِنْ عَجائبِهِ

البدرُ أصبحَ فوقَ الشمسِ منزلةً ... وما العلوُّ عليها مِنْ مَراتبِهِ

/٨٨/ أضحى يماثلُها حُسنا وصارَ لها ... كُفواً وسارَ إليها في مواكِبِهِ

فأَشكلَ الفرقُ لولا وَشْيُ نَمْنَمَةٍ ... بصُدغِهِ واخضرارٌ فوقَ شاربِهِ

ومنهم:

[٥٠]

عمر بن محمد بن عمر، أبو محمد الخجندي، المعروف بالشيخ جلال الدين الخبازي(١)

هو الطود أوله يواري، والبحر لا بلِ البحر بعض ما يجاري، رحل عن خجند ونهرها يترقرق عليه دمعاً، بل نهر جيحون لابل سائر تلك الأنهار جمعاً، وأسفت خوارزم فقامت تلطم بأيدي الأمواج بحيرتُها، ويظهر في منقطع الرمل حيرتها، فلما قدم دمشق استحسن على خجند غوطتها الفسيحة، وبقعتها التي كأنها مدارس صفيحه، فحل فيها أنيقه، ورعى في جانبها المُخضر مؤنقه، وهجر ما سواها قائلاً:

---

(١) **ترجمته في**: الجواهر المضية ٢/ ٦٦٨، تاج التراجم ٤٧، البداية والنهاية ١٣/ ٣٣١، شذرات الذهب ٥/ ٤١٩، المشتبه ١٧٩، الدارس ١/ ٥٠٤، الطبقات السنية رقم ١٦٥٧، طبقات الفقهاء لطاش كبري زاده ١٢٢، مفتاح السعادة ٢/ ١٨٩، كتائب أعلام الأخيار رقم ٥٥٧، الفوائد البهية ١٥١، الدارس ١/ ٥٠٤ـ ٥٠٥.

[من الوافر]

وجاشتْ مِنْ بلادِ الصّغْدِ نفسِي   وخافَتْ مِنْ جبالِ خُوَارزمِ

ورد دمشق وحج سنة تسعين وستمائة، ودرَّس بالعزيّة البرانية بدمشق، ودرَّس أيضاً بمسجد خاتون في رجب سنة تسعين وستمائة، وبقي مدرساً به إلى أن مات، ودرَّس أيضاً بخوارزم، وأعاد تصانيفه «المغني في أصول الفقه» و«مصنف في أصول الدين» و«حواشي على كتاب الهداية».

وكان فقيهاً، زاهداً، عابداً، متنسكاً، عارفاً بمذهب أبي حنيفة وأصحابه.

وتوفي لخمس بقين من ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وستمائة، عن اثنتين وستين سنة.

ومنهم:

[٥١]

محمد بن محمد بن نصر القلانسي، أبو الفضل[1]

المنعوت حافظ الدين، شيخ الإسلام ببلاد المشرق، والظاهر في السواد الأعظم كالفَرق، /٨٩/ أدى الفَرضّي فرض شكره أو قارب، وقارض بوصفه الدُّر وما راقب، أتى البيت الحرام مرّة بعد أخرى، يرشدهم هداه، ويرشهم بوبل الغمام فيض نداه، ويريهم مناسكهم حيث يحز رقاب الحساد قبل الجزر مداه.

ولد ببخارى في حدود سنة خمس وستمائة، وتفقه على شمس الأئمة الكردري، وقرأ عليه الأدب وسائر العلوم، وسمع من جماعة.

وذكره أبو العلاء الفرضي، فقال: كان إماماً، عالماً، ربانياً، زاهداً، عابداً، مُفتَنّاً، مدرساً، نحريراً، فقيهاً، مدققاً، محدثاً، جامعاً لأنواع العلوم، حائزاً لقصب السبق في فنون الفضائل، علامةً في فني الأصولين، مشاراً إليه في حل مشكلات الكشاف. قدم بغداد حاجاً في الأيام المستعصمية، فحج وتوجه إلى الشام قاصداً لزيارة الخليل إبراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام، والصلاة في بيت المقدس، وأقام بدمشق مدة، ثم حج ثانياً، ورجع إلى بغداد، وتوجه إلى بخارى، فدخلها ونشر العلوم بها. وكان شيخ الإسلام ببلاد الشرق، وكان مكرماً للطلبة الواردين من البلاد،

---

(١) **ترجمته في**: الجواهر المضية ٣/ ٣٣٧، الطبقات السنية رقم ٢٢٦٧، كتائب أعلام الأخيار رقم ٤٥٩، الفوائد البهية ١٩٩ـ ٢٠٠.

محسناً إليهم، مشفقاً على التلامذة. ذا مروءة تامة، وسخاء وكرم نفس، وكان ذا هيبةٍ في الدين، يهابه كل أحد، وكان على قاعدة السلف علماً وعملاً، وزهداً، وعبادة، قد جزَّأ الليل ثلاثة أجزاء: فالثلث الأول للاستراحة، والثلث الثاني للعبادة، والثالث لمطالعة الدروس. وكان يتلألأ وجهه نوراً، لم ترَ عيناي مثله في حسن سمته وطريقته. انتهى كلامه.

قال: وتوفي ببخارى في النصف الثاني من شعبان سنة ثلاث وتسعين وستمائة.

ومنهم:

[٥٢]

الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان، أبو الفضائل، قاضي القضاة حسام الدين، الرازي، الحنفي(١)

فاق فضلاً متنوعاً، وعلماً متفرعاً، /٩٠/ ذكر يفيض سلسالاً، ويفوت الغَمام إرسالاً، بجودٍ ينبّه رياح المطالب الكُسالى، ويدع سجاح البروق كأجنحة البزاة رمت نُسالا، هذا مع مروءة غزيرة، وسيرة غريرة، وسريرة ما أترع شبهها السحاب غديره، وفواضل غطت على الرفاق، وفضائل بالقصد وكأنها بالاتفاق، وعِلْمان علم أديان يزكو بالإنفاق، وعلم أبدان لو عالج الزمان أفاق، وخط ما حملت مثل شعاره المنابر، ولا أمدت الأحداق نظير سواده في المحابر.

ولد في ثاني المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة بأقسرا، وكتب الخط الحسن الفائق على الولي التبريزي، وكان مجموع الفضائل، يعرف الفقه، والنحو، والشعر، والأدب، والإنشاء، والطب. ولي قضاء ملطية أكثر من عشرين سنة، ثم توجه إلى الشام سنة خمس وسبعين وستمائة خوفاً من التتار، وأقام بدمشق، ودرَّس في عدة من مدارسها الكبار، ثم باشر قضاء الحنفية بها في رمضان سنة سبع وسبعين وستمائة،

---

(١) **ترجمته في**: تالي كتاب وفيات الأعيان ٦٤ رقم ٦٥، وتذكرة النبيه ١/ ٢٠٤ و٢٧٧، ودرّة الأسلاك ١/ ورقة ١٤١ و١٤٨، والمنهل الصافي ٥/ ٦٣ـ ٦٥ رقم ٨٨٧، والدليل الشافي ١/ ٢٥٩ رقم ٨٨٥، والبداية والنهاية ١٤/ ١٣، والسلوك ج١ ق٣/ ٩٠٦، والمقفى الكبير ٢/ ٣٠٣ رقم ١١٤٧، والنجوم الزاهرة ٨/ ١٩٠، والدرر الكامنة ٢/ ١٠ رقم ١٤٩٢، وعقد الجمان ٤/ ٨٩ـ ٩٠، والعبر ٥/ ٣٩٧، ومعجم شيوخ الذهبي ١٦٨ رقم ٢١٨، وتذكرة الحفّاظ ٤/ ١٤٨٧، والدارس ١/ ٥١٢ـ ٥١٣، وأعيان العصر ٢/ ١٨٦ـ ١٨٨ رقم ٥٥٩، وذيل مرآة الزمان ٤/ ورقة ٣٤٢، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٩١ـ ٦٧٠هـ) ص ٣٩٧ رقم ٦٠٩ .

فحمدت سيرته، وكثر إحسانه ومروءته، وجرت أحكامه على السداد، وامتدت أيامه إلى أن تسلطن المنصور لاجين، فسار إليه إلى الديار المصرية سنة ست وتسعين، فأقبل عليه إقبالاً وافراً، وأكرم مورده وعظمه، وأحب مقامه عنده لمودةٍ كانت بينهما، فولاه القضاء بالديار المصرية عوضاً عن السروجي، وولي ولده جلال الدين قضاء دمشق حتى قتل المنصور لاجين، وزالت دولته، ثم عاد إلى دمشق سنة ثمان وتسعين وستمائة، فخرج الناس للقائه، فورد دمشق على ما كان عليه من قضائها والتدريس بها، وغير ذلك من المناصب بتقليد جديد، وخلعة سلطانية لبسها يوم دخوله.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي في تاريخه[١]: حضرت مجلسه /٩١/ فجرى شيء من الكلام، فرأيته يرجح طريقة السلف ويصوبها، وكان آخر أمره أنه خرج إلى الغزاة، وشهد المصاف، وكان آخر العهد، وذلك سنة تسع وتسعين وستمائة، فقيل: أسر، وقيل: استشهد، والله أعلم بما صار إليه.

ومنهم:

[٥٣]

إسماعيل بن عثمان بن محمد بن عبد الكريم بن تمام القرشي، الدمشقي، الفقيه، الحنفي، أبو الفداء، رشيد الدين[٢]

عرف بابن المعلم.

نزيل القاهرة، حيث شيدت قصورها، وجيدت بسحب الوفود المنهمرة دورها، إذ ساقت إليها سيوف هولاكو من أبقت، وضمت إليها من وقّت، وأكنّت في حجرها أولئك الشذاذ، ومنّت على الطرداء من وراء بغداذ، فلاذوا منها بركن الحطيم، وعادوا من أمها الرؤوف بحنو الوالدات على الفطيم، ووصلوا إليها أشلاء حتوفٍ مزقتهم القواضب، وفرّقتهم النوائب، وأرَّقتهم المخاوف، فجاؤوا إليها يقطعون السباسب.

---

(١) تاريخ الإسلام ٣٩٨.

(٢) **ترجمته في**: الجواهر المضية ١/ ٤١٨، الفوائد البهية ٤٦ـ ٤٧، الوافي بالوفيات ٩/ ١٥٥، المنهل الصافي ٢/ ٣٩٨، مرآة الجنان ٤/ ٢٥٣، أعيان العصر ١/ ٥٠١، الدرر الكامنة ١/ ٤١٨، البداية والنهاية ١٤/ ٧٢، تالي كتاب وفيات الأعيان ٤٨، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٦٢، الدارس ١/ ٣٦٩، طبقات القراء ١/ ١٦٦، شذرات الذهب ٦/ ٣٣، بغية الوعاة ١/ ٤٥١، حسن المحاضرة ١/ ٤٦٨، كتائب أعلام الأخيار رقم ٤٧٢، درة الحجال ١/ ٢١٢ـ ٢١٣، معرفة القراء الكبار ٢/ ٥٨٣ـ ٥٨٤، الطبقات السنية رقم ٥١٢.

مولده في رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

قرأ القرآن بالروايات على علم الدين السخاوي، وقيل: برواية أبي عمرو، وتفقه على الحصري وغيره، وقرأ النحو على ابن مالك، وروى الحديث عن الحسن بن الزبيدي، وشيخه السخاوي، وابن الصلاح، وابن خليل، وانفرد بالرواية عن الحسن بن الزبيدي بالديار المصرية، وسمع منه جماعة من الأعيان، ودرس بدمشق، وعرض عليه قضاؤها فامتنع.

وكان شيخاً، جليلاً، علامةً، من أعيان الفضلاء، وأصحاب الفتوى لديه علوم شتى، وعنده زهادة، وانقطاع عن الناس، ثم توجه إلى الديار المصرية في جفل التتار هو وولده، وأقاما بها، فلازم الشيخ بيته جوار الجامع الأزهر، وكان أبو الفتح بن دقيق العيد يعظمه، ويثني على علمه وديانته وفضله.

وتوفي بالقاهرة /٩٢/ سحر يوم الأربعاء خامس رجب سنة أربع عشرة وسبعمائة، وصلي عليه بدمشق صلاة الغائب.

ومنهم:

[٥٤]

محمد بن محمد بن أبي العز بن صالح بن أبي العز بن وهيب، أقضى القضاة، الحنفي، الخطيب، شمس الدين، أبو عبد الله بن أبي البركات(١)

حاكم يخشع، وعالم يخضع، ومصرف أقضية لا ترتد، وعيون المنايا إليه تتطلع، ومطرف أندية بمثل جلابيب الشمس تتوشَّع، وملحف أردية من الفخار جاءت المجرة على آثارها تتبع. يقضي وأنف الرُّمح راغم، ويمضي وطرف السيف واجم، وغير هذا من المحاسن التي تملأ بالوسامة عين المتوسم، والمآثر التي قل أن تكون لغيره وبالله أقسِم.

مولده ليلة الاثنين سابع عشرين رمضان سنة ثلاث وستين وستمائة بسفح قاسيون.

تفقه على الشيخ رشيد الدين سعيد، وتقي الدين التركي وغيرهما، وسمع الحديث، وحدَّث بدمشق، وطريق الحجاز، ودرَّس، وخطب، وأفتى، وكان إماماً

---

(١) **ترجمته في**: الجواهر المضية ٣/ ٣٣٨، أعيان العصر ٥/ ١٣١، الطبقات السنية رقم ٢٢٩٧، الدارس ١/ ٥٤٧، الدرر الكامنة ٥/ ١٣، شذرات الذهب ٦/ ٥٨، البداية والنهاية ١٤/ ١٠٣، النجوم الزاهرة ٩/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

فقيهاً، فاضلاً، يعرف الفقه، بصيراً بالأحكام، والقضايا، محمود السيرة في حكمه، حكم بدمشق نيابة عن ابن الحريري. وخاله صدر الدين علي الحنفي، فحكم بدمشق نيابةً مدة عشرين سنة، ودرس بالظاهرية، والقليجية، والمعظمية، وخطب بجامع الافرم، وهو أول خطيبٍ خطب به بحضور بانيه نائب السلطنة والقضاة والأعيان. ولبس الخلعة من القصر الظاهري، فشكرت فصاحته، وتوفرت الأدعية لمنشيء الجامع.

وكان فيه ديانة، وخير. حسن الشكل، تام المروءة، /٩٣/ دمث الأخلاق، طيب المعاشرة، كثير التودد والإحسان إلى أصحابه ومعارفه، عنده قوة نفس في الأحكام وإمضائها، ويقول على طريقة الفقهاء، ونظم عدة مسائل في الفقه، ذكر فيها ضوابط وقيوداً.

وكان إذا صعد المنبر ليخطب، تغير لونه، وطَارَ لُبُّه، واحمرت وجنتاه، وخنقته العبرة. وعزّر مرة رجلاً معتبراً من ذوي السيوف لسفه بدا منه في حق ابن قاضي القضاة صدر الدين، وأبوه إذ ذاك خاله ومستنيبه، فطلبه كافل الممالك «تنكز» وأنكر عليه ما فعل بغير إذنه، وقال له: كيف تعزر أنت مثل هذا لأجل قرابتك وابن الذي استنابك؟ فقال له: ياأمير، الناس عندي سواء في الحق إن كان قرابتي أو غير قرابتي، والذي استنابني أو غيره، وإذا وجب على واحد منهم أو له فَعَلته فقال كالمستهزيء به: فغداً بعده إذا وجب عندك علينا شيء افعله! فقال: نعم والله لو وجب عليك شيء بحكم الشرع فعلته، وها قد عزلت نفسي، وامتنع من الحكم حتى استرضي، وأعيد على كرهٍ منه له، فلما آن وقت الحج عزل نفسه، وحج ومات رحمه الله عقيب قدومه متبرئاً من الأحكام، وذلك بكرة يوم الخميس آخر أيام من المحرم سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة بمسجد ابن يغمور ظاهر دمشق، ودفن عند أقاربه بالقرب من المدرسة المعظمية بسفح قاسيون.

ومنهم:

[٥٥]

علي بن أبي القاسم بن محمد بن عثمان، أبو الحسن، قاضي القضاة، صدر الدين، البصروي، الحنفي(١)

أبو حنيفة الثاني، والمنمق لمذهبه المذهب أو الباني، بحر يقذف أمواجاً،

---

(١) ترجمته في: الجواهر المضية ٢/٥٨٦، الذيل على العبر ١٥٣، الدرر الكامنة ٣/ ١٧٠، الدارس ١/ ٦٢١، قضاة دمشق ١٩٥، الطبقات السنية رقم ١٤٦٢.

وسحاب يرسل أفواجاً، وأسد يأكل من أهل الجدل ماجا. ذو يراع حطم القنا، وحط السيوف إلى أدنى، وكانت الفتاوى لا تنهض إلا إذا راشها مداد قلمه، ولا تدحض إلا إذا نصَّلها ماضي /٩٤/ تقدمه، والمدارس لا تطير إن لم تجنحه محاريبها، والفوائد لا تسير مالم تصبحه جلابيبها، والعلوم تتجلى إذا قال أو كتب، وتتحلى من حصباء ياقوت على أرض من الذهب.

مولده في أيام الخوارزمية سنة اثنتين وأربعين وستمائة بقلعة بصرى، وتفقه على والده ثم على القاضي شمس الدين بن عطاء. وتفقه عليه جماعة، وسمع الحديث من ابن عبد الدايم، وإسماعيل بن الدرجي، وابن عطاء القاضي، وابن النحاس وغيرهم، وخرّج له جزءُ حديث عن شيوخه، وحدث به، وكان من أعيان الفقهاء الحنفية، ودرّس قديماً سنة أربع وستين وستمائة، وأذن له في الإفتاء في ذلك الوقت، وكانت له بعمي شرف الدين سابق صحبة، وحج معه عديله في المحمل، ولم يزل يترقى في المدارس الكبار إلى أن ولي الحكم بدمشق على مذهبه، وحظي بصحبة رجل قدمته وأمطته الأيام وأخدمته، وبقي قاضي القضاة أكثر من عشرين سنة، وتفرد في آخر عمره بالتقدم على جميع أهل مذهبه، لكثرة تحصيله، وجودة ذهنه، وغزارة استحضاره، وأذعن له الناس، وانتهت إليه رياسة العلم.

وكان نزهاً، نظيف العِرض، عفيفاً، مستغنياً بماله ومناصبه، وكان له ثروة وأملاك، وقاربت تركته ألف ألف درهم، وأوصى منها بثلثها صدقة، كان حفظةً للكثير من الحكايات والأشعار، حسن المناظرة، كثير الفوائد، ولي قضاء العساكر الشامية سنة تسع وسبعمائة على قاعدة من تقدمه من قضاة العساكر، توفي ببستانه بسطرى ظاهر دمشق يوم الأربعاء ثالث شعبان سنة سبع وعشرين وسبعمائة، ودفن بسفح قاسيون، بالقرب من المعظمية.

/٩٥/ ومنهم:

[٥٦]

محمد بن عثمان بن أبي الحسن بن عبد الوهاب، الأنصاري، الدمشقي، أبو عبد الله، قاضي القضاة بمصر والشام، شمس الدين ابن الحريري[١]

حافظ كتاب الهداية، وحامل هذه الراية، قويٌّ لا يلين، قويم لا يبل له طعين،

(١) **ترجمته في**: الجواهر المضية ٣/ ٢٥٠، الوافي بالوفيات ٤/ ٩٠، الدرر الكامنة ١٥٨/٤، أعيان =

مصمم كالسيف في اليمين، ميمم طريق السلف لولا إفراط التكليف المبين، ماشٍ على الجدد لو لم ينكب به خيلاؤه، ويخرج به عن الحد استعلاؤه، كان متوعر الطريق متعدد التحقيق، متقعر الألفاظ، يخرجها بكلفة كأن به خوانيق، وكما يحكى عنه أنه كان في بيته بين أهله وجواريه إذ تطرح المؤنة. وتذاع الأسرار المصونة، لا يزداد حيث يتوسع مثله إلا تضييقا، وحيث ترق حاشيته إلا تعميقاً، ثقالة جبلت عليها جبلته، وأُبغضت لأجلها جملته، حتى قيل إنه اتخذ له نقيبة في بيته إذا دخل إليه قالت قدَّامه: بسم الله مولانا وسيدنا قاضي القضاة، ومن هذا وأمثاله، وأنه كان يقول لزوجته: أكرمي النقيبة؛ فإنها تكرم بعلك إلى غير هذا مما يثقل على القلوب سماعه، ويعرف أنه من الجبل الأصم قد نحتت طباعه مما يضحك منه من سمع، ويعلم منه أنه ممن تبدد عرضه؛ ثم ما جمع.

مولده بدمشق في عاشر صفر ثلاث وخمسين وستمائة، وتفقه على الشيخين عماد الدين بن الشماع، ورشيد الدين سعيد، وتفقه عليه جماعة من أعيان العلماء الدمشقيين، وسمع الحديث، وخرج له جزء عن عشرة من شيوخه، وحَدَّث به بدمشق، والقاهرة، وشرح محفوظه في عدة مجلدات، وله تعاليق ومسودات.

درَّس بدمشق بالمدارس الكبار، وتولى قضاء القضاة بها، ثم صرف، فثبت لذلك، والتزم أن لا يتعرض لطلب هذا الأمر، وأنه كان في تعب /٩٦/ ثم أعيد إلى القضاء وبعض مدارسه التي كانت بيده، ثم أعيدت إليه المدرسة التي كانت خلفت عنه من مدارس درس بها نحو شهر ونصف، ثم صرف عنها، ثم طلب إلى الديار المصرية لقضاء القضاة بها، فتوجه إليها ودخلها في شهر ربيع الآخر، وكان عنده قوة نفس في الأحكام وإمضائها، مراعياً للمذهب لا يراعي زيداً ولا عمراً، ولا يألو ذماً ولا شكراً.

ولما كان بالديار المصرية اتفق أنَّ الأمير الكبير بكتمر الساقي كان له إسطبل بأرض بركة الفيل، والأرض لورثة الملك الظاهر بيبرس وقف عليهم، فتعرض إليها، وقيل: إن الأرض زادت معهم، فأرسل وكيل بيت المال ونواب الحكم والعدول لقياس الأرض، فلم تزد شيئاً، فأرسلوا مرة أخرى، فقيل: إنها زادت قطعة، فقالوا:

= العصر ٤/ ٥٦٣، الدارس ١/ ٥٤٥، حسن المحاضرة ١/ ٤٦٨، ٢/ ١٨٤، الطبقات السنية رقم ٢١٢٣، دول الاسلام ٢/ ٢٣٧، البداية والنهاية ١٤/ ١٤٢، كتائب أعلام الأخيار رقم ١٨٢، الفوائد البهية ١٨٢.

لو أعطونا أرض الإسطبل عوضاً عن هذه الزيادة، فقيل: الأرض وقف وما يمكن التعويض لكن يشهد علينا بقبض أجرة الأرض مهما أردتم من السنين، فقيل للسلطان: إن مذهب أبي حنيفة يجوز فيه الاستبدال بالوقف، وطلب منه ذلك فامتنع، وقال: هذه رواية عن أبي يوسف، وأنا لا أعمل بها، فولى السلطان بمصر سراج الدين عمر صهر السروجي حاكماً. وعزل ابن الحريري عن الحكم بمصر دون القاهرة، وأجاب سراج الدين إلى الحكم بالاستبدال واختاره، وبقي على قضاء مصر مدة يسيرة، ثم مات قبل أن يحكم بالاستبدال، وأعيد ابن الحريري، فعظمت مكانته عند السلطان بهذه الواقعة، وخلع عليه ليلة عيد الفطر، وكان ذلك سنة سبع عشرة وسبعمائة، ولم يزل متولي الحكم إلى أن توفي يوم السبت خامس جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وكان له جنازة عظيمة.

وكان حسن /٩٧/ السيرة في منصب الحكم، له همة ونهضة، وعليه مهابة، وله وقع في قلوب الأكابر والأصاغر، والخاص والعام، وله قصد في استخلاص الحقوق، وفصل القضايا، وهو موصوف بالطريقة الحميدة والنزاهة والديانة، نقي العرض، لا يقبل لأحد هدية ولا رشوة، القريب والبعيد عنده سواء في الحق، وكان ملازماً للاشتغال، وإعادة محفوظاته، وله أوراد في ذلك، وكان فيه مودة لأصحابه ومعارفه، كثير النفع لهم.

ومنهم:

[٥٧]

إبراهيم بن علي بن أحمد بن علي بن يوسف المعروف بابن عبد الحق أبو إسحاق، قاضي القضاة، برهان الدين(١)

حقٌّ ظهر به برهانه، وصدقٌ تجلى به زمانه، إبراهيم حِلمٍ وكل الناس ضيفانه، ونوح علم وبحر الفقه طوفانه، وبقية في مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، بقي فيه وحده أمة، وتفرد وقد درجت الأئمة، فقام للدين برهاناً، وقام للحق، فقعد الباطل مهانا، وولي قضاء القضاة بالديار المصرية بسيرةٍ ملأت صدور الإيمان سرورا، وانبثَّتْ في مقل النجوم نورا، وكان يحضر مجلس السلطان يصدع بما يؤمر، ويتكلم ورفاقه جلوس كأنه

---

(١) **ترجمته في**: الجواهر المضية ١/ ٩٣، أعيان العصر ١/ ٩٨، تاج التراجم ٥ رقم٦، النجوم الزاهرة ١٠/ ١٠٤، الطبقات السنية رقم ٥٦، الدرر الكامنة ١/ ٤٨ـ ٤٩ رقم١٢١، المنهل الصافي ١/ ١٢٧ـ ١٢٩ رقم٥٨، الدليل الشافي ١/ ٢٣ رقم ٥٧، درة الأسلاك ٣٣٥ .

عليهم مؤمر، ليس إلا في فقه ينقله في موضعه، وعلم يستخصّ لأنفعه، ثم عمل عليه عند السلطان من عمل على الناس عنده حتى أخلى منه الأوطان، وأتى دمشق، وصار بها صدر ناديها، وبدر واديها، وغيث صنائعها، وجميل أياديها.

تفقه على الشيخ تقي الدين أبي الربيع سليمان التركي الزاهد، وسمع الحديث من ابن النجار، وطائفة، وخرج له مشيخة في الحديث، وحدث بها بالقاهرة، ودرس بدمشق بالمدرسة الشبلية، وبالمدرسة الفرخشاهية ظاهر دمشق، وأعاد في كبار المدارس، وتصدر للإفادة بالجامع الأموي /٩٨/ ورجع إليه في مهمات الفتاوى والوقائع، ولم يكن في وقته أفقه منه في مذهبه، ولا أتم بحثاً، ولا أدق نظراً، ولا أعذب لساناً، عارفٌ بغوامض المذهب ومشكلاته، حديد النظر، شديد الفكر في الفقه، وله تصرف في جملةٍ من علوم الشريعة، ويجيب الفضلاء من أرباب المذاهب وطلبة الحديث.

وبرز المرسوم السلطاني الملكي الناصري في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة بطلبه من دمشق إلى الديار المصرية قاضياً بعد ابن الحريري فقابله بالامتثال، وتوجه لها على خيل البريد وفوض إليه قضاء القضاة، وتدريس المدارس الكبار، وخلع عليه وأكرم مورده ورسم له ببغلة سلطانية وركب الأعيان والحجاب، وبعض أرباب الدولة في خدمته وقرى تقليده.

وحكم، وألقى الدروس البديعة، وأقام هناك نحواً من عشر سنين، ثم صرف عن القضاء، وعاد إلى دمشق سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، وأقام بها مدة ليس له راتب ولا معلوم، وهو قانع صابر، ثم ولي تدريس المدرسة العذراوية بدمشق، ولم تزل الفضلاء يترددون إليه، ويستفيدون منه، ويرجعون إلى رأيه. وله المصنفات المفيدة، وله مسائل مفرده عديدة.

توفي ليلة الأربعاء سابع عشر ذي الحجة سنة أربع وأربعين وسبعمائة.

ومنهم:

[٥٨]

أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنو شروان الرازي الحنفي، أبو المفاخر، قاضي القضاة، جلال الدين[١]

نزيل دمشق. طالما تكلم والناس سكوت، وامتد به البقاء وحياة العلم أنه لا

(١) ترجمته في: الجواهر المضية ١/ ١٥٦، الطبقات السنية رقم ١٧٣.

يموت، مع كرمٍ منهل اليدين، وسماحٍ مُتهلّل الفرقدين، وعلم، وعملٍ، وسوي دين ومروءةٍ كأنما يُتقاضى منها بدين، وأريحية يهزه طربها، ويلزه أربها، ويعزه بها فريقا الأمم عجمها وعربها. يوفي حقوق الناس بسعة، بل يسلفهم /٩٩/ ويعدهم بلسان حال فعله ثم لا يخلفهم، ويبسط كفاً ما تعود في السماح قبضها، ويداً لا تجسُّ يد الثريا في عرق البرق نبضها.

مولده بمدينة أنكوريا سنة إحدى وخمسين، وتفقه على والده وغيره، وقرأ القرآن الكريم، والتفسير، والنحو، والتصريف، والخلاف، والجدل، وأصول الدين، والفقه، والفرائض، وسمع الحديث، وحدث بدمشق، وولي القضاء بخرتبرت وأعمالها، وعمره سبع عشرة سنة، ثم قدم دمشق فناب عن والده في الحكم سنة ستٍ وتسعين وستمائة، ثم وصل تقليده بالاستقلال بالحكم سنة سبع وتسعين، واستقر والده بالديار المصرية، ودرس بالمدارس الكبار بدمشق، وحج ثلاث مرات.

وهو كثير المروءة لقصاده، حسن المعاشرة، طيب الأخلاق، سخي النفس جداً، محبوب عند الفرق كلها، متودد إلى الناس، لا يرد سائلاً، ولا يخيب قاصداً، يحب أهل العلم، ويصلهم كل وقت ويدنيهم.

وله نيف وسبعون سنة يدرس بدمشق، وغالب مفتيي مذهبه من الحكام والمدرسين، والمفتون كانوا فقهاء عنده، وقل منهم من درس وأفتى بغير خطه، وهو محترم عند الدولة، مسموع الكلمة، مقبول القول، ولا يصدر عنه لا الخير، ولا يؤثر عنه إلا الجميل.

[ولما قدم السلطان ـ من الكرك ـ دمشق في سلطنته الأخيرة، سنة تسعٍ وسبعمائة تردد الرازي إليه، ونفق عليه. وحضرته وقد جلس وهو والقضاة إلى جانب السلطان وقت صلاة الجمعة بالميدان الصغير، فقرأ القارىء عشراً، فسأل السلطان عن معنى آية منه، فلم تحر القضاة جواباً، فقال هو للسلطان بالتركي: هؤلاء حمير ما فيهم من يعرف التفسير، ثم أخذ يفسرها له بالتركي، فقال له: لم لا تقول بالعربي، فقال: لأن هؤلاء ما هم أهل لأن أعلمهم، وإنما الخطيب يعرف عن القزويني وسيتفرج مولانا السلطان عليّ وعليه، ويظهر له ذلك الوقت جهل هؤلاء القضاة، فضحك السلطان وجميع من حضر، وفسر ايدمر الدوادار لوالدي قوله وأنا أسمع، ثم جاء الخطيب فخطب وصلى فلما فرغ، طلبه السلطان، وأعاد السؤال. فتكلم هو والرازي، وتناظرا والقضاة سكوت قد سقطوا من الأعين كلها، وكان الاستظهار للرازي.

وحكى لي أعجوبة جرت له قال: كان والدي قد سفرني لإحضار أهله من

الشرق، فلما جزت البيرة، ألجأنا المطر إلى أن نمنا في مغارة، وكنت في جماعةٍ، فبينا أنا نائم إذا بشيء يوقظني، فانتبهت فإذا أنا بامرأةٍ وسطٍ من النساء لها عين واحدة مشقوقة بالطول، فارتعت، فقالت: ما عليك إنما أتيتك لتتزوج ابنة لي كالقمر، فقلت لخوفي منها: على خيرة الله. ثم نظرت فإذا برجال قد أقبلوا، فنظرتهم فإذا هم كهيأة المرأة التي أتتني، عيونهم كلها مشققة بالطول في هيأة قاض وشهود، فخطب القاضي وعقد، فقبلت ثم نهضوا وعادت المرأة ومعها جارية حسناء إلا أن عينيها مثل عين أمها، وتركتها عندي، وانصرفت فزاد خوفي واستيحاشي، وبقيت أرمي من كان معي بالحجارة لينتبهوا، فما انتبه والله ولا واحد منهم، فأقبلت على الدعاء والتضرع، فلما كان في اليوم الرابع أتتني المرأة وقالت: كأن هذه الشابة ما أعجبتك، كأنك تختار فراقها، فقلت: أي والله، قالت: فطلقها فطلقتها فانصرفتا، ثم لم أرهما. فسألته إن كان أفضى إليها، فزعم أن لا].

وهذا آخر من ذكرته من الفقهاء الحنفية بالجانب الشرقي.

[فقهاء الحنفية في الجانب الغربي]

فأما من الجانب الغربي من الحنفية، فلم أرَ من أهل الذكر منهم بالجانب الغربي الممحض إلا رجلاً واحداً. كدت أكون له بعدم عرفاني جاحداً، هذا وقد نقبت في البلاد، وقمت لهذا الأمر ملقياً عن كتفي البجاد.

/ ١٠٠/ وهو:

[٥٩]

محمد بن عبد الله بن عبدون بن أبي ثور الرعيني قاضي إفريقية المعروف بابن عبدون الحنفي(١)

مولى رعين، ومرمى كل عين، أنبت في أرض المغرب شقائق النعمان، وصرخ بذكر أبي حنيفة في أذنها ذلك الزمان، حتى ملأ مذهب الكوفة تلك المسالك. وملك أبو حنيفة الغرب كأنه مالك، وتولى القضاء بإفريقية فكانت لا تعدل بعلمه أحداً، ولا تقول لغير حكمه دائم النفوذ أبداً.

قال ابن يونس: حدث عن سليمان بن عمران الإفريقي وغيره، حدثنا عنه غير واحد وحدثنا أبو جعفر الطحاوي عنه بما كتب إليه إجازة.

وذكره أبو بكر عبد الله بن محمد في رياض النفوس في علماء إفريقية، وقال: إنه كان عالماً بمذهب العراقيين، يتفقه لأبي حنيفة، ويحتج له، قال: وله تواليف كثيرة، وكان أكثر علمه الشروط وله في ذلك تواليف حسنة، وكان حسن الغريب، والنحو، وقلمه خير من لسانه.

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله الربعي، عن أبيه، قال: ولى الأمير إبراهيم بن أحمد، محمد بن عبدون قضاء القيروان، وجلس في جامعها سنة خمس

---

(١) **ترجمته في**: الجواهر المضية ٣/ ١٨٩، تاج التراجم ٦٣، الطبقات السنية رقم ٢٠٤٩، رياض النفوس ١/ ٤٩٤، هدية العارفين ٢/ ٢٢٣.

وسبعين ومائتين، وكان الأمير محباً له، معجباً به. وعزل عن القضاء في ذي القعدة سنة سبع وسبعين ومائتين.

قال أبو علي في المغرب: انتهى محمد بن عبدون في الدرجة، ورفيع الذكر إلى ما فاق به على أقرانه، وسبق نظراءه، وأصبح نسيج وحده، وواحد عصره، معرفةً، وفقهاً، وأدباً، ومنظراً، وجمالاً، وأبَّهةً، ونزاهةً، وصيانة. آل به عظمها إلى أن وصف بالكبر والعجب في فعله وخلقه، وكان يضرب به المثل. يقال: إذا أغلق ابن عبدون بابه لم يحتج إلى غيره لعلمه بالفقه، واللغة، والشعر، والرسائل: قال: وكان يتفقه بفقه أبي حنيفة.

وتوفي بإفريقية سنة ثلاثمائة، وقيل: سنة تسع وتسعين ومائتين.

وهذا بالغرب أول القوم وآخرهم، وبعضهم وسائرهم، كأنما كان في ذلك الجانب بيضة الديك أو الفأر من مضايقة الشريك.

* * *

[فقهاء الحنفية بمصر]

فأما من كان منهم بمصر، فجماعات في كل حين، تزين بهم الدهر، وشرف الزمان.

/ ١٠١/ فمنهم:

[٦٠]

إبراهيم بن الجراح بن صبيح التميمي، ثم المازني[١]

القاضي الحنفي، قاضي مصر، مولى بني تميم، ثم لبني مازن من أهل مرو الروذ، والقاعد في الصدور، وسواه منبوذ، والزناد الذي من سنى قبسه مأخوذ. خراساني غلبت مصر عليه بلده البعيد، وجذبت منه الذهب جذب المغناطيس للحديد، واستهدت ديباجه الخسرواني الخراساني، واستشفَّت زجاجه النيراني النوراني، واستهدت في جانبها الغربي غيره الذي افتر عنه ثغر الصباح، ونهاره الذي تبحر بها لما انفجر فجره من الأفق الشرقي وساح.

تفقه على أبي يوسف، وهو من أصحابه خاصة، وكتب عنه الأمالي وكان أبو يوسف يقول له: تأخذ المسألة من عندنا طرية وتردها منك حيلة. وسمع الحديث، ونزل مصر، فولي القضاء بها سنة خمس ومائتين، وعزل نفسه سنة إحدى عشرة ومائتين.

قال يونس بن عبد الأعلى: كان ذا همةٍ، عالماً، وكان الذي كتب الشروط لعبيد الله بن السري، فأخذ الأمان له ولجميع جنده، ولم يأخذ لنفسه أماناً، ففعل ابن طاهر به الأفاعيل.

وقال عبد الرحمن بن عبد الحكم: لم يكن إبراهيم بن الجراح بالمذموم في أول ولايته حتى قدم عليه ابنه من العراق فتغير حاله، وفسدت أحكامه.

---

(١) **ترجمته في**: الولاة والقضاة للكندي ٤٢٧ـ ٤٣٣ و٤٥٦ و٥٠٤، تاريخ الاسلام (السنوات ٢١١ـ ٢٢٠هـ) ص ٥٢ رقم ١٩ .

توفي بمصر في المحرم سنة سبع عشرة ومائتين، وقيل: مات بالرملة.

/١٠٢/ ومنهم:

[٦١]

القاضي بكار بن قتيبة بن أبي برذعة بن عبيد الله بن أبي بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي(١)

والحارث بن كلدة صاحب رسول الله ﷺ، وبكار قاضي الديار المصرية، البز الرفيع، والعز المنيع، والورع المشهور شهرة الأعلام، المشهود به شهادة الإسلام، الراسخ علماً، الراسي ثباتاً، وقد حبس ظلماً، أبت له عفته أن يرتقها بتكدير، وأمانته أن يضيعها بألوف الدنانير، وكان يعلم الحمد لله هكذا قدر إيذاناً بأنه أكره على القضاء إذ ولي، وأنه كان يكره منه ما يلي، كفّرت به ثقيف سيئة مبيرها، وطت سوءة شريرها، وعفت أولها وأخيرها، ولأهل مصر فيه حسن معتقد، وفرط غلو لا ينتقد، وصدق فراسة أخمدت جمر البرق وقد وقد.

وقد كان حنفي المذهب، تولى القضاء بمصر، وظهر من حسن سيرته وجميل طريقته ما هو مشهور، وله مع أحمد بن طولون صاحب مصر وقائع مذكورة، وكان يدفع له كل سنة ألف دينار خارجاً عن المقرر له، فيتركها بختمها، ولا يتصرف فيها، فلما دعاه إلى خلع الموفق بن المتوكل، وهو والد المعتضد من ولاية العهد، امتنع القاضي بكار من ذلك. والقضية مشهورة، فاعتقله ابن طولون، وطالبه بجملة المبلغ الذي كان يأخذه في كل سنة، فحمله إليه بختمه، فكان ثمانية عشر كيساً، فاستحيا

---

(١) **ترجمته في**: الثقات لابن حبّان ٨/ ١٥٢، والولاة والقضاة للكندي ٥٠٥ـ ٥١٤، والعيون والحدائق ج٤ ق ١/ ١٣٠، والولاة والقضاة ٢١٥، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٣١، ٤٧٥ـ ٥٧٦، ٥٠٥ـ ٥١٥، وولاة مصر ١٥، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٧، والأنساب ٢/ ٢٧٤، وتهذيب تاريخ دمشق ٣/ ٢٨٥ـ ٢٨٧، واللباب ١/ ١٦٩، ووفيات الأعيان ١/ ٢٧٩ـ ٢٨٢ رقم ١١٦و ١١٦ب، والعبر ٢/ ٤٤، ودول الإسلام ١/ ١٦٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٩٩ـ ٦٠٥ رقم ٢٢٩، والبداية والنهاية ١١/ ٤٨، ومرآة الجنان٢/ ١٨٥ـ ١٨٦، والوافي بالوفيات ١٠/ ١٨٥ـ ١٨٦ رقم٤٦٦٨، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٨، ١٩، ٤٧، ٤٨، وحسن المحاضرة ١/ ٤٦٣، ورفع الإصر للسخاوي ١٤٠، وتاج التراجم لابن قطلوبغا ١٩، وشذرات الذهب ٢/ ١٥٨، ومآثر الإنافة ١/ ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٦، وطبقات الفقهاء لطاش كبري زاده ٤٧، وبدائع الزهور ج١ ق ١/ ١٩٤، وطبقات الأولياء ١١٩ رقم ٢٧، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٣٨، وهدية العارفين ١/ ٢٣٣، وديوان الإسلام ١/ ٢٠٤ـ ٢٠٥ رقم ٣٠٩، (تاريخ الاسلام السنوات ٢٦٠ـ ٢٨٠هـ) ص رقم ٤٥.

أحمد منه، وكان يظن أنه أخرجها، وأنه يعجز عن القيام بها، فلهذا طالبه، ولما اعتقله أمره أن يسلم القضاء إلى محمد بن شادان الجوهري، ففعل، وجعله كالخليفة له، وبقي مسجوناً مدة سنين. وكان يحدّث في السجن من طاف فيه؛ لأن أصحاب الحديث شكوا إلى ابن طولون انقطاع سماع الحديث من بكار، وسألوه الإذن له في الحديث ففعل.

توفي قاضياً يوم الخميس لست بقين من ذي الحجة سنة سبعين ومائتين، وقبره معروف باستجابة الدعاء.

/١٠٣/ ومنهم:

[٦٢]

أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد. عرف بابن أبي العَوَّام السعدي الحنفي(١)

قاضي مصر، وبها الإسماعيلية، لا يُحكم إلا بآرائها، ولا تزداد أضاليلها باللوم إلا من أغرابها، فقضى بالحق وعدل، ومضى على سننه، وما لواه الجدل، ولم يظلم في وجهه سواد تلك النحل المضلة، ولا شدت عليه تلك الشبه طرف الأدلة، ولا ربطت تلك البدع على ما ينافي الملة، وكذلك كان شأنهم في الدين لا يكرهون، وعلى الباطل لا ينيمون ولكنهم له ينبهون، لا يقلبون الصور، ولكنهم يشوهون، ولا يغلطون الحقائق، ولكنهم يشبهون، ولا يخبتون الخالص بغشهم، ولكنهم يموهون.

مولده بمصر سنة تسع وأربعين وثلاثمائة. له بيت كلهم يتفقهون على رأي أبي حنيفة. وكان من صباه من أهل الصيانة طالباً للحديث والفقه.

قال إسماعيل بن علي الحسيني في أخبار القضاة بمصر: حدثني أبو حفص الفرائضي: أنه دخل إلى مجلس القاضي أبي الطاهر هو وأبو يوسف بن يعقوب بن إسحاق فقال للحكمي الوراق: يا أبا حفص ترى هذين الحدثين سوف يكون لهما بمصر شأن، فما مضيت الأيام والليالي حتى ولي أبو العباس القضاء، وصار أبو يوسف شيخ الشيوخ، ولما استخلفه أبو الطاهر على الفرض، كان الخصوم يخرجون من عنده وهم يشكرون تأتيه ولطفه، وحصل له في قلوب الناس الموضع الجليل، ولم يعلم عليه إلا الخير والصيانة والديانة. فلما قتل مالك بن سعيد بقي الناس بلا قاضٍ

---

(١) **ترجمته في**: الجواهر المضية ١/ ٢٨٢، القضاة لابن الكندي ١٦٣، رفع الأصر ١/ ١٠١، حسن المحاضرة ٢/ ١٤٨، المقفى الكبير ١/ ٦٠٣، أخبار مصر للمسبحي ١٨٠ـ ١٨٢، الطبقات السنية ٢/ ٦٠، أخبار مصر لابن ميسر ٢٢ـ ٣٠.

من ربيع الآخر إلى شعبان سنة خمس وأربعمائة، ويتطلع كل إنسان إلى القضاء غير أنهم جزعون بما جرى على من تقدمهم. وقام في نفس أبي يعقوب إسحاق، وكذلك سليمان بن رستم /١٠٤/ وما يجري مجراهما، فلزموا موكب الحاكم. وأبو العباس بن أبي العوام هذا لازم داره ينظر في الفرض، ويشهد ولم يسأل الحاكم إن يكون في جملة من يدخل إليه. وكان بمصر رجل مكفوف يعرف بأبي الفضل جعفر الضرير من أهل العلم، والنحو، واللغة، فقدمه الحاكم، وخلع عليه، وأقطعه ولقبه بعالم العلماء، وسأله عن الناس واحداً واحداً من يصلح منهم، وهو أعلم بما يسأله عنه، وإنما أراد أن ينظر مبلغ عقله، فذكر أبا العباس بن أبي العوام وغيره، فوقع الاختيار على أبي العباس، فقيل للحاكم: يا أمير المؤمنين ما هو على مذهبك، ولا مذهب من تقدم من سلفك غير أنه نفسه مأمون، مصري، عارف بالقضاء، عارف بالناس، وما في مصر من يصلح لهذا الأمر غيره. وقام أبو الفضل الضرير من عند الحاكم وقد أحكم له الأمر، فأمر الحاكم أن يكتب له سجل وشرط عليه فيه أنه إذا جلس في مجلس يكون معه أربعة من فقهاء الحاكم، كي لا يكون إلا على المذهب. وقرئ عهد على المنبر بالجامع العتيق، وزكاه فيه بأحسن تزكية، وخلع عليه، وحمله على مركب حسن، وجعل له النظر في القاهرة ومصر والحرمين وسائر الأعمال ما خلا فلسطين، فإن الحاكم ولاها أبا طالب المعروف بابن بنت الرندي، ولم يجعل لأبي العباس عليه نظراً، وكان هذا يجل نفسه عن قضاء مصر وأعمالها غير أن هيبة الحاكم جعلته امتثل أمره، وجعل الحاكم لأبي العباس بن أبي العوام هذا النظر في العيار في دار الضرب، والموازين، والمواريث، والنظر في أحباس المساجد، والجوامع، فوليها أبو العباس وهو مؤيس من نفسه، وعلم أنه مقتول لا محالة، وإنما حب الدنيا غلب عليه، ومنع الله يد الحاكم أن تمتد إليه بسوء /١٠٥/ لما بقي له من الأجل، وكان يركب أيام الجمع مع الحاكم، ويطلع يوم السبت إليه يعرفه ما يجري من أمر الأحكام، والشهود، والأمناء وغيرهم، وما يتعلق بالحكم. ويوم الأحد يجلس في الجامع العتيق، ويوم الثلاثاء يجلس في القاهرة في الجامع الأزهر يحكم بين أهلها، ويوم الأربعاء سأل الحاكم أن يجعله له راحة، فاشترى داراً بالقرافة ينقطع فيها يوم الأربعاء من بكرة النهار إلى المغرب يتعبد فيها، ويخلو بمن يريد من الشهود ومن غيرهم ويجلس يوم الخميس أيضاً في الجامع العتيق. ولم يزل ناظراً في الأحكام إلى أن مات في ربيع الأول سنة ثمان عشرة وأربعمائة.

ومنهم:

[٦٣]

أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السّروجي، الحنفي، أبو العباس[(١)]

قاضي قضاة الديار المصرية، شمس الدين، ممن مهد منصب القضاء لأجل حلوله، وأخليت أفئدة المدارس لحط حموله، والتطم بحر العلم بين جنبيه، واضطرم فريد الذكاء بين غربيه، وعز مكاناً، وعد من خيراته شهب السماء سكاناً، وعلا قدراً. شخصت الحدق إليه، وسما شمساً فلم تتجاسر العيون عليه. كم نودي باسمه فحيعل داعي الفلاح، وعودي بحكمه فألقى الزمان السلاح، وذكر منه السّرُوجي صاحب المقامات، ولكنها مقامات أهل الصلاح، ووقفت له في الهيأة على ما لم أظنه لغيره تهيّا، ولا لسواه قسمت العلياء ممسوحةً بشبر الثريا، ورأيت غُبَّر رجال من أهل مصر أدركوه تعبق بذكره أفواههم، وتغيب في بحار شكره سوابح النجوم وهم وأشباههم.

مولده سنة تسع وثلاثين وستمائة. تفقه على أبي الطاهر الحلبي، وصدر الدين سليمان بن أبي العز، وقيل: إنه /١٠٦/ كان يتفقه أولاً على مذهب الإمام أحمد، وقرأ طرفاً من «المقنع» ثم خوطب في الاشتغال على مذهب أبي حنيفة، فشكا الفقر، وعدم كتاب يشتغل فيه، فدفع إليه كتاب البداية، فحفظها واجتهد في طلب العلم إلى أن ولي قضاء الديار المصرية، وصنف وشرح شرحاً كبيراً للهداية، ولم يتممه، وكان له مشاركة تامة في علم التفسير والنحو، مع مكارم أخلاق، وطلاقة وجه، وبسط نفس، ومروءة تامة، ورياسة، وجلالة، وحسن معاشرة، صحب الفقراء، وكان مؤثراً لهم، مكرماً للغرباء، محباً للعلم وأهله. يذب عن طائفته. ويحسن إليهم بجاهه وماله.

وروي أنه لما حج سأل الله في الملتزم حاجةً في نفسه لم يطلع عليها أحداً من الناس، فجاءه شخص فقير بعد مدة، فخلا به، وقال: رأيت النبي ﷺ في النوم وأمرني أن أجيء إليك، وأقول لك بإمارة ما سألت الله تعالى في الملتزم كيت وكيت، أعطني ما معك كله لأنفقه في مصالح ذكرها لي رسول الله ﷺ، فقال: هذه إمارة صحيحة، ثم أخرج له جميع ما كان عنده، وكان نحو مائة دينار وألف درهم، وقال: خذها، فو الله ما اطلع على هذا أحد إلى الآن، ولو كان عندي أكثر من ذلك لدفعته إليك.

---

(١) **ترجمته في**: الجواهر المضية ١/ ١٢٣، شذرات الذهب ٦/ ٢٣، أعيان العصر ١/ ١٥٩، المنهل الصافي ١/ ٢٠١، الدرر الكامنة ١/ ٩٦ـ٩٧، البداية والنهاية ١٤/ ٦٠، تالي كتاب وفيات الأعيان ٨، الطبقات السنية رقم ١٢٠، رفع الأصر ١/ ٥٠، ذيول العبر ٥٣، النجوم الزاهرة ٩/ ٢١٢، تاج التراجم ١١ـ١٢، حسن المحاضرة ١/ ٤٦٨، كتائب أعلام الأخيار رقم ٥٠٩، مفتاح السعادة ٢/ ٢٦٧.

وقيل: إنه شرب من ماء زمزم لقضاء مصر كما ورد في الحديث: ماء زمزم لما شرب له، فرزقه بتوفيق الله ومشيئته.

ومما يؤثر عنه أنه كان له درج يكتب فيه جميع ما عليه من الدين، فاتفق أنه لما توفي أوفوا ما عليه بذلك الدرج، فجاء شخص فقال: لي عليه مائتا درهم، فنظروا في الدرج وفتشوه، فلم يجدوا شيئاً، فقالوا له: ما كتب لك شيئاً، فرآه بعض الفقهاء في النوم وهو يقول: أعطوا فلاناً مائتي درهم، فإن له علي، فقال له: لم لا كتبتها في الدرج؟ فقال: هي مكتوبة بخط دقيق في الدرج، فأصبح وطلب الدرج، وفتشوه فوجدوه /١٠٧/ كما قال، فأعطوا صاحب الدين المائتين.

وتوفي يوم الخميس ثاني عشر رجب سنة عشر وسبعمائة، ودفن بالقرافة الصغرى.

ومنهم:

[٦٤]

الأمير علاء الدين علي بن بَلْبَان بن عبد الله الفارسي الحنفي(١)

رجل أخمله عند السلطان فضله، وأخره إذ لم يكن يأتي مثله، ما شد في زمانه على نظيره حميلة سيف، ولا سمحت بشبهه حمية طيف، علماً متقناً، وحلماً متيقناً، وفضلاً غزيراً مدده، مزيراً منده، مميزاً ما نطق به لسانه، وأثرت يده، مغيراً به زمانه، كل عصرٍ يضنى نحولاً، ويبلى تحت غلائله جسده، إلا أنه وسم بتشيع كان يسره، ووصم بتتبع كاد يضره، لكنه سلم لما أعتزل، وقنع بكفاف قوتٍ له واختزل.

مولده سنة خمس وسبعين وستمائة بالقاهرة. تفقه على السروجي، وشرح الهداية على ابن المعلم، وقرأ الأصولين، والمعاني، والبيان، والبديع، والمنطق على الشيخ علاء الدين القونوي الشافعي، وقرأ العربية على الشيخ أبي حيان، وسمع الحديث. وورد دمشق مع العسكر مرتين، فسمع بها الحديث، و«شرح الجامع الكبير» للأخلاطي شرحاً جيداً في أربع مجلدات، وصنف عدة مصنفات، وشُهد له بصلاحية الإفتاء، والأشغال، والتدريس، واعتزل عن الناس، واختار الخمول، وترك الشهرة، ولازم بيته، واشتغل بالجمع والتصنيف، وهو باق على زي الأجناد، ولباس الأتراك،

---

(١) **ترجمته في**: الجواهر المضية ٢/ ٥٤٨، الكامنة ٣/ ١٠٠-١٠١، أعيان العصر ٣/ ٣١٢، الوفيات لابن رافع ١/ ٨٧، تاج التراجم ٤٣، بغية الوعاة ٢/ ١٥٢، حسن المحاضرة ١/ ٤٦٨، كتائب أعلام الأخيار رقم ٥٥٩، الطبقات السنية رقم ١٤٦٦، تذكرة النبيه٢/ ٣١٠، النجوم الزاهرة ٩/ ٣٢١، الفوائد البهية ١١٨-١١٩، إيضاح المكنون ١/ ٧١٨.

لم يغير زيه إلى زي العلماء، ولا تغير عن إقطاع الجندية.

توفي سنة تسع وثلاثين وسبعمائة بالقاهرة.

/١٠٨/ ومنهم:

[٦٥]

عثمان بن علي بن محجن بن موسر، أبو عمر، فخر الدين الصوفي، ويعرف بالبازعي، الزَّيلعي، الحنفي(١)

كان من أعيان الفقهاء المرجوع إليهم، والمسموع ما لديهم، يعول على ما أفتى، ويجاذب القول في المسألة حتى، لا يتكثر برياش، ولا يتكبر بحشاش. لا يقنع من سحب العلم برشاش، ولا يتهافت على الفتوى تهافت الفراش، لما وقر في صدر العصر من مكانه، وما أقر له به كل عدو من فضل دين وأمانة؛ ولأنه كان رحمه الله حيث يحمد، ويعرف أنه في كل خلق أحمد.

ورد القاهرة سنة خمس وسبعمائة، واشتغل بالفقه على مذهب أبي حنيفة، وبرع فيه، ودرس بالعاشورية، والدوادارية، والتربة المسعودية بالقرافة الصغرى، وكان فقيهاً، فاضلاً، يعرف الفقه، والنحو، والفرائض وتصدر للإفادة، والإفتاء، وكان قضاة عصره في مذهبه يميلون إليه، ويسمعون كلامه، وكان أسمر اللون شديد السمرة(٢).

ومنهم:

[٦٦]

علي بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني الحنفي، علاء الدين، أبو الحسن(٣)

هو آخر من بقي، وفاخر الدر مما انتقي، علماً، وعملاً، هما الغاية التي لا

---

(١) **ترجمته في**: الجواهر المضية ٢/ ٥١٩ وفيه اسمه: «عثمان بن علي بن محجن بن يونس..»، تاج التراجم ٤١، الطبقات السنية رقم ١٤١٤، حسن المحاضرة ١/ ٤٧٠، طبقات الفقهاء لطاش كبري زاده ص ١٢٥، كتائب أعلام الأخيار رقم ٦٠٧، الفوائد البهية ١١٥-١١٦، إيضاح المكنون ١/ ١٧٧.

(٢) بعدها بياض في الأصل بمقدار سطرين.

(٣) توفي سنة ٧٥٠هـ.

ترجمته في: الجواهر المضية ٢/ ٥٨١، الوافي بالوفيات ٢١/ ٣٠٧، أعيان العصر ٣/ ٤٦٣، الدرر =

مزيد عليها، والنهاية التي يجدّ المجتهد، ولا يصل إليها، ترى الفضل لديه أنواعاً، وبيديه ينقسم أفراقاً واجتماعاً، ونوع الفقه على مذهب أبي حنيفة اليوم بمصر، منحصر في واحده، منحسر قناع السؤال عن فوائده، منحدر منه سيل السائل، مبتدر كل سائل[١].

/١٠٩/ وهذا من الحنفية آخر من انتهينا إلى أمره، وختمنا الفصل بمسك ذكره، ثم نتلوهم من الفقهاء بمن بعدهم في الرتبة بحكم أزمان الأئمة.

* * *

= الكامنة ٣/ ١٥٦، الوفيات لابن رافع ١/ ٢٨٧، تاج التراجم ٤٤، النجوم الزاهرة ١٠/ ٢٤٦، حسن المحاضرة ١/ ٤٦٩، طبقات الفقهاء لطاش كبري زاده ص ١٢٣، الطبقات السنية رقم ١٥٧٢، كتائب أعلام الأخيار رقم ٥٢٢، الفوائد البهية ١٢٣، إيضاح المكنون ١/ ٣٨٠، ٤٥٩، هدية العارفين١/ ٧٢٠.

(١) بعدها بياض في مقدمة الصفحة القادمة بمقدار ١٦ سطر.

طبقات الفقهاء المالكية

طبقات الفقهاء المالكية في الجانب الشرقي

ونبدأ بمن كان في الجانب الشرقي من المالكية

فإمامهم: / ١١٠/

[١]

الإمام أبو عبد الله، مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غَيْمان بن خُثَيْل بن عمرو بن ذي أصبح، واسمه الحارث، الأصبحي المدني(١)

إمام دار الهجرة، ونظام شريعة صاحب الحجرة، وغمام الأنواء الثرة، والنعماء

---

(١) **ترجمته في**: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٩٢، والتاريخ لابن معين برواية الدوري ٢/ ٥٤٣-٥٤٦، ومعرفة الرجال برواية ابن محرز ١/ رقم ٥٨٩ و ٥٩١ و٢/ ١٣١ و٤٦٨ و٤٧١ و٤٧٢ و٤٩٠ و٧٧٩، العلل ومعرفة الرجال لأحمد برواية ابنه عبد الله ١/ رقم ١٧٣ و٢٥٣و ٤٧٦ و١١٠٢ و١١١٨ و١١٩٥ و١٢١٧ و١٢٧٤ و١٢٧٥ و١٣٥٢ و٢/ ١٤٥٠ و١٥٨١ و١٥٨٢ و١٥٨٥ و١٥٨٧ و١٥٨٨ و١٥٨٩ و٢٠٥٦ و٣٣٧٣ و٣٣٨٢ و٢٤٦٤ و٢٥٤٣أ، و٢٦٥٨ و٢٣٩٥ و٢٥٩٢ و٣٥٩٤ و٣/ ٤١١٥ و٤٦٨٤ و٤٧٣٣ و٤٧٨٣ ط، و٥١٤٠ و٥٢٤٥ و٥٤٢٥، والتاريخ الكبير للبخاري ٧/ ٣١٠، ٣١١ رقم ١٣٢٣، والتاريخ الصغير له ١٩٧، وطبقات خليفة ٢٧٥، وتاريخ خليفة ٣١٩، ٤٥١، والكنى والأسماء لمسلم، ورقة ٢٦، والمحبّر لابن حبيب ٤٧٧، والأخبار الموفقيّات ٣٤٩، والمعارف ١٣٥، ٢٢٧، ٤٨٤، ٤٩٢، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٨٩، وأنساب الأشراف ٣/ ٢٧، ٥١ وق ٤/ ٩، ٤٨٣، ٥٠٢، ٥٢٧، ٥٨٩، والمعرفة والتاريخ (انظر فهرس الأعلام) ٣/ ٧٣٦، ٧٣٧، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي (انظر فهرس الأعلام)٢/ ٩٧٤-٩٧٦، والزاهر للأنباري ٢/ ٢٣٥، ٢٦٥، ٣٥٥، ٣٧٨، ٣٩٣، وأخبار القضاة لوكيع، انظر فهرس الجزء الأول - ص ٣٩، و٢/ ٩ و٣/ ٧٧، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٦١، ٢٦٨، ٢٧٤، ٢٨٠، وتاريخ الطبري ٨/ ١٣٣، والمنتخب من ذيل المذيل ١٠٦، وتاريخ الثقات للعجلي ٤١٧ رقم ١٥٢١، والمراسيل لابن أبي حاتم ٢٢٢ رقم ٤٠٣، والجرح والتعديل له ٨/ ٢٠٤-٢٠٦ رقم ٩٠٢، والعقد الفريد (انظر فهرس الأعلام) ٧/ ١٤٥، والثقات لابن حبّان ٧/ ٤٥٩، ومشاهير علماء الأمصار، له ١٤٠ رقم ١١١٠، الولاة والقضاة للكندي ٥٨٢-٥٨٤، ووُلاة مصر، له ٤٨، ومروج الذهب ٢٥٠٠، ٣١٧٨، ٣٣١٥، وأدب القاضي للماوردي (انظر فهرس الأعلام) ٢/ ٥٣١، وحلية الأولياء ٦/ ٣١٦-٣٥٥ رقم ٣٨٦، ومن حديث خيثمة الأطرابلسي (بتحقيق التدمري) ٦٨، ٧٣، ١٦٥، والعيون والحدائق ٣/ ٢٣٦، ٢٧٢، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٥٩، ٣٦١، ومقاتل الطالبيّين ١٧٤، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٩٧، ٤٦٤، ٤٨٠، ٥٣٩، والفهرست لابن النديم ١٩٨، والفوائد العوالي المؤرّخة للتنوخي بتخريج الصوري (بتحقيق التدمري) ٧١، ٨١، ٨٢، ٨٤، ٨٧، ١٠٠، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٢، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٤٣٥-٤٣٦، ورجال صحيح البخاري للكلاباذي ٢/ ٦٩٣-٦٩٤ رقم ١٣٨، وتاريخ أسماء الثقات لابن شاهين ٣٠١ رقم =

بكثرة، وأحد الأئمة الأعلام، وحامي بيضة الإسلام.

تحلل مذهبه المغرب حتى طبق مفاصله، وأطلق في أهل الزيغ مناصله، وعظم حرمات صاحب الشريعة بما طل من الدماء، وداوى من مرض الأعداء بهذا الدواء، فأقيمت به الحدود، وأقيلت عواثر الجدود، وقيدت فرق الزيغ بحبال الوريد إلى حفر اللحود، وطل دماءً منع الدماء بها أن تطل، وصان بها عقد الدين أن تحل، وحسم مواد أهواءٍ لولاه لسرى مرضها حتى تفسد كل الأعضاء، وأمهل خصماء الغرماء حتى تكثر ديون الدين على الاقتضاء، بل جاء في أمرهم بالعزائم، وجال في دفع ضرهم بالعظائم، ولم يأخذه على تلك الطوائف القاسية قلوبهم رقة ولا لين، ولا رأفة في دين، ولا رحمة تتأنى بهم إلى وقت، ولا حين.

= ١٢٦٧، ورجال صحيح مسلم لابن منجويه ٢/ ٢٢٠ـ ٢٢١ رقم ١٥٤٤، وثمار القلوب ٦٨٣، وتاريخ جرجان للسهمي (انظر فهرس الأعلام) ١٥٨٤، ونشوار المحاضرة للتنوخي ٣/ ١٩٤ و٥/ ٨، ١٧٧، ١٨٨، ١٨٩، و٦/ ١٩، ٣٨، ١٣٨، ١٣٩، ١٥٦، ١٨١، والهفوات النادرة للصابي ٣٥٨، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٦٧ـ ٦٨، وجماع العلم للشافعي، رقم ٢٤٢، والفهرست للطوسي ١٦٨ رقم ٧٤٠ والانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء لابن عبد البر ٩ـ ٦٣، وترتيب المدارك للقاضي عياض ١/ ١٠٢ـ ٢٥٤، والمبهمات في الحديث للنووي ٣٤/ ٢، والتذكرة الحمدونية ٢/ ٠٩٣، والإرشاد للخليلي (طبعة ستنسل) ١/ ٢٤، ٣١، ٣٤، وتاريخ حلب للعظيمي ٢٣٣، ٣٠١، ولباب الآداب ١١، ١٨، ١٥٧، واللباب ١/ ٨٦، والكامل في التاريخ (انظر فهرس الأعلام) ١٣/ ٣٠٥، وجذوة المقتبس للحميدي (في ترجمة القعنبي)، وتذكرة الحفّاظ لابن عبد الهادي ٢٩/ ٢، وصفة الصفوة ٢/ ١٧٧ـ ١٨٠ رقم ١٨٩، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٧٥ـ ٧٩، ونهاية الأرب ٢٢/ ١٣١، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٤، وخلاصة الذهب المسبوك ١٢٢ـ ١٢٣، والإشارات إلى معرفة الزيارات ٩٣، والروض المعطار ٧، ٣٠، ٤٣، ٩٥، ١٤٤، ٢٧٧، ٢٩٢، ٣٦٤، ٤٠١، ٤٥٤، ٥٦٠، والجمع بين رجال الصحيحين ٢/ ٤٨٠ رقم ١٨٦٢، ووفيات الأعيان ٤/ ١٣٥ـ ١٣٩٢، والاقتراح لابن دقيق العيد ٨، ٣٦، ٤١، ٦٤، ٩٧، ١١١، ١٥٨، ٢٣٦، ٢٧٢، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٢، ٣٢٢، ٣٤٧، وتهذيب الكمال (المصوّر) ٣/ ١٢٩٦ـ ١٢٩٨، والعبر ١/ ٢٧٢، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٣ـ ١٢١ رقم ١٠، والكاشف ٣/ ٩٩ رقم٥٣٣٣، والمعين في طبقات المحدّثين ٦٢ رقم ٦١١، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٧ـ ١٧٥، ومرآة الجنان ١/ ٣٧٣ـ ٣٧٧، والديباج المذهب ١٧ـ ٣٠، وغاية النهاية ٢/ ٣٥ـ ٣٦ رقم ٢٦٤٢، وملء العيبة ٢/ ٥٦، ٩٨، ١٤٤، ١٩٨، ٢٦٧، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٧، والوفيات لابن قنفذ ١٤١ رقم ١٧٩، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٥ـ ٩ (دون ترقيم)، وتقريب التهذيب ٢/ ٢٢٣ رقم ٨٥٩، والنجوم الزاهرة ٢/ ٩٦ـ ٩٧، وشرح البخاري للقسطلاني ١/ ٦، ومفتاح السعادة لطاش كبري زاده ٢/ ١٢، ٨٤ ـ ٨٨، والطبقات الكبرى للشعراني ٤٥، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٣٢، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣٦٦، وشذرات الذهب ٢/ ١٢ـ ١٥ وغيره، وتاريخ الاسلام(السنوات ١٧١ـ ١٨٠هـ) ص ٣٥٧ رقم ٢٤٧ وترجمته حافلة في «تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل» ١/ ١١ـ ٣٢.

وكان هارون الرشيد لا يرجع إلاَّ إليه، ولا هجع جفن طمأنينته إلاَّ لديه، لما يعلمه منه من فضلٍ جل عن الذكر، ودق عن الفكر؛ لأنه ما نظر في علم إلاَّ انفجر فلقه، وانفرج غلقه. ملأ نشره الفضاء، وتلألأ بشره فأضاء، وأشارت إليه الأصابع بالأنامل، وأثنت عليه بالصنائع الجميلة الأرامل، وانتصب لنصر المرسل، فكفي مؤنة النصال، وشَفي من الداء العضال، وقمع الفئة الباغية، والطائفة الطاغية، بتثبيت تزل الجبال الشم، وهو لا يتقلقل، وتنتقل الصخور الصم وهو /١١١/ راسخ لا يتنقل، فما ورد العلماء حتى صدر، ولا مشى القدماء قدماً حتى تبين لهم منه الأثر، ولا ركب بنانه القلم حتى قيل إنّها لإحدى الكبر.

أخذ القراءة عرضاً عن نافع بن أبي نعيم، والعلم عن ربيعة الرأي، ثم أفتى معه عند السلطان.

قال ابن وهب: سمعت منادياً ينادي: ألا لا يفتى الناس إلا بفتيا ابن أنس وابن أبي ذئب.

وكان مالك إذا أراد أن يُحدث توضأ، وجلس على صدر فراشه، وسرح لحيته، وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة، ثم حدث. فقيل له في ذلك، فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ولا أحدث إلا مستمكناً على طهارة.

وكان يكره أن يحدث الناس على الطريق أو قائماً أو مستعجلاً، ويقول: أحب أن أتفهم ما أحدث به عن رسول الله ﷺ، وكان لا يركب في المدينة مع ضعفه، وكبر سنه، ويقول: لا أركب في مدينةٍ فيها جثة رسول الله ﷺ مدفونة.

وقال الواقدي: كان مالك يأتي المسجد، ويشهد الصلوات والجمعة، والجنائز، ويعود المرضى، ويقضي الحقوق، ويجلس في المسجد، ويجتمع إليه أصحابه، ثم ترك الجلوس في المسجد، فكان يصلي، وينصرف إلى مجلسه، وترك حضور الجنائز، فكان يأتي أصحابها فيعزيهم، ثم ترك ذلك كله، فقيل له في ذلك، فقال: ليس كل الناس يقدر يتكلم بعذره.

وسعي به إلى جعفر بن سليمان ابن عم أبي جعفر المنصور وقالوا: إنه لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشيء، فغضب جعفر، ودعا به، وجرده، وضربه بالسياط، ومدت يده حتى انخلعت كتفه وأزيلت، [ولقي] منه أمراً عظيماً. فلم يزل بعد ذلك الضرب في علو ورفعة، وكأنما /١١٢/ كانت تلك السياط حلياً حُلي بها.

وذكر ابن الجوزي في سنة سبع وأربعين ومائة: وفيها ضرب مالك بن أنس سبعين سوطاً لأجل فتوى لم توافق غرض السلطان.

وقال حسين بن عروة: قدم المهدي، فبعث إلى مالك بن أنس بألفي دينار، أو قال: بثلاثة آلاف دينار، ثم أتاه الربيع، فقال: إن أمير المؤمنين يحب أن تعاد له إلى مدينة السلام، فقال مالك: قال رسول الله ﷺ: «المدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون»، والمال عندي على حاله.

وقال قتيبة: كنا إذا أتينا مالكاً، خرج إلينا متزيناً مكحلاً، متطيباً، قد لبس من أحسن ثيابه، فتصدر ودعا بالمراوح فأعطى كل إنسان مروحة، وكان يجلس في منزله ضَجِاعٍ له، ونمارق مطروحة يمنة ويسره لمن يأتيه، وكان مجلسه مجلس وقار، وحلمٍ، وعلم، وكان رجلاً مهيباً، نبيلاً ليس في مجلسه شيء من المراء، واللغط، ولا رفع الصوت، وكان الغرباء يسألونه عن الحديث، فلا يجيب إلا الحديث بعد الحديث، وربما أذن لبعضهم يقرأ عليه، وكان له كاتب قد نسخ كتبه يقال له حبيب يقرأ للجماعة، فليس أحدٌ ممن يحضره يدنو ولا ينظر في كتابه، ولا يستفهم هيبةً لمالك وجلالاً، وكان إذا أخطأ حبيب، فتح عليه مالك.

قال عبد الرزاق في حديث: «يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل في طلاب العلم، فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة» فكنا نرى أنه مالك.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: مالك أفقه من الحكم وحماد.

وقال الشافعي: لولا مالك وابن عيينة، لذهب علم الحجاز.

وقال ابن وهب: لولا مالك والليث، لضللنا.

وقال الشافعي: ما في الأرض كتاب في العلم أكثر صواباً من «موطأ» مالك.

وقال أشهب: كان مالك إذا اعتمَّ جعل منها تحت ذقنه، ويسدل طرفها بين كتفيه.

وقال مصعب: كان مالك /١١٣/ يلبس الثياب العدنية الجياد، ويتطيب.

وقال القعنبي: كنا عند ابن عيينة، فبلغه نعي مالك فحزن، وقال: ما ترك على ظهر الأرض مثله.

وحكى عبد الله الباجي في سبب ظهور مالك: أن امرأة غسلت امرأة ماتت، فلما غسلت فرجها، ضربت الغاسلة بيدها على فرج الميتة، وقالت: يا فرج ما كان أزناك، فلصقت يدها بالفرج، فسئل علماء المدينة في ذلك، ومالك صفة طالبٍ للعلم فاختلفت علماء المدينة في ذلك بين تغليب حرمة الميت على الحي أو حرمة الحي على الميت، فمن قائل بقطع يدها، ومن قائلٍ بقطع الفرج، ومالك حاضر، فقال: ما

أرى إن سمعتم إلا أن تجلد الغاسلة جلد الفرية، فلعله تخلى عنها، قال: فجلدت ثمانين، فانطلقت يدها، فمن هناك عرف علماء المدينة فضل مالك في العلم.

ولد مالك سنة خمسٍ وتسعين للهجرة، وحمل به ثلاث سنين. وقيل: سنة تسعين، وتردد السمعاني فقال: ولد سنة ثلاث أو أربع وتسعين، والله أعلم.

وتوفي في شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة، وعاش أربعاً وثمانين سنة.

وقال الواقدي: مات وله تسعون سنة.

وقال ابن الفرات: سنة تسع وسبعين، وقيل: سنة ثمان وسبعين، والله أعلم.وكانت وفاته بالمدينة الشريفة النبوية زادها الله شرفاً ودفن بالبقيع.

وقال القعنبي: دخلت على مالك بن أنس في مرضه الذي مات فيه، فسلمت عليه، ثم جلست فرأيته يبكي، فقلت: يا أبا عبد الله ما الذي يبكيك؟ فقال لي: يا ابن قعنب وما لي لا أبكي، ومن أحق بالبكاء مني؟ والله لوددت أني ضربت لكل مسألة أفتيت فيها برأيي سوطاً سوطاً، وقد كانت لي السَّعة فيما سبقت إليه، وليتني لم أُفْتِ بالرأي، أو كما قال.

وكان مالك شديد البياض إلى الشقرة، طويلاً، عظيم الهامة /١١٤/ أصلع، يلبس الثياب العدنية الجياد، ويكره حلق الشارب، ويعيبه يراه من المثلة، ولا يغير شيبه.

ومن أصحابه:

[٢]

عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة الفقيه المالكي[1]

علمه يُثري العدم، وعمله يجلي العتم، وفضله ذو المتلب العمم، صنف كتاباً لا

---

(١) **ترجمته في**: المعرفة والتاريخ ١/ ١٨١ و ٤٧٧ و٦٩٩، والجرح والتعديل ٥/ ٢٧٩ رقم ١٣٢٦، والثقات لابن حبّان ٨/ ٣٧٤، وتاريخ أسماء الثقات لابن شاهين ٢١٤ (بدون ترقيم)، ورجال صحيح البخاري للكلاباذي ١/ ٤٥٢ رقم ٦٧٤، والانتقاء لابن عبد البّر ٥٠، والجمع بين رجال الصحيحين ١/ ٢٩٣ رقم ١١٠٧، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٦٧ و١٤٩ و(١٥٠) و ١٥٢ و١٥٤ و١٥٦ و١٥٧ و١٦١ و١٦٣، وترتيب المدارك ٢/ ٤٣٣، والولاة والقضاة للكندي ٥٠٣، والأنساب لابن السمعاني ٨/ ٣٨٥، واللباب لابن الأثير ٢/ ٣٢١، ووفيات الأعيان ١/ ٢٣٨ و٣٤٠ و٢/ ٥٦ و٣/ ٣٦ و(١٢٩) و١٨٠ ـ١٨٢ و٢٢٢ و٣٢٠ و٦/ ١٤٤، ١٤٥، وتهذيب الكمال (المصوّر) ٢/ ٨١١، والكاشف ٢/ ١٠٦ رقم ٣٣٣٣، والعبر ١/ ٣٠٧، وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٢٠ـ ١٢٥ رقم ٣٩، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٥٦، ودول الإسلام ١/ ٢٠٢، والديباج المذهب ١٤٦ـ ١٤٧، والمواعظ والاعتبار للمقريزي ١/ =

يتعداه من راجع، ولا يتعصاه معنًى إلا طاوع بفقه أُلين له منه الحديد، وأعين منه بالحميد، حتى أصبح ومدونته ديوان كل ذي غنًى وإقتار، وغناء كل ذي ميرٍ وممتار، جمع بين الزهد والعلم، وتفقه على مالك ونظرائه، وصحب مالكاً عشرين سنة، وانتفع به أصحاب مالك بعد موت مالك، وكتابه «المدونة» عمدة المالكية في الفقه، ومن أجل كتبهم، وعنه أخذ سحنُون.

مولده في أرجح الأقوال سنة ثمان وعشرين ومائة، وتوفي سنة إحدى وتسعين ومائة ليلة الجمعة لسبع ليال مضين من صفر، ودفن خارج باب القرافة الصغرى قبالة قبر أشهب، وهما بالقرب من السور.

ومنهم:

[٣]

عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، أبو مروان القرشي التيمي، المنكدري مولاهم المدني الأعمى الفقيه المالكي[1]

معدن فصاحة وعلم، وسماحةٍ وحلم، وجدلٍ لا يخصم، وجدٍ لا يفصم، وسعد ظهره لا يقصم، شرف بولائه في البطحاء، ورواحه وغدوه في الروحاء، وتفيأ في قريش دوحةً علياء، وذروة تطاول النجوم علاء.

= ٢٩٧ و٢/ ٢٠٢، وتهذيب التهذيب ٦/ ٢٥٢ـ ٢٥٤ رقم ٥٠٠، وتقريب التهذيب ١/ ٤٩٥ رقم ١٠٧٩، وطبقات الحفاظ ٥٠، وحسن المحاضرة ١/ ١٢١، وخلاصة تذهيب التهذيب ٢٣٣، وشذرات الذهب ١/ ٣٢٩، تاريخ الإسلام (السنوات ١٩١ـ ٢٠٠هـ) ص ٢٧٤ رقم ١٧٩.

(١) **ترجمته في**: طبقات ابن سعد ٥/ ٤٤٢، والتاريخ الكبير للبخاري ٥/ ٤٢٤ رقم ١٣٧٦، والتاريخ الصغير له ٢٢٤، والكنى والأسماء لمسلم، ورقة ١٠٠٥، والمعرفة والتاريخ للفسوي ١/ ٣٦٣، والكنى والأسماء للدولابي ٢/ ١٠٩، والجرح والتعديل ٥/ ٣٥٨ رقم ١٦٨٨، والثقات لابن حبّان ٨/ ٣٨٩، والانتقاء لابن عبد البّر ٥٧، والعيون و الحدائق ٣/ ٣٧٠، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٤٨ و١٥٣ و١٥٤ و١٦٢ و١٦٤، وترتيب المدارك للقاضي عياض ١/ ٣٦٠، وأخبار الحمقى والمغفّلين لابن الجوزي ١٤٧، والإرشاد للخليلي (طبعة فوتو ستات) ١/ ٩، ووفيات الأعيان ٣/ ١٦٦ـ ١٦٧، و٦/ ٣٧٧ـ ٣٧٨، وتهذيب الكمال (المصوّر) ٢/ ٨٥٧، والكاشف ٢/ ١٨٦ رقم ٣٥١٠، وميزان الاعتدال ٢/ ٦٥٨ـ ٦٥٩ رقم ٥٢٢٦، والمعين في طبقات المحدّثين ٧٦ رقم ٨٠٧، والعبر ١/ ٣٦٣، وسير أعلام البنلاء ١٠/ ٣٥٩ـ ٣٦٠ رقم ٩٢، ونكت الهميان للصفدي ٢/ ١٩٧، ومرآة الجنان لليافعي ٢/ ٥٣، والديباج المذّهب ٢/ ٨٦٦، وتهذيب التهذيب ٦/ ٤٠٧ـ ٤٠٩ رقم ٨٥٧، وتقريب التهذيب ١/ ٥٢٠ رقم ١٣٢٦، وخلاصة تذهيب التهذيب ٢٤٤ـ ٢٤٥، وشذرات الذهب ٢/ ٢٨، وشجرة النور الزكيّة ١/ ٥٦، تاريخ الإسلام (السنوات ٢١١ـ ٢٢٠هـ) ص٢٧٢ رقم ٢٤٦.

تفقه على الإمام مالك، وعلى والده عبد العزيز، وغيرهما، وقيل: إنه عمي في آخر عمره، وكان مولعاً بسماع الغناء.

قال أحمد بن حنبل: قدم علينا ومعه من يعينه/ ١١٥/ ، وحدث، وكان من الفصحاء، روى أنه كان إذا ذاكره الإمام الشافعي، لم يعرف الناس كثيراً مما يقولون، لأن الشافعي تأدب بهذيل في البادية، وعبد الملك تأدب بخؤولته من كلب في البادية.

قال يحيى بن أحمد بن المعذل: كلما تذكرت أن التراب يأكل لسان عبد الملك، صغرت الدنيا في عيني. وسئل أحمد بن المعذل، فقيل له: أين لسانك من لسان أستاذك عبد الملك؟ فقال: لسان عبد الملك إذا تعايى أحسن من لساني إذا تحايى.

وتوفي عبد الملك سنة ثلاث عشرة ومائتين.

ومنهم:

[٤]

عبد الله بن سلمة بن قعنب الحارثي، القعنبي، المدني[١]

لاذت به العلوم، فأضحى عصمتها، وأخرس عنها ألسنة الخطوب وأصمتها، وشهر الليالي في طلب المعالي، فأقال عاثر الجدود، وأطلع غارب السعود، وأتى الزمان منه بالعذر الجلي، والروض الجني، استحصبت مراده في كنف مالك، واستقرت مواده من شرف ما هنالك.

أخذ العلم والحديث عن مالك، وهو من جلة أصحابه، وفضلائهم، وثقاتهم، وخيارهم، وهو أحد رواة «الموطأ» عنه، فإن «للموطأ» رواة، وبين الروايات اختلاف، وأكملها رواية يحيى بن يحيى. وكان القعنبي يسمى الراهب لعبادته وفضله.

قال عبد الله بن أحمد بن الهيثم: سمعت جدي يقول: كنا إذا أتينا عبد الله بن

---

(١) ورد اسمه في بعض المصادر: «عبد الله بن مسلمة..» .

ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/ ٤٠، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٥٧، طبقات ابن سعد ٧/ ٣٠٢، التاريخ الكبير ٥/ ٢١٢، التاريخ الصغير ٢/ ٣٤٥، شذرات الذهب ٢/ ٤٩، تاريخ خليفة ٤٧٦، المعارف ٥٢٤، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٨٣، تهذيب التهذيب ٦/ ٣١، شجرة النور الزكية ١/ ٥٧، الجرح والتعديل ٥/ ١٨١، ترتيب المدارك ١/ ٣٩٧، الديباج الذهب ١٣١، الفهرست ٣٣٩، المعارف لابن قتيبة ٥٢٤، العبر ١/ ٣٨٢ـ ٣٨٣، الانتقاء ٦١، الديباج المذهب ١/ ٤١١ـ ١٤٢، العقد الثمين ٥/ ٢٨٥.

سلمة خرج إلينا كأنه مشرف على جهنم، نعوذ بالله منها، وكان من أهل المدينة، ثم سكن البصرة، وتوفي بها يوم الجمعة لست خلون من المحرم سنة إحدى وعشرين ومائتين. وذكر ابن بشكوال أنه توفي بمكة.

/١١٦/ ومنهم:

[٥]

عبد الوهاب القاضي ابن علي بن نصر بن أحمد بن الحسين بن هارون بن مالك بن طوق التغلبي البغدادي[١]

الفقيه المالكي، من ذرية مالك بن طوق صاحب الرحبة، فقيه لا يفاضل، وأديب لا يناضل، وكريم بين معروف كرمه لا يُعاضل، بلي بالإملاق، وضني بالرزق الذي لا يبل الآفاق، ورمي بالتشتت في الآفاق، وكان يضني به السفر، ويعلم أن كل دارٍ فارقها هي الفقر، وكان حيث تنقل من البلاد أو بقي حيث فارق الميلاد، مثل الدرة المكنونة إن فارقت البحار، وزايلت المحار، نُقلت إلى التاج، أو بقيت في الأدراج، وسواه كالثمرة إذا فارقت الشجرة، ذبلت نضرتها بمفارقة الأمواه، وابتذلتها الأيدي والأفواه. على أنه وصل في وقت من الضائقة إلى حالٍ ترحمه فيها الأعداء، وتساعده البعداء. ومع هذا فكم بخل في زمان من رفعة قدر، وتلبية مضطر.

وقال فيه ابن بسام[٢]: كان بقية الناس، ولسان أصحاب القياس، وجدت له

---

(١) **ترجمته في**: تاريخ بغداد ١١/ ٣١، ٣٢، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٦٨، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٤ ج٢/ ٥١٥ـ ٥٢٩، وترتيب المدارك ٤/ ٦٩١ـ ٦٩٥، وتاريخ دمشق ط دار الفكر ٣٧/ ٣٣٧ـ ٣٤١ رقم ٤٣٨٤، وتبيين كذب المفتري ٢٤٩ـ ٢٥٠، والمنتظم ٨/ ٦١ـ ٦٢ رقم ٨٢ (١٥/ ٢٢١ رقم ٣١٧٦)، والكامل في التاريخ ٩/ ٤٢٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٢١٩ـ ٢٢٢ رقم ٤٠٠، ومختصر تاريخ دمشق ١٥/ ٢٨٣ رقم ٢٧٩، والعبر ٣/ ١٤٩، والإعلام بوفيات الأعلام ١٧٧، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٢٩ـ ٤٣٢ رقم ٢٨٧، وفوات الوفيات ٢/ ٤١٩ـ ٤٢١، ومرآة الجنان ٣/ ٤١ـ ٤٢، والبداية والنهاية ١٢/ ٣٢ـ ٣٣، والمرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا للنباهي ٤٠٠، والديباج المذهب ٢/ ٢٦ـ ٢٩، والوفيات لابن قنفذ ٢٣٣ـ ٢٣٤، وبدائع الزهور لابن أياس ج١ ق١/ ٢١٣، وهدية العارفين ١/ ٦٣٧، وديوان الإسلام لابن الغزّي ٣/ ٢٨٢ـ ٢٨٣ رقم ١٤٣٥، وشجرة النور الزكية١/ ١٠٣، ١٠٤ رقم ٢٦٦، وإيضاح المكنون ٢/ ١٣٤، والأعلام ٤/ ١٨٤، ومعجم المؤلفين ٦/ ٢٢٦، ومدرسة الحديث في القيروان ٢/ ٩٦٤، تاريخ الإسلام (سنوات ٤٢١ـ ٤٤٠هـ) ص ٨٥ رقم ٦٧ .
وله ديوان شعر جمعه وحققه د. عبد الحكيم الأنيس، نشر: دار البحوث للدراسات الاسلامية دبي ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(٢) الذخيرة ٤/ ٢/ ٥١٥.

شعراً معانيه أجلى من الصبح، وألفاظه أحلى من الظفر بالنُّجح، ونَبَتْ به بغداد كعادة البلاد بذوي فضلها، وعلى حكم الأيام في محسني أهلها، فخلع أهلها، وودع ماءها وظلها. وحدثتُ أنه شيَّعه يوم فَصَل من أكابرها وأصحاب محابرها جملة موفورة، وطوائف كثيرة، وأنه قال لهم: لو وجدت بين ظهرانيكم رغيفين كل غداةٍ وعشية، ما عدلت ببلدكم بلوغ أمنية.

وفي ذلك يقول[١]: [من الطويل]

سلامٌ على بغدادَ في كلِّ موطنٍ ... وحُقَّ لها مِنِّي سلامٌ مُضاعَفُ
فو اللهِ ما فارقتُها عَنْ قلًى لها ... وإني بشَطَّيْ جانبَيها لَعارِفُ
/١١٧/ ولكنَّها ضاقتْ عليَّ بأسرِها ... ولَمْ تكنِ الأرزاقُ فيها تُساعِفُ
وكانتْ كخِلٍّ كُنْتُ أهوى دُنُوَّهُ ... وأخلاقُهُ تنأى بهِ وتُخالِفُ

ثم توجه إلى مصر فحمل لوءاها. وملأ أرضها وسماءها، واستتبع سادتها وكبراءها، وتناهت إليه الغرائب، وانثالث في يديه الرغائب، فمات لأول ما وصلها من أكلةٍ اشتهاها فأكلها، زعموا أنه قال وهو يتقلب، ونفسه تتصعد وتتصوب: لا إله إلا الله، إذا عشنا متنا.

وله أشعار رائقة ظريفة فمن ذلك قوله[٢]: [من الطويل]

ونائمة قبلتُها فتنبهتْ ... فقالتْ تعالَوا نأخذِ اللِّصَ بالحَدّ
فقلتُ لها إنِّي فديُتكِ غاصِبٌ ... وما حكمُوا في غاصبٍ بسوى الردّ
خذيها وكُفّي عن أثيم ظُلامتي ... وإنْ أنتِ لمْ ترضَي فألفاً على العَدّ
فقالتْ: قِصاصُ يشهدُ العقلُ أنهُ ... على كبدِ الجاني ألذُّ مِنَ الشّهْدِ
فباتتْ يميني وهي هِميانُ خَصْرِها ... وباتَتْ يساري وهيَ واسطةُ العِقْدِ
فقالتْ: ألمْ أُخْبَرْ بأنكَ زاهدٌ ... فقلتُ بلى ما زلتُ أزهدُ في الزُّهدِ

ومن شعره[٣]: [من البسيط]

بغدادُ دارٌ لأهلِ المالِ طيبةٌ ... وللمفاليسِ دارُ الضَّنْكِ والضِّيْقِ
ظَلَلْتُ حيرانَ أمشي في أزقتها ... كأنني مُصحفٌ في بيتِ زنديقِ

---
(١) الذخيرة ٤/٢/٥١٦، ديوانه ٥٠ـ ٥٢.
(٢) الذخيرة ٤/٢/٥١٨، ديوانه ٢٥ـ ٢٦.
(٣) الذخيرة ٤/٢/ ٥٢٥ـ ٥٢٦، ديوانه ٣٥ـ ٣٦.

انتهى كلام ابن بسام في ذلك.

وأنشد ابن خلكان له [1]: [من الوافر]

مـتـى يـصـلُ الـعـطـاشُ إلـى ارتـواءٍ إذا استـقـتِ الـبـحـارُ مِـنَ الـرَّكـايـا

ومَـنْ يُـثـنـي الأصـاغـرُ عَـنْ مُـرادٍ إذا قـعـدَ الأكـابـرُ فـي الـزَّوايـا

/١١٨/ وأنْ تـترفَّعَ الـوضـعـاءُ يـومـا عـلـى الـرُّفـعـاءِ مِـنْ إحـدى الـرزايـا

إذا اسـتـوتِ الأسـافـلُ بـالأعـالـي فـقـدْ طـابَـت مُـنـادمـةُ الـمَـنـايـا

صنف في مذهبه كتاب «التلقين» وعدة ومصنفات، وكان فقيهاً، أديباً، شاعراً، ثقة، لم يلق من المالكيين أحداً أفقه منه، وكان حسن النظر، جيد العبارة، تولى القضاء بباذرايا وباكسايا من العراق.

وخرج في آخر عمره إلى مصر، فاجتاز في طريقه بمعرة النعمان، وبها أبو العلاء المعري فأضافه، وفي ذلك يقول المعري من جملة أبيات[2]: [من البسيط]

والـمـالـكـيُّ ابـنُ نـصـرٍ زارَ فـي سـفـرٍ بـلاَدنـا فـحَـمِـدْنـا الـنـأيَ والـسـفَـرا

إذا تـفـقَّـهَ أحـيـا مـالـكـاً جَـدَلاً ويـنـشُـرُ الـمَـلِـكَ الـضِّـلِّـيْـلَ إنْ شَـعَـرا

وتوفي ليلة الاثنين رابع عشر صفر سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة بمصر، وقيل: في شعبان منها، ومولده في شوال سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ببغداد.

ومنهم:

[٦]

أبو سعيد، عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حَسَّان التنوخي[3] الملقب سحنون، الفقيه المالكي

ويكفيه صيتٌ يرفع محله ويسميه، ويكبت عدوه ويصميه، ويشب عمر عزه

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢٢١، ديوانه٤٢.

(٢) شروح سقط الزند ١٧٤٠.

(٣) **ترجمته في**: طبقات الفقهاء للشيرازي ٢٥، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٦ـ ١٥٩، ١٦٣، والإرشاد للخليلي (طبعة ستنسل) ١/ ٥٦، وترتيب المدارك للقاضي عياض ٢/ ٥٨٥ـ ٦٢٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٢١٩ـ ٢٢٢، ودول الإسلام ١/ ١٤٦، والعبر ٢/ ٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٦٣ـ ٦٩ رقم ١٥، ومرآة الجنان ٢/ ١٣١ـ ١٣٢، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٢٢ ـ٣٢٣، والديباج المذهب ٢/ ٣٠ـ ٤٠، ومعالم الإيمان للدبّاغ ٢/ ٤٩، وشجرة النور الزكية ٧٠، ورياض النفوس للمالكي ١/ ٢٤٩ـ٢٩٠، تاريخ الإسلام (السنوات٢٣١ـ ٢٤٠هـ) ص ٢٤٧ رقم ٢٤٩.

وينمِّيه، ويصون جانب فخاره ويحميه، ولم تزل عين الشرع به قريرة، وأسباب العلياء بسببه مريرة، بسرى كان له إلى المحراب يخلع على الظلام ثوب الصباح، وخَوَافي دعاءٍ إذا طارت من أوكار المساجد جاءت محلقة الجناح، وكانت مجالسه شفاء كل علة، وسداداً لكل خلة، وجامعةً من الفضل لكل حلة، بحديث كالنسيم يجني كل نسمة، وكالشمس تجلي كل ليلة مظلمة.

قرأ على ابن القاسم، وابن وهب، وأشهب، وانتهت /١١٩/ إليه الرياسة في العلم بالمغرب، وكان يقول: قبح الله الفقر، أدركنا مالكاً، وقرأنا على ابن القاسم.

وكان أصله من الشام من مدينة حمص قدم به أبوه مع جند حمص، وولي القضاء بالقيروان، وعلى قوله المعول بالغرب، وحصل له من الأصحاب والتلامذة ما لم يحصل لأحدٍ من أصحاب مالك مثله، وعنه انتشر علم مالك بالمغرب، وتوفي يوم الثلاثاء تاسع رجب سنة أربعين ومائتين.

ومنهم:

[٧]

علي بن محمد بن خلف المعافريُّ، القَرَويّ، القابسيُّ(١)، أبو الحسن

الفقيه الحافظ، رجل نوَّرت بصيرته، وسرت سريرته، وظهرت بزيادة نور الباطل خيرته، فلم يكن ضرراً عماه، ولا عادماً فضل البصر نعماه، ولم تزل نكبات الأيام عنه ناكبة، ونوائب الحدثان على أعدائه متناوبة، اختلج بحراً لا تسع مثله الصدور، وأخرج دُراً لا تولد شبهه البحور، فما تكلم إلا امتدت إليه يد الالتقاط، وضاق به

(١) **ترجمته في**: الإكمال لابن ماكولا ٦/ ٣٨٠، ومشارق الأنوار١/ ٣٦، وترتيب المدارك للقاضي عياض ٤/ ٦١٦ـ ٦٢١، والإلماع، له ١٨٩، وفهرست مارواه عن شيوخه لابن خير ٤٩١ـ ٤٩٣، ٥٣١، ٥٣٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٢٠ـ ٣٢٢، والتكملة لكتابي الموصول والصلة ١/ ١٥٦، وملء العيبة للفِهري ٥٦، ٩٨، والاستقصا للسلّاوي ١/ ٩٠، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٧٩ـ ١٠٨٠، ودول الإسلام ١/ ٢٤٢، والعبر ٣/ ٨٥ـ ٨٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٥٨ـ ١٦٢، رقم ٩٩، والبداية والنهاية ١/ ٣٥١، ونكت الهميان ٢١٧، والوفيات لابن قنفذ ٢٢٧ رقم ٤٠٣، وغاية النهاية ١/ ٥٦٧، وطبقات الحفاظ ٤١٩، والديباج المذهب ٢/ ١٠١ـ ١٠٢، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٣٣ـ ٢٣٤، وتاريخ الخلفاء ٢١٦، ومعالم الإيمان للدباغ ٣/ ١٦٨، وكشف الظنون ١٩٠٨، وإيضاح المكنون ٢/ ٥٦٦، وديوان الإسلام ٤/ ١٧ـ ١٨ رقم ١٦٧٨، وشجرة النور الزكية ١/ ٩٧، والأعلام ٤/ ٣٢٦، ومعجم المؤلفين ٧/ ١٩٤، وشذرات الذهب ٣/ ١٦٨، وهدية العارفين ١/ ٦٨٥، وتاريخ التراث العربي ٣/ ١٧٦، والرسالة المستطرفة ١٢، ومدرسة الحديث في القيروان ٢/ ٦٦٣ـ ٦٧٤ رقم ٢٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٠١ـ ٤١٠هـ) ص٨٥ رقم ١١٠.

فسيح الفضاء والبحر في مثل سم الخياط، ولم يزل على طرق العلم راصداً، ولسبل الحلم قاصداً إلى أن قطعت حباله، وغاضت أبحره الزواخر، ودكت جباله.

مولده سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وكان حافظاً للحديث والعلل، بصيراً بالرجال، عارفاً بالأصلين، رأساً في الفقه، وكان ضريراً، وكتبه في نهاية الصحة كان يضبطها له ثقات أصحابه، وكان زاهداً، ورعاً، يقظاً، لم أر بالقيروان أحداً إلا معترفاً بفضله، وله تواليف بديعة ككتاب «الممهد في الفقه» و«أحكام الديانات».

وإنما قيل له القابسي، لأن عمَّه كان يشد عمامته شدة أهل قابس.

قال الداني: أخذ القراءة عرضاً عن أبي الفتح بن بُدهن، وعليه كان اعتماد أهل القيروان، ثم قطع الإقراء لما بلغه أن تلميذاً له أقرأ الوالي ثم أعمل نفسه في الفقه حتى صار /١٢٠/ إمام أهل زمانه. كتبت عنه شيئاً، وارتحل سنة اثنتين وخمسين، فغاب خمسة أعوام.

قال حاتم: توفي في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة بمدينة القيروان، وبات عنده قبره خلق كثير، وضربت لهم الأخبية ورثته القراء.

ومنهم:

[٨]

سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث[1] التجيبي[2] القرطبي، أبو الوليد

صاحب التصانيف، إمام لولاه ما وجدت الألسن مقالاً، ولا حلت من العلم

---

(١) ترجمته في: الإكمال ١/ ٤٦٨، وقلائد العقيان ٢١٥ـ ٢١٦، والذخيرة لابن بسام ٢ مجلد١/ ٩٤ـ ١٠٥، وترتيب المدارك ٤/ ٨٠٢ـ ٨٠٨، والأنساب ٢/ ١٩ـ و٢٠، والصلة لابن بشكوال ١/ ٢٠٠ـ ٢٠٢ رقم ٤٥٤، وتاريخ دمشق ط دار الفكر ٢٢/ ٢٢٤ـ ٢٢٩ رقم ٢٦٦٠، والزيادات على الأنساب المتّفقة لأبي موسى الإصبهاني ١٥٨ رقم ١٢، وبغية الملتمس للضبّي ٣٠٢ـ ٣٠٣، والمغرب في حُلي المغرب ١/ ٤٠٤ـ ٤٠٥، وتاريخ قضاة الأندلس ٩٥، ومعجم الأدباء ٤/ ٢٤٦ـ ٢٥١ رقم ٧٩، واللباب ١/ ١٠٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٠٨ـ ٤٠٩، وفهرسة ما رواه عن شيوخه للإشبيلي ٢٠٤، وخريدة القصر (قسم شعراء الأندلس)ج ق٢/ ٣٣٧ـ ٤٩٩، ٥٠٠، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٠/ ١١٥ـ ١١٧ رقم ٦٩، والروض المعطار ٧٥، وملء العيبة للفهري ٢/ ٢٢٣ـ ٢٢٥، والإعلام بوفيات الأعلام ١٩٥، والمعين في طبقات المحدّثين ١٣٦ رقم١٥٠٣، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٣٥ـ ٥٤٥ رقم ٢٧٤، والعبر ٣/ ٢٨٠ـ ٢٨١، ودول الإسلام٢/ ٦، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٧٨ـ ١١٨٣، والمشتبه في الرجال ١/ ٤٠، و٢/ ٢٦٢٨، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٨٠، ومرآة الجنان ٣/ ١٠٨ـ =

عقالاً، ولا نفرت من الخواطر المعاني خفافاً وثقالاً، ثم أقبل على الفقه بكليته، فسلم من كل ظنّة، ولم يكن على نفسه لغيرها مِنةً، وفضله أشهر من بشائر الصباح، وأظهر من أمائر السماح، على أن المجد فيه لا يبلغ المرام، والمحيد معرضٌ للملام.

قال ابن بسام فيه[1]: نشأ أبو الوليد هذا، وهمته في العلم تأخذ عنان السماء، ومكانه في العلم يسامي مناط الجوزاء، وبدأ بالأدب فبرز في ميادينه، واستظهر بأكثر دواوينه، وجعل الشعر بضاعته، فوصل له الأسباب بالأسباب، ونال به من كل الرغاب، ثم رحل عن القيروان إلى جهة مصر، فما حل بلداً إلاّ وجده ملآن بذكره، نشوان من قهوتي نظمه ونثره، فمال إلى علم الديانة، وقد كان قبل رحلته تَولى إلى ظله، ودخل في جملة أهله، فمشى بمقباس، وبنى على أساس، حتى صار كثير من العلماء يسمعون منه، ويرتاحون للأخذ عنه، حتى علم العلم أن له أشكالاً، وتيقن العراق أن بالأندلس رجالاً، ثم كرَّ، وقد نفع وضر، وأحلى وأمر، واستقضى في طريقه بحلب، فأقام بها نحواً من عام، ثم نازعه هوى نفسه إلى مسقط رأسه دم هدر، ومال لا عين ولا أثر/ ١٢١/ فأسف على ما ضيعه، وندم لو أجدى عليه ذلك أو نفعه. على أنه لأول قدومه رفع صوته بالاحتساب، ومشى بين ملوك أهل الجزيرة بصلة ما انبت من تلك الأسباب، بيد أنه كلما وفد على ملك منهم بادره بالترحيب، وهو في الباطن يستثقل به، وكان يفطن بأمورهم، ولكنه كان يرجو حالاً يثوب ومذنباً يتوب.

أصله من مدينة بطليوس فانتقل جده إلى باجة المدينة التي بقرب اشبيلية، فنسب

= ١٠٩، والبداية والنهاية ١٢/ ١٢٢- ١٢٣، وفوات الوفيات ٢/ ٦٤- ٦٥، رقم١٧٣، والوافي بالوفيات ١٥/ ٣٧٢- ٣٧٤ رقم ٥٢٠، والديباج المذهب ١/ ٣٧٧- ٣٨٥، والوفيات لابن قنفذ ٢٥٥ رقم ٤٧٤، وشرح ألفيّة العراقي ٢/ ٦١- ٦٢، وتبصير المنتبه ١/ ١١٧، وتوضيح المشتبه ١/ ٣١٠، والنجوم الزاهرة ٥/ ١١٤، وطبقات الحفاظ ٤٤٠- ٤٤١، وطبقات المفسّرين للداوودي ١/ ٢٠٢- ٢٠٧، ونفح الطيب ٢/ ٦٧- ٨٥، وكشف الظنون ١٩، ٢٠، ٤١٩، وشذرات الذهب ٣/ ٣٤٤- ٣٤٥، وروضات الجنات ٣٢٢، وإيضاح المكنون ١/ ٤٨- ٧٤، وهدية العارفين ١/ ٣٩٧، وديوان الإسلام ١/ ٢٣١- ٢٣٢ رقم ٣٥١، وشجرة النور الزكية ١/ ١٢٠- ١٢١ رقم ٣٤١، والرسالة المستطرفة ٢٠٧، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/ ٢٥٠- ٢٥٢، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٢/٣١٧- ٣١٨ رقم ٦٥٦، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسّرين ٩٨ رقم ٢٩٩ وص٢٣٥ رقم ١٩٧، ومعجم المؤلفين ٤/ ٢٦١، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٧١- ٤٨٠هـ) ص ١١٣ رقم ١١٥.

(٢) التُجيبيّ: بضم التاء المعجمة بنقطتين من فوق وكسر الجيم وسكون المنقوطة باثنين من تحتها في آخرها باء منقوطة بواحدة هذه النسبة إلى تُجيب وهي قبيلة وهو اسم امرأة وهي أم عديّ وسعد ابني أشرح بن شبيب بن السكُون. (الأنساب ٣/ ٢٤).

(١) الذخيرة ٢/ ١/ ٩٤- ٩٥.

إليه، وليس هو من باجة القيروان، ولد سنة ثلاث وأربعمائة، وارتحل سنة ست وعشرين، فحج أربعاً، وجاور ثلاثة أعوام ملازماً لأبي ذر الحافظ الهروي، وكان يسافر معه إلى سراة بني سيابة ويخدمه، ثم رحل إلى بغداد، فأقام بها ثلاثة أعوام يدرس الفقه، ويقر الحديث، ودمشق فسمع من جماعة: كالقاضي أبي الطيب الطبري، والشيخ أبي إسحاق الشيرازي، والقاضي أبي عبد الله الحسين الصيمري، وأبي الفضل بن عمروس المالكي، وأقام بالموصل سنةً يأخذ علم العقليات عن أبي جعفر السمناني، وبرع في الحديث، وعلله، ورجاله، وفي الفقه، وغوامضه، وخلافه، وفي الكلام، ومضايقه، ورحل إلى الأندلس، وكان مقامه بالمشرق نحو ثلاثة عشر عاماً، وروى عن الحافظ أبي بكر الخطيب، وروى عنه الخطيب بعلمٍ جمٍ حصله مع الفقر والتعفف، وروى عنه الكبار، وتخرج به الأصحاب.

قال القاضي عياض: أجر أبو الوليد نفسه ببغداد لحراسة درب، وكان لما رجع إلى الأندلس يضرب ورق الذهب، ويعقد الوثائق. قال لي أصحابه: كان يخرج إلينا للإقراء، وفي يده أثر المطرقة إلى أن فشا علمه وهيبت /١٢٢/ الدنيا به، وعظم جاهه، وأجزلت صلاته حتى مات عن مال وافر، وكان يستعمله الأعيان في ترسلهم، ويقبل جوائزهم. ولي القضاء بمواضع من الأندلس.

قال ابن ماكولا: أما الباجي ذو الوزارتين أبو الوليد، ففقيه، متكلم، أديب، شاعر، سمع بالعراق، ودرس الكلام، وصنف، إلى أن قال: وكان رفيع القدر والخطر.

قال أبو علي ابن سكرة: ما رأيت مثل أبي الوليد الباجي، وما رأيت أحداً على سمته، وهيأته، وتوقير مجلسه، ولما كنت ببغداد قدم ولده أبو القاسم، فسرت معه إلى شيخنا قاضي القضاة الشامي، فقلت له: آدام الله عمرك هذا ابن شيخ الأندلس، فقال: لعله ابن الباجي، قلت: نعم، فأقبل عليه.

وقال القاضي: كثرت القالة في أبي الوليد لمداخلته الرؤساء، وولي قضاء أماكن تصغر عن قدره، فكان يبعث إلى خلفائه وربما أتاها المرة ونحوها، وكان في أول أمره مقلاً حتى احتاج في سفره إلى القصد بشعره، واستئجار نفسه مدة مقامه ببغداد فيما سمعته، مستفيضاً لحراسة درب، وقد جمع ابنه شعره. قال: ولما قدم الأندلس وجد لكلام ابن حزم طلاوة إلا أنه كان خارجاً عن المذهب، ولم يكن بالأندلس من يشتغل بعلمه، فقصرت ألسنة الفقهاء عن مجادلته وكلامه، واتبعه على رأيه جماعة من أهل الجهل، وحل بجزيرة ميورقة، فرأس فيها، واتبعه أهلها، فلما قدمها أبوّ الوليد

حكموه في ذلك، فدخل إليه وناظره وشهر باطله. وله معه مجالس كثيرة، ولما تكلم أبو الوليد في حديث الكتابة يوم الحديبية الذي في البخاري، قال بظاهر لفظه فأنكر عليه الفقيه أبو بكر الصائغ، وكفّره بإجازة الكُتب على الرسول/ ١٢٣/ ﷺ الأمي، وأنه تكذيب للقرآن، فتكلم في ذلك من لم يفهم الكلام حتى أطلقوا عليه الفتنة، وقبحوا عليه عند العامة، وتكلم به خطباؤهم في الجمع، فقال شاعرهم: [من البسيط]

بـرِئـتُ مـمـنْ شـرى دُنـيـاً بـآخـرةٍ   وقـالَ: إنَّ رسـولَ اللهِ قـدْ كَـتَـبـا

فصنف أبو الوليد رسالة من أن ذلك غير قادحٍ في المعجزة فرجع بها جماعة.

قال ابن سكرة: مات بالمدينة في تاسع عشر رجب سنة أربع وسبعين وأربعمائة.

قال ابن بسام[1]: وبلغني عن ابن حزم أنه كان يقول: لو لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد عبد الوهاب مثل أبي الوليد الباجي لكفاهم، وناظره بميورقة ففل غربه، وسببَ إحراق كتبه.

توفي هو بسبيله في تصنيف الدواوين في علوم الدين.

وأنشد له[2]: [من المتقارب]

إذا كـنـتُ أعـلـمُ عـلـمـاً يـقـيـنـاً   بـأنَّ جـمـيـعَ حـيـاتـي كـسـاعَـه

فَـلِـمْ لا أكـونُ ضـنـيـنـاً بـهـا   وأجـعـلُـهـا فـي صـلاح وطَـاعَـه

ومما روى عنه الخطيب أبو بكر الحافظ قوله في قلم[3]: [من المتقارب]

وأسـمـرَ يـنـطـقُ فـي مـشـيـهِ   ويـسـكـتُ مـهـمـا أمـرَّ الـقَـدَمْ

عـلـى سـاحـةٍ لـيـلُـهـا مُـشْـرِقٌ   مـنـيـرٌ وأبـيـضُـهـا مُـدْلَـهِـمْ

وشـبـهـتُـهُ بـبـيـاضِ الـمَـشـيـبِ   يُـخـالـطَ مـنْـهُ سـوادَ الـلِّـمَـمْ

وقوله يمدح قاضي القضاة السمناني ببغداد، وكان قد أتاها من مكة المعظمة، فأناله ما أحسبه وأكسبه بقصيدة منها[4]: [من الكامل]

يـا بُـعْـدَ صبـرِكَ أَتْـهَـمُـوا أو أنـجَـدُوا   هـيـهـاتَ مـنـكَ تـصـبُّـرٌ وتـجـلُّـدُ

/ ١٢٤/ يـأبـى سُـلـوَّكَ بـارقٌ مـتـألـقٌ   وشـمـيـمُ عَـرْفِ عَـرَارِه ومـغـرّدُ

فـي كـلِّ أفـقٍ لـي عَـلاقـةُ خُـلَّـةٍ   تـهـدي الـهُـدَى وبـكـلِّ أرضٍ تـمـهُـد

---

(١) الذخيرة ٢/ ١/ ٩٦.
(٢) الذخيرة ٢/ ١/ ٩٨.
(٣) الذخيرة ٢/ ١/ ٩٨.
(٤) الذخيرة ٢/ ١/ ٩٩ـ ١٠٠.

طَفِقَتْ تسابِقُني إلى أَمَدِ الصِّبا ... تلكَ النَّوى ومنالُ شأوي يُبْعِدُ
أيامَ أنفضُ للمراحِ ذُؤابتي ... بيدِ الشبابِ ودرعُ بُردي مِجسَدُ
أَتَقَنَّصُ الظَّبياتِ في سُبلِ الصِّبا ... فيصيدُها لَيُّ العِذارِ الأسودُ
حتى علاني الشيبُ قبلَ تحلُّم ... وأين ما سبق المشيب المولدُ
أَسري إذا اعتكرَ الظَّلامُ وقادَني ... أَملٌ مطالبُهُ العُلا والسُّؤدَدُ
حيثُ استقرَّ حِمَى السَّماحَة والعُلا ... ورَسَتْ قواعدَه وحَلَّ القُعْدُدُ
عالي محلِ النارِ في كَلَبِ الشتا ... وبالحضيضِ لغيرِهِ مُستَوقِدُ

ومنه قوله[1]: [من الطويل]

ولله طيفٌ لا يُلِمُّ كأنَّما ... لهُ مِنْ سُهادي في الزِّيادةِ عاذلُ
ولمَّا التقينا للجِمارِ وأُبرزَتْ ... أَكُفٌّ لتقليبِ الحَصَى وأنامِلُ
أَسرَّتْ إلينا بالغَرامِ مَحَاجِرٌ ... وباحَتْ بهِ مِنَّا جُسَومٌ نوَاحِلُ
سقَى أَثَلاثِ الجَزْعِ مِنْ أمِّ مالكٍ ... وهيهاتَ دونَ الجَزْعِ سُحْبٌ حَوَافِلُ

ومنهم:

[٩]

سليمان بن عبد الحكيم المالكي، صدر الدين، أبو الربيع[2]

صدرٌ فيه لله سر، وبدر حاشى لله أن يستتر، قام في البدع حتى قمعها، وقاوم فرق الباطل فقطع طمعها، ولم يبل وقد انتصر لله ولرسله، وجال في طريق الخير وسُبله، إن ضرس بأنياب، وطمس وأبى الله لصباحه المنجاب/ ١٢٥/ وأمسك قلم الفتوى بيده وهو منطلق. وصرف سحابه وهو منطبق، وهو الآن بدمشق لعلوم تنشر، وعلوٌّ إليه النجوم تحشر، ومساجد يُنَوِّرها بتهجده، ومعابد يسعى بها نوره بين يديه إلى مسجده، هذا إلى ماله من صالح أعمال، وصدقات سرٍ لا يعرف لإنفاقها أصل مال، ومعاناة صبر لاعَدِمَ معه حسن الاحتمال.

---

(١) الذخيرة ٢/ ١/ ١٠٢.

(٢) توفي سنة ٧٤٩هـ.

ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٥/ ٣٩٧ وفيه اسمه: سليمان بن عبد الحكيم بن عبد الحكيم الباردي، أعيان العصر ٢/ ٤٤٣ وفيه اسمه: «سليمان بن عبد الحليم بن عبد الحكيم...»، الوفيات لابن رافع ١/ ١٦٣، الدارس١/ ٩٤.

اشتغل ببلده، وقرأ فقه مالك على.....، وقدم دمشق سنة..... واستوطنها، فناظر بها فقهاء مذهبه وغيرهم، ودرس بالمدرسة الشرابيشية وأفتى، وانتهت إليه رياسة مذهبه بالشام، وقصد بالفتاوى، واشتهر بالعلم، والفضائل، والتحرير في الفتاوى، وعدم التسرع فيها، ولديه مشاركات جيدة، وله رغبة في اقتناء الكتب، ومواظبة على الحج، وحج عدة مرات، وهو كثير المواظبة على الجماعات، والذكر، والتلاوة، والخير، وعنده مبالغة في ردع المبتدعين، والقيام في نصرة الحق وإظهاره، وإعلاء كلمة الشرع، وتتبع أهل الزيغ والعناد، لا يأخذه في الحق لوم اللائم، ولا يرده عنه عذل العذول، وفيه مكارم أخلاق، وانبساط نفس وقضاء لحقوق أصحابه ولين جانب مع قوة في الحق، وفيه بر للفقراء، ومحبة الصالحين، وزهد في الدنيا، وعدم اكتراث بالفائت منها، وينهض مع الطلبة، ويراعيهم، ويرغبهم في العلم، والاشتغال به.

* * *

[فقهاء المالكية في الجانب الغربي]

وأما المالكية بالجانب الغربي، فهم:

جمهور سكانه، وعُمَّار دياره، خلا أن أفرادهم الذين هم على الشرط نحو: ابن عبد البر، وأبي عبد الله المازري، والقاضي عياض، وأبي بكر بن العربي، وأبي القاسم السهيلي وغير هؤلاء، فأبت الضرورة إلا أن نأتي بهم في المحدثين، وفقهاء المحدثين، إذ كانوا بهم أمس، وعلى الجملة، فما غربت لهم عن الأفق الغربي شمس، فأما من هو بخاصة مصر منهم، فسنأتي على ذكرهم:

/١٢٦/ فمنهم:

[١٠]

أشهب بن عبد العزيز بن داود بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القيسي الجعدي المصري[(١)]

وكان أشهب هو السابق الذي لا يعلق له بغبار، ولا يعلم له من غير الرياح أخبار، ولا ينقص أدهم الليل نهار أشهبه، ولا تنقض حوائم الطلبة على شهبه، ولا ينفض سواد العين صبغة أهدابه على هدبه، ولا ينبلج النهار إلا بغرة صباحه المذهب، ولا يجلب النهار ندَّ نداه العبق، وعنبره الأشهب، ولا يعد مال مالك إلاَّ

(١) **ترجمته في:** التاريخ الكبير للبخاري ٢/ ٥٧ رقم ١٦٧٣، والمعرفة والتاريخ ١/ ١٩٥، ٤٧٧، ٥٥٦، ٥٦٩، ٥٩١، والجرح والتعديل ٢/ ٣٤٢ رقم ١٢٩٧، والثقات لابن حبّان ٨/ ١٣٦، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٢٨، والانتقاء لابن عبد البّر ٥١ و١١٢، وترتيب المدارك للقاضي عياض ٢/ ٤٤٧، والعيون والحدائق لمؤرّخ مجهول ٣/ ٢٩٦ـ ٢٩٩ رقم ٥٣٣، ووفيات الأعيان ١/ ٢٣٨ـ ٢٣٩ رقم ١٠٠، وتهذيب الكمال ٣/ ٢٩٦ـ ٢٩٩ رقم ٥٣٣، والعبر ١/ ٣٤٥، والمعين في طبقات المحدّثين ٧٢ ودول الإسلام ١/ ١٢٧، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٠٠ـ ٥٠٣ رقم ١٩٠، والكاشف ١/ ٨٤ رقم ٤٥٢، و الديباج المذهّب لابن فرحون ١/ ٣٠٧، والبداية والنهاية١٠/ ٢٥٥، ومرآة الجنان ٢/ ٢٨، والوافي بالوفيات ٩/ ٢٧٨ـ ٢٧٩ رقم ٤٢٠٠، والوفيات لابن قنفذ ١٥٧، وتهذيب التهذيب ١/ ٣٥٩ـ ٣٦٠ رقم ٦٥٤، وتقريب التهذيب ١/ ٨٠ رقم ٦٠٩، وحسن المحاضرة ١/ ٣٠٥، وخلاصة تذهيب التهذيب ٤٥، وشذرات الذهب ٢/ ١٢، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٠١ـ ٢١٠هـ) ص ٦٤ رقم ٤١.

مما أحرزه جواده السابق، وأبرزه والغمام له مطابق، وأتى به والنجم في الليل مشغول بإرشاد حائره، ووافى عجلاً وقد ألقى الهلال نعل حافره. وكان من أهل مصر أول من مال إلى مالك، وأوضح أثره له مسالك، وكان أبا عذرة معرفته، وسابق مصر إلى تلقي تحفته، أشرب قلوب أهلها بمحبته، واقتادها وما وراءها إلى البحر المحيط في آخر الغرب إلى صحبته.

تفقه على مالك، ثم على المدنيين والمصريين.

قال الإمام الشافعي: ما رأيت أفقه من أشهب لولا طيش فيه، ولم يدرك الشافعي من أصحاب مالك سوى أشهب، وابن عبد الحكم، وكانت المنافسة بينه وبين ابن القاسم، وانتهت الرياسة إليه بمصر بعد ابن القاسم.

وقال أبو عبد الله القضاعي: كان لأشهب رياسة في البلد ومال جزيل، وكان من أنظر أصحاب مالك.

وقال ابن عبد الحكم: سمعت أشهب يدعو على الشافعي بالموت، فذكر ذلك للشافعي، فقال متمثلاً: [من الطويل]

تـمـنَّـتْ رجـالٌ أنْ أمـوتَ وإنْ أَمُـتْ فـذاكَ سـبـيـلٌ لـسـتُ فـيـهـا بـأَوحـدِ
فقلْ للذي يبغي خلافَ الذي مَضَى تـزوَّدْ لأُخـرى غـيـرِهـا فَـكَـأَنْ قَـدِ

قال: فمات الشافعي، فاشترى أشهب من تركته عبداً، ثم مات أشهب /١٢٧/ فاشتريت أنا ذلك العبد من تركة أشهب.

قال محمد بن عاصم المعافري: رأيت في المنام كانَّ قائلاً يقول: يا محمد، فأجبته، فقال: [من الكامل]

ذهـبَ الـذيـنَ يـقـالُ عـنـدَ فـراقِـهـم لـيـتَ الـبـلادَ بـأهِـلـهـا تـتـصـدَّعُ

قال: وكان أشهب مريضاً، فقلت: ما أخوفني أن يموت أشهب، فمات في مرضه ذلك، وكانت وفاته في شعبان سنة أربع ومائتين.

ومنهم:

[١١]

عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، الفقيه، المالكي، المصري، أبو محمد(١)

صدرٌ لا تخلفه المشاهد، وإمامُ ما عمرت بمثله المساجد، ومبلِّغٌ لا ينطق عن

(١) **ترجمته في**: الطبقات الكبرى لابن سعد٧/ ٥١٨، والتاريخ الكبير للبخاري ٥/ ١٤٢ رقم ٤٢٨، =

الهوى، ومشرع لموارد الفتوى، لم تزل ربوعه بالعز مأنوسة، وثغور الإسلام به محروسة، وصحف محامده بألسنة الأنام مدروسة، وأسود أعدائه بأنياب النوائب مفروسة، ما له في الحقوق منتهب، وآماله لا يطيش بها الذهب، وتلقيه لأهل العلم يقبل عليهم سافراً، ويقلب من أتاه منهم ظافراً، فما صدر عنه إلاَّ من نقل سمعته، ولا ورد إليه إلاَّ من أخصب نجعته، وما برح على هذا حتى قبض ودفن، وفني الزمان وأفن، وما فني ذكره ولا أفن.

كان أعلم أصحاب مالك بمختلف قوله، وأفضت إليه رياسة الطائفة المالكية بعد أشهب، وكان من ذوي الأموال والرباع، له جاه عظيم، وقدر كبير، وكان يزكي الشهود ويجرحهم، ولهذا لم يشهد ولا أحدٌ من ولده، لدعوة سبقت فيه، ويقال: إنه دفع إلى الإمام الشافعي عند قدومه إلى مصر ألف دينار، وأخذ له من ابن عسامة التاجر ألف دينار، ومن رجلين آخرين ألف دينار.

وروى بشر بن مالك قال: رأيت مالك بن أنس في النوم بعدما مات بأيام، فقال: إن ببلدكم /١٢٨/ رجلاً يقال له ابن عبد الحكم، فخذوا عنه؛ فإنه ثقة.

وتوفي في رمضان سنة أربع عشرة ومائتين بمصر، وقبره إلى جانب قبر الشافعي، وهو الأوسط من القبور الثلاثة، ومولده سنة خمسين ومائة، وقيل: سنة خمس وخمسين ومائة.

ومنهم:

والتاريخ الصغير له ٢٢٤، والكنى والأسماء لمسلم، ورقة ٩٩، وتاريخ الثقات للعجلي ٢٦٦ رقم ٨٤٢، والجرح له٥/ ١٠٥ـ ١٠٦ رقم٦٨٥، والثقات لابن حبّان ٨/ ٣٤٧، والولاة والقضاة للكندي ٤٣١ و٤٣٣ و٤٣٦ و٤٤٠، ٤٤١، والانتقاء لابن البّر ٥٢ و٥٣ و١١٣، والسابق واللاحق للخطيب ١٧٨، والفهرست لابن النديم ١٩٩، وترتيب المدارك للقاضي عياض ٢/ ٥٢٣ـ ٥٢٨، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٥١، ومعجم البلدان ١/ ٧٠٩ و٧٧٦ و٢/ ١٧٧ و٢٩٩، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٤ـ ٣٥ ورقم ٣٢٣، وتهذيب الكمال ١٥/ ١٩١ـ ١٩٤ رقم ٣٣٧١، والعبر ١/ ٣٦٦، والمعين في طبقات المحدّثين ٧٥ رقم ٧٩٦، ودول الإسلام ١/ ١٣٠، والكاشف ٢/ ٩١ رقم ٢٨٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٢٠ـ ٢٢٣ رقم ٥٧، ومرآة الجنان ٢/ ٥٨، والبداية والنهاية١٠/ ٢٦٩، والوافي بالوفيات ١٧/ ٢٣٩ـ ٢٤٠ رقم ٢٢١، والديباج المذّهب ١/ ٤١٩ـ ٤٢١، وتهذيب التهذيب ٥/ ٢٨٩ـ ٢٩٠ رقم ٤٨٩، وتقريب التهذيب ١/ ٤٢٧ رقم ٤١٩، وحسن المحاضرة ١/ ٣٠٥ رقم٤١، وخلاصة تذهيب التهذيب ٢٠٤، وشذرات الذهب ٢/ ٣٤، وشجرة النور الزكية١/ ٥٩، تاريخ الاسلام (السنوات ٢١١ـ ٢٢٠هـ) ص ٢٢٠ رقم ٢١٠.

[١٢]

أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع الفقيه المالكي المصري(١)

مَارَسَ العلم منه كافياً، وشرع له من نطاف الفضل صافياً، بتثقيفٍ كفَّ الدهر من جماحه، وتعلّم كف البحر من سماحة، وحاط الدين حيث لا يعفو كلمه، ولا يغفو حلمه، فأسبل رداء نعمائه وأسبغ، وجاءت فوائده فأنست ابن الصباغ ألوان أصبغ، ومد في مصر منه ما لا جاء به مدد، نيلها وقد حشد، ولا جاد به الزمان من طلائبه التي نشد، ولا أبقاه من حلل النوار فيض مائه، وحازه من زهر الأزهار لازوردي سمائه.

تفقه بابن القاسم، وابن وهب، وأشهب. قال عبد الملك بن الماجشون في حقه: ما أخرجت مصر مثل أصبغ، فقيل: ولا ابن القاسم؟ قال: ولا ابن القاسم، وكان كاتب ابن وهب، وجده نافع عتيق عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي والي مصر(٢).

وتوفي أصبغ في آخر شوال سنة خمس وعشرين وقيل سنة ست وعشرين، ومائتين.

/ ١٢٩/ ومنهم:

---

(١) **ترجمته في**: التاريخ الكبير للبخاري٢/ ٣٦ رقم ١٦٠٠، وتاريخه الصغير ٢٢٧، والأدب المفرد، له / رقم ٢٢ و٢٣٨، ٣٦٥، ٥٦٢و ٩٩٦و ١٢٤٧، والكنى والأسماء لمسلم، ورقة ٦٥، والمعرفة والتاريخ للفسوي ١/ ٢٦١، ٢٧١، ٣٠٩، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٧١، ٣٧٢، ٤٠٣، ٤١٠، ٤١٤، ٤٣٤، ٥٦٦، ٦٤٥، و٢/ ١٨٣، ٥١٣، ٥٢٠، و٣/ ٢٥٢ و٢٥٨، ٣٩١، ٤٠٦، وتاريخ الثقات للعجلي ٧٠ رقم ١٠٨، وأخبار القضاة لوكيع ١١/ ١٦ و٢/ ٢٠١ و٣/ ٢٢٢، والكنى والأسماء للدولابي ٢/ ٥٣، والجرح والتعديل ٢/ ٣٢١ رقم ١٢١٩،والثقات لابن حبّان ٨/ ١٣٣، والولاة والقضاة للكندي ٤٣٤ـ ٤٣٥، ورجال صحيح البخاري للكلاباذي ١/ ١٠٦ رقم ١٢٣، وتاريخ جرجان للسهمي ٣٠١، والجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ١/ ٥١ رقم ١٩٢، والمعجم المشتمل لابن عساكر ٨٣ رقم ١٨٤، ووفيات الأعيان١/ ٢٤٠، وترتيب المدارك ١٠/ ٦٥٦ـ ٦٥٨ رقم ٢٣٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٥٧، والعبر ١/ ٣٩٣، والكاشف ١/ ٨٤ رقم٤٥٥، والمعين في طبقات المحدّثين ٨٣ رقم ٩٠٢، ودول الإسلام ١/ ١٣٦، ومرآة الجنان ٢/ ٢٨٦، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٩٣، والوافي بالوفيات ٩/ ٢٨١ رقم ٤٢٠٤، والوفيات لابن قنفذ ١٦٧ رقم ٢٢٦، والديباج المذهب ١/ ٢٩٩ـ ٣٠١، وتهذيب التهذيب ١/ ٣٦١ رقم ٦٥٧، وتقريب التهذيب ١/ ٨١ رقم ٦١٢، وطبقات الحفاظ ٢٠٠، وحسن المحاضرة ١/ ٣٠٨، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣٩، وشذرات الذهب ٢/ ٥٦، وشجرة النور الزكية ١/ ٦٦، وتاريخ الإسلام (السنوات ٢٢١ـ ٢٣٠هـ)ص ٩٧ رقم ٧٢.

(٢) بعدها بياض بمقدار ٤ أسطر.

[١٣]

علي بن الأنجب بن المُفَضَّل بن أبي الحسن اللَّخميُّ المقدسي الأصل، الإسكندري المولد، المالكي المذهب، أبو الحسن(١)

أفرج له عن مضائق العلياء، فتبوأها فسيحة، وسخرت له ألسنة المآثر، فأنطقها فصيحة، وقامت دلائل الحق، فأدى منها كل نصيحة، وله مقامات كريمة، لو استطاع الحريري حكاها في هذا المذهب، وحاك عليها طرازه وأنى له والحريري دون المذهب، وقام في البلاغة منه الخطيب البليغ، والعلم منبره، وزاخر البحر العباب واللسان غواصه، والكلم جوهره.

كان فقيهاً فاضلاً في مذهب مالك، من أكابر الحفاظ المشاهير في الحديث وعلومه، صحب الحافظ أبا طاهر السّلفي، وانتفع به، وصحبه الحافظ زكي الدين المنذري، ولازم صحبته، وبه انتفع، وعليه تخرج، وذكر عنه فضلاً غزيراً وصلاحاً كثيراً.

ومما أنشد عنه: [من المتقارب]

تجاوزتُ ستينَ مِنْ مَولدي ... فأسعَدُ أيامِيَ المُشتَرِكْ
يُساءِلُني زائري حالَتي ... وما حالُ مَنْ حَلَّ في المُعتَرِكْ

وقوله: [من الطويل]

أيا نفسُ بالمأثور عَنْ خيرِ مُرسَلٍ ... وأصحابِه والتابعينَ تَمَسَّكِي
عَساكِ إذا بالغتِ في نشرِ دينِهِ ... بما طابَ من نَشرٍ له أن تَمَسَّكي

---

(١) **ترجمته في**: التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٣٠٦ـ ٣٠٧ رقم ١٣٥٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٩٠ـ ٢٩٢ رقم ٤٠٤، وتاريخ إربل ١/ ٢٩٥، وعقود الجمان لابن الشعار ٤/ ورقة ٢٨٩، وتلخيص مجمع الآداب ٢/ ٦٥٥، والمعين في طبقات المحدّثين ١٨٨ رقم ١٩٩٨، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣١٩، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٥١، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٩٠، والعبر ٥/ ٣٨ـ٣٩، ودول الإسلام ٢/ ١١٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٦٦ـ ٦٩ رقم ٤٩، ومرآة الجنان ٤/ ٢١، والوافي بالوفيات ٢٢/ ٢١٧ رقم ١٥٦، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٨، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢١٢، وتاريخ ابن الفرات ج٥ ق١/ ١٥٩ـ ١٦٥، وحسن المحاضرة ١/ ٣٥٤، وطبقات الحفاظ ٤٨٩، والبدر السافر، ورقة ٣٣ ب، وشذرات الذهب ٥/ ٤٧ـ ٤٨، والتاج المكلّل ٨٢، وديوان الإسلام ٤/ ٢٩١ رقم ٤٠٦٠، وإيضاح المكنون ١/ ٢٦٥، وهدية العارفين ١/ ٧٠٤، ونيل الابتهاج ٢٠٠، والأعلام ٥/ ٢٣، ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٤٤، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسرين ١٣٣ رقم ١٠٨٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٦١١ـ ٦٢٠) ص ـ٨١ رقم ٣٠.

وخـافـي غـداً يـومَ الـحـسـابِ جـهـنَّـمَا　　إذا لَـفَـحَـتْ نـيـرانُـهـا أنْ تَـمَـسَّـكِ

/ ١٣٠/ ومنه قوله: [الطويل]

ولَـمـيـاءَ تُـحـيـي مَـنْ تُـحَـيِّـي بـرِيـقِـهـا　　كـأنَّ مِـزاجَ الـرَّاحِ بـالـمِـسكِ مِـنْ فِـيـهـا

ومـا ذُقْـتُ فَـاهـا غـيـرَ أنِّـي رَوَيـتُـهُ　　عَـنِ الـثـقـةِ الـمِـسـواكِ وهـوَ مُـوافـيـهـا

وهذا معنى مستعمل قد سار في كثير من أشعار المتقدمين والمتأخرين، فمن ذلك قول بشار بن برد من جملة أبيات: [من البسيط]

يـا أطـيـبَ الـنـاسِ رِيـقـاً غـيـرَ مُـخْـتَـبِـر　　إلا شـهـادةَ أطـرافِ الـمَـسـاوِيـكِ

وقال الأبيوردي من جملة أبيات أيضاً: [من الطويل]

وأَخـبـرنـي أَتْـرابُـهـا أنَّ رِيـقَـهـا　　عـلـى مـا حَـكَـى عُـودُ الأراكِ لـذيـذُ

وكان أبو الحسن بن الأنجب ينوب في الحكم بثغر الاسكندرية، ودرس به في المدرسة المعروفة هناك به، ثم انتقل إلى القاهرة، ودرس بمدرسة الصاحب بن شكر، واستمر بها إلى أن مات يوم الجمعة مستهل شعبان سنة إحدى عشرة وستمائة.

ومولده ليلة السبت الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة أربع وأربعين وخمسمائة بالثغر المحروس[(١)].

/ ١٣١/ ومنهم:

[١٤]

عيسى الزواوي المالكي، شرف الدين، أبو الروح[(٢)]

رجل لا يخاطر معه في شرف مروم، ولا يخاطب منه ما دون النجوم، سكن مصر، فطاب به ناديها، وطال المجرة واديها، ونظر في أفانين العلم، فأسمى فروعها، وأهمى ضروعها، واقتنى الكتب، فأبرأت يده العيسوية سقم صحفها، وأبدت كرم تحفها، وطلب للقضاء خلافة بمصر والقاهرة غير ما مرة، ويربأ به شرف دينه، وشرف زهده فيما لم يمسكه بيمينه، ولج عليه ولي الأمر في هذا وأبى إلاَّ خلافه، وترفع عن رتبة القضاء، وإن سُمي له خلافه، ولقد جالسته، فخفت الغرق؛

---

(١) بعدها بياض بمقدار ٦أسطر.

(٢) توفي سنة ٧٤٤هـ.

ترجمته في: أعيان العصر ٣/ ٧٢٧، حسن المحاضرة ١/ ٤٥٩، الوفيات لابن رافع١/ ١٩٣، الدرر الكامنة ٣/ ٢١٠.

إذ فجأني سيله، وجاءني نهاره الذي محا ليله.

أصله من زواوة من بلاد إفريقية، وقدم البلاد كبيراً، وقد حصل، واشتغل، وصار يعد من الفقهاء، وأقام بمصر واشتغل بها، وحضر فيها الدروس، وزادت نباهته، وظهرت فضيلته، ثم قدم دمشق، وولي بها نيابة الحكم، وصرف القضايا والأحكام بجأش رابط، ونفس قوية في الحق، ودام على هذا مدة، ثم عاد إلى مصر، وأقام بها، وفارقتها، وهو أحد أئمتها الأعلام، وفقهائها الأفاضل، وكنت أَسمع فضلاءها إذا ذُكر قالوا: هو شيخ المالكية وإليه يرجع فيما أشكل من الفتاوى في مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وكان يتردد إليَّ، ويجتمع بي، وهو من أحسن الناس خلقاً وخُلقاً، وأتمهم فضلاً في الفقه، ومشاركة في النحو والعربية، ونظراً في الهيأة، ومعرفة مقادير الأفلاك، وأشكال الأرض، وأحوال الأقاليم، والبلاد، ووضع المدن، وأحوال الأقاليم الشاسعة والبحار الغامرة.

ولما ألفت هذا الكتاب، وسمع به كان يجيء إلي؛ ليقف على ما انتهى فيه شيئاً بعد شيء، وربما عاملني الإحسان ووقع منه الاستحسان/ ١٣٢/ ولقد استفدت منه فوائد في هذا الكتاب، ومعارف لولاها لما قدرت على الدخول من هذا الباب، وسيأتي في مواضع من هذا التأليف مقرأ بما أعزوه من الرواية إليه.

ولم أر في أمثاله من أهل الفقه مثله في التجمل، وحسن الهيأة، ومكارم الأخلاق، اللهم إلاَّ إن كان ابن القويع. ولقد يحكى عنه من سعة الصدر، وكرم النفس ما يستغرب من المغاربة، ويستبعد وقوعه من نفوسهم المقاربة، ولقد كنت أرى منه، وأسمع عنه ما يملأ العين والأذن، وعهدي به يجتمع هو وابن القاصح أحد فقهاء الشافعية الأخيار، وشيخنا أبو حيان بالمدرسة الصالحية على تخت هناك، ويجري بينهم بحوث مفيدة، ومذاكرات جليلة، وربما تخلل ذلك بنكت طريفة، ومداعبات لطيفة.

كان ابن القاصح ـ على علمه وزهده ـ تحدثه نفسه بقضاء القضاة، ويظن أنَّ الولاية تأتيه بكرةً أو عشاءً، لا يشك في هذا. وعرف هذا منه، فبقي كل متفرغ يأتي إليه، ويقول له: يا سيدي سمعنا بأن السلطان ذكرك، وبلغنا بأن فلاناً شكرك، وأن فلاناً وصفك عند أمراء الدولة وكبرائها، وقيل لنا: إنك ذكرت للقضاء، وذكر معك فلان وفلان، فرجحت عليهم، وعينت دونهم، ومن هذا ومثله مما يعلم القائل أنه ينفق عليه، ويقع موقع الإعجاب منه، وهو يأخذ ما يقال له من هذا بالقبول، وتميل إذنه إليه. وكان شيخنا أبو حيان ينهاه، ولا ينتهي بعذله، ولا يقبل، فاتفق شرف الدين

عيسى هذا مع رجل من الفقهاء، يعرف بالنجم سعيد، كان ظريفاً، مطبوعاً له نوادر، وطلبا ابن شيخنا أثير الدين أبي حيان، وكان إذ ذاك صغيراً، وقررا معه أن يقول لهما مقولة عن ابن القاصح من هذا الباب، لينقلوه إليه، ويقولون: /١٣٣/ قال لنا ابن الأثير كذا وكذا؛ ليظن أنه علاء الدين ابن الأثير كاتب السر في ذلك الزمان، فقال لهم: اعلموا أن ابن القاصح قد ولاه السلطان القضاء، ورسم بكتابة تقليده، فلما قال هذا طار إليه النجم سعيد، وقال له: يا سيدي جئتك ببشارة، قال: وما هي؟ قال: الساعة رأيت ابن الأثير، وقال لي: أن السلطان قد ولى ابن القاصح قضاء القضاة، ورسم بكتابة تقليده، ودخل شرف الدين عيسي، وهم في هذا الحديث، فقال: وأنا سمعت ابن الأثير يقول هذا فما شك ابن القاصح في هذا، وعممّ عمامته، ولبس قماشه، وتهيأ للطلب، والتولية، وخرج إلى التخت، وقعد حتى جاء أبو حيان فقال له: ما لي أراك على هذه الهيأة، فأخبره الخبر، فأنكر أبو حيان ثم قال: والله ما كأنهم عنوا إلاَّ ابن أبي حيان، فإنه ابن الأثير، وإلاَّ فهذا ما له صحة، وعيسى ما يكذب، وانقلب الجد هزلاً، والتهنئة له ضحكاً عليه[1].

وهذا من المالكية آخر من ذكر.

* * *

---

(١) بعده بياض بمقدار ٧ أسطر.

طبقات الفقهاء الشافعية

ـ ويتلوهم من الفقهاء ثالث الأئمة وأصحابه.

[فقهاء الشافعية في الجانب الشرقي]

فأما من نذكره منهم ممن كان بالجانب الشرقي فهو:

[١]

/١٣٤/ الإمام الشافعي رضي الله عنه، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السّائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، القرشي، المطلبي، الشافعي[(١)]، أبو عبد الله

بحرٌ امتدّت من دُفَعِه الجداول، وطور انحطت من قننه الجنادل، ومرقب درجت

---

(١) **ترجمته في**: العلل ومعرفة الرجال لأحمد برواية ابنه عبد الله ١/ رقم ١٠٥٣ و١٠٥٤ و١٠٥٥ و١٠٨١، والتاريخ الكبير للبخاري ١/ ٤٢ رقم ٧٣، والتاريخ الصغير له ٢١٨، والكنى والأسماء لمسلم، ورقة ٦٥، وأخبار القضاة لوكيع ٣/ ٤٩ و٧٧ و٢٥٨، والمعرفة والتاريخ للفسوي ١/ ٢١٣ و٣/ ١٣٨، ونسب قريش ٩٦، والكنى والأسماء للدولابي ٢/ ٥٩، والجرح والتعديل ٧/ ٢٠١ـ ٢٠٤ رقم ١١٣٠، والثقات لابن حبّان ٩/ ٣٠، وحلية الأولياء ٩/ ٦٣ـ ١٦١ رقم ٤١٥، وعيون الأخبار ٢/ ٢١١، ومروج الذهب (طبعة الجامعة اللبنانية) ١٤٨٦، و٢٧٣٥ـ ٢٧٣٧ و٣١٧٨ و٣١٩٢، والعيون والحدائق ٣/ ٢٦١ و٣٥١ و٣٥٩ و٣٦٠، والفهرست لابن النديم ٢٦٣، والفرق بين الفرق ٣٥٥ـ ٣٥٦، والفرج بعد الشدّة للتنوخي ١/ ٤٥ و٨٧ و٢/ ١٦١، وربيع الأبرار ٤/ ٣٣٦، وشرح أدب الكاتب ٧٨ و٨١ و٨٥، والزهد الكبير للبيهقي، رقم ١٧٢ و٥٢٣ و٥٧٥، والانتقاء لابن عبد البرّ ٦٥ـ ١٢١، وتاريخ جرجان ٩٠ و١٠٩ و١٣٩ و١٤٣ و١٤٩ و٢٣٩ و٢١٨، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٧١ـ ٧٣، وانظر فهرس الأعلام (٢٠٧)، وتاريخ بغداد ٢/ ٥٦ـ ٧٣ رقم ٤٥٤، وترتيب المدارك ٢/ ٣٨٢، والسابق واللاحق ٥٣، وطبقات الحنابلة ١/ ٢٨٠، والإرشاد للخليلي ١٤ و٢٠ و٢٢ و٢٤ و٣٠ و٤٠ و٥١، والأنساب ٧/ ٢٥١ـ ٢٥٤، ولباب الآداب ٥٤ و١٤٥، والأذكياء ٧٨ و٧٩ و١٧٠، وأخبار الحمقى ٧٥، وصفة الصفوة ٢/ ٢٤٨ـ ٢٥٩ رقم ٢٠، ومعجم الأدباء ١٧/ ٢٨١ـ ٣٢٧، وأدب القاضي (انظر فهرس الأعلام) ٢/ ٥٠٤ـ ٥٠٥، والكامل في التاريخ ٦/ ٣٥٩، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١١ـ ١٤، وتذكرة السامع لابن جماعة ٦٦ـ ٦٧، والمحمَّدون رقم ١٠٧، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٦ـ ٢٧، وتهذيب الكمال (المصوّر) ٣/ ١١٦١ـ ١١٦٤، وآثار البلاد وأخبار العباد ٦٩ و٢١١ و٢٢٧ و٢٢٨ و٢٣١ و٢٣٢ و٢٤٠ و٣٧٧ و٣٨٧ و٤١٤ و٤٧٦ و٥٩٩ و٦٠٢، ودول الإسلام ١/ ١٢٧، وتذكرة الحفّاظ ١/ ٣٦١ـ ٣٦٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥ـ ٩٩ رقم ١، والكاشف ٣/ ١٦ رقم ٤٧٨١، والمعين في طبقات المحدّثين ٧٨ رقم ٨٣٢، ومرآة الجنان ٢/ ١٣ـ ٢٨، والوافي بالوفيات ٢/ ١٧١ـ ١٨١ رقم ٥٣٢، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٥١ـ ٢٥٤، وطبقات الشافعية الكبرى =

من عُشِّه النسور القشاعم، والصقور الأجادل، وإمام يفخر البيت المقدس بمولده، وبطحاء مكة بمحتده، والمطلب بن عبد مناف بكونه من ولده، وابن أخيه عبد المطلب بن هاشم بتألق فرقده، ما كان يقصر عن أولئك الأول من أهل الشعب لو حضر يوم الصحيفة، وحظر على سروات قريش قبح تلك الآراء السخيفة، ولما عدا مَطلب بني المطلب أبيه، وانتخى لبني عمه بني هاشم على أخيه، حتى تنقاد شموس بني عبد شمس، وتذعن نوفل بأن عدم مباينتها لهم أمس، بل لو تقدمت شمسه قليلاً حتى أدرك ذلك الجيل، وجال في ذلك الصدر الجليل، لكان من أركان البيت بيت هاشم المعرق في بني لؤي، وسكان بيت البطحاء المجمع عليه لقصي، وأقرباء أهل العباءِ، والمعد للمفاضلة في أهل المباهلة، بيد أنه من قريش في سُرة أباطحها، وأسرة جحاجحها، وآبائها الشم الأنوف الكرام الضيوف، الخضر الأندية والكفوف، المتقدمة على العرب تقدم الإمام على الصفوف، وقد حفظ دين محمد ﷺ على أمته، واقتاد العلم بأزمته، فأصبح يجادل بحججه، ويقتحم البحر في لججه، وطلب الحديث حتى التقفه من أفواه الرجال، واقتطفه قبل تحين الآجال.

وتفقه على مالك، ثم مال إلى أوسع مجال، وجثا له على ركبتيه، وللشباهم قعود ربات الحجال / ١٣٥/ وخاف الرشيد منه على الخلافة، ويحق له أن يخاف، وظن الناس يثبت معه لولا العقول السخاف، ولم يكن في عصره أجمع منه لشروط الإمامة، ولا أنفع للغُلل، ولا الغمامة، وكان حِلس الحرب، وخلف الغمام إذا اشتد الكرب، لندًى تفيض سواكبه، وتغيض البحار، وأدناها مواهبه، وتحصى النجوم،

= للسبكي ـ الجزء الأول من أوله حتى ص١٨٦، والديباج المذهب لابن فرحون ٢/ ١٥٦ـ ١٦١، وغاية النهاية ٢/ ٩٥ـ ٩٧ رقم ٢٨٤٠، وطبقات النحاة لابن قاضي شبهة ١/ ٢١، وتهذيب التهذيب ٩/ ٢٥ـ ٣١ رقم ٣٩، وتقريب التهذيب ٢/ ١٤٣ رقم ٣١، والنجوم الزاهرة ٢٢/ ١٧٦ـ ١٧٧، وطبقات الحفّاظ ١٥٢، وحسن المحاضرة ١/ ٣٠٣ـ ٣٠٤، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣٢٦، وطبقات المفسّرين للداودي ٢/ ٩٨ـ ١٠٠ رقم ٤٦١، ومفتاح السعادة ٢/ ٨٨ـ ٩٤، وتاريخ الخميس للديار بكري ٢/ ٣٣٥، وشذرات الذهب ٢/ ٩ـ ١١، والأنس الجليل ١/ ٢٩٤، ومختصر طبقات الحنابلة ٢٠، ٢١، وشرح إحياء علوم الدين ١/ ١٩١ـ ٢٠١، والرسالة المستطرفة ١٧، والعقد الفريد ٢/ ٢٠٨ و٣/ ٢٧ و٤٢٨ و٤٦٩، والتذكرة الحمدونية ١/ ٢٠٣ و٢٠٤ و٢٠٥ و٣٥٤، و٢/ ٣٤٠، وعين الأدب والسياسة ١٦٦، والمستطرف ١/ ٢٣٨، والشريشي ٤/ ٩٢، ومناقب الشافعي للبيهقي، وتقييد العلم للخطيب ١٩، ومحاضرات الأدباء ٢/ ١٩، ونثر الدرر ٤/ ٦٧، والفوائد العوالي المؤرّخة للتنوخي بتخريج الصوري (بتحقيق التدمري) ١٩ و٣٠، وتبيين كذب المفتري لابن عساكر ٢٥١ـ ٢٥٢، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ١١ـ ١٤، وتاريخ الإسلام (السنوات ٢٠١ـ ٢١٠هـ) ص٣٠٤ رقم ٣٢٣.

ولا تعد مناقبه، وتحد الغيوم، ولا تحد سواكبه، مع حب أشربته له النفوس وشربته، على هلال جبين ما مثله شفاه الكؤوس، وقرب من الناس ينأى مداه، ويشأى الغيث جداه، وما علمه واحد بل شتى، ولا فضله إلاَّ ما يفنى، مع آداب لا لغو في كأسها، ولا تأثيم، واطراب لا حرج فيها وتحريم، وإنّما هي جنى جناتٍ قطوفها دانية، وصفوفها متدانية، وشنوفها لا تقرط بها حسناء، ولا تجد غنًى غانية، نهلةً من العرب جرعها وذروة من الأدب فرعها، ومروة من الشعر نحو صفا المُشَقَّر قرعها، بأبيات مأهولة نفح فيها الروح، ونفح بينها النسيم كأنها الخيام بذي طلوح.

كان يحفظ ديوان هُذيل، ويلفظ أشهر من سهيل، وكانت له فراسة هي فراسة المؤمن التي لا تخطىء، وظنانة هي كمخيلة النوء لا تبطىء، سكن مكة المعظمة حيث شرب للعلم ماء زمزمها، وطلع قمراً في أفق مأزمها، ثم استوطن مصر يزيد على نيلها في وفائه، وعلى مقطعات خلجها في صفائه، وانتشر هنالك علمه الغزير، وتوارى في سرار ترابها بدره المنير، ودفن بها بالقرافة حيث هو الآن القبة المعقودة، وآثار الجود الموجودة، ولوامع البركات الباقية المشهودة.

/١٣٦/ كان الشافعي رحمه الله كثير المناقب، جم المفاخر، منقطع القرين، اجتمعت فيه العلوم بكتاب الله سنة رسوله ﷺ، وكلام الصحابة وآثارهم، واختلاف أقاويل العلماء، وغير ذلك من معرفة كلام العرب، واللغة، والعربية، والشعر حتى إن الأصمعي مع جلالة قدره في هذا الشأن، قرأ عليه أشعار الهذليين ما لم يجتمع في غيره، حتى قال أحمد بن حنبل: ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: ما رأيت رجلاً أكمل من الشافعي.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: أي رجل كان الشافعي، فإني سمعتك تكثر من الدعاء له؟ فقال: يا بني الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن، فهل لهذين من خلف، أو عنهما من عوض.

وقال أحمد: ما بت منذ ثلاثين سنة إلاَّ وأنا أدعو للشافعي، واستغفر له.

وقال يحيى بن معين: كان أحمد بن حنبل ينهانا عن الشافعي، ثم استقبلته يوماً، والشافعي راكب بغلة، وهو يمشي خلفه، فقلت: يا أبا عبد الله تنهانا عنه، وأنت تمشي خلفه؟! فقال: اسكت لو لزمت البغلة انتفعت.

وحكى خطيب بغداد في تاريخه: أن أمّ الشافعي لما حملت به رأت كأن المشتري خرج من فرجها، حتى انقض بمصر، ثم وقع في كل بلدٍ شظية، فتأول

أصحاب الرؤيا أنه يخرج عالم يخص علمه أهل مصر، ثم يتفرق في سائر البلدان.

وقال الشافعي: قدمت على مالك بن أنس، وقد حفظت الموطأ فقال لي: احضر من يقرأ لك، فقلت أنا قارىء، فقرأت عليه الموطأ حفظاً، فقال: إن يكن أحد يفلح، فهذا الغلام.

وكان سفيان بن عيينة إذا جاءه شيء من التفسير أو الفتيا، التفت إلى الشافعي، / ١٣٧/ فقال: سلوا هذا.

وقال الحميدي: سمعت الزنجي بن خالد ـ يعني ـ مسلماً ـ يقول للشافعي: أفت يا أبا عبد الله، فقد والله آن لك أن تفتي وهو ابن خمس عشرة سنة.

وقال محفوظ بن أبي توبة البغدادي: رأيت أحمد بن حنبل عند الشافعي في المسجد الحرام، فقلت: يا أبا عبد الله هذا سفيان بن عيينة في ناحية المسجد يحدث، فقال: إن هذا يفوت، وذاك لا يفوت.

وقال أبو حسان الزيادي: ما رأيت محمد بن الحسن يعظم أحداً من أهل العلم تعظيمه للشافعي، ولقد جاءه يوماً، فلقيه وقد ركب محمد بن الحسن، فرجع محمد إلى منزله، وخلا به يومه إلى الليل، ولم يأذن لأحدٍ عليه، والشافعي أول من تكلم في أصول الفقه، وهو الذي استنبطه.

وقال أبو ثور: من زعم أنه رأى مثل الشافعي في علمه، وفصاحته، ومعرفته، وثباته، وتمكنه، فقد كذب، كان منقطع القرين في حياته، فلما مضى في سبيله لم يُعتض منه.

وقال أحمد بن حنبل: ما أجد من بيده محبرة ولا دواة إلاَّ وللشافعي في رقبته منّة.

وقال الزعفراني: كان أصحاب الحديث رقوداً حتى جاء الشافعي، فأيقظهم، فتيقظوا.

ومن دعائه المأثور عنه المداومة عليه في أحيانه كلها: «اللهم، يا لطيفُ أسألك اللطف فيما جرت به المقادير» رواه عنه ثقات، وهو مشهور بين العلماء بالإجابة، وأنه مجرب، والله أعلم.

[وذكر الحافظ ابن عساكر[1]: قال خرج الشافعي إلى الصفا، ومعه الحارث بن

---

(١) تاريخ دمشق ٥١/٣٣٦.

لبيد، وكان من الخاشعين، وكان حسن الصوت، فقرأ الحارث ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾[(١)] فاضطرب الشافعي، وتغير لونه، وبكى بكاءً شديداً حتى لصق بالأرض، ثم لم يتمالك أن قال: إلهي، إني أعوذ بك من مقام الكذابين، وأعلام الغافلين. إلهي خشعت لك قلوب العارفين، وولهت بك همم المشتاقين، فهب لي جودك، وجلّلني سترك، واعف عني بكرم وجهك يا كريم.

قال الربيع بن سليمان: سئل الشافعي عن مسألة فأعجب بنفسه فقال[(٢)]: [من المتقارب]

إذا المُشكلاتَ تَصدَّينَ لي ... كشفتُ حقائقَها بالنَّظَرْ
ولستُ بهيَّابةٍ في الرِّجالِ ... أُسائِلُ هذا وذا ما الخَبَرْ
ولكنَّني مِدْرَهُ الأصغرينِ ... فَتَّاحُ خَيرٍ وفرّاجُ شَرْ

وذكر أن رجلاً وقف بباب الشافعي، فقال: يا رب الدار تصدق علينا بما لا يتعب ضرساً، ولا يؤلم نفساً، فأخرج إليه طعاماً، فقال: حاجتي إلى كلامك أشد من حاجتي إلى طعامك، وأني طالب هدًى لا طالب ندًى، فأمر أن يدخل عليه فسأله عن مسألة من المسائل، فأجابه وأفاده، فخرج وهو يقول: علم أوضح لبساً خير من مال أغنى نفساً، فقال الشافعي: ما رأيت أعقل من هذا الرجل بارك الله فيه.

والشافعي فوق كل وصف،] وفضائله أكثر من أن تعدد، ومولده سنة خمسين ومائة، وقد قيل إنه ولد في اليوم الذي توفي فيه الإمام أبو حنيفة، وكانت ولادته بمدينة غزة، وقيل: بعسقلان، وقيل: باليمن، والأول أصح، وحمل من غزة إلى مكة وهو ابن سنتين، ونشأ بها، وقرأ القرآن الكريم، وقدم بغداد سنة خمسٍ وتسعين ومائة، وأقام /١٣٨/ بها شهراً، ثم خرج إلى مصر، وكان وصوله إليها في سنة تسع وتسعين ومائة، وقيل: سنة إحدى ومائتين، ولم يزل إلى أن توفي يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين، .ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى، وقبره يزار بها بالقرب من المقطم رحمه الله.

قال الربيع بن سليمان المرادي: رأيت هلال شعبان، وأنا راجع من جنازته، وقال: رأيته في المنام بعد وفاته، فقلت: يا أبا عبد الله ما صنع الله بك؟ فقال: أجلسني على كرسي من ذهب، ونثر عليّ اللؤلؤ الرطب.

---

(١) سورة المرسلات: الآية ٣٧ـ ٤٠.

(٢) ديوان الشافعي ص ٢٤٣ رقم ٩٧.

وقد اتفق العلماء قاطبةً من أهل العلم، والفقه، والحديث، واللغة، والنحو، وغير ذلك على ثقته، وأمانته، وعدالته، وزهده، وورعه، ونزاهة عرضه، وعفة نفسه، وحسن سيرته، وعلو قدره، وسخائه.

وللإمام الشافعي أشعار كثيرة، من ذلك ما نقل من خط أبي طاهر السلفي، قوله: [من الكامل]

إنَّ الذي رُزِقَ اليَسارَ ولمْ يُصبْ ... حَمْداً ولا أجراً لَغيرُ مُوفَّقِ
الجَدُّ يُدني كل أمرٍ شاسع ... والجَدَّ يفتحُ كلَّ بابٍ مُغلَقِ
فإذا سمعتَ بأنَّ محروماً أتى ... ماءً ليشربَه فغاضَ فَحَقِّقِ
وإذا سمعتَ بأنَّ مَجْدُوداً أتى ... عُوداً فأثمرَ في يديهِ فَصدِّق
لو كانَ بالحِيَلِ الغِنى لوجدْتَني ... بنجُومِ أقطارِ السماءِ تَعَلُّقي
لكنَّ مَنْ رُزِقَ الحِجا حُرِمَ الغِنَى ... ضِدّانِ مفترقانِ أيَّ تفرُّقِ
ومِنَ الدليلِ على القضاءِ وكونِهِ ... بؤسَ اللبيبِ وطيبَ عَيشِ الأحَمَقِ
وأحقُّ خلقِ اللهِ بالهمِّ أمرؤٌ ... ذو همةٍ يُبلَى برزقٍ ضيِّقِ[1]

ومن المنسوب إليه أيضاً[2]: [من الخفيف]

رامَ نفعاً فضرَّ مِنْ غيرِ قَصْدٍ ... ومِنَ البِرِّ ما يكونُ عُقوقا

/ ١٣٩/ ومن المنسوب إليه أيضاً[3]: [من مجزوء الرمل]

كلما أدَّبني الدهرُ ... أراني نقصَ عَقِلي
وإذا ما ازددتُ عِلماً ... زادَني عِلماً بجَهلي

وقوله[4]: [من البسيط]

وضاحكٍ والمنايا فوقَ هامَتِهِ ... لو كانَ يعلمُ غَيباً ماتَ في كَمَدِ
مَنْ كانَ لَمْ يُعْطَ عِلماً في بَقاءِ غَدٍ ... ماذا تفكُّرُهُ في رزقِ بعدِ غدِ

وقوله[5]: [من الوافر]

هيَ الدنيا فلا يُغضبْكَ منها ... ولا مِنْ أهلِها سَفَهٌ يُعابُ
أتطلبُ جيفةً وتنالُ منها ... وتُنكرُ أن تُهارِشَكَ الكِلابُ

---

(١) ديوان الشافعي ٢٩٨ـ ٣٠٠ رقم ١٣٧.
(٢) ديوانه ٢٩٥ رقم ١٣٤.
(٣) ديوانه ٣٣٢ رقم ١٦٥.
(٤) ديوانه ٢٠١ رقم ٦٣.
(٥) ديوانه ١٤٥ رقم ٢١.

وقوله: [من الوافر]

ولـولا الـشِّـعـرُ بـالـعـلـمـاءِ يُـزْري　　لـكـنـتُ الـيـومَ أشـعـرَ مِـنْ لِـبَـيـدِ

قال الشافعي: تزوجت بمكة امرأة من قريش، وكنت أمازحها، فأقول[1]: [من مجزوء الكامل]

ومِـــنَ الـــبـــلـــيـــةِ أنْ تُـــحِـــبَّ　　فـــلا يُـــحِـــبَّـــكَ مَـــنْ تُـــحِـــبُّـــهْ

فتقول هي: [من مجزوء الكامل]

ويـــصـــدُّ عـــنـــكَ بـــوجـــهِـــهِ　　وتُـــلِـــحُّ أنـــتَ فـــلا تُـــغِـــبُّـــهْ

وحكى أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء[2]: عن الربيع بن سليمان، قال: كتب الشافعي /١٤٠/ إلى محمد بن الحسن، وقد طلب منه كتباً لينسخها، فتأخرت عنه، فكتب: [من مجزوء الرجز]

قـــلْ لـــلـــذي لـــمْ تَـــرَ عَـــيْـــ　　ـــنـــا مَـــنْ رآه مِـــثْـــلَـــهُ

ومَـــــــنْ إذا رآه كـــــــا　　نَ قـــدْ رأى مَـــنْ قـــبْـــلَـــهُ

الـــعـــلـــمُ يَـــنْـــهَـــى أهـــلَـــهُ　　أنْ يـــمـــنـــعـــوهُ أهـــلَـــهُ

لـــعـــلَّـــهُ يـــبـــذلُـــهُ　　لأهـــلِـــهِ لـــعـــلَّـــهُ

فأنفذ إليه الكتب من ساعته.

ومن شعره رضي الله عنه ما قال لما قدموا به على هارون الرشيد مع العلويين: [من الطويل]

عَـلَـيَّ ثـيـابٌ لـوْ تُـقـاسُ جـمـيـعُـهـا　　بـفَـلْـسٍ لكـانَ الـفَـلْـسُ منـهـنَّ أكـبَـرا

وما ضَرَّ نصلَ السيفِ إخْلاقُ غِمْدِهِ　　إذا كـانَ عَـضْـبـاً حـيـثُ وجَّـهْـتَـهُ بَـرى

وقال الربيع بن سليمان: سُئل الشافعي عن مسألة فأُعجب بنفسه فقال[3]:

إذا الـمـشـكـلات تـصـديـن لـي　　كـشـفـت حـقـائـقـهـا بـالـنـظـر

ولـسـت بـهـيـابـه فـي الـرجـال　　.. هـــذا وذا مـــا الـــخـــبـــر

ولـكـنـنـي مـدرة الأصـغـريـن　　فـتّـاح خـيـر وفـرّاج شـرّ[4]

(١) ديوانه ٣٢٠ ـ ٣٢١ رقم ١٥٥.
(٢) طبقات الفقهاء: ١٢٩ ط الثقافة الدينية.
(٣) ديوانه ٢٤٣ـ ٢٤٤ رقم ٩٧.
(٤) بعدها بياض في الأصل بمقدار ٤ أسطر.

/ ١٤١/ ومن أصحابه:

[٢]

الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي البغدادي[(١)]

صاحب الإمام الشافعي، كان يلازمه ملازمة الحَمام لأطواقها، والسهام لأفواقها، لا يمل من طُول إيرائه، وطَول آرائه، حتى ود من تخلف من الأقران لو اكتحلوا بتراب قدمه، أو عُدُّوا من أتراب خدمه، وعُمِرَ وغرسه من سقيا الفضائل روى، وزنده من لقيا الأفاضل ورى، قال في الظلال، وقال في الجدال، فلم تعرض لديه مشكلة حتى عجل إزاحة فرقها، وإراحة فِرقها، فشكرت منه المنن الغرر والمنح الغر، وأصبحت الأيام بوجوده مُتباهية، والأقدار بجوده متناهية، حَمَى الشريعة، فأحكم أسوارها، وحكَّم في مشارق الشموس أنوارها، فلم تبق عارفة إلاّ سوغها، ولا وارفة إلاَّ أسبغها، ولا فائدة إلاَّ أسناها، ولا فائتة إلاَّ أدناها.

صحب الشافعي، وكان أشهر أصحابه بإتيان مجلسه، وأحفظهم لمذهبه، وله تصانيف كثيرة في أصول الفقه وفروعه، وكان متكلماً، عارفاً بالحديث، وصنف أيضاً في الجرح والتعديل، وأخذ عنه الفقه خلق كثير[(٢)].

وتوفي سنة خمس، وقيل: ثمان وأربعين ومائتين، وهو أشبه بالصواب.

/ ١٤٢/ ومنهم:

---

(١) **ترجمته في**: الكامل في ضعفاء الرجال لابن عديّ ٢/ ٧٧٥ـ ٧٧٧، وتاريخ بغداد ٨/ ٦٤ـ ٦٧ رقم ٤١٣٩، والفهرست لابن النديم ٢٣٠ـ ٢٣١، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٠٢، والانتقاء لابن عبد البرّ ١٠٦، والأنساب لابن السمعاني ١٠/ ٣٧١ـ ٣٧٢، وأدب القاضي للماوردي ٢/ ٩٧، ٣٢٧، ٣٧٨، واللباب لابن الأثير ٣/ ٨٨، والكامل في التاريخ ٧/ ٩٢، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ١٤٢ رقم ١٨٦، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٩٣، والمغني في الضعفاء ١/ ١٧٣ رقم ١٥٥٢، وميزان الاعتدال ١/ ٥٤٤ رقم ٢٠٣٢، ودول الإسلام ١/ ١٤٩، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٧٩ـ ٨٢ رقم ٢٣، والعبر ١/ ٤٥٠ـ ٤٥١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١/ ٢٥١ـ ٢٥٦، والوافي بالوفيات ١٢/ ٤٣٠ـ ٤٣١ رقم ٣٨٦، والبداية والنهاية ١١/ ٢، ومرآة الجنان ٢/ ١٥٥، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٤١، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٢٨، وتهذيب التهذيب ٢/ ٣٥٩ـ ٣٦٢ رقم ٦١٨، وتقريب التهذيب ١/ ١٧٨ رقم ٣٧٨، ولسان الميزان ٢/ ٣٠٣، والنجوم الزاهرة ٢/ ٣٢١، وطبقات الحفاظ ٣٦٨، وخلاصة تذهيب التهذيب ٨٤، وشذرات الذهب ٢/ ١١٧، وطبقات الشافعية للعبّادي ٢٣، والمغني في ضبط أسماء الرجال ٢١٤، وتاريخ الإسلام (السنوات ٢٤١ـ ٢٥٠هـ) ص٢٤١ رقم ١٥٥ .

(٢) بعده بياض بمقدار ٥ أسطر.

[٣]

الحسن بن محمد بن الصَّبّاح الزَّعفرانيّ[1]. صاحب الإمام الشافعي، أبو علي

شمس أصيلٍ نفضت على الآفاق زغفرانها، وفضَّت في حقائب الرفاق جفانها، وخلقت رداء الأصائل بردعها، وخلَّفت خلوق البشائر بربعها، وجلت الدنيا تختال في ثوبها المزعفر، وتختار ما راق أوان العصر من شرابها الأصفر، طنَّب به فضله على يفاع الارتفاع، وخيم حيث حلَّ به جَلب الانتفاع، فأحيا رميم الفضائل، وحيا عميم فضله جميل الفعائل، وعني بحياطة العلم، فكفل حزمه سدَّ الثغور، وكلف عزمه سَداد الأمور، فولَّت القرناء لا يقدر منهم من يقارن شهي الشهد بمجاجه، ولا يقابل بهي الدر بزجاجه، وما فيهم إلاَّ من قال لقريحته أريحي الاقتراح، ولا تستدعي الافتضاح.

---

(١) **ترجمته في**: المراسيل لأبي داود، رقم ١٥٣، وعمل اليوم والليلة رقم ١٠٣١، وأخبار القضاة لوكيع ١/ ١١، ٤٢، ٦٤، ١٠٨، ١١٠، ١٤٦، و٢/ ١٥، ١٩٠، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٩١، ٣١٤، ٣٨٢، ٨٢٣، ٢٤٣، وتاريخ الطبري ١/ ٣٥٥، ٣٥٧، ٢٩٠، ٣٣٤، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٦٣، ومسند أبي عوانة ١/ ٧١ و٢٦٥ و٢٠٤ و٢١٣ و٢١٤ وغيره، وتاريخ وفاة الشيوخ للبغوي ٨٦ رقم ٢٥٢، والجرح والتعديل ٣/ ٣٦ رقم ١٥٣، والثقات لابن حبّان ٨/ ١٧٧، والولاة والقضاة للكندي ٥٢٣، وذكر أسماء التابعين ومن بعدهم للدارقطني، رقم ٢٠٠، ورجال صحيح البخاري للكلاباذي ١/ ١٦٢ـ ١٦٣ رقم ٢٠٦، وتاريخ بغداد ٧/ ٤٠٧ـ ٤١٠ رقم ٣٩٥٣، والسابق واللاحق ١٩٧، وتاريخ جرجان للسهمي ١٨٩، ٤٠٧، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٠٠ـ ١٠٣، والانتقاء لابن عبد البرّ ١٠٥، والفهرست لابن النديم ٢١١، وطبقات الشافعية للعبّادي ٢٣، والجمع بين رجال الصحيحين ١/ ٨٤ رقم ٣٢٠، والأنساب ٦/ ٦٩٨، والمعجم المشتمل ١٠٣ رقم ٢٦٢، وطبقات الحنابلة ١/ ١٣٨ رقم ١٧٢، وفهرست ابن خير ٤٨٧، ومعجم البلدان ١/ ٢٤٧ـ ٣٥٣، ٧١٣ و٢/ ١٤٥، واللباب ٢/ ٦٩، والكامل في التاريخ ٧/ ٢٧٤، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٦٠ـ ١٦١ رقم ١٢٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٧٣ـ ٧٤ رقم ١٥٧، وتهذيب الكمال ٦/ ٣١٠ـ ٣١٣ رقم ١٢٧٠، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٤٩ وفيه «الحسن بن الصباح»، والمنتظم لابن الجوزي ٥/ ٢٣ـ ٢٤ رقم ٤٩، والعبر ٢/ ٢٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٢٥ـ ٢٥٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٦٢ـ ٢٦٥ رقم ١٠٠، والكاشف ١/ ١٦٦ رقم ١٠٦٩، ودول الإسلام ١/ ١٥٧ـ ١٥٨، ومرآة الجنان ٢/ ١٧١ـ ١٧٢، والبداية والنهاية ١١/ ٣٢، والوافي بالوفيات ١٢/ ٢٣٥ رقم ٢١٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ١١٤ـ ١١٧، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٣٢، وتهذيب التهذيب ٢/ ٣١٨ـ ٣١٩ رقم٥٥٢، وتقريب التهذيب ١/ ١٧٠ رقم ٣١٥، والنجوم الزاهرة ٣/ ٣٢، وطبقات الحفاظ ٢٣٠، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٧، وشذرات الذهب ٢/ ١٤٠، وروضات الجنات ٢١٤، ومعجم المؤلفين ٣/ ٢٨٤، وصحيح ابن خزيمة ١/ رقم٣٨٧، وسنن الدارقطني ١/ ٣٢١ رقم ١٧، ومعجم الشيوخ لابن جُمَيع ٢٥٦ رقم ٢١٥، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٥١ـ ٢٦٠هـ) ص١١٤ رقم ١٦٣.

برع في الفقه، والحديث، وصنف فيهما كتباً، وسار ذكره في الآفاق، ولزم الشافعي حتى تبحر، وكان يقول: أصحاب الحديث كانوا رقوداً حتى أيقظهم الشافعي، وكان يتولى قراءة كتب الشافعي عليه.

وسمع من سفيان بن عيينة وطبقته، وهو أحد رواة الأقوال القديمة عن الشافعي، ورواتها عنه أربعة: هو، وأبو ثور، وأحمد بن حنبل، والكرابيسي، ورواة الأقوال الجديدة ستة: المزني، والربيع بن سليمان الجيزي، والربيع بن سليمان المرادي، والبُويطي، وحرملة، ويونس بن عبد الأعلى، وروى عنه البخاري في صحيحه، وأبو داوود، والترمذي، وغيرهم.

توفي في سلخ شعبان، وقيل: في رمضان سنة ستين ومائتين. وذكر السمعاني في كتاب الأنساب أنه توفي سنة تسع وأربعين ومائتين.

/ ١٤٣/ ومنهم:

[٤]

عَبْدان بن محمد بن عيسى، الفقيه، أبو محمد المَرْوزي[١]، الجُنُوجرْدي[٢]

أحمد من أظهر مذهب الشافعي، اشتمل بالمناقب، واحتفل لما يبقى ذكره في العواقب، وأتى بالعلوم التي طالت أوضاحها، وآلت، وقد أخجل الصبح افتضاحها، فضاهى الكواكب وباهى العلماء، وقد جالت بفرسانها المواكب، وحبى لعلم يشيده، وعمل بالشكر يزيده، وفضل يفيده لآخر يستفيده، فكانت تهب من معرَّسه صبا الصباح، ويستدنى من مغرسه جنى النجاح، وكانت مجالسه معالم بالأماني مغتصه، ومواسم بالأماني مختصة، لا تسامي طماح مراده، ولا تسأم مراح مزاده، وكانت لا تزال الطلبة إليه وافية المناهج، وافرة المباهج، تضرب إليه السباسب، وتأتيه وترجع بالمكاسب.

قال السمعاني[٣]: اسمه عبد الله، وهو أحد من أظهر مذهب الشافعي بخراسان،

---

(١) **ترجمته في**: المعجم الصغير للطبراني ١/ ٢٣٤، تاريخ بغداد ١١/ ١٣٥ـ ١٣٦ رقم ٥٨٢٨، المنتظم ٦/ ٥٨، الأنساب ٣/ ٣٢٥، طبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٢٠٢ رقم ٨١٥، طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٢٩٧، العبر ٢/ ٩٥، تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٣١، مرآة الجنان ٢/ ٢٢١، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٩١ـ ٣٠٠هـ) ص١٧٤ رقم ٢٣٥.

(٢) نسبة إلى جُنُوجِرْد: قرية من قرى مرو.

(٣) الأنساب للسمعاني ٣/ ٣٢٥.

وكان الرجوع إليه في الفتاوى والمعضلات بعد أحمد بن سيار. قد حمل كتب الشافعي إلى مرو، وأعجب بها الناس، فأراد عبدان أن ينسخها، فمنعه ابن سيار من ذلك، فباع ضيعة له بجنوجرد وسار إلى مصر، ونسخ كتب الشافعي على الوجه وأكثر ورجع، فدخل عليه أحمد بن سيار مسلماً ومهنئاً، واعتذر من منع الكتب، فقال: لا تعتذر، فإن لك علي مِنَّةً في ذلك، فلو دفعت إليَّ الكتب لما رحلت إلى مصر. ولمَّا رحل إلى مصر تفقه بأصحاب الشافعي، وبرع في المذهب ونشره، وكان يوصف بالحفظ والزهد، وروى الحديث عن جماعة بخراسان والعراق ومصر، وروى عنه جماعة.

مولده ليلة عرفة سنة عشرين ومائتين، وتوفي ليلة عرفة سنة ثلاث وتسعين ومائتين.

/ ١٤٤/ ومنهم:

[٥]

محمد بن نصر، الإمام أبو عبد الله المَرْوَزِي(١)

أحد الأئمة الأعلام، والأزمة لما تمليه الأقلام، ضرب الآفاق في طلب الحديث، واغترب لا يقنعه السير الحثيث، وذهب وذكره لم يذهب، وبره محفوظ لم ينهب، وخلف ذخائر العلم مخزونة في كنف الصدور، مكنونة في حجب السطور، وكان ممن شرفت به المعالي، وأسعفت بسناء نوره العالي، وكان لملك خراسان منه خلوص ولائه، وخصوص وفاده. طالما منعه أن يسفك الدماء، ويهتك الذماء. فخلد ملكه في بنيه، وخلص له وده، وكان أشرف ما يقتنيه.

---

(١) **ترجمته في**: طبقات الفقهاء الشافعية للعبّادي ٤٩، وتاريخ بغداد ٣/ ٣١٥ـ ٣١٨ رقم ١٤١٦، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٠٦ـ ١٠٧، والمنتظم لابن الجوزي ٦/ ٦٣ـ ٦٦ رقم ٩٨، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ج١ق٢/ ٩٢ـ ٩٤، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٦١، وتاريخ ابن الوردي١/ ٢٥٩، ودول الإسلام ١/ ١٧٨، والمعين في طبقات المحدّثين ١٠٥ رقم ١١٩٧، وتذكرة الحفّاظ ٢/ ٦٥٠ـ ٦٥٣، والعبر ٢/ ٩٩، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٣ـ ٤٠ رقم ١٣، ومرآة الجنان ٢/ ٢٢٣، والوافي بالوفيات ٥/ ١١١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ٢٤٦ـ ٢٥٥، والوفيات لابن قنفذ ١٩٥ رقم ٢٩٤، وتهذيب التهذيب ٩/ ٤٨٩ـ ٤٩٠ رقم ٧٩٨، وتقريب التهذيب ٢/ ٢١٣ رقم ٧٦٧، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٦١، وطبقات الحفّاظ ٢٨٤ـ ٢٨٥، وحسن المحاضرة ١/ ٣١٠ـ ٣١٢، ومفتاح السعادة لطاش كبري زاده ٢/ ٧١، وشذرات الذهب ٢/ ٢١٦ـ ٢١٧، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٣٤ـ ٣٥، والرسالة المستطرفة ٤٦، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٩١ـ ٣٠٠هـ) ص٢٩٥ رقم ٤٨٧.

ولد ببغداد سنة ثنتين ومائتين، وسكن سمرقند وغيرها. وكان أبوه مرزوياً، تفقه على أصحاب الشافعي بمصر، وعلى إسحاق بن راهويه، ورحل في طلب الحديث والعلم إلى الآفاق.

قال الحاكم: هو إمام الحديث في عصره بلا مدافعة.

وقال الخطيب: كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة، ومن بعدهم.

وقال محمد ين عبد الله بن عبد الحكم: كان محمد بن نصر بمصر إماماً، فكيف بخراسان؟

وقال القاضي محمد بن محمد بن محمد: كان الصدر الأول من مشايخنا، يقولون: رجال خراسان أربعة: ابن المبارك، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن يحيى، ومحمد بن نصر.

وقال السُّليماني: محمد بن نصر المروزي إمام الأئمة، الموفق من السماء، له كتاب «تعظيم قدر الصلاة» وكتاب «رفع اليدين» وغيرهما من الكتب المعجزة.

وكان له مال يقارض عليه، وينفق عليه من غلته، وكان إسماعيل بن أحمد والي خراسان وأخوه يصله كل منهما بأربعة آلاف في السنة، ويصله أهل سمرقند بأربعة آلاف، فكان ينفقها من السنة إلى السنة، فقيل له: لو ادخرت لنا منه، فقال: سبحان الله أنا بقيت /١٤٥/ كذا سنة، قوتي وثيابي وكاغدي وحبري وجميع ما أنفقه على نفسي في السنة عشرين درهماً. افترى إن ذهب ذا لا يبقى ذاك؟

وقد ذكر له كرامات، منها ما رواه أبو الفضل محمد بن عبيد الله البلعمي قال: سمعت الأمير إسماعيل بن أحمد يقول: كنت بسمرقند، فجلست يوماً للمظالم، وجلس أخي إلى جانبي، إذ دخل أبو عبد الله محمد بن نصر، فقمت له إجلالاً لعلمه، فلما خرج عاتبني أخي، وقال: أنت والي خراسان تقوم لرجل من الرعية. هذا ذهاب السياسة. فبت تلك الليلة، وأنا منقسم الفكر، فرأيت النبي ﷺ، فأخذ بعضدي، فقال لي: ثبت ملكك، وملك بنيك بإجلالك محمد بن نصر، ثم التفت إلى إسحاق، فقال: ذهب ملك إسحاق، وملك بنيه باستخفافه بمحمد بن نصر.

وقال ابن حزم في بعض تواليفه: أعلم الناس من كان أجمعهم للسنن وأضبطهم لها. وأذكرهم لمعانيها، وأدراهم بصحتها وبما أجمع الناس عليه مما اختلفوا فيه، وما نعلم هذه الصفة بعد الصحابة أتم منها في محمد بن نصر المروزي، فلو قال قائل: ليس لرسول الله ﷺ حديث، ولا لأصحابه إلاَّ وهو عند محمد بن نصر، لما بعد عن الصدق.

توفي بسمرقند سنة أربعة وتسعين ومائتين.

ومنهم:

[٦]

محمد بن أحمد بن نصر التِّرمذي، الفقيه، الشافعي[(١)]، أبو جعفر الزاهد

الساهر إذا نام الساهد، الغائب لا يغيب عنه الشاهد، المتقلل من الدنيا على كثرة متاعها، ولذة استمتاعها، المخلي بينها وبين مبتاعها، قضى عمره كله في قليل من البلاغ، وبلالٍ من ريق /١٤٦/ الدين إن ساغ، فلما آن له الأطلال على الأجل، ودنا به خطو العجل، حصل له سوء مزاج أصدأ مرآة مخيلته، وأفسد صورة ممثلته فعظم اختلاطاً وكثر خلطاً، وضيق عليه دار البقاء حتى حل من القبر في دار اللقاء.

سكن بغداد، وحدَّث بها، ولم يكن للشافعية في وقته أرأس منه، ولا أورع، ولا أكثر تقللاً منه، وكان ثقةً من أهل العلم والفضل والزهد في الدنيا.

قال أبو الطيب أحمد بن عثمان السمسار والد أبي حفص ابن شاهين: حضرت عند أبي جعفر الترمذي، فسأله سائل عن حديث رسول الله ﷺ إن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا، فالنزول كيف؟ أيبقى فوقه علو؟ فقال أبو جعفر: النزول معقول، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وكان من التقلل في المطعم على حال عظيمة فقراً، وورعاً، وصبراً على الفقر. أخبرني محمد بن موسى بن حماد أنه أخبره أنه تقوت في سبعة عشر يوماً بخمس حبات، أو قال: ثلاث حبات، قلت: كيف عملت؟ قال: لم يكن عندي غيرها، فاشتريت بها لفتاً، فكنت آكل كل يومٍ واحدة.

وذكر أبو إسحاق الزجاج أنه كان يجري عليه في كل يوم أربعة دراهم، وكان لا يسأل أحد[اً] شيئاً.

---

(١) **ترجمته في**: تاريخ بغداد ١/ ٣٦٥ـ ٣٦٦ رقم ٣٠٧، والمنتظم ٦/ ٨٠ رقم ١٠٧، والكامل في التاريخ ٨/ ١٣، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٣٤ رقم ٥٤٤، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٩٢ـ ٩٤ رقم ٢٦، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٨٦، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٦٢، وطبقات الفقهاء الشافعية للعبّادي ٥٦، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٤٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١/ ٢٨٨، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٢٩٨ـ ٢٩٩ رقم ٢٧٣، والعبر ٢/ ١٠٣، ودول الإسلام ١/ ١٧٩، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٣٩، ومرآة الجنان ٢/ ٢٢٤، والوافي بالوفيات ٢/ ٧٠، والبداية والنهاية ١١/ ١٠٧ وفيه «محمد بن محمد بن نصر»، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٣٧ـ ٣٨، وشذرات الذهب ٢/ ٢٢٠ وفيه: «محمد بن أحمد بن جعفر»، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٩١ـ ٣٠٠هـ) ص٢٤٤ رقم ٢٦٥.

ولد في ذي الحجة سنة ثمان، وقيل: سنة عشر ومائتين، وتوفي لإحدى عشرة ليلةً خلت من المحرم سنة خمس وتسعين ومائتين، ولم يغير شيبه، وكان قد اختلط اختلاطاً عظيماً في آخر عمره.

ومنهم:

[٧]

أحمد بن سُريج، أبو العباس الشيرازي الفقيه الشافعي(١)

نورٌ لم تزل معاليه باللألاء لائحة، ونوؤه لم تبرح أياديه بالآلاء سائحة، يتوضح في فجر الفخر، وينبجس في صلد الصخر، بما يرق من فضفاض /١٤٧/ أرديته، ويطف من فياض أنديته، سحب ذيله على المجرة، وصحب سيله الدنيا وفارقها بحُلى في برودها المخضرة، بعلوم أعطت المسامع نشوة الاهتزاز، والمجامع جلوة الاعتزاز، وجادل عن مذهبه حيث لا يبل الريق اللسان، ولا يلبي الفكر المجيب للإنسان، وأفاض بتصانيفه المواهب الجسيمة والسحائب في أكناف الرياض البسيمة، فأطال للدعائم، وطار إلى النعائم، ولقي الله وهو مسرور بلقائه، مغبط بحال مماته، وحالي بقائه.

---

(١) أحمد بن عمر بن سريج، القاضي، أبو العباس البغدادي توفي في جمادى الأولى ببغداد سنة ٣٠٦هـ.
ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٨٧، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٨٩، طبقات الشافعية للعبادي ٦٢، وفيات الأعيان ١/ ٦٦، طبقات الفقهاء ١٠٨، الفهرست ٣٥٧، تاريخ بغداد ٤/ ٢٨٧ـ ٢٩٠، المعجم الصغير للطبراني ١/ ٤٤ (وفيه: شريح)، نشوار المحاضرة ٨/ ١٨٦ـ ١٨٧، الفهرست ٢٩٩ـ ٣٠٠، الفهرست لابن النديم ٢٩٩ـ ٣٠٠، وطبقات الشافعية للعبّادي ٦٢، وتاريخ بغداد ٤/ ٢٨٧ـ ٢٩٠ رقم ٢٠٤٤، وطبقات الفقهاء ١٠٨ـ ١٠٩، والمنتظم ٦/ ١٤٩، ١٥٠ رقم ٢٢٩، والكامل في التاريخ ٨/ ١٠٩ و١١٥ وفيه: «أحمد بن محمد» و«شريح»، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٥١ـ ٢٥٢ رقم ٣٧٧، ووفيات الأعيان ١/ ٦٦ـ ٦٧ رقم ٢١، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٦٩ـ ٧٠، وفيه: «أحمد بن سريج»، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٥٦، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٠١ـ ٢٠٤ رقم ١١٤، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨١١ـ ٨١٣، والعبر ٢/ ١٣٢، ودول الإسلام ١/ ١٨٥ـ ١٨٦، والوافي بالوفيات ٧/ ٢٦٠ـ ٢٦١ رقم ٣٢٢٣، ومرآة الجنان ٢/ ٢٤٦ـ ٢٤٨، وفيه: «شريح»، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ٢١ـ ٣٩، والوفيات لابن قنفذ ١٩٩ رقم ٣٠٦ وفيه: «شريح»، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٢٠ـ ٢١ رقم ٥٩٣، والبداية والنهاية ١١/ ١٢٩، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٩٤، وطبقات الحفاظ ٣٣٨، ومفتاح السعادة ٢/ ١٧٤، وشذرات الذهب ٢/ ٢٤٧ـ ٢٤٨، وطبقات الأصوليين ١/ ١٦٥ـ ١٦٦، وكشف الظنون ٧٠٥ وغيرها، وروضات الجنات ٥٧، وهدية العارفين ١/ ٥٧، وديوان الإسلام ٣/ ١١٦ـ ١١٧ رقم ١٢٠٣، والأعلام ١/ ١٨٥، ومعجم المؤلّفين ٢/ ٣١، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٠١ـ ٣٢٠هـ) ص١٧٧ـ ١٨٠ رقم ٢٦٩.

كان من عظماء الشافعية، وأئمة المسلمين، وكان يقال له الباز الأشهب، وولي القضاء بشيراز، وكان يفضل على جميع أصحاب الشافعي حتى على المزني. وإنَّ فهرست كتبه كان يشتمل على أربعمائة مصنف، وقام بنصرة مذهب الشافعي، ورد على المخالفين، وفرّع من كتب محمد بن الحسن الحنفي.

وكان الشيخ أبو حامد الإسفراييني يقول: نحن نجري مع أبي العباس في ظواهر الفقه دون دقائقه.

وأخذ الفقه عن أبي القاسم الأنماطي، وعنه أخذ فقهاء الإسلام، ومنه انتشر مذهب الشافعي في أكثر الآفاق، وكان يناظر أبا بكر محمد بن داود الظاهري، وحكى أنه قال له يوماً: بلعني ريقي، فقال له: أبلعك دجلة. وقال له يوماً: أمهلني ساعةً، فقال: أمهلتك من الساعة إلى يوم الساعة، وقال له يوماً: أكلمك من الرجل فتجيبني من الرأس، فقال له: هكذا البقر إذا حفيت أظلافها ذهبت قرونها.

وكان يقال له في عصره إن الله تعالى بعث عمر بن عبد العزيز على رأس المائة من الهجرة، فأظهر كل سنةٍ، وأمات كل بدعة، ومنّ الله تعالى على رأس المائتين بالإمام الشافعي حتى أظهر السنة، وأخفى البدعة، ومنَّ الله تعالى في رأس الثلاثمائة بك حتى قويت كل سنة، وضعفت كل بدعة.

/١٤٨/ ومنهم:

[٨]

الحسين بن صالح بن خيران، الفقيه الشافعي[١]، أبو علي

إمامٌ تهدل له حمائمُ المدائح، وتهطل به غمائم المنائح، ناضر الحديقة، ناظر

---

(١) **ترجمته في**: طبقات فقهاء الشافعية للعبّادي ٦٧، وتاريخ بغداد ٨/ ٥٣- ٥٤ رقم ٤١١٨، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١١٠، والمنتظم ٥/ ٢٤٤- ٢٤٥ رقم ٣٩٨، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٦١ رقم ٣٩٢، والكامل في التاريخ ٨/ ٢٤٧، وفيه «ابن خيزران» وهو غلط، ووفيات الأعيان ٢/ ١٣٣- ١٣٤ رقم ١٨٢، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٧٧ وفيه: «أبو الحسين بن صالح»، وهو وهْم، ومثله في تاريخ ابن الوردي ١/ ٢٦٣، والعبر ٢/ ١٨٤، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٨- ٦٠ رقم ٢٦، والوافي بالوفيات ١٢/ ٣٧٨- ٣٧٩ رقم ٣٥٩، ومرآة الجنان ٢/ ٢٨٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ٢٧١- ٢٧٤، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٤٦٣- ٤٦٤ رقم ٤١٧، والبداية والنهاية ١١/ ١٧١، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٩٣- ٩٤ رقم ٣٨، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٣٥، وشذرات الذهب ٢/ ٢٨٧، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١٥، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٠١- ٣٢٠هـ) ص٦١٧ رقم٤٩١.

الحدقة إلى الحقيقة، طلبه السلطان إلى القضاء، فوقف حذاء الحذار، وعطف عذار الأعذار، وردَّ عليه ما ولاَّه من حكمه، وأراه منه ما ودَّ كثيراً لو رآه في حلمه، بعزمٍ أيدٍّ جاش جأشه، وعاش انعاشه حتى تَقَشَّع عنه غم ذلك الغمام، وقد اضمحلَّ محلّه، وتضاءل ظله، ولم يرعه طلب السلطان، وقد أنباهُ بتهويم وهمه، وأنبهه لكن لما أشغله بهمِّه، وقبح في الردِّ وما وجم ولا وجل، ولا خشع ولا خجل، فقبل منه المعذرة، وأزال عنه ما حذره، فأعفاه العاتب من اللوم، وعفى عما كان منه إلى اليوم.

كان من جلّة الفقهاء المتورِّعين، وأفاضل الشيوخ. وعُرِض عليه القضاء ببغداد في خلافة المقتدر، فلم يفعل، فوَكَّل به الوزير أبو الحسن علي بن عيسى بداره مترسماً، فخوطب في ذلك، فقال: إنما قصدت ذلك، ليقال: كان في زماننا من وكل بداره ليتقلَّد القضاء، فلم يفعل، وكان يُعاتب أبا العباس بن سُرَيج على توليته، ويقول: هذا الأمر لم يكن فينا، وإنما كان في أصحاب أبي حنيفة.

وكانت وفاته يوم الثلاثاء لليلةٍ بقيت من ذي الحجة سنة عشرين وثلاثمائة، قاله أبو العلاء ابن العسكري.

وقال الدارقطني: كانت وفاته في حدود سنة عشرٍ وثلاثمائة. وصوّبه أبو بكر الخطيب[1].

ومنهم:

[٩]

عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل النيسابوري[2]، الفقيه، الحافظ، العلامة، الشافعي

إمام أنوار فضائله متلألئة، وآثار فضائله متتالية، وسحب مواطره مغدقة، وشهب

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٥٤.

(٢) **ترجمته في**: طبقات فقهاء الشافعية للعبّادي ٤١، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٢٠ـ ١٢٢، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١١٣، والإكمال لابن ماكولا ٢/ ٢٥٩، والأنساب ٥/ ٥٥٠، والمنتظم ٦/ ٢٨٦، ٢٨٧، وتاريخ دمشق ط دار الفكر/ ١٨٣ـ ١٨٨ رقم ٣٤٩٦، ومعجم البلدان ٢/ ١١٠، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٨٤، والعبر ٢/ ٢٠١ـ ٢٠٢، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٦٥ـ ٦٨ رقم ٣٤، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨١٩ـ ٨٢١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ٣١٠ـ ٣١٤، ومرآة الجنان ٢/ ٢٨٨ـ ٢٨٩، والبداية والنهاية ١/ ١٨٦، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١١١ـ ١١٢ رقم ٥٧، وتهذيب التهذيب ٥/ ١٣٢، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٥٩، وطبقات الحفاظ ٣٤١ـ ٣٤٢، وشذرات الذهب ٢/ ٣٠٢، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٣/ ٢١٧ـ ٢١٩ رقم ٩٠٦، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٢١ـ ٣٣٠هـ) ص١٥٠ رقم١٧٥ .

خواطره محدقة، /١٤٩/ وله المصنفات التي لم يزل فكره السيال منها فيض كرم، وروض نعم، وشذا تصنيف أريج، وسنى تأليف بهيج، بقلم قلَّم أظفار النوائب، وقلل أكدار الشوائب، ودام على حالي حاله حتى قاربَ أوانٌ ارتحاله. بلغ به الكبر غايته وما خار له أنبوب ولا حار يعبوب، في حين ما للبلاغة فيه بلاغ، ولا للخواطر فراغ إذ كان البيان قد نضب، واللسان قد قطع ما اقتضب.

قال الحاكم: كان إمام عصره في الشافعية بالعراق، ومن أحفظ الناس للفقهيات، واختلاف الصحابة.

وقال الدارقطني: ما رأيت أحفظ من ابن زياد، كان يعرف زيادات الألفاظ في المتون. ولما قعد للتحديث، قالوا: حدِّث. قال: بل سَلُوا أنتم، فسئل عن أحاديث أجاب عنها وأملاها.

قال يوسف: سمعت أبا بكر النيسابوري يقول: تعرف من أقام أربعين سنةً لم ينم الليل، ويتقوت كل يوم بخمس حبات، يُصلي صلاة الغداة على طهارة العشاء الآخرة؟ ثم قال: أنا هو، وهذا كله قبل أن أعرف أم عبد الرحمن، إيش أقول لمن زوجني، ثم قال: ما أراد إلاَّ الخير.

وقال الدارقطني: كُنَّا في مجلس فيه أبو طالب الحافظ، والجعابي وغيرهما، فجاء فقيه، فسأل من روى عن النبي ﷺ، «وجعل تربتها طهوراً»، فلم يجيبوه، ثم ذكروا وقاموا، فسألوا أبا بكر بن زياد، فقال: نعم فلان، وسرد الحديث والحديث في مسلم.

مولده سنة ثمان وثلاثين ومائتين. قال ابن قانع: مات في رابع ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وثلثمائة.

/١٥٠/ ومنهم:

[١٠]

الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى بن الفضل، أبو سعيد الإصْطَخْري الفقيه الشافعي[١]

قاض لا يجور، وماضٍ أقطع للباطل من سيف الصباح للديجور وقضاياه تصحح

(١) ترجمته في: الفهرست لابن النديم ٣٠٠، وطبقات فقهاء الشافعية للعبّادي ٦٦، وتاريخ بغداد ٧/ ٢٦٨-٢٧٠ رقم ٣٧٥٣، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١١١، والأنساب ١/ ٢٩١-٢٩٢، والمنتظم ٦/ =

العقود، وتفسح للنظر مجال النقود، قام بهذا الفرض فيما وليه، وقال هذا في بلده وما يليه، وجهر بهذا، وليس للنطق نطاق، ولا على الصدق صداق، فصحّت به الأنساب، وصَحَت من غمرات سكرها الأحساب، فجلا الهم الماثل، وجلى الفهم الماحل حتى وضح الحق المبين على المنار، ومنع فراش الجهالة من التساقط في النار.

كان من نظراء الشيخ أبي العباس بن سريج، وأقران أبي علي بن أبي هريرة، وله مصنفات حسنة في الفقه منها كتاب «الأقضية» وكان قاضي قم، وتولى حسبة بغداد، وكان ورعاً متقللاً، واستقضاه المقتدر على سجستان، فسار إليها، فنظر في مناكحاتهم، فوجد معظمها على غير اعتبار الولي، فأنكرها وأبطلها.

وتوفي في جمادى الآخرة، وقيل في شعبان سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، ومولده سنة أربع وأربعين ومائتين.

ومنهم:

[١١]

أبو بكر، محمد بن عبد الله الصَّيْرَفي، الفقيه، الشافعي[(١)]

رجل تحلق همته إلى آفاق الكواكب ارتقاء، وتتخير أخلاق السحائب انتقاءً، أنفق عمره كله في طلب العلم كرماً، وجعل فواضله على سواه حرماً، فحاز أفخر المناقب، وجاءه خاطره يسخر بالنجوم الثواقب، حيث أضحى للفواضل مجمعاً، وحاز الفضائل في العلم والعمل معاً، /١٥١/ فتضاءلت البدور في مرمى شمسه، وحرجت الصدور لمرأى غرسه، وكان نظره محكاً للنقد، وخاطره مضطرم الوقد، فلو

= ٣١٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٧٤، ٧٥، ومعجم البلدان ١/ ٢١١، ودول الإسلام ١/ ٢٠١، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٥٠ـ ٢٥٢ رقم ١٠٤، والعبر ٢/ ٢١٢، ومرآة الجنان ٢/ ٢٩٠، والبداية والنهاية ١١/ ١٩٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ٢٣٠ـ ٢٥٣، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١١٠ رقم ٥٥، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٦٧، وشذرات الذهب ٢/ ٣١٢، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٦٢، وهدية العارفين ١/ ٢٦٩، وديوان الإسلام لابن الغزّي ١/ ١٣٦ رقم ١٩٠، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٢١ـ ٣٣٠هـ) ص٢٢٦ رقم٣٤٩.

(١) **ترجمته في**: طبقات فقهاء الشافعية للعبادي ٦٩، وتاريخ بغداد ٥/ ٤٤٩ـ ٤٥٠ رقم ٢٩٧٧، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٩١، والأنساب ٨/ ٣٦١، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٣٧، والكامل في التاريخ ٨/ ٣٩٢، ومرآة الجنان ٢/ ٢٩٧، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ١١٧ـ ١١٨ رقم ٧٤، وشذرات الذهب ٢/ ٣٢٥، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٢١ـ ٣٣٠هـ) ص٢٩٠ رقم ٥٠٩.

تستر الزغل بخافي الوهم لأخرجه، أو جاز الزيف في دراهم النجوم لبهرجه، وكان يتوقى نظره، ويخافه المريب فلا يحضره، فتعالى من جعل شمل الشتات به ملموماً، وفخر الأشتات إليه مضموماً.

أخذ الفقه عن ابن سُرَيج، واشتهر بالحذق في النظر والقياس، وعلم الأصول، وله في أصول الفقه كتاب لم يسبق إليه.

حكى أبو بكر القفال: أن أبا بكر الصيرفي كان أعلم الناس بالأصول بعد الشافعي، وهو أول من انتدب من أصحاب الشافعي للشروع في علم الشروط، وصنف فيه كتاباً أحسن فيه كل الإحسان.

وتوفي يوم الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين وثلاثمائة.

ومنهم:

[١٢]

أحمد بن أبي أحمد، المعروف بابن القاصّ الطبريّ[(١)]، أبو العباس، الفقيه الشافعي

رجلٌ أتم على الأمة نعمتها، وسر صدور الشريعة وأئمتها، وصرف قلمه بما صدَّ صروف الأيام، وكفى صنوف الآلام. وتصانيفه كبرت نجماً، وإن صغرت حجماً، ملأ منها القطر الإناء فأفعمه، وسما إلى اللسان فأفحمه، ولم يزل الدهر يتعصب لفضله، وتتمتع العيون بلألاء شمسه، وبرد ظله، حتى جلس مجلس ذكر، كان هو فيه أول من أجاب الداعي، وقدم منه على رتبة مشكورة المساعي.

كان إمام وقته بطَبرِسْتان، وأخذ الفقه عن ابن سُرَيْج، وصنف كتباً كثيرة جميعها صغيرة الحجم، كثيرة الفائدة، وكان يعظ الناس، فانتهى في بعض أسفاره إلى طرسوس، وقيل: إنه تولى القضاء بها، فعقد له مجلس وعظ وأدركته رقة وخشية وروعة من ذكر الله فخر مغشياً عليه.

---

(١) **ترجمته في**: طبقات فقهاء الشافعية للعبادي ٧٣، طبقات الفقهاء للشيرازي ٩١، طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ١٠٣، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ١٠٧ـ ١٠٨ رقم ٥٢، طبقات الشافعية لابن هداية الله ٦٥ـ ٦٦، وفيات الأعيان ١/ ٦٨ـ ٦٩، الوافي بالوفيات ٦/ ٢٢٧، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٩٤، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٥٢، دول الإسلام ١/ ٢٠٩، العبر للذهبي ٢/ ٢٤١، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٧١ـ ٣٧٢ رقم ١٩٢، مرآة الجنان ٢/ ٣١٩، شذرات الذهب ٢/ ٣٣٩، معجم المؤلفين ١/ ١٤٩، البداية والنهاية ١١/ ٢١٩، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٣١ـ ٣٥٠هـ) ص ١٢١ـ ١٢٢ رقم ١٦٢.

ومات سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة وقيل: سنة ست.

/ ١٥٢/ ومنهم:

[١٣]

إبراهيم بن أحمد بن إسحاق المرْوَزِيّ، الفقيه الشافعي[١]، أبو إسحاق

بطل جدال يروع، وفارس عليم يبرز عليه صدأ الدروع، تنقاد له الصعاب مذللة، وتقبل إليه متهللة، بفتاوٍ ترد من ردى، وتعقد رقًى لسهام العدا. نصب تصانيفه مناراً على طرق الهدى، وأخصب لها آثاراً بها يقتدى، وفوّفها كالحدائق الزاهرة، وصرفها في الحقائق التي تملأ العيون الساهرة، فسدت كل ثلمة، وجلت كل ظلمة، إلى أن لم يبق بقية، وحتى ذهب مثل يوم الصحو والسماء نقية.

أخذ الفقه عن أبي العباس بن سُريج، وبرع فيه، وانتهت إليه الرياسة بالعراق بعد ابن سريج، وكان إمام عصره في الفتوى والتدريس، وصنف كتباً كثيرة، وشرح مختصر المزني، وأقام ببغداد دهراً طويلاً يدرّس ويفتي، وأنجب من أصحابه خلق كثير، ثم ارتحل إلى مصر في أواخر عمره، فأدركه أجله، فتوفي لتسع خلون من رجب سنة أربعين وثلاثمائة، ودفن قريباً من الإمام الشافعي.

ومنهم:

[١٤]

أبو بكر، محمد بن علي بن إسماعيل القفّال، الشاشي[٢]

إمام عصره، والذي ما فتح باباً في العلم، فخاف من عسره، وقف دون تحصينه

---

(١) **ترجمته في**: طبقات فقهاء الشافعية للعبادي ٦٨، طبقات الفقهاء للشيرازي ٩٢، طبقات الشافعية للإسنوي ٢ رقم ١٠١٥، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ١٠٦ـ ١٠٧ رقم ١٥، طبقات الشافعية لابن هداية الله ١٩، تاريخ بغداد ٦/ ١١، وفيات الأعيان ١/ ٢٦ـ ٢٧، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٩٩، تاريخ ابن الوردي ١/ ٢٨٥، شذرات الذهب ٢/ ٣٥٥ـ ٣٥٦، روضات الجنات ١/ ١٦٩، العبر ٢/ ٢٥٢، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٢٩ـ ٤٣٠ رقم ٢٤٠، دول الإسلام ١/ ٢١١، الفهرست لابن النديم ١/ ٢١٢، معجم البلدان ٥/ ١١٦، مرآة الجنان ٢/ ٣٣١، ديوان الإسلام ٤/ ٢١٠ـ ٢١١ رقم ١٩٤٧، كشف الظنون ١٦٣٥، هدية العارفين ١/ ٦، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٣١ـ ٣٥٠هـ) ص ١٨٧ـ ١٨٨ رقم ٣٠٧.

(٢) **ترجمته في**: تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٨٢، طبقات الفقهاء ١١٢ وفيه مات سنة ٣٣٦، وكذلك في الوفيات لابن قنفذ ٢١٢ رقم ٣٣٦، طبقات الشافعية لابن هداية الله ٨٨، العبر ٢/ ٣٣٨، طبقات الشافعية الكبرى للسُبكي ٣/ ٢٢٠، وفيات الأعيان ٣/ ٣٣٨، النجوم الزاهرة ٤/ ١١١، شذرات =

كل قفال، وخبت قبل فهمه مصابيح باتت تشبُّ لقفال، وكان لا يمارى أنه فيما علم، ذو بأس شديد، وفيما عرف أن نظره حديد، وبما عمل أنه لا يقدر على ما قفل إليه، ولا ما قُفِلَ عليه. وأنه ممن ألين الذهب له والحديد على يديه، /١٥٣/ وأنه أتى بالجوهر ثم اتخذ عليه أقفالاً إلاَّ أنها حافظته التي لا تنسى، وعارضته إلاَّ أنها أشد قوةً من الحديد ومسًّا.

كان محدثاً، فقيهاً، أصولياً، لغوياً، شاعراً، لم يكن بما وراء النهر للشافعيين مثله في وقته، رحل إلى خراسان، والعراق، والحجاز، والشام، والثغور، وسار ذكره في البلاد، وأخذ الفقه عن ابن سريج. وهو أول من صنف الجدل من الفقهاء، وعنه انتشر مذهب الشافعي في بلاده.

توفي سنة ست وستين وثلاثمائة في الصحيح، وقيل: سنة ست وثلاثين وهو تصحيف.

ومنهم:

[١٥]

محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد، المروزي القاشاني[1]، الشافعي، أبو زيد

فقيه أيسر بعد الإعسار، واستغنى بعد عدم اليسار، وكثر ماله حيث لا يقدر على

= الذهب ٣/ ٥١، مفتاح السعادة ١/ ٢٥٢ و٢/ ١٧٨ وفيه «وفاته سنة ٣٣٥ أو ٣٣٦ وقيل ٣٦٥»، مرآة الجنان ٢/ ٣٨١، الأنساب ٣/ ٣٧٥، تبيين كذب المفتري ١٨٢، طبقات العبادي ٩٢، طبقات المفسرين للسيوطي ٣٦، اللباب ٢/ ٢٧٥، الوافي بالوفيات ٤/ ١١٢، طبقات المفسرين للدوادي ٢/ ١٩٦ رقم ٥٣٦، دول الإسلام ١/ ٢٢٦، معجم الأدباء ٦/ ٣٧٩، الأعلام ٧/ ١٥٩، معجم المؤلفين ١٠/ ٣٠٨، الفهرست ٣٠٣، معجم البلدان ٣/ ٣٠٩، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٨٣ـ ٢٨٥ رقم ٢٠٠، طبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٧٩ـ ٨٠، هدية العارفين ٢/ ٤٨، طبقات الأصوليين ١/ ٢٠١ـ ٢٠٢، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٥١ـ ٣٨٠هـ) ص٣٤٥.

(١) ولد سنة ٣٠١هـ، وتوفي بمرو سنة ٣٧١هـ.

ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٧١، طبقات الشافعية لابن هداية الله ٩٦، طبقات الفقهاء ١١٥، طبقات الشافعية للعبادي ٩٣، طبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٣٧٩ـ ٣٨٠، الوافي بالوفيات ٢/ ٧١ رقم ٣٧٥، وفيات الأعيان ٤/ ٢٠٨ رقم ٥٨١، تاريخ بغداد ١/ ٣١٤ رقم ١٩٧، تبيين كذب المفتري ١٨٩، الوفيات لابن قنفذ ٢١٩، النجوم الزاهرة ٤/ ١٤١، المنتظم ٧/ ١١٢، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣١٣ـ ٣١٥ رقم ٢٢١، الكامل في التاريخ ٩/ ١٦، تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٥٠، العقد الثمين ١/ ٢٩٧، البصائر ١/ ٤٠٦، شذرات الذهب ٣/ ٧٦، دول الإسلام ١/ ٢٢٩، العبر ٢/ ٣٦٠، البداية والنهاية ١١/ ٢٩٩، مرآة الجنان ٢/ ٣٩٧، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٥١ـ ٣٨٠هـ) ص٥٠٣ـ ٥٠٥.

مد اليمين ولا اليسار، واستطاع، وأوامر شهوته لا تطاع، وقد ذهب أطيباه، وقهر سلطان مشيبه صباه، وجاور مدةً ببيت الله الحرام، وأسف طائره بعد الحيام، وقام قائماً على قدم التعبد، وأحيا الليل بنور التهجد، والطواف بفناء ذلك البيت الذي لا تمل الملائكة إليه التردد، ثم آب إلى وطنه مملًّى بظفره، لا يشكو وعثاء سفره، فأثرى بعد توسد الثرى، واكتسى بعدما تعرى، وما عرى؛ لفقر طويل طالما ضم عليه أعضاه، وأكثر إسخاطه، ثم أرضاه.

أخذ الفقه عن أبي إسحاق المروزي، وأخذ عنه أبو بكر القفال، ودخل بغداد، وحدث بها وسمع منه الدارقطني وغيره، ثم خرج إلى مكة فجاور بها سبع سنين، وحدَّث هناك بصحيح البخاري، عن محمد بن / ١٥٤/ يوسف الفربري، وكان حسن النظر، مشهوراً بالعلم، حافظاً للمذهب، وله فيه وجوه غريبة.

قال أبو بكر الخباز: عادلت الفقيه أبا زيد من نيسابور إلى مكة، فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة.

وقال أبو زيد: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وأنا بمكة كأنه يقول لجبريل: يا روح القدس، أصحبه إلى وطنه، وكان في أول أمره فقيراً لا يقدر على شيء، وكان يعبر الشتاء بلا جبة، مع شدة البرد في تلك البلاد، فإذا قيل له في ذلك، يقول بي علة تمنعني من لبس المحشو، يعني به الفقر، وكان لا يشتهي أن يطلع أحداً إلى باطن حاله، ثم أقبلت عليه الدنيا في آخر عمره، وقد أسن، وتساقطت أسنانه، وكان لا يتمكن من المضغ، وبطلت منه حاسة الجماع، وكان يقول مخاطباً للنعمة: لا بارك الله فيك، أقبلت حيث لا ناب، ولا نصاب.

ومنهم:

[١٦]

عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الدَّاركي، الفقيه الشافعي(١)

بحر خبيه الدرر، وبرق خفوه المطر، وفقيه هو على الشيطان أشد من ألف

---

(١) واسمه في بعض المصادر: «عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز..».
ترجمته في: تاريخ بغداد ١٠/ ٤٦٣ـ ٤٦٥ رقم ٥٦٣٥، المنتظم ٧/ ١٢٩ـ ١٣٠ رقم ١٨٧، العبر ٢/ ٣٧٠، تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٧٠، مرآة الجنان ٢/ ٤٠٥، البداية والنهاية ١١/ ٣٠٤، طبقات الفقهاء للشيرازي ١١٧ـ ١١٨، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ٢٤٠، طبقات الشافعية لابن هداية الله ٩٨، معجم البلدان ٢/ ٤٢٣، وفيات الأعيان ٣/ ١٨٨ رقم ٣٨٥، الأنساب ٥/ ٢٧٣، ٣٧٧، الكامل =

عابد، ونبيه يرمي الزمان بالأوابد، إلاَّ أنه لم يخل من حاسدٍ قصد أن يضعه، ومعاند ما غير في الصدور موضعه، هيهات أن يوصم دينه باختزال، أو يخصم باعتزاء إلى اعتزال، والقمر على تمام حسنه لا بد له من عائب، والفاضل من تعد له معايب.

نزل نيسابور سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، ودرس الفقه بها سنين، ثم انتقل إلى بغداد، وسكنها إلى حين وفاته وعليه تفقه عامة شيوخ بغداد، وغيرهم من أهل الآفاق. وكان يدرّس ببغداد في مسجد دَعْلَج بن أحمد بدرب أبي خلف، وله حلقة بالجامع للفتوى والنظر، وانتهى التدريس إليه /١٥٥/ ببغداد، وانتفع به خلق كثير، وله في المذهب وجوه جيدة دالة على متانة علمه. وكان يهتم بالاعتزال.

وكان أبو حامد الإسفراييني يقول: ما رأيت أحداً أفقه من الداركي، وكان إذا جاءته مسألة يفكر طويلاً، ثم يفتي فيها، وربما أفتى على خلاف مذهب الإمامين أبي حنيفة والشافعي، فيقال له في ذلك، فيقول: ويحكم حدث فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ بكذا وكذا، والأخذ بالحديث أولى من الأخذ بقول الإمامين.

وتوفي ببغداد يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس وسبعين وثلاثمائة عن نيف وسبعين سنة.

ومنهم:

[١٧]

محمد بن أحمد الخِضْري المروزي الشافعي[1]

إمام مرو، كان إذا حفظ شيئاً، كان كأنه النقش في الحجر، والسواد الممثل في

= في التاريخ ٩/ ٤٧، اللباب ١/ ٤٠٤، النجوم الزاهرة ٤/ ١٤٨، شذرات الذهب ٣/ ٨٥، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٦٣، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٠٤ـ ٤٠٦ رقم ٢٩٣، طبقات الشافعية للإسنوي ١ (٥٠٨)، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٥١ـ ٣٨٠هـ) ص٥٧٥.

(١) محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الفقيه، أبو زيد المروزي الشافعي الزاهد:
ترجمته في: تاريخ بغداد ١/ ٣١٤ رقم ١٩٧، الكامل في التاريخ ٩/ ١٦، دول الإسلام ١/ ٢٢٩، العبر ٢/ ٣٦٠، تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٥٠، البداية والنهاية ١١/ ٢٩٩، مرآة الجنان ٢/ ٣٩٧، طبقات الفقهاء ١١٥، طبقات الشافعية لابن هداية الله ٩٦، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ٧١، تبيين كذب المفتري ١٨٩، العقد الثمين ١/ ٢٩٧، الوافي بالوفيات ٢/ ٧١ رقم ٣٧٥، وفيات الأعيان ٤/ ٢٠٨ رقم ٥٨١، الوفيات لابن قنفذ ٢١٩، البصائر ١/ ٤٠٦، طبقات العبادي ٩٣، النجوم الزاهرة ٤/ ١٤١، شذرات الذهب ٣/ ٧٦، المنتظم ٧/ ١١٢، طبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٣٧٩ـ ٣٨٠، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣١٣ـ ٣١٥ رقم ٢٢١، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٥١ـ ٣٨٠هـ) ص٥٠٣.

البصر، والحبيب الذي ما غاب عن القلب منذ حضر، وكان يداوم الدروس كأنها أنفاسه التي لا يملها، ويكرر المحافيظ كأنها أكياسه التي لا يحلها، رابئاً في الدأب، يحمل النفس على مكروهه، وفقهاً في المذهب يعرف على سمات البدور حسن وجوهه.

صحب أبا بكر الفارسي، وكان من أعيان تلامذة أبي بكر القفال الشاشي، وأقام بمرو، ناشراً فقه الشافعي، وكان يضرب به المثل في قوة الحفظ، وقلة النسيان، وله في المذهب وجوه غريبة نقلها الخراسانيون، وكان له معرفة بالحديث أيضاً.

وتوفي في عشر الثمانين والثلاثمائة.

ومنهم:

[١٨]

سهل بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان، أبو الطيب الصُّعلوكي، النيسابوري، الفقيه الشافعي(١)

صدر منشرح، وأمل منفسح، لم يزل قدره رفيعاً، ودهره له ربيعاً، وليله بأعماله الصالحة صديعاً، /١٥٦/ وكيوده بسيف حتفه صريعاً، وحسوده في نار الحقد بغيظه لا يكل إلاَّ ضريعاً، كم أنقذ أملاً من الإملاق، وصان آمالاً عن الإخفاق، بعدما أطال عند غيره الطلب، وأنضى في قصد سواه المطية والقتب، وجرد له عزماً، فما أغنى، ووقف بغيره، فكان كواقف على دارس المغنى. وما برح يصحب الدنيا حتى فارقها بالحسنى، واستبدل بالعرض الأدنى الجوهر الأسنى.

كان مفتي نيسابور، وابن مفتيها، وكان يقال له في وقته: الإمام، وهو متفق عليه. عديم المثل في علمه وديانته، وكان فقيهاً، أديباً، متكلماً، خرجت له الفوائد من سماعاته، وقيل: إنه وضع له في المجلس أكثر من خمسمائة محبرة، وجمع رياسة

---

(١) **ترجمته في**: طبقات فقهاء الشافعية للعبّادي ١٠٣، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٠٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٣٥ـ ٤٣٦ رقم ٢٨٤، والأنساب ٨/ ٦٤، وتبيين كذب المفتري ٢١١ـ ٢١٤ في ترجمة أبيه، وتهذيب الأسماء واللغات ج١ق١/ ٢٣٨ـ ٢٣٩ رقم ٢٣٩، والعبر ٣/ ٨٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٠٧ـ ٢٠٩ رقم ١٢١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/ ٣٩٣ـ ٤٠٤، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ١٢٦ـ ١٢٧ رقم ٧٢٣، والبداية والنهاية ١١/ ٣٢٤ـ ٣٤٧، ومرآة الجنان ٣/ ١٢، والوافي بالوفيات ١٦/ ١٢ـ ١٣ رقم ١٦، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ١٨٥ رقم ١٤٣، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١٢٢ـ ١٢٣، وتاريخ الخلفاء ٤١٦، وشذرات الذهب ٤/ ١٧٢، وكشف الظنون ١١٠٠، وهدية العارفين ١/ ٤١٢، وديوان الإسلام ٣/ ٢١٠، رقم ١٣٣٤، والأعلام ٣/ ١٤٣، ومعجم المؤلفين ٤/ ٢٨٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٠١ـ ٤١٠هـ) ص١٠١ رقم ١٣٦.

الدنيا والآخرة، وأخذ عنه فقهاء نيسابور.

وتوفي في المحرم سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.

وقال أبو يعلى الخليلي في الإرشاد: إنه توفي سنة اثنين وأربعمائة.

قال عبد الواحد اللخمي: أصاب سهل الصعلوكي رمد، فكان الناس يدخلون عليه، وينشدونه من النظم، ويروون له من الآثار ما جرت به العادة، فدخل عليه أبو عبد الرحمن السُلمي، وقال: أيها الإمام، لو أن عينيك رأتا وجهك ما رمدتا، فقال له الشيخ: ما سمعت بأحسن من هذا الكلام، وسر به.

ولما مات أبوه محمد بن سليمان، كتب أبو النصر بن عبد الجبار إلى أبي الطيب المذكور يعزيه عن والده: [من البسيط]

مَنْ مُبلغٌ شيخَ أهلِ العلمِ قاطبةً عنّي رسالةَ محزون وأوّاهِ
أَولى البرايا بحُسنِ الصبرِ مُمْتحناً مَنْ كانَ فُتياهُ توقيعاً عَنِ اللهِ

ومنهم:

[١٩]

الحسين بن الحسن بن محمد بن حكيم، الفقيه الشافعي، الجرجاني، المعروف بالحَليمي[(١)]

عُرف بحلمه، وعرض السداد بعزمه، كان نسيج وحده، وذكاء أفق الذكاء، /١٥٧/ وقمر سعده، والمفرد بمذهبه المذهب، و المنفرد برِيِّ الظماء من مورده الأعذب، بفضل يخفض مضاهيه، ويسكت شقشقة مباهيه.

---

(١) **ترجمته في**: طبقات فقهاء الشافعية للعبّادي ١٠٥، وتاريخ جرجان للسهمي ١٩٨ـ ١٩٩ رقم ٢٨٦، والمنتظم ٧/ ٢٦٤ رقم ٤١٦، والأنساب ٤/ ١٩٨، واللباب ١/ ٣٨٢، ووفيات الأعيان ٢/ ١٣٧ـ ١٣٨، رقم ١٨٦، والعبر ٣/ ٤٨، ودول الإسلام ١/ ٢٤٢، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٣٠، والمعين في طبقات المحدّثين ١٢٠ رقم ١٣٣٧، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٣١ـ ٢٣٤ رقم ١٣٨، والبداية والنهاية ١١/ ٢٨٩، ومرآة الجنان ٥٣، والوافي بالوفيات ١٢/ ٣٥١ رقم ٣٢٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/ ٣٣٣ـ ٣٤٣، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٤٠٤ـ ٤٠٥ رقم ٣٦٤، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ١٨٢ـ ١٨٣ رقم ١٤٠، وتاريخ الخلفاء ٢١٦، وطبقات الحفاظ ٤٠٧ـ ٤٠٨، وشذرات الذهب ٣/ ١٦٧ـ ١٦٨، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١٢٠، وكشف الظنون ٢/ ١٠٤٧، وهدية العارفين ١/ ٣٠٨، والرسالة المستطرفة ٥٨، وديوان الإسلام ٢/ ١٧٥ رقم ٧٩٦، والأعلام ٢/ ٢٣٥، ومعجم المؤلفين ٤/ ١، ومعجم طبقات الحفاظ ٧٨، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٠١ـ ٤١٠هـ) ص٧٩ رقم ٩٩.

ولد بجرجان سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، وحمل إلى بخارى، وكتب الحديث، وتفقه على أبي بكر الأودني، وأبي بكر القفال، ثم صار إماماً معظماً مرجوعاً إليه بما وراء النهر، وله في المذهب وجوه حسنة، وحدث بنيسابور، وروى عنه الحاكم وغيره.

وتوفي في جمادى الأولى، وقيل: ربيع الأول سنة ثلاث وأربعمائة.

ومنهم:

[٢٠]

أحمد بن أبي طاهر بن محمد الإسْفراييني الفقيه الشافعي[(١)]، أبو حامد

كان واحد الفضل وأوحده، والمستأثر بكل أثر يثبته من جحده، قعد حيث تأرج نجده، وتبلج مجده، وكان تميمة في جيد المفاخر، وشيمة غراء للبحار الزواخر، وأسفرت لياليه صباحاً، وسجرت في مجامر شقيق الشفق أقاحاً، ففاح عنبر لياليه، وافتر مبسم زمانه عن لآليه، وكانت أوقاته كلها تتفاوح أسحاراً، وتتفاوت في جنى الجنات أشجاراً.

انتهت إليه رياسة الدنيا والدين ببغداد، وكان يحضر مجلسه أكثر من ثلاثمائة فقيه، وعلق على مختصر المزني تعاليق، وطبق الأرض بالأصحاب، وله في المذهب «التعليقة الكبرى» وكتاب «اليسار» وهو صغير، وفيه غرائب، واتفق أهل عصره على تفضيله، وتقديمه في جودة النظر.

وقال خطيب بغداد في تاريخه: حدث أبو حامد بشيء يسير عن عبد الله بن عدي، وأبي بكر الإسماعيلي، وإبراهيم بن محمد بن عبدل الإسفراييني، وكان ثقة،

---

(١) **ترجمته في**: طبقات فقهاء الشافعية للعبّادي ١٠٧، وتاريخ بغداد ٤/ ٣٦٨ـ ٣٨٠ رقم ٢٢٣٩، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٠٣، وتاريخ حلب للعظيمي ٣٢٢، والمنتظم ٧/ ٢٧٧ـ ٢٧٨ رقم ٤٣٧، والأنساب ١/ ٢٣٧ـ ٢٣٨، ومعجم البلدان ١/ ١٧٨، ووفيات الأعيان ١/ ٧٢ـ ٧٤ رقم ٢٦، وتهذيب الأسماء واللغات ج١ق٢/ ٢٠٨ـ ٢١٠، رقم ٣١٨، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٤٥، والعبر ٣/ ٩٢، والمعين في طبقات المحدّثين ١٢٠ رقم ١٣٤٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٩٣ـ ١٩٧ رقم ١١، ودول الإسلام ١/ ٢٤٣، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٢٧، والبداية والنهاية ١٢/ ٣٢، ومرآة الجنان ٣/ ١٥، ١٧، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٥٧ـ ٥٩ رقم ٣٨، والوفيات لابن قنفذ ٢٣٠، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٩٨، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١٢٧، ١٢٨، وشذرات الذهب ٣/ ١٧٨، ١٧٩، وهدية العارفين ١/ ٧١، وديوان الإسلام ١/ ١١١، ١١٢ رقم ١٤٩، والأعلام ١/ ٢٠٣، وتاج العروس ٩/ ٢٣٦، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٠١ـ ٤١٠هـ) ص١٣٥ رقم ١٨٧.

ورأيته غير مرة، وحضرت تدريسه في مسجد عبد الله بن المبارك، وسمعت من يذكر أنه كان يحضر درسه سبعمائة /١٥٨/ متفقه، وكان الناس يقولون: لو رآه الشافعي، لفرح به.

وروي عنه أنه قال: ما قمت من مجلس النظر قط، فندمت على معنى ينبغي أن يذكرَ فلم أذكره.

وروي أنه قابله بعض الفقهاء في مجلس المناظرة بما لا يليق، ثم أتاه في الليل معتذراً إليه فأنشده: [من الطويل]

جفاءٌ جَرَى جَهْراً لدى الناسِ وانبسطْ ... وعُذرٌ أَتى سِرّاً فأكَّد ما فَرَطْ

ومَنْ ظَنَّ أنْ يمحو جَلِيَّ جفائِهِ ... خَفِيُّ اعتذارٍ فهو في أعظمِ الغَلَطْ

ومولده سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، وقدم بغداد سنة ثلاث وستين، ودرس الفقه بها إلى أن مات في شوال سنة ست وأربعمائة، ودفن بداره ثم نقل إلى باب حرب سنة عشر وأربعمائة.

ومنهم:

[٢١]

أحمد بن أحمد بن القاسم بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الضبي المحامِليّ الفقيه الشافعي(١)

فقيه لم يكن له بغير العلم إلمام، ولا بسواه اهتمام، ولا إلى غير رايته انضمام،

---

(١) ورد اسمه في بعض المصادر: «أحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم بن إسماعيل».

ترجمته في: طبقات فقهاء الشافعية للعبّادي ١١٣، وتاريخ بغداد ٤/ ٣٧٢، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٠٨، والأنساب ١٢/ ٥١، والمنتظم ٨/ ١٧ رقم ٣٠، والكامل في التاريخ ٩/ ٣٤١، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢١٠ (ضمن ترجمة أبي حامد الإسفراييني) رقم ٣١٨، ووفيات الأعيان ١/ ٥٧، ودول الإسلام ١/ ٢٤٧، والإعلام بوفيات الأعلام ١٧٤، والعبر ٣/ ١١٩، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٠٣ـ ٤٠٥ رقم ٢٦٦، والوافي بالوفيات ٧/ ٩٢١، وطبقات الشافعية الوسطى للسبكي، ورقة ٣٨، وطبقات الشافعية الكبرى، له ٣/ ٢٠، ومرآة الجنان ٣/ ٢٩، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٣٨١ـ ٣٨٢، والبداية والنهاية ١٢/ ١٨، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ١٧٧ـ ١٧٨ رقم ١٣٤، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٦٢، وتاريخ الخلفاء ٤١٦، وشذرات الذهب ٣/ ٢٠٢، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٤٤، والأعلام ١/ ٢٠٤، وكشف الظنون ٣٥١، ١١٣٠، ١٣٦٦، ١٥٤١، ١٦٠٦، ١٨١٠، وهداية العارفين ١/ ٧٢، ومعجم المؤلفين ٢/ ٧٤ـ ٧٥، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٠١ـ ٤١٠هـ) ص٣٦٦ رقم ١٧٣ .

هجر الملاذ، وهجَّر في غير التعلق بالشواذ، هذا والصِّبا في عنوانه، والشباب ما لبس من المشيب بيض أكفانه، والنفس نزاعة، والشهرة تكثر نزاعه، وعمره في النمو، وقدره في السمو، وزمانه لا يرمقه إلاَّ بجفن مخادع، ولا يرميه إلاَّ مراماة خادع، ورحاب الأمل فسيحة، وركاب الأجل ما وقعت به طليحة، حتى سرح في فضاء [الفضائل، وتكلم وسكت كل قائل، وأتى بلوامع غرر لو كن نجوماً لكُنّ بدورها أو دسوتاً للعلياء لكُنّ صدورها. ضربت إليه الطلبة آباط الإبل، تسأل أين حطت ركابه، وفي أي الأرض سرت محامله، وضربت قبابه، فلا تجد إلا من طار، وقد حدا لوداع قلبه، وتاه في تلك الحلل، لا يعرف في أي المحامل قلبه].

أخذ الفقه عن الشيخ أبي حامد الإسفراييني، وله عنه تعليقة تنسب إليه، ورزق الذكاء، وحسن الفهم ما أربى به على أقرانه، وبرع في الفقه، ودرّس في حياة شيخه أبي حامد وبعده، وسمع الحديث من محمد بن المظفر وطبقته، /١٥٩/ ورحل به أبوه إلى الكوفة، وأسمعه بها، وصنف في المذهب «المجموع» وهو كتاب كبير، وغير ذلك، وصنف في الخلاف كثيراً، ودرس ببغداد.

وتوفي ببغداد في شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وأربعمائة.

ومنهم:

[٢٢]

أبو بكر، عبد الله بن أحمد بن عبد الله الفقيه الشافعي المعروف بالقَفَّال المروزي[١]

إمام لا يعسر عليه قفل، ولا يعرف لديه غفل، تجنح إلى مصابيحه قِفال، وتفتح بمفاتيحه أقفال، لا يحط قمر دأديه أفول، ولا تحل بغير ناديه قفول، ولم تحفظ

(١) **ترجمته في**: طبقات فقهاء الشافعية للعبّادي ١٠٥، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٠٥، والأنساب ١٠/ ٢١٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٦، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٥٦، ودول الإسلام ١/ ٢٤٨، والإعلام بوفيات الأعلام ١٧٥، والعبر ٣/ ١٢٤، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٠٥ـ ٤٠٨ رقم ٢٦٧، والبداية والنهاية ١٢/ ٢١، ٢٢، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٣٨، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٢٩٨ـ ٢٩٩، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٦٥، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ١٨٦ رقم ١٤٤، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ٣١٦، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١٣٤ـ ١٣٥، وشذرات الذهب ٣/ ٢٠٧، ومفتاح السعادة ٢/ ١٨٣، وروضات الجنات ٤٤٨ـ ٤٤٩، وهدية العارفين ١/ ٤٥٠، وإيضاح المكنون ٣/ ١٨٨، والأعلام ٤/ ١٩٠، ومعجم المؤلّفين ١/ ٢٦، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٠١ـ ٤٢٠هـ) ص٤٢٢ رقم ٢٩١.

أبواب التصانيف بمثل أقفاله التي تشد عليها، وتسد بها الطرق، فلولاه للفتح لم يتوصل إليها، طالما شبت لمعارضه نار قريحةٍ، وشب مثلها فكره النافخ، وهدرت عارضة مجادلة فأسكنها، وهدر رعده الصارخ، وطال عمره، وهو ممتع بحواسه لا يستعين، وقارب المائة والعلماء معه في مثل عقد التسعين.

كان وحيد زمانه فقهاً، وحفظاً، وورعاً، وزهداً، وله في مذهب الشافعي ما ليس لغيره من أبناء عصره، وتخاريجه كلها جيدة، وإلزاماته لازمة، واشتغل عليه خلق كثير، وانتفعوا به منهم أبو علي السِّنْجي، والقاضي حسين، والشيخ أبو محمد الجيني، وإمام الحرمين، وكل واحد من هؤلاء صار إماماً يشار إليه، ولهم التصانيف النافعة، ونشروا علمه في البلاد، وأخذ عنه أئمة كبار أيضاً.

وكان ابتداء اشتغاله بالعلم على كبر السن بعدما أفنى شبيبته في عمل الأقفال، ولذلك قيل له: القفال، وكان ماهراً في عملها، ويقال: إنه لما شرع في التفقه، كان عمره ثلاثين سنة.

وكانت وفاته سنة سبع عشرة وأربعمائة، وهو ابن تسعين سنة، /١٦٠/ ودفن بسجستان، وقبره معروف بها يزار.

ومنهم:

[٢٣]

الحسين بن شُعيب بن محمد[١] السِّنجِيّ[٢]، الفقيه الشافعي

جاد به الزمان بعد أن بخل، وأوصل بمثله، ولم يخل، حصل العلوم وجمعها،

---

(١) **ترجمته في**: الأنساب ٧/ ١٦٥ـ ١٦٦، ومعجم البلدان ٣/ ٢٦٤، واللباب ٢/ ١٤٧، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٦١، ووفيات الأعيان ٢/ ١٣٥ـ ١٣٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٢٦ـ ٥٢٧ رقم ٣٥١ وفيه: «الحسن بن محمد بن شعيب، ويقال اسمه الحسين بن شعيب»، والوافي بالوفيات ١٢/ ٣٧٨، وعيون التواريخ (المخطوط) ١٢/ ١٨٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ١٥٠، وطبقات الشافعية الوسطى (المخطوط) ١٧٦ب، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٢٨ـ ٢٩، رقم ٦٠٢، والبداية والنهاية ١٢/ ٥٧، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢١٢ـ ٢١٣ رقم ١٦٩، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٤٨، وكشف الظنون ٤٧٩، وهدية العارفين ١/ ٣٠٩، وديوان الإسلام ٣/ ١٠٨ رقم ١١٩٠، والأعلام ٢/ ٢٥٨، ومعجم المؤلفين ٤/ ١١، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٢١ـ ٤٤٠هـ) ص٨٥ رقم٣٣٩.

(٢) السِّنْجيّ: هذه النسبة إلى سِنْج، بكسر السين المهملة، وسكون النون وفي آخرها جيم، وهي قرية كبيرة من قرى مرو، على سبعة فراسخ منها، بها الجامع والسوق. (الأنساب ٧/ ١٦٥).

وقصر النجوم وراءه وطمعها، وأتى بما يرقم ديباج الصحف رقم العذار للخدود، والنهار لحلك الليالي السود، حتى حام على مَنْهَلِه كل خاطر، ووقف دون مُنْهَلِّه كل ماطر، وأرى البحار العجائب، وأغص القفار بالنجائب، وأشرق صدر الدست منه بمالىءٍ لجوانبه وكالىءٍ لسرحه من مجانبه. مطل بصقره على البغاث، مقيل بحده على من كره الانبعاث، تارك لسوام أهل الطلب مراده، فحول مرام كل من دأب منهم مراده.

أخذ الفقه بخراسان عن أبي بكر القفال المروزي هو والقاضي حسين، وأبو علي الجويني والد إمام الحرمين، وشرح الفروع التي لأبي بكر بن الحداد المصري شرحاً لم يقاربه فيه أحد مع كثرة شروحها، وهو أول من جمع بين طريقتي العراق وخراسان، وكان فقيه أهل مرو في عصره، وكانت وفاته سنة نيف وثلاثين وأربعمائة رحمه الله.

ومنهم:

[٢٤]

سُلَيْم بن أيوب بن سُلَيْم الرازي، أبو الفتح، الفقيه الشافعي(١) الأديب

ممن نور فهمه، وصور في التحقيق وهمه، بكل حركة تمنع المتحرك، وتضيع

(١) **ترجمته في**: تاريخ بغداد ٢/ ١٥٩، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٣٢، وتبيين كذب المفتري ٢٦٢ـ ٢٦٣، ومعجم البلدان ٥/ ١٧١، وإنباه الرواة ١/ ٩٥ و٢/ ٦٩، واللباب ١/ ٢٠٦، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ج١ق١/ ٢٣١ـ ٢٣٢، ووفيات الأعيان ٢/ ١٣٣ و٦/ ١٩١، والتكملة لوفيات النقلة ١/ ٦٦، وفهرسة ما رواه عن شيوخه للإشبيلي ١٩٥، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٠/ ١٩٧ـ ١٩٩ رقم ٩٨، وتهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٢٨٤ و٤/ ٢٤ و٢٨٤، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٢٧ـ ١٣٠ رقم ٨٦، وطبقات ابن الصلاح (مخطوط) ورقة ٤٨ ب، والعبر ٣/ ٢١٣، والإعلام بوفيات الأعلام ١٨٥، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٤٥ـ ٦٤٧ رقم ٤٣٩، ودول الإسلام ١/ ٢٦٣، والمعين في طبقات المحدّثين ١٢٩ رقم ١٤٣٣، وتلخيص ابن مكتوم ٨١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/ ٣٨٨ـ ٣٩١، وطبقات الشافعية الوسطى، له (مخطوطة رام فور) ١٨٩ ب، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٥٦٢ـ ٥٦٤ رقم ٥١٥، ومرآة الجنان ٣/ ٦٤، ٦٦ و١٧٢، والوافي بالوفيات ١٥/ ٣٣٤، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٣٠ـ ٢٣١ رقم ١٨٨، وتاريخ الخلفاء ٤٢٣، وطبقات المفسّرين للداوودي ١/ ١٩٦ـ ١٩٧، والتاج المكلّل للقنوجي ١٤٨، وكشف الظنون ٩٨، ٤٦٦، ٩١٥، وشذرات الذهب ٣/ ٢٧٥ـ ٢٧٦، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١٤٧، وهدية العارفين ١/ ٤٠٦، وروضات الجنات ٤/ ٧٣ـ ٧٤، وديوان الإسلام ٣/ ١٧ رقم ١١٢١، وذيل تاريخ الأدب العربي ١/ ٧٣٠، والأعلام ٣/ ١١٦، ومعجم المؤلفين ٤/ ٢٤٣، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٢/ ٣٢٢ـ ٢٣٧ رقم ٦٦٢، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٤١ـ ٤٦٠هـ) ص١٥١ رقم ٢٠٥.

تعب المستدرك، وكان لأهل مذهبه الظهر الذي يقع إليه الاستناد، والصدر الذي عليه الاعتماد. تعرض عليه الأمور الجليلة فيلتهمها، ويمد يده إلى المعالي فيتسلمها، وكان حمًى لخلطائه يرعى منهم الغائب، ويخرس العائب، لا يقنع لهم دون وجدان النافع لعدم الضائر، ولا يرضى لهم بالشيء إلاَّ وله نظائر، فما تزال مجالسه موقرة، وألسنة جلسائه مطهرة.

/ ١٦١/ كان مشاراً إليه في الفضل والعبادة، وصنف الكتب الكثيرة. قال سليم: دخلت بغداد في حداثتي لطلب علم الفقه، فكنت آتي شيخاً هنالك، فبكرت في بعض الأيام إليه، فقيل لي: هو في الحمام، فمضيت نحوه فعبرت في طريقي على الشيخ أبي حامد الإسفراييني، وهو يملي، فدخلت المسجد، وجلست مع الطلبة، فوجدته في كتاب الصيام في مسألة، فاستحسنت ذلك، وعلقت الدرس على ظهر جزءٍ كان معي، فلما عدت إلى منزلي جعلت أعيد الدرس، فحلي لي، فقلت: أتم كتاب الصيام، فعلقته، ولزمت الشيخ أبا حامد حتى علقت عنه جميع التعليق. كان لا يخلو له وقت عن الاشتغال حتى إنه كان إذا برى القلم قرأ القرآن، أو سبح، وكذلك إذا كان ماراً في الطريق، وغير ذلك من الأوقات التي لا يمكن الاشتغال فيها.

وسكن سليم الشام بمدينة صور متصدراً لنشر العلم، وإفادة الناس، وكان يقول: وضعت مني صور، ورفعت من أبي الحسن المحامل هذا، ثم إنه غرق في بحر القلزم بعد رجوعه من الحج عند ساحل جدة في سلخ صفر سنة سبع وأربعين وأربعمائة، وكان قد نيف على الثمانين، ودفن بجزيرة عند المحاضر في طريق عيذاب.

ومنهم:

[٢٥]

طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري[١]، أبو الطيب، القاضي، الفقيه، الشافعي

جامع فضلٍ، بيته المطهَّر كالمساجد، ومصابيحه المنورة للهاجد، أجاد في

---

(١) ترجمته في: تاريخ بغداد ٩/ ٢٥٥ـ ٣٦٠، وطبقات فقهاء الشافعية للعبادي ١١٤، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٠٦ـ ١٠٧، والأنساب ٩/ ٤٢، والمنتظم ٨/ ١٩ رقم ٢٥٨، (١٦/ ٣٩ـ ٤٠ رقم ٣٣٥٣)، والإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني ١٩٠، والكامل في التاريخ ٩/ ٦٥١، واللباب ٢/ ٢٧٤، والتقييد لابن النقطة ٣٠٣ح ٣٠٤ رقم ٣٦٩، وتاريخ الفارقي ١/ ١٧٦، والمنتخب من السياق ٢٦٥ رقم ٨٥٥، وطبقات ابن الصلاح (مخطوط) ورقة ٥٠، ٥١، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٤٧، ٢٤٨، ووفيات الأعيان ٢/ ٥١٢ـ ٥١٥، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٩ ـ ١٠، والمعين في طبقات =

المسائل الشرعية، والفضائل الشعرية، ولولاه في زمانه لم يجر للسنن رسن، ولا عرفت للفطر فطن، فردَّ شأن شانيه صاغراً، ولسان حاسديه يجوب فماً فاغراً، إذ لا يتساوى البليد والبليغ، والمسيء والمسيغ، ولم يتغير عليه حال والقوة مقوية، والمواد مودية، /١٦٢/ لم يزل على هذا حتى أسكت الموت شقاشق لسنه، وأبدل شقائق أدبه بياسمين كفنه.

كان ثقةً، صادقاً، ديناً، ورعاً، عارفاً بأصول الفقه وفروعه، محققاً في علمه، سليم الصدر، حسن الخلق، صحيح المذهب، يقول الشعر على طريقة الفقهاء، ومن شعره ما أورده الحافظ أبو طاهر السلفي بسنده إلى أبي الطيب، قال: كتبت إلى أبي العلاء المعري الأديب حين وافى بغداد، وقد كان نزل في سويقة غالب: [من الطويل]

ومـا ذاتُ دَرٍّ لا تـحِـلُّ لـحـالـبٍ ... تـنـاولـهُ والـلـحـمُ منـهـا مُـحَـلَّـلُ

لـمَنْ شاءَ في الـحـالـين حَياً ومَيتاً ... ومَـنْ رامَ شُـرْبَ الـدَّرِ فـهـوَ مُـضَـلّـلُ

إذا طَعَنَتْ في السِّنِ فاللحمُ طيِّبٌ ... وآكـلُـهُ عـنـدَ الـجـمـيـعِ مُـغَـفَّـلُ

وخـرفـانُـهـا لـلأكـلِ فـيـهـا كَـزازةٌ ... فـمـا لـحَصيفِ الـرأيِ فـيهنَّ مأْكَـلُ

ومـا يـجـتـنـي مـعـنـاهُ إلاَّ مـبـرّزٌ ... عـلـيـمٌ بـأسـرارِ الـقـلـوبِ مُـحَـصِّـلُ

فأجابني وأملى الرسول في الحال مرتجلاً: [من الطويل]

جـوابـان عَـنْ هـذا الـسؤالِ كـلاهُـمـا ... صـوابٌ وبـعـضُ الـقـائـلـيـنَ مُـضَـلّـلُ

فـمَـنْ ظـنَّـهُ كَـرْمـاً فـلـيـسَ بـكـاذِبٍ ... ومَـنْ ظـنَّـه نَـخْـلاً فـلـيـسَ يُـجَـهَّـلُ

لـحـومُـهـمـا الأعـنـابُ والـرّطَـبُ الـذي ... هَـو الخَـل والمرزِ الرحيقُ المُسلسلُ

ولـكـنْ ثـمـارُ الـنـخْـلِ وهـيَ غـضـيـضـةٌ ... تـمـرٌ وغـضُّ الـكَـرمِ يُـجـنـى ويُـؤكَـلُ

يـكـلـفُـني الـقـاضـي الـجَـلـيـلُ مَـسـائـلاً ... هـي الـنـجـمُ قـدراً بَـلْ أعـزُّ وأطـولُ

= المحدّثين ١٣٠ رقم ١٤٤١، والإعلام بوفيات الأعلام ١٨٦، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٦٥، والوافي بالوفيات ١٦/ ٤٠١، ومرآة الجنان ٣/ ٧٠ـ ٧٢، والبداية والنهاية ١٢/ ٧٩ـ ٨٠، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٣١ـ ٢٣٤ رقم ١٨٩، وتاريخ دولة آل سلجوق ٢٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٣/ ١٧٦ـ ١٩٧، والعقد المذهب لابن الملقن ٥٥، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٨٤ـ ٢٨٥، وتاريخ الخلفاء ٤٢٣، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١٥٠ـ ١٥١، وكشف الظنون ٤٢٤، ١١٠٠، وشذرات الذهب ٣/ ٢٨٤، ٢٨٥، ٣٢٥، وروضات الجنات ٣٣٨، وهدية العارفين ١/ ٤٢٩، والأعلام ٣/ ٣٢١، وتاريخ التراث العربي ٢/ ١٩٥، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٤١ـ ٤٦٠هـ) ص٢٤١ رقم٣٣٩.

ولوْ لمْ أُجِبْ عنها لكنتُ بجهلِها جديراً ولكنْ مَنْ يَوَدُّكَ مُقْبِلُ

فأجبته عنه، وقلت: [من الطويل]

/١٦٣/ أنارَ ضميري مَنْ يعزُّ نظيرُهُ مِنَ الناسِ طُرّاً سابغُ الفضلِ مُكْمَلُ
ومِنْ قبلِهِ كُتْبُ العلومِ بأسرِها وخاطرُهُ في حَدَّةِ النارُ مِشْعَلُ
تساوى لهُ سِرُّ المعاني وجَهْرُها ومُعضِلُها بادٍ لديهِ مُفَصَّلُ
ولما أنار الخَبءَ قادَ مُنيعَهُ أسيراً بأنواعِ البلاءِ مُكَبَّلُ
وقَرَّبَهُ مِنْ كلِّ فَهْمٍ بكشفِهِ وإيضاحِهِ حتى رآهُ المُغَفَّلُ
وأعجبُ منهُ نظمُهُ الدر مُسرعاً ومُرتجلاً مِنْ غيرِ ما يتمهَّلُ
فتخرجُ مِنْ بحرٍ ويسمو مكانُهُ جَلالاً إلى حيثُ الكواكبُ تنزلُ
فهنَّأهُ اللهُ الكريمُ بفضلِهِ محاسِنَهُ والعُمْرُ فيها مُطَوَّلُ

فأجاب مرتجلاً وأملى على الرسول: [من الطويل]

ألا أيها القاضي الذي بدَهائِهِ سيوفٌ على أهلِ الخِلافِ تُسلَّلُ
فؤادُكَ معمورٌ مِنَ العِلمِ آهِلُ وجَدُّكَ في كلِّ المسائلِ مُقبِلُ
فإنْ كنتَ بينَ الناسِ غيرَ مُموّلٍ فأنتَ مِنَ الفهمِ المَصونِ مُمَوَّلُ
إذا أنتَ خاطبتَ الخصومَ مُجادلاً فأنتَ وهمْ مثلُ الحَمائِمِ أجدَلُ
كأنَّكَ مِنْ فِيْ الشافعيِّ مُخاطَبٌ ومِنْ قبلِهِ تُملِي فَما تتمهَّلُ
وكيفَ يُرى علِمُ ابنِ إدريسَ دارساً وأنتَ بإيضاحِ الهُدى متكفِّلُ
تفضَّلتَ حتى ضاقَ ذَرعي بشُكرِ ما فعلتَ وكفِّي عَنْ جوابكَ أجملُ
لأنكَ في كُنْهِ الثُّريَّا فصاحةٌ وأعلى ومَنْ يبغي مكانَكَ أسفلُ
فعُذركَ في أنِّي أُجيبكَ واثقاً بفضلِكَ فالإنسانُ يَسْهو ويذهَلُ
وأخطأْتُ في إنفاذِ رُقعتِكَ التي هيَ المجدُ لي منها أخيرٌ وأوَّلُ
/١٦٤/ ولكنْ عَدَاني أنْ أَرومَ احتفاظَها رسولُكَ وهوَ الفاضلُ المتفضِّلُ
ومِنْ حقِّها أنْ يُصبحَ المِسكُ غامراً لها وهيَ في أعلى المواضعِ تُجعَلُ
فمَنْ كانَ في أشعارِهِ مُتمثِّلاً فأنتَ امرؤٌ في العِلمِ والشِّعرِ أمثَلُ
تجمَّلتِ الدنيا بأنَّكَ فوقَها ومثلُكَ حقاً مَنْ بِهِ يُتَجَمَّلُ

ومن شعره: [من الكامل]

قومٌ إذا غَسَلُوا ثيابَ جَمالِهم لبسوا البيوتَ إلى فراغِ الغاسلِ

وعاش مائة وسنتين لم يختل عقله، ولا تغير فهمه، يفتي ويستدرك على الفقهاء الخطأ، ويقضي ببغداد، ويحضر المواكب في دار الخلافة إلى أن مات، واشتغل عليه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، وقال في حقه: لم أر فيمن رأيت أكمل اجتهاداً، وأشد تحقيقاً، وأجود نظراً منه، ولازمت مجلسه بضع عشرة سنة، ودرَّستُ أصحابه في مسجده سنتين بإذنه، ورتبني في حلقته. واستوطن بغداد، وولي القضاء بربع الكرخ بعد موت عبد الله الصيمري، ولم يزل على القضاء إلى حين وفاته في شهر ربيع الأول يوم السبت لعشر بقين منه سنة خمسين وأربعمائة.

ومولده بآمد سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.

ومنهم:

[٢٦]

أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب البصري، الفقيه الشافعي، الماوردي[(١)]

الذي ينفح عطراً، ويملأ الأرض من ماء الورد قطراً، بما هو أذكى من الورد

---

(١) **ترجمته في**: تاريخ بغداد ١٢/ ١٠٢ـ ١٠٣، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١١٠، والأنساب ٥/ ١٨١ـ ١٨٢، والمنتظم ٨/ ١٩٩ـ ٢٠٠ رقم ٢٦٢، (١٦/ ٤١ رقم ٣٣٥٧)، والإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني ١٩٠، ومعجم الأدباء ١٥/ ٥٢ـ ٥٥، والكامل التاريخ ٩/ ٦٥١، واللباب ٣/ ١٥٦، وأدب الوزير لعبد العزيز الخانجي (المقدّمة)، تاريخ دولة آل سلجوق ٢٥، وطبقات ابن الصلاح (مخطوط) الورقة ٧٠ ب، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٨٢ـ ٢٨٤، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢١٠ـ ٢٨٤، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٧٩، والمعين في طبقات المحدّثين ١٣٠ رقم ١٤٤٢، والإعلام بوفيات الأعلام ١٨٦، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٦٤ـ ٦٨ رقم ٢٩، ودول الإسلام ١/ ٢٦٥، والعبر ٣/ ٢٢٣، وميزان الاعتدال ٣/ ١٥٥، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٦٥، ومرآة الجنان ٣/ ٧٢ـ ٧٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ٣٠٣ـ ٣١٤، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٣٨٧ـ ٣٨٨ رقم ١٠٣٢، والبداية والنهاية ١٢/ ٨٠، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٣٥ـ ٢٣٧ رقم ١٩٢، وتاريخ الخميس ٢/ ٤٠٠، وروضة المناظر في إخبار الأوائل والأواخر لابن الشحنة (على هامش الكامل) ٨/ ١٦٤، والوفيات لابن قنفذ ٢٤٥ رقم ٤٥٦ وفيه وفاته سنة ٤٥٦ هـ، وتاريخ ابن خلدون ٤ج٤/ ١٠٣١، والكنى والألقاب للقمّي ٣/ ١١٦، والفتح المبين في طبقات الأصوليين للشيخ المراغي ١/ ٢٤٠، والفكر السامي للحجوي ٤/ ١٥٨، وكنوز الأجداد ٢٤١، ومعجم المطبوعات ٢/ ١٦١١، ولسان الميزان ٤/ ٢٦٠ـ ٢٦١، والنجوم الزاهرة ٥/ ٦٤، وتاريخ الخلفاء ٤٢٣، وطبقات المفسّرين للسيوطي ٢٥، وطبقات المفسّرين للداوودي ١/ ٤٢٣ـ ٤٢٥، ومفتاح السعادة ١/ ٣٢٢، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١٥١ـ ١٥٢، وكشف الظنون ١/ ١٩، ٤٥، ١٤٠، ١٦٨، ٤٠٨، ٦٢٨، و٢/ ١١٠١، ١٣١٥، ١٩٧٨، وشذرات الذهب ٣/ ٢٨٥ـ ٢٨٧، وإيضاح المكنون ٢/ ٢٤٥، وروضات الجنات ٤٨٣، وديوان الإسلام ٤/ ١٧٤ـ ١٧٥ رقم ١٩٠٠، وهدية العارفين ١/ ٦٨٩، والأعلام ٤/ ٣٢٧، وتاريخ الأدب العربي ١/ ٤٨٣، وملحقه ١/ ٦٦٨، ومعجم المؤلفين ٧/ ١٨٩، =

الذي تحمله الغصون، وتذيع الريح سره المصون، ويذبل به ورد الشفق فلا يوصف بالخفر، ولا يوجد منه الخُبْر مثل الخَبَر، بل /١٦٥/ لو قابله الورد في غصونه لأطرق، ولعلم أنه بنار الحسد لماء ورده يحرق، وعلم أنه لمداناته وقع في جور جُور، وألقى حمأ في التنور المسجور، وفعل به فعل مردة العفاريت، فأدخل في قمقمه وسد، وأوثق عليه الوكاء وشد، وحين أرسل عليه شواظ من نارٍ ونحاس، وحبس حبس الجن لا الناس، بعد ما خلع من سندس الورق إزاره، وفككت من عُرى الغصون أزراره، وسحب نجمه المريخي مصفوداً من الأفق، وأصبح مرمياً على الطرق، وظل مصلوباً على شجرة، منكس الرأس مائل العنق، وغدا يوقت له الأوان، ويرمى في سوق الهوان، بل هو من ورد الخد الذي تكلل بلؤلؤ العرق، وتموج فلولا ناره لشرب ولولا ماؤه لاحترق، وجاء بما يفخر به نيسان على الزمان، ويذخر منه في قعر البحر الجمان، لا بل هو الورد الذي لا يذوى حسنه، ولا يلوى غصنه، والعنبر الورد الذي تفتقه الأذهان، وتشققه البحار، فيعز، والعنبر يهان، من العلم الذي يدني جني الجنان، ويدوم، وقد ذوى الزهر، وفنيت الأفنان، وكان بحره الذي لا يشق، وغمامه الذي لا تخمد له جمرة برق، وصدر مدارسه، ومصدر مجالسه، ومفيد طلبته، ومفيت المطامع قدر رتبته، ومفيء دوحه الفينان على عصبته، ومستخرج دقائقه، ومستدرج الأفهام إلى حقائقه، والمتكلم في مذهب ابن إدريس مما حوى حاويه، بما لو سمعه لسره، ولو جمعه في حجر أمه، لظهر على الأم في المسرة. وولي القضاء فما نقص منه، ولا ضره.

/١٦٦/ كان من وجوه الفقهاء الشافعية من كبارهم، وأخذ الفقه عن أبي القاسم الصيمري بالبصرة، وعن الشيخ أبي حامد الإسفراييني ببغداد، وكان حافظاً للمذهب، وله كتاب «الحاوي» الذي لم يطالعه أحد إلاّ شهد له بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب، وفوض إليه القضاء ببلدان كثيرة، واستوطن بغداد، وله تصانيف أُخر منها: «النكت والعيون» في تفسير القرآن الكريم و «أدب الدين والدنيا» و«الأحكام السلطانية» و «قانون الوزارة» و «سياسة الملك» و «الإقناع في المذهب» وهو مختصر، وصنف في أصول الفقه والأدب، وانتفع به الناس، وقيل: إنه لم يظهر شيء من مصنفاته في حياته، وإنما جمعها كلها في موضع، فلما دنت وفاته، قال لشخصٍ

= ومعجم طبقات الحفاظ ٢٥٨ رقم ٣٦٨، ومقدّمة كتاب «أدب القاضي» لمحيي هلال سرحان ـ بغداد ١٩٧١، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٤١ـ ٤٦٠هـ) ص٢٥٢، رقم ٣٥٢.

يثق إليه: الكتب في المكان الفلاني تصنيفي كلها، وإنما لم أظهرها؛ لأني لم أجد نية خالصة لله تعالى لم يشبها كدر، فإذا عاينت الموت، ووقعت في النزع، فاجعل يدك في يدي، فإن قبضت عليها وعصرتها، فاعلم أنه لم يقبل مني شيء منها، فاعمد إلى الكتب، وألقها في دجلة ليلاً، وإن بسطت يدي ولم أقبض على يدك، فاعلم أنها قد قبلت، وأني قد ظفرت بما كنت أرجوه من النية الخالصة، قال ذلك الشخص: فلما قارب الموت، وضعت يده في يدي، فبسطها، ولم يقبض على يدي، فعلمت أنها علامة القبول، فأظهرت كتبه.

وذكر الخطيب في أول تاريخ بغداد[1] عن الماوردي المذكور قال: كتب إلي أخي من البصرة وأنا ببغداد: [من البسيط]

طِيْبُ الهواءِ ببغدادٍ يشوِّقُني ... قِدْماً إليها وإنْ عاقتْ مقاديرُ

فكيفَ صبري عليها الآنَ حينَ غَدا ... بها هواءان ممدودٌ ومقصورُ

وكان أبو الحسن الماوردي من أهل البصرة، وما كان يؤثر مفارقتها، فدخل بغداد /١٦٧/ كارهاً لها، ثم طابت له، ونسي البصرة، فشق عليه فراقها، فلما خرج من بغداد راجعاً إلى البصرة، كان ينشد أبيات الأحنف بن قيس: [من الوافر]

أَقمنا كارهينَ لها فلمّا ... ألفناها خَرَجْنا كارهينا

وما حُبُّ البلادِ بنا ولكنْ ... أمرُ العيشِ فُرْقَةُ من هَوينا

خرجتُ أقرَّ ما كانتْ لعيني ... وخلَّفتُ الفؤادَ بها رَهِينا

وقد نسب السمعاني هذه الأبيات إلى أبي محمد المزني.

وتوفي الماوردي يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة، ودفن من الغد وعمره ست وثمانون سنة.

ومنهم:

[٢٧]

الحسين بن محمد بن أحمد المَرْوَزِيّ، الفقيه، الشافعي المعروف بالقاضي[2]

زَيَّن بنيِّره سماء الفضائل، وبين بقدره قدر البدر المتضاءل، فأخفق مُنَى مناوئه،

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٥٤.

(٢) **ترجمته في**: طبقات فقهاء الشافعية للعبادي ١١٢، والمنتخب من السياق ٢٠١ رقم ٥٩٨، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٦٤ رقم ١٢٥، ووفيات الأعيان ٢/ ١٣٤، ١٣٥ رقم ١٩٣، والعبر ٣/ ٢٤٩، =

وأظلم مساء مساوئه، وله «التعليقة» التي صح ذهبها على التعليق، وطهر مذهبها على التحقيق، وجاء فيه ما لا يجيء فيه نون هلال بن هلال إلاَّ في مشقة التعريق، فلم يبق من لم يتمنطق بنعمتها، ويتعلق بعصمتها، لما ضمَّت من أشتات الفضائل... في صحفها، وظلت تجمع في أقطارها النائية من تحفها، حتى أغنت مطالعها عن ترقب المطالع، وترقي الأمل في المطالع، ولم يحتج في توسيع ذيل الطلب، والجد الذي يحث عليه الطرب إلى تقبيل الثرى، وتقليب البُرى فإنه لم يدع قاصية من العلوم حتى حصل على أكتافها، وحصن أطرافها، وأصبحت حقائب تأليفه برحابها رابضة، ولعصاتها رائضة، فطال حتى لم يقم أحدٌ بإزائه. ولا وفى بجزائه.

أخذ الفقه عن أبي بكر القفال المروزي، /١٦٨/ وصنف في الأصول والفروع والخلاف، وكان إماماً كبيراً، صاحب وجوه غريبة في المذهب، ولم يزل يحكم بين الناس، ويدرس ويفتي، وأخذ عنه الفقه جماعة من الأعيان.

وتوفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة بمرو روذ.

ومنهم:

[٢٨]

عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فُوران الفُوْراني، المروزي، الفقيه الشافعي[1]، أبو القاسم

رجلٌ فتح له القفال الباب، ومنح فهمه اللبيب علمه اللباب، فلم يتخذ في الفقه

=

ودول الإسلام ١/ ١٧١، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٦٠ ـ ٢٦٢ رقم ١٣١، والإعلام بوفيات الأعلام ١٩١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ١٥٥، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٤٠٧ـ ٤٠٨، والوافي بالوفيات ١٣/ ٣٦ـ ٣٧، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٥٠ ـ ٢٥١ رقم ٢٠٦، وتبصير المنتبه ٤/ ١٣٥٧، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١٦٣ـ ١٦٤، وكشف الظنون ١/ ٤٢٤ـ ٥١٧، وشذرات الذهب ٣/ ٣١٠، وديوان الإسلام ٢/ ١٢٤ رقم ٧٢٩، وإيضاح المكنون ٢/ ١٨٨، والأعلام ٢/ ٢٥٤، ومعجم المؤلفين ٤/ ٤٥، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٦١ ـ ٤٧٠هـ) ص٦٢ رقم ٣٨.

(١) **ترجمته في**: الأنساب ٩/ ٣٤١، واللباب ٢/ ٤٤٤، والكامل في التاريخ ١٠/ ٦٨، والمنتخب من السياق ٣١١ رقم ١٠٢٣، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/ ٢٨٠ـ ٢٨١ رقم ٤٨٢، والطبقات، له (مخطوط) ورقة ٨٩، ووفيات الأعيان ٣/ ١٣٢ رقم ٢٦٤، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٨٧، والعبر ٢/ ٢٤٧، والإعلام بوفيات الأعلام ١٩٠، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٦٤ـ ٢٦٥ رقم ١٣٣، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٥٦٣، ومرآة الجنان ٣/ ٨٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٥/ ١٠٩ ـ ١١٥، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٢٥٥ـ ٢٥٦، والبداية والنهاية ١٢/ ٩٨، وطبقات الشافعية لابن =

أليجةً لم يلجها، ولا للمذهب تاجاً لم يجعل له منه وجهاً، مع توسع في العلم، ترفع أن يدع نقصاً لم يتم، واستطالةٍ في الكلام إذا نطق، وإذا أجرى الأقلام إلى طلق، لا يقف عند فن، ولا يقع إلاَّ على حقيقةٍ إذا ظن، لذكاء حدسٍ، وذُكاء قريحة لا شمس.

كان مقدم الفقهاء الشافعية بمرو، وهو أصولي فروعي، أخذ الفقه عن أبي بكر القفال الشاشي، وصنف في الأصول، والمذهب، والخلاف، والجدل، والملل والنحل، وانتهت إليه رئاسة الفقهاء الشافعية، وطبق الأرض بالتلامذة، وله في المذهب الوجوه الجيدة.

وتوفي في شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وأربعمائة بمرو عن ثلاث وسبعين سنة.

ومنهم:

[٢٩]

إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، الفُيروز آبادي[١]، أبو إسحاق، الإمام جمال الدين صاحب التنبيه

المتفقه به كل نبيه، رجل يضرب به المثل الممثل، ويطرب به الشرف المؤثل،

= قاضي شهبة ١/ ٢٥٥ـ ٢٥٦ رقم ٢١٢، ولسان الميزان ٣/ ٤٣٣ـ ٤٣٤، ٥/ ٢٢٢ (في ترجمة: محمد بن عبد الله الخيام السمرقندي: رقم ٧٧٦)، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١٦٢ـ ١٦٣، وكشف الظنون ١، ٨٤، ١٤٤١، وشذرات الذهب ٣/ ٣٠٩، وهدية العارفين ١/ ٥١٧، وديوان الإسلام ٣/ ٤٢٢ رقم ١٦٢٢، والأعلام ٤/ ١٠٢، ومعجم المؤلفين ٥/ ١٦٩، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص٤٥ رقم ١١.

(١) **ترجمته في**: تاريخ حلب للعظيمي (زعرور) ٣٥٢ (سويم) ١٩، والأنساب ٩/ ٣٦١ـ ٣٦٢، وتبيين كذب المفتري ٢٧٦ ـ ٢٧٨، وطبقات فقهاء اليمن ٢٧٠، والمنتظم ٩/ ٧ـ ٨ رقم ٥ (١٦/ ٢٢٨ ـ ٢٣١ رقم ٣٥٢٧)، وصفة الصفوة ٤/ ٦٦ـ٦٧ رقم ٦٤٦، والمنتخب من السياق ١٢٤ رقم ٢٧٧، وزبدة التواريخ لصدر الدين الحسيني ١٤٢ـ١٤٣، ومعجم البلدان ٣/ ٣٨١، والإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني ٢٠٣، والكامل في التاريخ ١٠/ ١٣٢ـ١٣٣، واللباب ٢/ ٤٥١، وتاريخ الفارقي ٢٠٥، وطبقات ابن الصلاح (مخطوط) ورقة ٢٩ـ٣٠، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٤، والمجموع للنووي ١/ ٢٥ ـ ٢٨، والطبقات للنووي (مخطوط)، الورقة ٤٦ ـ ٤٨، ووفيات الأعيان ١/ ٢٩ ـ ٣١، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩٤ـ١٩٥، ودول الإسلام ٢/ ٧، والعبر ٣/ ٢٨٣ـ٢٨٤، والمعين في طبقات المحدثين ١٣٧ رقم ١٥٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٥٢ ـ ٤٦٤ رقم ٢٣٧، والإعلام بوفيات الأعلام ١٩٦، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٤٢ ـ ٤٦، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٨١، ومرآة الجنان ٣/ ٨٨ـ١١١، وطبقات الشافعية الوسطى، له (مخطوط) ورقة ١٣٧أ، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٨٣ ـ ٨٥، والوفيات لابن قنفذ ٢٥٦ رقم ٤٧٦، والوافي بالوفيات ٦/ ٦٢ ـ ٦٦ =

كلمه لهوادي الكلام فرائد، ولصوادي الأفهام موارد، لهنة من جنى، وأنبوبة من قنا، ببيان يفضح النجوم الزواهر في إشراقها، ويلف الغيوم المواطر في أوراقها، طالما رمى إلى المعالي طرفاً طامحاً، /١٦٩/ وأجرى طِرفاً جامحاً، وكان مذ كان مغرى بتتبع ما أشكل لكشف غوامضه، وكف ما غطى الحق من عوارضه، بهمةٍ علية لو سقطت السحائب، لهمَّ بجمعها، أو الكواكب، لما رضي لكلمه بلمعها، أو الكتائب لَوَلَّوا أمام كتبه، وأعينهم تفيض بدمعها، عادت على حفظة كتبه حسن نيته، وصدق سريرته وعلانيته، فلم ير منهم إلاَّ من أثرى بالآمال، أو ولي بالأعمال، أو تصدر وجاءت منقادة إليه الآمال.

سكن بغداد وتفقه على جماعة من الأعيان، وصحب القاضي أبا الطيب الطبري كثيراً وانتفع به، وناب عنه في مجلسه، ورتبه معيداً في حلقته، ولما بنى نظام الملك مدرسته ببغداد سأله أن يتولاها فأبى، فولاها أبا نصر بن الصباغ مدة يسيرة، ثم أجاب إلى ذلك فتولاها، ولم يزل بها إلى أن مات ليلة الأحد حادي عشرين جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وأربعمائة ببغداد ودفن من غده.

وكان في غاية من الورع والتشدد في الدين.

قال ابن النجار[١]: انتشر فضله في البلاد، وفاق أهل زمانه بالعلم والزهد، وأكثر علماء الأمصار من تلامذته.

وحكى الملك المؤيد صاحب حماة: أنه كان مستجاب الدعوة، متطرح التكلف. قال: ولما توجه إلى خراسان برسالة المقتدي إلى السلطان ملكشاه ونظام الملك الوزير، قال: ما دخلت بلداً إلاَّ وجدت خطيبها وقاضيها تلاميذي.

ولما مات جلس أصحابه للعزاء بالمدرسة النظامية، فلما انقضى العزاء رتب

= رقم ٢٥٠٤، وتاريخ الخميس ٢/ ٤٠١، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٣٤٤ ـ ٢٤٦ رقم ٢٠٠، والنجوم الزاهرة ٥/ ١١٧ـ١١٨، ومفتاح السعادة ٢/ ٣١٨ ـ ٣٢١، وتاريخ الخلفاء ٤٢٦ رقم ٤٢٦، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١٧٠ ـ ١٧١، وكشف الظنون ١/ ٣٣٩ ـ ٣٩١، ٤٨٩ و٢/ ١٥٦٢، ١٧٤٣، ١٨١٨، ١٩١٢، وشذرات الذهب ٣/ ٣٤٩ ـ ٣٥١، وهدية العارفين ١/ ٨، وشرح ألفية العراقي ١/ ٣٤٢، وديوان الإسلام ١/ ٦٩٦٨ رقم ٧٣، وعنوان الدراية ٨٩ـ١٩٧، وروضات الجنات ١/ ١٧٠، وذيل تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١/ ٦٦٩، والفتح المبين في طبقات الأصوليين ١/ ٢٥٥ ـ ٢٥٧، وفهرس ١/ ٦٩، ومعجم المطبوعات لسزكين ١/ ١١٧١ ـ ١١٧٢. وانظر: «الإمام الشيرازي حياته وآراؤه الأصولية» للدكتور محمد حسن هيتو، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٧١ ـ٤٨٠هـ) ص١٤٨ رقم ١٦٢ .

(١) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٤٣.

مؤيد الملك بن نظام الملك أبا سعدٍ المتولي مكانه، فبلغ الخبر نظام الملك، فكتب ينكر ذلك، وقال: كان من الواجب تغلق المدرسة سنة لأجله، وأزرى على من تولى موضعه، وأمر أن يدرس الشيخ أبو نصر بن الصباغ في مكانه.

ورثاه أبو القاسم عبد الله بن ناقيا بقوله: [من الكامل]

خطبٌ أقامَ قيامةَ الآماقِ ... أجْرى المدامِعَ بالدَّم المُهْراقِ
بعدَ ابنِ بَجْدَتِها أَبي إسحاقِ ... ما لليالي لا تؤلِّفُ شَمَلْهُا

وله - أعني أبا إسحاق - الشعر الحسن، فمنه قوله: [من الوافر]

سألتُ الناسَ عَنْ خُلٍّ وفيٍّ ... فقالوا ما إلى هذا سَبيلُ
تَمَسَّكْ إنْ ظَفِرْتَ بودِّ حُرٍّ ... فإنَّ الحُرَّ في الدُّنيا قلَيلُ

ومنه قوله: [من مجزوء الكامل]

جاءَ الربيعُ بحُسنِ وَرْدِهْ ... ومَضَى الشتاءُ بَخَشنِ بَرْدِهْ
فاشربْ على وجهِ الحَبيـ ... ـبِ ووجنتيهِ وحُسْنِ خَدِّهْ

ومنهم:

[٣٠]

عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد، أبو نصر، المعروف بابن الصباغ[(١)]

ما فتحت الكتب بمثل أبواب تصانيفه المصبَّغة، ولا تنزهت النواظر في أحسن

---

(١) **ترجمته في**: المنتظم ٩/ ١٢-١٣ رقم ١٤ (١٦/ ٢٣٦-٢٣٧ رقم ٣٥٣٦)، وزبدة التواريخ ١٤٣، والكامل في التاريخ ١٠/ ١٤١، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ج١ ق١/ ٩٢، وتاريخ دولة آل سلجوق ٧٥، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٩٩، ووفيات الأعيان ٣/ ٢١٧-٢١٨، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩٦، والإعلام بوفيات الأعلام ١٩٦- ١٩٧، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٤- ٤٦٥ رقم ٢٣٨، والمعين في طبقات المحدّثين ١٣٧ رقم ١٥١٢، ودول الإسلام ٢/ ٨، والعبر ٣/ ٢٨٧- ٢٨٨، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٦٢- ١٦٣، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٨٢، ونكت الهميان ١٩٣، ومرآة الجنان ٣/ ١٢٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ٢٣٠ - ٢٣٧، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٥٨- ٢٥٩ رقم ٢١٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ١١٩، وتاريخ الخلفاء ٤٢٦، والجواهر المضية ١/ ٣١٦، ومفتاح السعادة ٢/ ١٨٥، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١٧٣، وكشف الظنون ١٠٤، ٣٨٩، ١٠٢٥، ١١٢٩، ١٣٨١، ١٥٠١، وشذرات الذهب ٣/ ٣٥٥، وهدية العارفين ١/ ٥٧٣، وديوان الإسلام ٣/ ٢١١، ٢١٢ رقم ١٣٣٦، والأعلام ٤/ ١٠، ومعجم المؤلفين ٥/ ٢٣١، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص٩٧ رقم ٢٠٧.

من قوالبه المفرغة، كأنما توشَّت الوجنات بصباغه، ونمت قطع الرياض في أصباغه، ومرت عليه أخلافها سحبُ وحيه، ومرت له عليها يدٌ مسيحية، فأخرجت منه ما طلب من ألوان شتى، وأصباغ ما ترك في جملتها من تفاصيل الزهر نبتاً، فجاء بما ظهر من ألوانه، وأشبه الزهر في أوانه، حتى جاء بما يُقِرُّ قوس قزح بتلوينه، وتَقَرُّ عيون الرياض لو برزت في أفانينه، ويعيد زمان الربيع وقد ذهب، ويواصل بصنائع صنعاء وقد انقطع الجلب، وتتمنى العرائس لو جليت في حلله الملونة، ورفعت أنماطها من أفانينه المفنَّنة، وزينت صورها الحسان بجلابيبه المحسنة، وجاء بألوان البصرة كما يقال إلاَّ أنها تملأ البصر، وتربأ عن مصبغات المحاسن التي في تراكيب الصور، /١٧١/ والتشبيه بحضرة العذار، وحمرة الخد، وبياض الجبين، وسواد الطرر، حرجاً مما يحرك هوى، أو يحرض على جوى. الله أكبر إنَّ بالفضل لكلفاً أكثر من الكلف بالحسان، وأكبر من أن يوصف إلاَّ إذا جف اللسان، ولقد جمع فما أبقى كتابه الشامل، ولا خلى إلاَّ السحاب ودمعه هامل، ولا أغرى بتمامه إلاَّ البدور بالنقص وهي كوامل. بلى أبات حاسده بليال طوال كسهره في تصنيفه، وقاسمه مقالة الناس له بشكره، ولحاسده بتعنيفه.

وكان فقيه العراقين في وقته، وكان يضاهي الشيخ أبا إسحاق الشيرازي، ويقدم عليه في معرفة المذهب، وكان الرحلة إليه من البلاد. كان تقياً، حجةً، صالحاً، وله مصنفات مفيدة منها كتاب: «الشامل في الفقه»، وهو من أجود كتب الشافعية، وأصحها نقلاً، وأثبتها أدلةً، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد أول ما فتحت، ثم عزل عنها بالشيخ أبي إسحاق، وكانت ولايته لها عشرين يوماً، ثم أعيد إليها بعد وفاة أبي إسحاق.

وذكر أبو الحسن بن الصابئ: أنّ المدرسة المذكورة لما فُرِغَ من بنائها أمر نظام الملك واقفها أن يكون المدرس بها أبا إسحاق الشيرازي، وقرروا معه الحضور في يوم السبت عاشر ذي القعدة سنة تسع وخمسين وأربعمائة للتدريس، فاجتمع الناس، ولم يحضر وطلب فلم يوجد، فنفذ إلى نصر بن الصباغ وأحضر، ورتب بها مدرسا، وظهر الشيخ أبو إسحاق في مسجده، ولحق أصحابه من ذلك ما بان عليهم، وفتروا عن حضور درسه، وراسلوه أنه إذا لم يدرس بها مضوا إلى ابن الصباغ وتركوه، فأجاب إلى ذلك، وعزل ابن الصباغ، وجلس أبو إسحاق مستهل ذي الحجة، وكان مدة تدريس ابن الصباغ عشرين يوماً.

وقال ابن النجار[١]: لما مات أبو إسحاق تولى أبو سعدٍ المتولي ثم صرف في سنة ست وسبعين، وأعيد /١٧٢/ أبو سعد إلى أن مات.

وكان مولد أبي نصر سنة أربعمائة، وكف بصره في آخر عمره.

وتوفي في جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وقيل: بل توفي يوم الخميس منتصف شعبان منها.

ومنهم:

[٣١]

عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي يعقوب[٢] الجُوَيْنيّ[٣]، أبو المعالي، الفقيه الشافعي، ضياء الدين، إمام الحرمين

إمام مكة والمدينة، ونظام البلدتين الطيبة والأمينة، أفصح الفقهاء لساناً،

---

(١) انظر: المستفاد ١٦٣ ولم ترد فيه هذه العبارة.

(٢) **ترجمته في**: طبقات فقهاء الشافعية للعبادي ١١٢، ودمية القصر للباخرزي ٢/ ٢٤٦ـ ٢٤٧ رقم ٣٦٥، والأنساب ٣/ ٣٨٦ـ ٣٨٧، والمنتظم ٩/ ١٨ ـ ٢٠ رقم ٢٢ (١٦/ ٢٤٤ـ ٢٤٧ رقم ٣٥٤٤)، وتبيين كذب المفتري ٢٧٨ ـ ٢٨٥، والمنتخب من السياق ٣٣٠ـ ٣٣١ رقم ١٠٩٠، ومعجم البلدان ٢/ ١٩٣، وزبدة التواريخ للحسيني ٦٧، والكامل في التاريخ ١٠/ ١٤٥، واللباب ١/ ٣١٥، ووفيات الأعيان ٣/ ١٦٧ ـ ١٧٠، وتاريخ الفارقي ٢١١، وآثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ٣٥٢، ٣٥٣، ٤٤٧، وأثار الأول وأخبار الدول للعباسي ١٢٥، وتاريخ دولة آل سلجوق ٧٥، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩٦ـ ١٩٧، والعبر ٣/ ٢٩١، ودول الإسلام ٢/ ٨، والمعين في طبقات المحدثين ١٣٧ رقم ١٥١٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٨ ـ ٤٧٧ رقم ٢٤٠، والإعلام بوفيات الأعلام ١٩٧، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٨٣، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار ٨٥ ـ ٩٦، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٧٤ـ ١٧٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ٢٤٩ ـ ٢٨٢، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٤٠٩ ـ ٤١٢، والبداية والنهاية ١٢/ ٤٠٢، والعقد الثمين لقاضي مكة ٥/ ٥٠٧ـ ٥٠٨، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢١، وتاريخ الخلفاء ٤٢٦، ومفتاح السعادة ٢/ ١١٠ ـ ١١١، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١٧٤ ـ ١٧٦، وكشف الظنون ٦٨، ٧٠، ٧٥، ٢٤٢، ٨٩٦ و٣/ ٣٥٨ ـ ٣٦٢، والفوائد البهية ٢٤٦، وروضات الجنات ٤٦٣ـ ٤٦٤، وإيضاح المكنون ١/ ٢٨٨، وهدية العارفين ١/ ٦٢٦، والأعلام ٤/ ١٦٠، ودائرة المعارف الإسلامية ٧/ ١٧٩ـ ١٨٠، وديوان الإسلام ١/ ٤٧ـ ٤٨ رقم ٥٠، وفهرست المكتبة الخديوية ٥/ ٩٥، وفهرست المخطوطات المصورة بدار الكتب المصرية ١/ ٤٧ـ ٤٨ رقم ٥٠، وفهرست المخطوطات المصورة بدار الكتب المصرية ١/ ٣٢٠ ـ ٣٢٤، ومعجم المؤلفين ٦/ ١٨٤ـ ١٨٥.

وللدكتورة فوقية حسين محمود دراسة بعنوان «الجويني إمام الحرمين» نُشرت في سلسلة (أعلام العرب) بمصر سنة ١٩٦٥ رقم (٤٠)، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٧١ ـ ٤٨٠هـ) ص٢٢٩ رقم ٢٤٧.

(٣) الجُوَيني: بضم الجيم، وفتح الواو، وسكون الياء، وفي آخرها النون. هذه النسبة إلى جوين، وهي =

وأوضح البلغاء إحساناً، لعباراته في الفقه نزعات أدبية، ونزغات عربية، كأنما جاء بها من البادية، تلاعبها أعطاف ريحها، وتجاذبها أطراف البداوة إلى لمم شيحها، كأنما كلامه صفائح زبر، أو صحائف خبر، أسرى من الخطب في المسامع، وأسرع من الخِب[١] في المطامع، وفي دِلائه علم يُضوّي الحنادس ويضوع المجالس، ولقد اختار أبوه أُمّاً أخرجه من وعائها النظيف، وزرع في أرضها الزاكية منبته الشريف، ثم احتاط لمطعمه، وخاط بالحمية على فمه، حتى طلع ذهبه خالصاً، وسطع بدره، وما طلع هلاله إلاَّ تاماً لا ناقصاً، وقد ذكرت في ترجمة أبيه ما هو المشهور في حسن مرباه، وذكرت هنا ما ذكره ابن خلكان على ما يأتي وإن نافاه، وقد يكون هذا غير ذاك، وقد يكون إياه، غير أن الرواية اختلفت، وكلتاهما بتمام المراد قد وفّت.

تفقه في صباه على والده أبي محمد، وكان يعجب بطبعه وجودة قريحته، وما يظهر عليه من مخايل الإقبال، فأتى على جميع مصنفات والده، وتصرف فيها حتى زاد عليها في التحقيق والتدقيق، ولما توفي والده قعد مكانه للتدريس، وإذا فرغ منه مضى إلى /١٧٣/ الأستاذ أبي القاسم الإسفراييني الإسكافي بمدرسة البيهقي حتى حصَّل عليه علم الأصول، ثم سافر إلى بغداد، ولقي بها جماعةً من العلماء، ثم خرج إلى الحجاز، وجاوز بها أربع سنين، والمدينة يدرس ويفتي ويجمع طرف المذهب، فلهذا قيل إمام الحرمين، ثم عاد إلى نيسابور في ولاية السلطان ألب أرسلان السلجوقي، والوزير يومئذ نظام الملك، فبنى له المدرسة النظامية بنيسابور، وولى الخطابة بها، وكان يجلس للوعظ والمناظرة وظهرت تصانيفه، وحضر درسه الأكابر من الأئمة، وانتهت إليه رئاسة الأصحاب، وفوض إليه أمور الأوقاف، وبقي على ذلك قريباً من ثلاثين سنة غير مزاحمٍ، ولا مدافع، سلم إليه المحراب والمنبر، والخطابة والتدريس، ومجلس التذكير يوم الجمعة، وصنف في كل فن.

قال أبو جعفر الحافظ: سمعت الشيخ أبا إسحاق الشيرازي يقول لإمام الحرمين: يا مفيد أهل المشرق والمغرب، أنت اليوم إمام الأئمة.

وادّعى الاجتهاد المطلق، لأن أركانه كانت حاصلة له، ثم عاد إلى تقليد الإمام الشافعي، لعلمه أن منصب الاجتهاد قد مضت سنوه. ومن تلاميذه أبو القاسم الأنصاري.

= ناحية كبيرة من نواحي نيسابور تشتمل على قرى كثيرة مجتمعة يقال لها كويان، فعرّبت فقيل: جُوَين. (الأنساب ٣/ ٣٨٥).

(١) الخِب: المخادع.

وكان والده الشيخ أبو محمد في أول عمره ينسخ بالأجرة، فاجتمع له من كتب يده شيء اشترى به جارية موصوفة بالخير والصلاح، ولم يزل يطعمها من كسب يده أيضاً إلى أن حبلت بإمام الحرمين، وهو مستمر على تربيتها بمكسب الحل، فلما وضعته أوصاها أن لا تمكن أحداً من إرضاعه، فاتفق أنه دخل عليها يوماً وهي متألمة، والصغير يبكي، وقد أخذته امرأة من جيرانهم وشاغلته بثديها فرضع منه قليلاً، فلما رآه شق عليه وأخذه إليه، ونكس رأسه، ومسح على بطنه، وأدخل إصبعه في فيه، ولم يزل يفعل به ذلك حتى قاء جميع ما شربه، وهو يقول: يسهل علي أن يموت، ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير أمه.

ويحكى عن إمام /١٧٤/ الحرمين أنه كان يلحقه فترة في بعض الأحيان في مجلس المناظرة فيقول: هذا من بقايا تلك الرضعة.

ومولده في ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وأربعمائة، ولما مرض حمل إلى قرية من أعمال نيسابور يقال لها بشتنفان، موصوفة باعتدال الهواء وخفة الماء، فمات بها ليلة الأربعاء، وقت العشاء الآخرة، الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، ونقلل إلى نيسابور تلك الليلة ودفن من الغد بداره، ثم نقل بعد سنين إلى مقبرة الحسين، فدفن بجنب أبيه، وصلى عليه ولده أبو القاسم، وأغلقت الأسواق يوم موته، وكسر منبره في الجامع، وقعد الناس لعزائه، وأكثروا فيه المراثي، وكانت تلامذته يومئذ قريباً من أربعمائة واحد، فكسروا محابرهم وأقلامهم، وأقاموا على ذلك عاماً كاملاً.

ومنهم:

[٣٢]

عبد الرحمن بن محمد، أبو سعد المعروف بالمُتولّي، الفقيه الشافعي، النيسابوري(١)

قدوة الفقهاء، وأسوة القمر في البهاء، تصدر بلا ازدهاء، وبلغ مدى أمانته

---

(١) ورد اسمه في بعض المصادر: «عبد الرحمن بن مأمون بن علي...»

ترجمته في: المنتظم ٩/١٨ رقم ٢١ (١٦/ ٢٤٤ رقم ٣٥٤٣)، والكامل في التاريخ ١٠/١٤٦، ووفيات الأعيان ٣/ ١٣٣ـ ١٣٤، وتاريخ دولة آل سلجوق ٧٥، والعبر ٣/ ٢٩٠، ودول الإسلام٢/٨، والإعلام بوفيات الأعلام ١٩٧، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٨٥ـ ٥٨٦ رقم ٣٠٦، ومرآة الجنان ٣/ ١٢٢ـ ١٢٣ وفيه: «عبد الرحمن بن محمد»، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ٢٢٣ ـ ٢٢٥، =

بلا انتهاء، لاذ بركنه المحراب، ولاب لاستسقاء مزنه السحاب، ولام الحبل، فواراه التراب، ولاح ضاحكاً، ففضح الغمام الانتحاب، وذكر من الدروس ما هو خلاله ذكرى، وخلى حتى الإسطوانة سكرى، وخلف محاجر الصدق بمدامع اللؤلؤ شكرى.

كان جامعاً بين العلم والدين، وحسن السيرة، وتحقيق المناظرة له، له يد قوية في الأصول، والفقه، والخلاف. تولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد بعد وفاة شيخه أبي إسحاق الشيرازي، ثم عزل عنها في بقية سنة ست وسبعين وأربعمائة، وأعيد أبو نصر بن الصباغ، ثم عزل ابن الصباغ، وأعيد إليها أبو سعد المذكور، واستمر عليها إلى حين وفاته.

ولما جلس للتدريس /١٧٥/ بالمدرسة المذكورة بعد الشيخ أبي إسحاق، أنكر الفقهاء استناده موضعه، وأرادوا منه أن يستعمل الأدب في الجلوس دونه، ففطن، وقال لهم: اعلموا أنني لم أفرح في عمري إلاَّ بشيئين: أحدهما أني جئت من وراء النهر، ودخلت سرخس وعلي أثواب أخلاق لا تشبه ثياب أهل العلم، فحضرت مجلس أبي الحارث بن أبي الفضل السرخسي، وجلست في أُخريات أصحابه، فتكلموا في مسألة، فقلت واعترضت، فلما انتهيت من نوبتي، أمرني أبو الحارث بالتقدم، فتقدمت، ولما عادت نوبتي استدناني، وقربني حتى جلست إلى جنبه، وقام لي، وألحقني بأصحابه، فاستولى الفرح على قلبي، والشيء الثاني: حين أمَّلت الاستناد في موضع شيخنا أبي إسحاق رحمه الله، فذلك أعظم النعم، وأوفى القسم.

وتخرج على الإمام أبي سعد جماعة من الأئمة، وصنف في الفقه، والخلاف، والفرائض، وكل تصانيفه نافعة.

ومولده سنة ست وعشرين وأربعمائة، وقيل: سنة سبع وعشرين، وتوفي ليلة الجمعة ثامن عشر شوال سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ببغداد.

= وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٣٠٥ـ ٣٠٦، والبداية والنهاية ١٢/ ١٢٨، والوافي بالوفيات (مخطوط) ١٦/ ٦١ـ ٦٢، والعقد المذهب لابن الملقن ٦٣، وتاريخ الخميس ٢/ ٤٠٢، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٥٤ـ ٢٥٥، رقم ٢١١، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١٧٦ـ ١٧٧، وكشف الظنون ٢/ ١ و٢/ ١٢٥١، وشذرات الذهب ٣/ ٣٥٨، وهدية العارفين ١/ ٥١٨، وإيضاح المكنون ٢/ ١٥٠، وديوان الإسلام ٤/ ١٧٦ـ١٧٧ رقم ١٩٠٢، والأعلام ٣/ ٢٩٠، ومعجم المؤلفين ٥/ ١٦٦، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٧١ ـ ٤٨٠هـ) ص٢٢٦ رقم ٢٤٣.

ومنهم:

[٣٣]

سهل بن أحمد بن علي الأزغياني، الفقيه الشافعي(١)

رجل لم تكن همته أرضية، ولا عزمته إلاَّ رضية، وكان جملة نعماء، وحبلة نماء، وكان للقبائح مباعداً، وللمنائح مواعداً، وللمدائح بجميل خلائقه مساعداً، هذا والشبيبة في ريعانها، وبارقة الصِّبا في لمعانها، والقريحة لافحة، والبديهة سافحة، مع التيقظ لأفعال المروءة وأعمال الفتوة. هذا إلى ما كان يصبغ خديه من أديم الحياء، ويجمع تسهيم برديه من الحباء.

/١٧٦/ كان إماماً، كبير المقدار في العلم والزهد، قرأ على أبي علي السنجي، ثم على القاضي حسين المروروذي، وحصل طريقته حتى قال: ما علق أحدٌ طريقتي مثله ودخل نيسابور، وقرأ أصول الفقه على إمام الحرمين، وناظر في مجلسه وارتضى كلامه، ثم عاد إلى ناحية أرغيان، وتقلد قضاءها سنين مع حسن السيرة، وسلوك الطريق المرضية، ثم خرج إلى الحج، ولقي المشايخ بالعراق، والجبال، والحجاز، وسمع منهم، وسمعوا منه، فلما رجع من مكة، دخل على الشيخ العارف الحسن السمناني شيخ وقته زائراً، فأشار عليه بترك المناظرة، فتركها، ولم يناظر بعد ذلك، وعزل نفسه عن القضاء، ولزم البيت والانزواء، وبنى للصوفية دويرة من ماله، وأقام بها مشغولاً بالتصنيف، والمواظبة على العبادة إلى أن توفي على تيقظ من حاله مستهل المحرم سنة سبع وتسعين وأربعمائة.

ومنهم:

---

(١) **ترجمته في**: الإكمال لابن ماكولا ١/ ٥٧٦ بالحاشية، وذيل تاريخ نيسابور (مخطوط) ٢٨ب، والأنساب ١/ ١٨٦ وفيه: «الأَرْغِيَاني»، والمنتظم ٩/ ١٤٦ رقم ٢٣٥ (١٧/ ٩٦ رقم ٣٧٥٧)، والمنتخب من السياق ٢٤٧ـ ٢٤٨ رقم ٧٨٧، ومعجم البلدان ١/ ١٥٣، واللباب ١/ ٣٣ـ ٩٣، والكامل في التاريخ ١٠/ ٤١٥ـ ٤١٦، ووفيات الأعيان ٢/ ١٥٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ١٦٩، وطبقات الشافعية الوسطى، له (مخطوط) ورقة ١٩٠ب، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٦٧، والوافي بالوفيات ١٦/ ١٣ـ ١٤ رقم ١٧، والبداية والنهاية ١٢/ ١٦٦، والديباج المذهب ١/ ٧١، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٧٢ رقم ٢٢٩، وروضات الجنات ٣٢٥، وهدية العارفين ١/ ٤١٣، والأعلام ٣/ ٢٠٩، ومعجم المؤلفين ٤/ ٢٨٣، وديوان الإسلام ١/ ١٠٢ رقم ١٣٢، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٩١ ـ ٥٠٠هـ) ص٢٩٧ رقم ٣٣٦.

[٣٤]

عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد[١] الرُّوْيَاني[٢]، الفقيه الشافعي، أبو المحاسن الشهيد

والقانع في الدنيا بالعيش الزهيد، عبد الواحد المتعبد بالتوحيد، وابن إسماعيل إلاَّ أنه كان هو الذبيح، الروياني؛ لأنه رأى أن متجر الآخرة الربيح، والمجاهد لنصرة الحق حتى قتل، والمجاهر لخذلان الباطل حتى خُتل، المقتول ظلماً في ثوب السماء دمه، المنقول إلى جوار ربٍّ يضاعف حسناته ويرحمه.

رحل إلى بخارى، وأقام بها مدة، ودخل غزنة، ونيسابور، ولقي الفضلاء، وحضر مجلس ناصر المروزي، وعلق عنه، وسمع الحديث، وبنى بآمل مدرسة، ثم انتقل [إلى] الري، ودرس بها، وقدم اصبهان، وأملى بجامعها، وصنف الكتب المفيدة، ونقل عنه أنه كان يقول: لو احترقت كتب الشافعي، لأمليتها من خاطري.

/ ١٧٧/ وكان له الجاه العريض، والحرمة الوافرة في تلك الديار، وكان الوزير نظام الملك كثير التعظيم له؛ لكمال فضله، وأملى بمدينة آمل، وقتل بعد فراغه من الإملاء بسبب التعصب في الدين في المحرم سنة اثنتين وخمسمائة. قتله الملاحدة في الجامع يوم الجمعة عشر من المحرم.

ومنهم:

---

(١) **ترجمته في**: المنتخب من السياق ٣٤٠ رقم ١١٢٠، والسياق ٦/ ١٨٩ـ ١٩٠، والأنساب ٦/ ١٨٩ـ ١٩٠، والمنتظم ٩/ ١٦٠ رقم ٢٥٩ (١٧/ ١١٣ رقم ٣٧٨١)، ومعجم البلدان ٣/ ١٠٤، والاستدراك لابن نقطة (مخطوط) ١/ ٢٠١، واللباب ٢/ ٤٤، والكامل في التاريخ ١٠/ ٤٧٣، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٧٧، ووفيات الأعيان ٣/ ١٩٨ـ ١٩٩، ودول الإسلام ٢/ ٣١، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٠٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٦٠ ـ ٢٦٢ رقم ١٦٢، والعبر ٤/ ٤ـ ٥، والمعين في طبقات المحدثين ١٤٧ رقم ١٦٠٥، ومرآة الزمان ج٨ ق١/ ٢٩، وعيون التواريخ (مخطوط) ١٣/ ٢٣٤، ومرآة الجنان ٣/ ١٧١ ـ ١٧٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٧/ ١٩٣، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٥٦٥ـ ٥٦٦، والبداية والنهاية ١٢/ ١٧٠، وطبقات الشافعية لابن كثير (مخطوط) ١٠٤أ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٩٤ رقم ٢٥٦، وتاريخ الخميس ٢/ ٤٠٣، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٩٧، ومفتاح السعادة ٢/ ٣٥١، وكشف الظنون ١/ ٢٢٦، ٣٥٥، وشذرات الذهب ٤/ ٤، وديوان الإسلام ٢/ ٣٤٥ـ ٣٤٦، رقم ١٠١١، وهدية العارفين ١/ ٦٣٤، وإيضاح المكنون ٢/ ١٣٠، والأعلام ٤/ ٣٢٤، ومعجم المؤلفين ١/ ٢٠٦، والذيل على طبقات ابن الصلاح ٢/ ٨٠٠ـ ٨٠١، تاريخ الإسلام (السنوات ٥٠١ ـ ٥١٠هـ) ص٦١ رقم ٤٢.

(٢) الرُّوياني: بضم الراء وسكون الواو وفتح الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وفي آخرها النون. هذه النسبة إلى رُويان وهي بلدة بنواحي طبرستان. (الأنساب ٦/ ١٨٩).

[٣٥]

أبو الحسن، علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بإلْكيا الهَرَّاسي(١)

وأيُّ عليٍّ لو وجد شيعة، وطبري طبيب نوس المذاهب الشنيعة، عماد ما رفع مثله عمود الفجر لرواق الصباح، ولا شيد به إلاَّ بناء البيت في نطاق البطاح، إمامٌ لو وجد مؤتماً، وعيان لو لم تفتح عينه على أعمى، الهراس وأي هريسة وأي زبون وأي عزيز يشتري منه بالنفوس، بارك الله للمغبون لا يذوى له غراس، ولا يموتِ به إلاَّ حاسدٌ، وقتيلٌ بجانب المهراس.

أصله من طبرستان، وخرج إلى نيسابور، وتفقه على إمام الحرمين إلى أن برع، وكان حسن الوجه، جهوري الصوت، فصيح العبارة، حلو الكلام، ثم خرج من نيسابور إلى بيهق، ودرس بها مدة إلى أن خرج إلى العراق، وتولى تدريس المدرسة النظامية ببغداد إلى أن توفي.

وقد ذكره عبد الغافر الفارسي في «تاريخ نيسابور»، فقال: كان من رؤوس معيدي إمام الحرمين في الدرس، وكان ثاني أبي حامد الغزالي بل أصل وأصلح، وأطيب في الصوت والنظم، ثم اتصل بخدمة مجد الملك بركياروق بن ملك شاه السلجوقي، وحظي عنده بالمال والجاه، وارتفع شأنه، وتولى القضاء بتلك الدولة، وكان محدثاً يستعمل الأحاديث في مناظراته ومجالسه، ومن كلامه:

---

(١) **ترجمته في**: تاريخ حلب للعظيمي (بتحقيق زعرور) ٣٦٥، و(تحقيق سويم) ٣٠، والمنتخب من السياق ٣٩٦ رقم ١٣٤٤، وتبيين كذب المفتري ٢٨٨، والمنتظم ٩/ ١٦٧ رقم ٢٧٣ (١٧/ ١٢٢ رقم ٣٧٩٥)، والكامل في التاريخ ١٠/ ٤٨٤، وذيل تاريخ نيسابور (مخطوط) ١/ ٧٢ أ، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٨٦ ـ ٢٩٠، ومعجم الألقاب ٢/ ٧٩١، ودول الإسلام ٢/ ٣٣، والمعين في طبقات المحدثين ١٤٩ رقم ١٦١٠، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٠٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٥٠ ـ ٣٥٢ رقم ١٦١٠، والإعلام بوفيات الأعلام من ذيل تاريخ بغداد ١٩٧، وعيون التواريخ (مخطوط) ١٣/ ٢٥٦ـ ٢٥٧، ومرآة الزمان ج٨ ق ١/ ٣٧ـ ٣٨، والوافي بالوفيات ٢/ ٥٢٠ ـ ٥٢٢، والبداية والنهاية ١٢/ ١٧٢ـ ١٧٣، ومرآة الجنان ٣/ ١٧٣ ـ ١٧٧، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٩٥ـ ٢٩٦ رقم ٢٥٧، والوفيات لابن قنفذ ٢٦٥ والتاج المكلل للقنوجي ٨١، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٠١ـ ٢٠٢، وتاريخ الخلفاء ٤٣١، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١٩١، وكشف الظنون ٤٢٣ـ ١٠٥٦، وشذرات الذهب ٤/ ٨ ـ ١٠، وهدية العارفين ١/ ٦٩٤، وديوان الإسلام ١/ ٥٧ـ ٥٨ رقم ٥٦، والأعلام ٥/ ١٤٩، ودائرة معارف الأعلمي ٢٢/ ٣١٣، ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٢٠، وتهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٢٣٣، تاريخ الإسلام (السنوات ٥٠١ ـ ٥١٠هـ) ص٩٢ رقم ٧٧ وله ذِكر في: طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح ٢/ ٦٤٣ في ترجمة سمية: «علي بن محمد بن علي الطبري الآملي» رقم ٢٤٣.

إذا جالت فرسان الأحاديث في ميادين الكفاح /١٧٨/ طارت رؤوس المقاييس في مَهاب الرياح.

واستفتاه الحافظ أبو طاهر السلفي في سنة خمس وتسعين وأربعمائة لكلام جرى بينه وبين الفقهاء بالمدرسة النظامية، وصورة الاستفتاء: «ما يقول الإمام وفقه الله تعالى في رجل أوصى بثلث ما له للعلماء والفقهاء، تدخل كتب الحديث تحت هذه الوصية أم لا؟ فكتب الشيخ تحت السؤال: نعم، كيف لا، وقد قال النبي ﷺ «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً في أمر دينها، بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً».

وسئل الكيا عن يزيد بن معاوية، فقال: إنه لم يكن من الصحابة؛ لأنه ولد في أيام عمر بن الخطاب، وأما قول السلف، ففيه لأحمد قولان: تلويح وتصريح، ولأبي حنيفة تصريح وتلويح ولمالك قولان: تلويح وتصريح، ولنا قول واحد التصريح دون التلويح، وكيف لا يكون كذلك، وهو اللاعب بالنرد، والمتصيد بالفهد، والمنادم للقرد، ومدمن الخمر، وشعره في الخمر معلوم منه قوله: [من الطويل]

أقولُ لصحبٍ ضَمَّتِ الكأسُ شملَهم ... وداعي صباباتِ الهَوى يترنَّمُ
خذوا بنصيبٍ مِنْ نعيمٍ ولذةٍ ... فكلٌّ وإنْ طالَ المَدى يتصرَّمُ

وكتب فصلاً طويلاً، ثم قلب الورقة، وكتب: لو مددت ببياض لمددت العنان في مخازي هذا الرجل. وكتب فلان بن فلان.

وقد أفتى الإمام أبو حامد الغزالي في مثل هذه المسألة بخلاف ذلك: فإنه سئل عمن صرّح بلعن يزيد: هل يحكم بفسقه؟ أم هل يكون لك مرخصاً له فيه؟ وهل كان مريداً قتل الحسين؟ أم كان قصده الدفع؟ وهل يسوغ الترحم عليه؟ أم السكوت عنه أفضل؟ ينعم بإزالة الاشتباه مثاباً.

فأجاب[1] : لا يجوز لعن المسلم أصلاً، /١٧٩/ ومن لعن مسلماً فهو الملعون، وقد قال رسول الله ﷺ: «المسلم ليس بلعان». وكيف يجوز لعن المسلم، ولا يجوز لعن البهائم؟ وقد ورد النهي عن ذلك، وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكافر بنص النبي ﷺ، ويزيد صَحَّ إسلامه، وما صح قتله الحسين، ولا أمره، ولا

---

(١) حول هذا الموضوع، انظر: ما كتبه الحافظ، أبي الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي الشهير بابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) بعنوان (الرد على المتعصب العنيد، ط بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

رضاه بذلك، ومهما لم يصح ذلك منه، لا يجوز أن يظن كثيراً من الظنّ ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾(١) وقال النبي ﷺ: «إن الله تعالى حرم من المسلم دمه وماله وعرضه»، وأن يظن به ظن السوء، ومن زعم أن يزيد أمر بقتل الحسين أو رضي به، فينبغي أن يعلم أن به غاية حماقةٍ، فإن من قتل من الأكابر والوزراء والسلاطين في عصره لو أراد أن يعلم حقيقةً من الذي أمر بقتله، ومن الذي رضي به، ومن الذي كرهه، لم يقدر على ذلك، وإن كان قد قتل في جواره وزمانه وهو يشاهده، فكيف لو كان في بلدٍ بعيد وفي زمن بعيد، وقد انقضى فكيف يعلم ذلك فيما انقضى عليه قريب من أربعمائة سنة في مكان بعيد؟ وقد تطرق التعصب في الواقعة، فكثرت فيها الأحاديث من الجوانب، فهذا أمر لا يعرف حقيقته أصلاً، وإذا لم يعرف، وجب إحسان الظن بكل مسلم يمكن إحسان الظن به، ومع هذا لو ثبت على مسلمٍ أنه قتل مسلماً، فمذهب أهل الحق أنه ليس بكافر، والقتل ليس بكفر، بل هو معصية، وإذا مات القاتل، فربما مات بعد التوبة، والكافر لو تاب من كفره، لم يجز لعنته، فكيف بمن تاب عن قتل، ولم يعرف أن قاتل الحسين مات قبل التوبة، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾(٢) فإذاً لا يجوز لعن أحد ممن مات من المسلمين، ومن لعنه كان فاسقاً عاصياً لله تعالى، ولو جاز لعنه، فسكت لم يكن عاصياً بالإجماع بل لو لم يلعن إبليس طول عمره لا يقال له في القيامة لم لم تلعن إبليس، ويقال للاعن لم لعنت، ومن أين عرفت أنه مطرود /١٨٠/ ملعون، والملعون هو المبعد من الله عز وجل، وذلك غيب لا يعرف إلاّ فيمن مات كافراً، فإن ذلك علم بالشرع، وأما الترحم عليه، فهو جائزٌ، بل هو مستحب بل هو داخل في قولنا في كل صلاة: «اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات؛ فإنه كان مؤمناً والله أعلم» كتبه الغزالي.

وكانت ولادة الكيا في ذي القعدة سنة خمسين وأربعمائة، وتوفي يوم الخميس وقت العصر مستهل المحرم سنة أربع وخمسمائة ببغداد، ودفن في تربة الشيخ أبي إسحاق، وحضر دفنه الشريف أبو طالب الزينبي، وقاضي القضاة أبو الحسن الدامغاني، وكان مقدم الطائفة الحنفية، وكان بينه وبينهما منافسة في حال الحياة، فوقف أحدهما عند قبره والآخر عند رجليه، فقال ابن الدامغاني متمثلاً قوله: [من الوافر]

وما تُغني النوادبُ والبواكي وقدْ أصبحتَ مثلَ حديثِ أمسِ

(١) سورة الحجرات: الآية ١٢.
(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٤.

وأنشد الزينبي متمثلاً: [من الكامل]

عُقِمَ النساءُ فلمْ يلدنَ شبيهَهُ   إنَّ النساءَ بمثلِهِ عُقُمُ

ومنهم:

[٣٦]

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، أبو حامد الغزَّالي(١)

حجة الإسلام، ومحجة دار السلام، ذو الطرح الغريب، والبُرد القشيب، والبز الرفيع العجيب، نسيجُ وَحْدِهِ، ونسيب الروض في برده، ما امتدت إلى دقائقه اللواحظ الغزَّالة، ولا شبرقت مثل حلله مجاجة الغزالة، مع أدب مات وما بلغه المقتل، ونخب تتجاذب من أطرافه مثل هداب الدمقس المفتل. ينصت من حديثه إلى

(١) **ترجمته في**: تاريخ حلب للعظيمي (بتحقيق زعرور) ٣٦٥، و(تحقيق سويم) ٣١، وتاريخ الفارقي ٢٧٨، وتبيين كذب المفتري ٢٩١ ـ ٣٠٦، والمنتظم ٩/ ١٦٨ ـ ١٧٠ رقم ٢٧٧(١٧/ ١٢٤ـ ١٢٧ رقم ٣٧٩٩)، والمنتخب من السياق ٧٣ـ ٧٥ رقم ١٦١، ومعجم البلدان ٣/ ٥٤١، واللباب ٢/ ٣٧٩، والكامل في التاريخ ١٠/ ٤٩١ ووفيات الأعيان ٤/ ٢١٦ ـ ٢١٩، وآثار البلاد ٣٣٠، ٣٥٣، ٣٧٧، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤١٣، ٤١٧، ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ج٨ ق١/ ٣٩ـ ٤٠، وتاريخ الزمان ١٣٣، والروض المعطار ٤٠٠، وطبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح ١/ ٢٤٩ ـ ٢٦٤ رقم ٧٠، والمختصر لأبي الفداء ٢/ ٢٢٥، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٢ ـ ٣٤٦ رقم ٢٠٤، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٠٨، والمعين في طبقات المحدثين ١٤٩ رقم ١٦١١، ودول الإسلام ٢/ ٣٤، والعبر ٤/ ١٠، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١، ومرآة الجنان ٣/ ١٧٧ ـ ١٩٢، والوافي بالوفيات ١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٧ رقم ١٧٦، وعيون التواريخ (مخطوط) ١٣/ ٢٦٢ ـ ٢٦٧، (والمطبوع) ١٢/ ٣ ـ ٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٦/ ١٩١ ـ ٢٨٩، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٢٤٢ ـ ٢٤٥، والبداية والنهاية ١٢/ ١٧٣، ١٧٤، وطبقات فقهاء الشافعية لابن كثير (مخطوط) ١٠٥ ب ـ ١٠٧أ، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٣٧ـ ٣٨، وطبقات الأولياء لابن الملقّن ١٠٣ـ ١٠٤، الوفيات لابن قنفذ ٢٦٦ـ ٢٦٧، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٣٠٠ـ ٣٠١ رقم ٢٦١، والمقفى الكبير للمقريزي ٧/ ٧٦ ـ ٨٤ رقم ٣١٥٧، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٠٣، وتاريخ الخلفاء ٤٣١، والأنس الجليل ١/ ٢٦٥، ومفتاح السعادة ٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٦ و٣٤١ ـ ٣٤٣ و٣٤٧ ـ ٣٥٠ و٥٦٠ ـ ٥٦٢، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١٩٢ ـ ١٩٥، وكشف الظنون ١٢، ٢٣، ٢٤، ٣٦، ٨٢، ٨٤، ٩٧، ١٠٤، وشذرات الذهب ٤/ ١٠ ـ ١٣، وإتحاف السادة المتقين ١/ ٦ ـ ٥٣، وروضات الجنات ١٨٠ ـ ١٨٥، وإيضاح المكنون ١/ ١١، ١٧١، ٢٩٨، ٣٠٠، ٥٩٥، و٢/ ٤٣، ١٠٣، ٣٧٠، ٥٣٦، ٧٢٢، وهدية العارفين ٢/ ٧٩ ـ ٨١، وديوان الإسلام ٣/ ٣٧٦ ـ ٣٧٨ رقم ١٥٥٧، وأبجد العلوم ٣/ ١١٠، والتاج المكلّل للقنوجي ٣٨٨ـ ٣٨٩، والمجدّدون في الإسلام ١٨١ ـ ١٨٤، وكنوز الأجداد ٢٧٢ ـ ٢٨١، والفتح المبين ٢/ ٨ ـ ١٠، وآداب اللغة العربية ٣/ ٩٧، والأعلام ٧/ ٢٢، ومعجم المؤلفين ١١/ ٢٦٦ ـ ٢٦٩، تاريخ الإسلام (السنوات ٥٠١ ـ ٥١٠هـ) ص١١٥ رقم ١٢٢.

أرق سمر، ولا تفنى غلائله، وقد زرت أزرارها على القمر، فقد كان قمر الشافعية الذي لا يعروه نقصان، / ١٨١/ وسمر الرقاق بسمر الخرصان، وله في التصوف مقامات لا يدعي الحريري شبهها حيث ذهب، ولا يموه في مماثلتها حريره الذهب.

اشتغل في مبدأ أمره بطوس، ثم قدم نيسابور، واختلف إلى دروس إمام الحرمين، وجد في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة، وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه، وصنف في ذلك الوقت، وكان أستاذه يتبجح به، ولم يزل ملازماً إلى أن توفي إمام الحرمين، فخرج من نيسابور، ولقي نظام الملك، فأكرمه وعظمه، وبالغ في الثناء عليه، وكان بحضرة الوزير جماعة من الأفاضل، فجرى بينهم الجدال والمناظرة في عدة مجالس، وظهر عليهم، واشتهر اسمه، وسارت بذكره الركبان.

ثم فوض إليه الوزير تدريس النظامية ببغداد، فدرس بها في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وأعجب به أهل العراق، وارتفعت عندهم منزلته، ثم ترك جميع ما كان عليه سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وسلك طريق الزهد والانقطاع، وقصد الحج، فلما رجع، توجه إلى الشام، فأقام بدمشق مدة يذكر الدرس في الزاوية الغربية من الجامع الأموي، ثم انتقل إلى البيت المقدس، واجتهد في العبادة، وزيارة المشاهد، والمواضع المعظمة، ثم قصد مصر، وأقام بالإسكندرية مدة، ويقال: إنه قصد منها الركوب في البحر إلى بلاد المغرب على عزم الاجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين صاحب مراكش، فبينما هو كذلك، بلغه نعي يوسف المذكور، فصرف عزمه عن تلك الناحية.

ثم عاد إلى وطنه بطوس، واشتغل بنفسه، وصنف الكتب المفيدة في عدة فنون، ثم ألزم بالعود إلى نيسابور، والتدريس بها بالمدرسة النظامية، فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودات، / ١٨٢/ ثم نزل في وطنه، واتخذ خانقاه للصوفية، ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره، ووزع أوقاته على وظائف الخير من ختم القرآن، ومجالسة أهل القلوب، والقعود للتدريس إلى أن انتقل إلى ربه يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة.

وقد أورد له عماد الدين الأصبهاني في الخريدة: [من الكامل]

حلَّتْ عقاربُ خدِّهِ في صُدْغِهِ ... قمراً يجلُّ بها عنِ التَّشبيهِ

ولقدْ عهدناهُ يَحِلُّ ببُرجِها ... فمِنَ العجائبِ كيفَ حلتْ فيهِ

ومما أورد له قوله: [من الكامل]

هَبْنِي صَبَوتُ كما تَرَونَ بزعمِكُمْ ... وحَظِيْتُ منه بلثم خدٍ أزهرِ
أني اعتزلت فلا تلوموا إنه ... أضحى يقابلُني بوجهٍ أَشْعَري

ومنهم:

[٣٧]

محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر[١] الشاشي[٢] الأصل، الفارقي المولد، فخر الإسلام، المستظهري، الشافعي، أبو بكر

عمامة رأس، وزينة لباس، تاج شرف، ومنهاج علم، ما أخذ منه بطرف، زعم لتواضعه إذ رأس، وجلس للتدريس كما درس، أنه إنما ساد وقد خلت البقاع، وشب شبلُه إذ ثكلت؛ السباع، وما ذلك كما زعم، بل ساد والبقاع ما خلت، وشب والسباع ما ثكلت؛ لسيادةٍ استحقها، ورتبة استوجب حقها.

تفقه أولاً بميافارقين، ثم رحل إلى بغداد، ولازم الشيخ أبا إسحاق الشيرازي، وقرأ عليه، وأعاد عنده، ودخل نيسابور صحبة الشيخ أبي إسحاق، وتكلم في مسألة بين يدي إمام الحرمين، فأحسن فيها، وعاد إلى بغداد، وانتهت إليه رياسة الطائفة الشافعية، وصنف التصانيف الحسنة.

ودرس بنظامية بغداد في شعبان سنة أربع وخمسمائة. ولما ذكر بها الدرس، وضع منديله على عينيه، وبكى كثيراً /١٨٣/ وهو جالس على السدة التي جرت عادة المدرسين بالجلوس عليها، وأنشد: [من الكامل]

---

(١) **ترجمته في**: تبيين كذب المفتري ٣٠٦ـ ٣٠٧، والمنتظم ٩/ ١٧٩ رقم ٢٩٤ (١٧/ ١٣٨ رقم ٣٨١٧)، والكامل في التاريخ ١٠/ ٥٠٠، وطبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح ١/ ٨٥ ـ ٩٠ رقم ٣، ووفيات الأعيان ٤/ ٢١٩ ـ ٢٢١، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٧، ودول الإسلام ٢/ ٣٦، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٩٣ـ ٣٩٤ رقم ١٦١٥، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٢، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٣ـ ٤، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٤ـ ٢٥، ومرآة الجنان ٣/ ١٩٤ـ ١٩٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/ ٥٧، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٨٦ـ ٨٧، والبداية والنهاية ١٢/ ١٧٧ـ ١٧٨، والوافي بالوفيات ٢/ ٧٣ـ ٧٤، وطبقات الشافعية لابن كثير (مخطوط) ورقة ١٠٥أ، ب، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٩٧ ـ ٢٩٩ رقم ٢٥٩، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٠٦، وتاريخ الخلفاء ٤٣١، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٧٢، وأسماء الرجال، له (مخطوط) ٦٤ب، وكشف الظنون ٤٠١، ٦٩٠، ١٠٢٥، وشذرات الذهب ٤/ ١٦، ١٧، وهدية العارفين ٨١٦٢، وديوان الإسلام ٣/ ١٢٨، رقم ١٢٦٢ والأعلام ٥/ ٣١٦، ومعجم المؤلفين ٨/ ٢٥٣، تاريخ الإسلام (السنوات ٥٠١ ـ ٥١٠هـ) ص١٦٥ رقم ١٩٢.

(٢) الشاشي: نسبة إلى مدينة الشاش من أعمال سمرقند. أهلها كلهم شافعية.

خَلَتِ الديارُ فَسُدتُ غيرَ مُسَوَّدٍ ومِنَ البلاءِ تفرُّدِي بالسُّؤْدِدِ

وجعل يردد هذا البيت، ويبكي أسفاً؛ لخلو الزمان، وذهاب أهله حتى هتف باسمه، وقيل: فلان.

وتوفي يوم السبت خامس عشرين شوال سنة سبع وخمسمائة ببغداد، ودفن مع الشيخ أبي إسحاق في قبر واحد.

ومنهم:

[٣٨]

أسعد بن أبي نصر بن أبي الفضل الميهني، الفقيه الشافعي، مجد الدين، أبو الفتح[(١)]

حاز الفخر الفخم، والشرف الضخم، وارتد عنه كل مناظر، لا يبرز جوهره صدفة، ولا يجلي قمره سدفة، بجدل ألزم للخصم من الظل، وأثبت في الصدر من الغل، وكان لا يزال خصيمه معه، كلما كتب محا، وكلما صور دحا، وهو لا يستطيع معه إلاَّ أن يصبر على مضض، ويبصر عن مرض، يرجو رواج بهرجه، وهو زيف، ويبدي التحكم، وهو ضيف، ويؤمل أن يقاوم حقيقة اليقظة وهو مجاز طيف.

تفقه بمرو، ثم رحل إلى غزنة، واشتهر بتلك الديار، وشاع فضله، ثم ورد بغداد، وفوض إليه التدريس بالنظامية مرتين، وخرج إلى العسكر، فتولى غيره مكانه.

وكان إماماً مبرزاً في الفقه والخلاف، وله فيه «تعليقة» مشهورة، اشتغل عليه الناس، وانتفعوا به وبطريقته الخلافية.

قال أبو سعد السمعاني في ذيله: قدم علينا من جهة السلطان محمود السلجوقي رسولاً إلى مرو، ثم توجه رسولاً إلى بغداد إلى همذان فتوفي به سنة سبع وعشرين وخمسمائة.

قال السمعاني: سمعت أبا بكر محمد بن علي الخطيب يقول: سمعت فقيهاً من أهل قزوين ـ كان يخدم الإمام أسعد في أواخر عمره بهمذان ـ قال: كنا في بيتٍ وقت

---

(١) **ترجمته في**: طبقات الشافعية للسبكي ٧/ ٤٢، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٢٩، طبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٤٢٤، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٨٨، المنتظم ١٧/ ٢٧٨، وفيات الأعيان ١/ ٢٠٧، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٦٣٣، تبيين كذب المفتري ٣٢٠، الكامل في التاريخ ١٠/ ٢٨١، البداية والنهاية ١٢/ ٢٠٠ ـ ٢٠٥، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٣٣، شذرات الذهب ٤/ ٨٠، وفيات الأعيان ١/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨، العبر ٤/ ٧١، الكامل لابن الأثير ١٠/ ٢٨١، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٥٢، .

/ ١٨٤/ أن قرب حاله، فقال لنا: اخرجوا عني من ها هنا، فخرجنا، فوقفت على الباب، وتسمعت فسمعته يقول ويلطم وجهه: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[1] وجعل يبكي ويلطم وجهه، ويردد هذه الكلمة إلى أن مات.

ومنهم:

[٣٩]

محمد بن يحيى بن أبي منصور النيسابوري، محيي الدين، أبو سعد[2]

أستاذ المتأخرين وأوحدهم علماً وزهداً، وعُلاً حلّ ربًى لا وهداً. علا جده، ودنا رفده، وعرف به معنى الغزالي الذي ما حاكته خيوط الغمام، ولا حاكته لمعُ النجوم المدَّثرة في بردُ الظلام، وما مات أبو حامد حتى حمد منه خلفاً، وشيد للطلبة كنفاً، وأورد ما صفا، وجدَّد ما عفا، واطلع من خراسان بدراً لا يسكن سدفاً، بل شمساً اتخذت له في كل بيت بها شرفاً، فما أخلف له وعد، ولا خلدَ إلى حركة إلاَّ كان فيها أبا سعد.

تفقه على أبي حامد الغزَّالي وغيره، وبرع في الفقه، وصنف فيه وفي الخلاف، وانتهت إليه رئاسة الفقهاء بنيسابور، ورحل إليه الناس من البلاد، واستفاد منه خلقٌ كثيرٌ صار أكثرهم سادة، وأصحاب طرق في الخلاف.

وكان له حظٌّ في التذكير، واستمداد من سائر العلوم، ودرس بنظامية نيسابور ثم درَّس بمدينة هراة بالنظامية.

---

(١) سورة الزمر: الآية٥٦.

(٢) ورد اسمه في بعض المصادر: محمد بن يحيى بن منصور النيسابوري.

ترجمته في: التحبير ٢/ ٢٥٢ـ ٢٥٣ رقم ٩٠٨، والكامل في التاريخ ١١/ ١٧٨ـ ١٨١، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٩٥، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٢٣ـ ٢٢٤، ودول الإسلام ٢/ ٦٤، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٢٥، والمعين في طبقات المحدّثين ١٦٣ رقم ١٧٥٨، وفيه: «محيي الدين محمد بن يحيى بن أبي منصور»، والعبر ٤/ ١٣٣، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣١٢ ـ ٣١٥ رقم ٢٠٨، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٧٧، ومرآة الجنان ٣/ ٢٩٠ـ ٢٩١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/ ١٩٧ـ ١٩٨، والوافي بالوفيات ٥/ ١٩٧، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٥٥٩ـ ٥٦٠، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٣٣٢ـ ٣٣٣ رقم ٢٩٩، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٠٥، وتاريخ الخلفاء ٤٤٢، وشذرات الذهب ٤/ ١٥١، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٢٠٥ـ ٢٠٦، وكشف الظنون ١/ ١٧٤ و٢/ ٢٠٠٨، وروضات الجنات ١٨٦، وهدية العارفين ٢/ ٩١، والأعلام ٨/ ٧؛ وديوان الإسلام ٤/ ١٣٥ رقم ١٨٤٣، ومعجم المؤلفين ١٢/ ١١١، والكنى والألقاب للقمّي ٣/ ١٤٤ـ ١٤٥، تاريخ الإسلام (السنوات ٥٤١ ـ ٥٥٠هـ) ص٣٣٧ رقم ٤٧٣ .

وحضر بعض فضلاء عصره درسه، وسمع فوائده، وحسن إلقائه، فأنشده: [من الوافر]

رفاتُ الدينِ والإسلام تحيا بمُحيي الدينِ مولانا ابنِ يحيى
كأنَّ اللهَ ربَّ العرشِ يُلقي عليهِ حينَ يُلقي الدرسَ وَحْيا

ومن شعر أبي سعد المذكور: [من الطويل]

/١٨٥/ قالوا يصيرُ الشَّعْرُ في الماءِ حَيّةً إذا الشمسُ لاقتْهُ فما خِلْتُهُ صِدْقا
فلمَّا ثوى صُدْغاهُ في ماءِ وجهِهِ وقدْ لَسَعَا قَلْبي تيقنتُه حَقَّا

توفي شهيداً في رمضان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة بنيسابور، ودس في التراب، وكان استشهاده في وقعة السلطان سنجر السلجوقي.

ومنهم:

[٤٠]

أبو القاسم، عمر بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عكرمة[(١)]، المعروف بابن البَرْزي[(٢)]، الجزري، الفقيه الشافعي

إمام جزيرة ابن عمر، زين الدين، جمال الإسلام، ومال آمالي الأقلام، وزين الدين دين محمد عليه الصلاة والسلام. جَمَّل الإسلام باتساع علمه، وأوى الأمالي إلى شعاع فهمه، وزين الدين بالجوهر جوهر يمِّه، وأضاء في الليالي السالفة إضاءة القمر في تمه، وجاء في الأيام الذاهبة طرازاً لعصرها، وطرافاً ممدوداً على أبناء عمرها، ورداً في حلبة السبق ما قابلته صافية العصور بعذرها.

---

(١) ورد اسمه ولقبه في بعض المصادر: «عمر بن محمد بن أحمد بن عكرمة البَزْري»
ترجمته في: معجم البلدان ٢/ ١٣٨، والإستدراك لابن نقطة (مخطوط) باب: البزري والبرزي، والكامل في التاريخ ١١/ ٣٢١، وفيه: «عمر بن عكرمة»، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٤٤ـ ٤٤٥، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٤٢ـ ٤٣، والعبر ٤/ ١٧١، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٥٢ رقم ٢٤٠، وصفحة ٤٢٥، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٠٦، ومرآة الجنان ٣/ ٣٤٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٧/ ٢٥١ ـ ٢٥٣، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٢٥٧ـ ٢٥٨، وتوضيح المشتبه ١/ ٤٣٣، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٣٢٧ـ ٣٢٨ رقم ٢٩٣، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٧٠، وكشف الظنون ٢/ ١٩١٣، وشذرات الذهب ٤/ ١٨٩، وهدية العارفين ١/ ٧٨٤، ومعجم المؤلفين ٧/ ٣٠٦، والأعلام ٥/ ٢٢٢، تاريخ الإسلام (السنوات ٥٥١ ـ ٥٦٠هـ) ص٣٠٩ رقم ٣٥٠.

(٢) «البزري» بتقديم الزاي، ثم راء، وقد تحرّفت هذه النسبة في (الكامل ١١/ ٣٢١) إلى: البرزي، بتقديم الراء.

تفقه أولاً بالجزيرة، ثم رحل إلى بغداد، واشتغل على الكيا الهراسي، والغزالي، وصحب الشاشي، وأدرك جماعةً من العلماء، واستفاد منهم، ورجع إلى الجزيرة، ودرس بها، وقصد من البلاد الاشتغال بطريقته، وكان من العلم والدين في محل رفيع، كان أحفظ من بقي في الدنيا على ما يقال لمذهب الشافعي، وكان الغالب عليه المذهب، وانتفع به خلقٌ كثير.

مولده سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، وتوفي ثاني شهر ربيع الأول، وقيل: الآخر سنة ستين وخمسمائة بالجزيرة، وما خلف مثله، وله تلامذة كثيرون.

ومنهم:

[٤١]

عبد الله بن محمد بن هبة الله بن مطهر بن أبي عصْرون التميمي(١)، الحديثي، ثم الموصلي، الفقيه الشافعي، شرف الدين، أبو سعد

ذو عِلمٍ يهتدى بكوكبه، وعَلم يقتدى بموكبه، وحلم رُدِّيَ رداؤه على كبكبه،

---

(١) **ترجمته في**: الكامل في التاريخ ١٢/ ٤٢، وخريدة القصر (قسم العراق) ١/ ١٢، و(قسم شعراء الشام) ٢/ ٣٥١ ـ ٣٥٧، والفتح القسّي ٣٥٥، وطبقات الشافعية لابن الصلاح ١/ ٥١٢ ـ ٥١٦ رقم ١٨٧، والتكملة لوفيات النقلة ١/ ٢٠٠ ـ ٢٠٥ رقم ٨٢، والروضتين ٢/ ٦٧٣، ووفيات الأعيان ٣/ ٥٣ ـ ٥٧ رقم ٣٣٥، ورحلة ابن جبير ٤، والدرّ المطلوب ١٠٩ (وفيه توفي ٥٨٧هـ)، وديوان ابن الدهان ١٠٧ـ ١٠٨، وتاريخ ابن الدبيثي (مخطوطة باريس ٥٩٢٢) ورقة ١٠٢، و(المطبوع) ١٥/ ٢٢١، وطبقات الشافعية للنواوي (مخطوط) ورقة ٥٩، والمختصر المحتاج إليه ٢/ ١٥٨ ـ ٦٠ رقم ٧٩٥، والعبر ٤/ ٢٥٦، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٤١، ودول الإسلام ٢/ ٩٧، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٢٥ ـ ١٢٩ رقم ٦٣، والمعين في طبقات المحدثين ١٨٠ رقم ١٩١٣، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٤٩ـ ١٥٠ رقم ١٠٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/ ٢٢٧ (٧/ ١٣٢ ـ ١٣٧ رقم ٨٣٤)، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ١٩٣ ـ ١٩٦ رقم ٨١٠، والبداية والنهاية ١٢/ ٣٣٣، ومرآة الجنان ٣/ ٤٣٠، ونكت الهميان ١٨٥، وفيه «عضرون» وهو تحريف ١٨٦، والوافي بالوفيات ١٧/ ٥٧٨ ـ ٥٧٤ رقم ٤٧٩، وطبقات الشافعية لابن كثير (مخطوط) ورقة ١٤٠ ب، ١٤١ أ، والعقد المذهب لابن الملقن (مخطوط) ورقة ٧٠، وذيل التقييد للفاسي ٢/ ٦٥ رقم ١١٦٢، وغاية النهاية ١/ ٤٥٥ رقم ١٨٩٩، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٣٦١ ـ ٣٦٣ رقم ٣٢٨، والإعلام، له (مخطوط) ورقة ٢١١، والعسجد المسبوك ٢٠٧ـ ٢٠٨، والسلوك للمقريزي ج١ ق١/ ١٠٣، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٠٩، وتاريخ الخلفاء ٤٥٧، وشذرات الذهب ٤/ ٢٨٣ـ ٢٨٤، والدارس ١/ ٣٠٣ ـ ٣٠٥، والقضاة الشافعية للنعيمي ٤٩ ـ ٥١ رقم ٨٣، وكشف الظنون ٦٧، ١٧٤، ٤٩٣، ٥٢٠، ٨٨٣، ١٤٥٥، ١٥٧٣، ١٦٥٤، ١٩١٣، ١٩٩٠، وإيضاح المكنون ١/ ٥٤٣، وهدية العارفين ١/ ٥٤٧ـ ٥٤٨، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٢١٢، ٢١٣، وديوان الإسلام ٣/ ٣٦٧ـ ٣٦٨ رقم ١٥٤٦، والإشارات إلى أماكن الزيارات لابن الحوراني ٣٢، وفهرس المخطوطات المصورة ١/ ٢٨٧ـ ٢٨٨، والأعلام ٤/ ٢٦٨، ومعجم المؤلفين ٢/ ١٠٦، تاريخ الإسلام (السنوات ٥٨١ ـ ٥٩٠هـ) ص٢١٧ رقم ١٧٤ .

وعلاء قدرٍ أخذ بلمة النجم، ولم يزاحمه بمنكبه، وتقدم في تلك الأيام والسيوف تنتضي، وديون الدين تقتضى، والخصم لا ينقاد إلاَّ لحاكم الحتوف، ولا يذعن إلاَّ لقضاء السيوف، فقوى الله به مُنَّة الإسلام وشدَّها، وأورف ظلال الأحكام ومدها، وطعن بخطيته الثغور فثغور العدا هتَّمها[1]، وثغور الإسلام سدها، وأقام الهيبة، فنكست الرؤوس، وعدم في مجلسة الهوى، وكثر الناموس.

كان من أعيان الفقهاء، وفضلاء عصره، ومما سار ذكره، وانتشر أمره، قرأ في صباه القرآن الكريم، وتفقه، وقرأ الخلاف، وتوجه إلى واسط، فقرأ على قاضيها الشيخ أبي علي الفارقي، وأخذ عنه فوائد المذهب، ودرس بالموصل في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة، وأقام بسنجار مدة، ثم انتقل إلى حلب سنة خمس وأربعين، ثم قدم دمشق لمّا ملكها السلطان الشهيد نور الدين، ودرس بالزاوية الغربية من جامع دمشق المنسوبة إلى الإمام أبي حامد الغزالي، وتولى أوقاف المسجد، ثم رجع إلى حلب، وأقام بها، وصنف كتباً كثيرة في المذهب، كل مصنف في عدة مجلدات، واشتغل عليه خلق كثير، وانتفعوا به، وتعين بالشام، وتقدم عند نور الدين الشهيد، وبنى له المدارس بحلب وحماة وحمص وبعلبك وغيرها، وتولى القضاء بسنجار ونصيبين وحرانَ وغيرها. ثم ديار بكر ثم عاد إلى دمشق في سنة سبعين وخمسمائة، وتولى بها القضاء سنة ثلاث وسبعين /١٨٧/ عقيب انفصال القاضي ضياء الدين الشهروزري، ثم عُمي في آخر عمره قبل موته بعشر سنين، وابنه محيي الدين (ينوب عنه) وهو باقٍ على القضاء، وصنف جزءاً من «جواز قضاء الأعمى» وهو على خلاف مذهب الشافعي.

وذكر أبو الحسين العمراني صاحب كتاب «البيان» فيه وجهاً أنه يجوز وهو غريب.

وكتب السلطان صلاح الدين بخطه من دمشق إلى القاضي الفاضل بمصر فصولاً من جملتها حديث الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون، وما حصل له من العمى، وأنه يقول: إن قضاء الأعمى، جائز وأنَّ الفقهاء قالوا: إنّه غير جائز، فتجتمع بالشيخ أبي الطاهر بن عوف الإسكندراني، وتسأله عما ورد من الأحاديث في قضاء الأعمى هل يجوز أم لا، وبالجملة فلا شك في فضله.

---

(١) هتمه: كسر أسنانه.

وقد أثنى عليه عماد الدين الكاتب في الخريدة، وقال: ختمت به الفتاوى، وذكر له شيئاً من شعره منه قوله: [من الطويل]

أُؤَمِّلُ أنْ أحيا وفي كلِّ ساعةٍ تمرُّ بيَ الموتَى تُهَزّ نُعُوشُها
وهلْ أنا إلاَّ مثلُهم غيرَ أنَّ لي بَقَايا ليالٍ في الزمانِ أعيشُها

وأورد أيضاً في الخريدة قوله: [من الطويل]

أُؤَمِّلُ وصلاً من حبيبٍ وإنَّني على ثقةٍ عمَّا قليل أفُارِقُهْ
تَجارَى بنا خيلُ الحِمام كأنَّما يُسابقُني نحوَ الرَّدى وأُسابقُهْ
فيا ليتنا مُتنا معاً ثمَّ لمْ يَذُقْ مرارةَ فَقْدِي لا ولا أنا ذائِقُهْ

وأورد أيضاً قوله: [من البسيط]

يا سائلي كيفَ حالي بعدَ فُرقتِهِ حَاشَاكَ ممَّا بقلبِي مِنْ تَنَائِيكا
قدْ أقسمَ الدَّمعُ لا يجفُو الجُفونَ أَسًى والنومُ لا زارَها حتَّى أُلاقِيكا

/١٨٨/ وأورد له أيضاً: [من الطويل]

وما الدَّهرُ إلا ما مَضَى وهوَ فائِتٌ وما سوفَ يأتي وهوَ غيرُ محصَّلِ
وعيشُكَ فيما أنتَ فيهِ فإنَّه زمانُ الفتى مِنْ مُجْمَلٍ ومُفَصَّلِ

ومولده يوم الاثنين ثاني عشرين ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة بالموصل، وتوفي ليلة الثلاثاء الحادي عشر من شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسمائة بدمشق، ودفن بمدرسته التي أنشأها داخل البلد، وهي معروفة به.

ولما توفي ورد من القاضي الفاضل تعزية فيه جواباً عن كتاب جاءه في ذلك، وهي:

وصل كتاب الحضرة ـ جمع الله شملها، وسر بها أهلها، ويسَّر إلى الخيرات سبلها، وجعل في ابتغاء رضوانه قولها وفعلها ـ ومنه زيادة هي نقص الإسلام، وثلمٌ في البرية تتجاوز رتبة الانثلام إلى الانهدام، وذلك ما قضاه الله من وفاة الإمام شرف الدين بن أبي عصرون رحمه الله، وما حصل بموته من نقص الأرض من أطرافها، ومن مساءة أهل الملة ومسرة أهل خلافها، فلقد كان علماً للعلم منصوباً، وبقية من بقايا السلف الصالح محسوباً، وقدَ علم الله اغتمامي لفقد حضرته، واستيحاشي لخلو الدنيا من بركته، واهتمامي بما عدمته من النصيب الموفور من أدعيته.

ومنهم:

[٤٢]

الخضر بن نصر بن عقيل بن نصر الإرْبِليُّ، الفقيه الشافعي[1]

فقيه فاضل، وإمام رب فواضل، وهمام لا يثبت له مناضل، له في العلم آثارٌ بقيت بعده رياضاً وأشرقت إشراقاً لا إيماضاً، /١٨٩/ هذا إلى صدق سريرة، وحسن سيرة، وتقلل من الدنيا الكثيرة، وأخباره نَدٌّ في الأندية، وعقد في الأسماء المصغية، تروى بكل لسان، وتوصف أوصاف الحسان، يحكى عن زمانه النضر، وفنونه التي لا تُحدِّث في أفنانها إلاَّ عن الخضر.

كان فقيهاً، فاضلاً، عارفاً بالمذهب، والفرائض، والخلاف، اشتغل ببغداد على الكيا الهراسي، وابن الشاشي، ولقي عدةً من مشايخها، ثم رجع إلى إربل وبنى بها له الأمير أبو منصور سرفتكين الزيني نائب صاحب إربل مدرسة القلعة سنة ثلاث وخمسمائة، ودرس فيها زماناً، وهو أول من ذكر الدرس باربل.

وله تصانيف حسان كثيرة في التفسير والفقه، وغير ذلك، وله كتاب ذكر فيه ستاً وعشرين خطبة للرسول ﷺ، وكلها مسندة، واشتغل عليه خلق كثير، وانتفعوا به، وكان رجلاً صالحاً، زاهداً، عابداً، ورعاً، متقللاً، ونفسُه كان مباركاً.

وقدم إلى دمشق، وأقام بها مدة، ثم رجع إلى إربل، وتوفي بها في رابع عشر جمادى الآخرة، سنة سبع وستين وخمسمائة، ودفن بمدرسته التي بالربض في قبة مفردة وقبره يزار.

مولده سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

ومنهم:

---

(١) **ترجمته في**: تاريخ دمشق ط دار الفكر ١٦/ ٤٤٩ رقم ١٩٨٣، وتهذيبه ٥/ ١٦٥ـ ١٦٦، وتكملة إكمال الإكمال ٢٩، بالحاشية (٢)، ووفيات الأعيان ٢/ ١٠ رقم ٢٠٣، وتاريخ إربل ١/ ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧١ (في ترجمة: محمد بن علي بن جامع، رقم ٢٧٣)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/ ٢١٨، وطبقات الشافعية الوسطى، له (مخطوط) ورقة ٢٨٢ ب، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ١١٨ رقم ١٠٦، ومرآة الجنان ٤/ ٦٤، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٨٧ (في وفيات ٥٦٩هـ)، والوافي بالوفيات ١٣/ ٣٣٧ـ ٣٣٨ رقم ٤١٦، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٣٤١ـ ٣٤٢ رقم ٣٠٧، وطبقات المفسرين للسيوطي ١٣، وطبقات المفسرين للداوودي ١/ ١٦٣ رقم ١٦٠، وشذرات الذهب ٥/ ٨٦ (في وفيات ٦١٩هـ.!)، والأعلام ٢/ ٣٠٧، ومعجم المؤلفين ٤/ ١٠٢. وفي دار الكتب المصرية مخطوطة ناقصة من أولها فيها: أخبار خضر بن نصر بن عقيل، مجهولة المؤلف. انظر فهرس المخطوطات ١/ ٤٥، تاريخ الإسلام (السنوات ٥٦١، ٥٧٠هـ) ص٢٦٥ رقم ٢٤٤.

[٤٣]

محمد بن يونس بن محمد بن مالك بن محمد، عماد الدين، أبو حامد(١)

رجل من رجال الشرع المطهر، وبطل من الفقهاء دونه البطل المشهر، عالم من العلماء، وعامل على طريق القدماء، طلب العلم طلباً شرف قدره في الأنام، وشرّد عن جفنه المنام، ومنع خده أن يستقر على وساد، وجنبه أن يلامس مضجعاً حتى شَرُفَ وساد، صحب الأيام على هذا الاجتهاد، /١٩٠/ وقطع الليالي في هذا الجهاد، ولم يدع بحراً ولا ثماداً، ولا ربيعاً ولا جمادى، حتى حاز في السبق آمادا، ونصب للدين عمادا، وأتته وفود الطلب تمد مطيها الأعناق، وترد من جواهره بالأعلاق.

كان إمام وقته في المذهب والأصول والخلاف، وله صيت عظيم، وقصده الفقهاء من البلاد الشاسعة للاشتغال، وتخرج عليه خلق كثير، صاروا كلهم أئمة مدرسين يشار إليهم.

وكان مبدأ اشتغاله على أبيه بالموصل ثم توجه إلى بغداد، وتفقه بالنظامية، وعاد إلى الموصل، وخطب بالجامع المجاهدي، ودرس بها بمدارس، وصنف في المذهب، وتقدم في دولة نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل، تقدماً كثيراً، وتوجه عنه رسولاً إلى بغداد غير مرة، وإلى الملك العادل، وناظر في ديوان الخلافة في مسألة شراء الكافر للعبد المسلم في سنة ست وتسعين وخمسمائة، وولي القضاء

(١) ورد اسمه في بعض المصادر: «محمد بن يونس بن منعة بن مالك...»
ترجمته في: الكامل في التاريخ ١٢/٢٩٨، وتاريخ ابن الدبيثي (باريس ٥٩٢١) ورقة ١٧٦، ومرآة الزمان ج٨ ق٢/٥٥٨ـ ٥٥٩، والتكملة لوفيات النقلة ٢/٢٢٦ـ ٢٧٧ رقم ١١٩٨، وذيل الروضتين ٨٠، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٥٣ ـ ٢٥٥، وتلخيص مجمع الآداب ٤/ ق٢/ ٨٥٦ رقم ١٢٦٣، وتاريخ إربل ١/ ٥١، ١١٧، ١١٩ ـ ١٢١، ١٦٩، والمختصر المحتاج إليه ١/ ١٦٦، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٩٨، رقم ٢٥٨، وتاريخ ابن الوردي٢/ ١٣١، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٥٦٩ـ ٥٧٠، وطبقات الشافعية لابن كثير، ورقة ١٥٥ ب، ١٥٦ أ، والوافي بالوفيات ٥/ ٢٩٢ رقم ٢٣٥٠، والعقد المذهب لابن الملقن، ورقة ٧٥ـ ٧٦، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٣٩٨ـ ٣٩٩ رقم ٣٦٧، والعسجد المسبوك ٢/ ٣٣٨ـ ٣٣٩، وعقد الجمان ١٧/ ورقة ٣٣٥، والفلاكة والمفلوكين ٨٤، والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٤٢، ومعجم الشافعية لابن عبد الهادي، ورقة ٦٨، وشذارت الذهب ٥/ ٣٤، وإيضاح المكنون ١/ ٧٥، وهدية العارفين ٢/ ٤٧٩، وديوان الإسلام ٤/ ٤١٢ رقم ٢٢٣١، والأعلام ٧/ ٣٣٢، ومعجم المؤلفين ١٣/ ٥١، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠هـ) ص٣١٠ رقم ٤٢١ .

بالموصل، وكان شديد الورع والتقشف، لا يلبس الثوب الجديد حتى يغسله، ولا يمسك قلم الكتابة إلاَّ ويغسل يده، وكان دمث الأخلاق، لطيف الخلوة، ملاطفاً بحكايات وأشعار، وكان كثير المواظبة لنور الدين صاحب الموصل يرجع إليه في الفتاوى ويشاوره في الأمور، ولما توفي نور الدين سنة سبع وستمائة توجه إلى بغداد بسبب تقرير ولده الملك القاهر مسعود، فعاد وقد قضى الشغل، ومعه الخلعة والتقليد، فتوفرت حرمته عند القاهر أكثر مما كانت عند أبيه، وكان مكمل الأدوات، غير أنه لم يرزق سعادة في تصانيفه؛ فإنها ليست على قدر فضائله.

وولد بقلعة إربل سنة خمس وثلاثين وخمسمائة في بيت صغير منها، /١٩١/ ولما وصل إلى إربل في بعض رسائله، دخل ذلك البيت، وتمثل بالبيت المشهور وهو: [من الطويل]

بلادٌ بها نِيطَتْ عليَّ تمائمي وأولُ جِلْدٍ مَسَّ جِلْدِي ترابُها

وتوفي يوم الخميس تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وستمائة. وكان الملك المظفر صاحب إربل يقول: رأيت الشيخ عماد الدين في المنام بعد موته، فقلت له: ما مت؟ فقال: بلى ولكن مخترم.

ومنهم:

[٤٤]

أحمد بن موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك الفقيه الشافعي، شرف الدين(١)

جرى لشأو آبائه، ومضى على ما عرف من أنبائه، ومثَّلهم في المشاهد حضوراً، وفي المعاهد بدوراً، وأحلهم في المحافل صدوراً، فقاموا به من حفر اللحود، وقالوا فلم يستطع الخلق الجحود، فكان يفيت القمر اللائح، ويفيد العنبر الفائح، ويؤيد الشريعة المطهرة بتقريره لقواعدها، وإنجازه لمواعدها، ومحاماته عن جنابها

(١) **ترجمته في**: طبقات الشافعية للسبكي ٨/ ٣٩، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٧٢، طبقات الشافعية للإسنوي ٢رقم ١٢٧٣، وفيات الأعيان ١/ ١٠٨، سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٤٨، دول الإسلام ٢/ ٩٥، التكملة للمنذري ٣/ ١٤٥ رقم ٢٠٣٣، العسجد المسبوك ٢/ ٤١٤ ـ ٤١٥، مرآة الجنان ٤/ ٥٠ ـ ٥٢، شذرات الذهب ٥/ ٩٩ البداية والنهاية ١٣ ، ١١١ ، ١١٢، ديوان الإسلام ٤/ ٤١٣، معجم المؤلفين ٢/ ١٩٠، كشف الظنون ٢٤ ـ ٤٨٩، هدية العارفين ١/ ٩١ تاريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠هـ) ص٩٤ ـ ٩٥ رقم ٧٢ الأعلام ١/ ٢٦١.

المحمي، ومراماته لمنكر فضلها العلمِي، حتى غدت بشهبه محروسة السماء، مأنوسة الأرجاء في الظلماء، لا يختطف الخطفة منها مارد، ولا يذاد عن حياضها وارد.

كان إماماً كبيراً، فاصلاً، عاقلاً، حسن السمت، جميل المنظر، شرح «التنبيه» فأجاد، واختصر «إحياء علوم الدين» للغزالي مختصرين كبيراً وصغيراً، فأحسن، وكان يلقي منه في جملة دروسه درساً حفظاً، وكان كثير المحفوظات، غزير المادة وهو من بيت العلم والرئاسة والفضل، ويسبح على أموال والده في التفنن في العلوم، وتخرج عليه جماعة كثيرة، وتولى التدريس بإربل بمدرسة الملك / ١٩٢/ المعظم، ثم انتقل إلى الموصل بعد أن حج ودرَّس بالقاهرية، وأقام بها ملازماً للاشتغال والإفادة إلى أن توفي يوم الاثنين رابع عشرين ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وستمائة، وكان من محاسن الوجود.

ومنهم:

[٤٥]

عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن السُّلمي الدمشقي[(١)]، شيخ الإسلام، عز الدين، أبو محمد

بحر لا حد له من أئمة الإسلام، وعلم لا يمكن تعريفه كبقية الأعلام، كان

---

(١) **ترجمته في**: ذيل الروضتين ٢١٦، ونهاية الأرب ٣٠/ ٦٦ ـ ٧٧، وذيل مرآة الزمان ١/ ٥٠٥ـ ٥٠٦، وتالي كتاب وفيات الأعيان للصقاعي ٩٥، رقم ١٤٢ والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٢١٥، والدرة الزكية ٩٣، والوفيات لابن قنفذ ٣٢٧ـ ٦٦٠، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٧٦، والعبر ٥/ ٢٦٠، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٥٨، والمعين في طبقات المحدثين ٢١٠ رقم ٢٢٠١، ودول الإسلام ٢/ ١٦٦، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١٥، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ١٩٧ ـ ١٩٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٥/ ٨٠ ـ ١٠٧ (٨/ ٢٠٩ ـ ٢٥٥)، وطبقات الشافعية لابن كثير، ورقة ١٧٥ ـ ١٧٦ أ، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٣٥، ٢٣٦، ومرآة الجنان ٤/ ١٥٣ ـ ١٥٨، وطبقات الشافعية للمطري، ورقة ١٩٦ ب، وفوات الوفيات ٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥٢، وذيل التقييد للفاسي ٢/ ١٢٨ رقم ١٢٨٧، والوافي بالوفيات ١٨/ ٥٢٠ ـ ٥٢٢، وتاريخ علماء بغداد لابن رافع ١٠٤، ١٠٧، والسلوك ج١ ق٢/ ٤٧٦، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٤٤٠ ـ ٤٤٢ رقم ٤١٢، والدليل الشافي ١/ ٤١٦، والمنهل الصافي ٧/ ٢٨٦ ـ ٢٨٩ رقم ١٤٣ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٨، وحسن المحاضرة ١/ ٣١٤ـ ٣١٦، وتاريخ الخلفاء، ٤٨٣، وطبقات المفسرين للداوودي ١/ ٣٠٨ ـ ٣٢٣، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٢٢٢ـ ٢٢٣، ومفتاح السعادة لطاش كبرى ٢/ ٢١٢، وشذرات الذهب ٥/ ٣٠١ـ ٣٠٢، وبدائع الزهور ج١ ق١/ ٣١٧ـ ٣١٨، والأعلام ٤/ ١٢٤، وتاريخ ابن سباط ١/ ٤٠٦، وعقد الجمان (١) ٣٣٨ـ ٣٣٩، وكشف الظنون ٩٢، ١١٦، ٢٢٠، ٢٦٠، ٣٩٩، ٤٣٩، ٤٥٣، ٨٨٣، ١٠٢٧، ١٠٨١، ١١٤٣، ١١٥٨، ١٢١٩، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٥٩٠، ١٧٩٠، ١٨١٧، =

منتصراً لمذهب أبي الحسن الأشعري، منتصباً لخصم خصمه الجري، شديد البغضاء لأهل التجسيم، قد أورثهم سل الأسقام، وسل عليهم الانتقام، وسلط عليهم التضييق في كل مقام، وكان سيفاً من وقف أمامه طرق، وسيلاً من جاء قدامه غرق، وناره لا تبوخ، وأرضه لا تسوخ، ورواشق سهامه لا تخطىء المواقع، وبوائق فكره لا تُحِل الأعداء إلاَّ البلاقع، إلى أن دالت دولة الأشرف شاه أرمن موسى بن العادل، واستمر مريرها، وخضع منبرها له وسريرها، وكان يميل إلى هذه الخرقة، ويظن أنها المحقة، حتى أنست له أكثر حقوقه، وجرت مجرى الدم في عروقه، فأخذ في معارضته وتسكيت عارضته، ويأبى هو إلاَّ أن يجري على غلوائه، ويسري على أضوائه، والأشرف قد أشرف في خلافه، وأشرف على إتلافه، إلاَّ أن الله أنجده بالحصيري إمام الحنفية، فدخل على الأشرف القلعة، وهو على حماره، لم ينزل عنه إلاَّ على فرش داره، وقام الملك الأشرف حتى كان هو الذي نزله، وتلقاه وبجله، ثم أجلسه مكانه، وبذل في كرامته إمكانه، /١٩٣/ وأقبل عليه فرآه الأشرف قابلاً على ابن عبد السلام، قائلاً إنه على معتقده، وهو من دان دين الإسلام، فلم يسع الأشرف الرد عليه، ولا سلم بباطنه إليه فقوي ابن عبد السلام بعد أن وهن، وتكلم بعد أن سكت، وتراجعت سورة غضبه لربه، وترادت عزيمته إلى جهاده وذبّه، وكان آخر حاله أنه نُفي وكفوا همه وكفى.

ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة أو في التي بعدها، وسمع حضوراً من أحمد بن حمزة بن الموازيني، وبركات بن إبراهيم الخشوعي، وسمع من عبد اللطيف بن أبي سعيد، والقاسم بن عساكر، وطائفة من المشايخ، ولم يكثر من السماع. حدث عنه الدمياطي، وابن دقيق العيد، وأبو الحسين اليونيني، وشهاب الدين بن فرج، والقاضي جمال الدين محمد بن سوم المالكي، وعلم الدين الدواداري، وخطيب حلب أبو عبد الله بن بهرام، والمصريون.

وبرع في العربية والأصول، وبلغ رتبة الاجتهاد، واخرج به الأصحاب، وانتهت إليه معرفة المذهب، مع الذكاء المفرط، وسعة المعرفة، وفقه النفس، والعبادة، والنسك، والقول بالحق المر، وقد ولي خطابة دمشق بعد الدولعي.

= ١٨٥٥، ١٩٨٥، وإيضاح المكنون ١/ ٨٤ـ ١٦٧، ٦٣١، وهدية العارفين ١/ ٥٨٠، وديوان الإسلام ٣/ ٢٨٩ـ ٢٩٠ رقم ١٤٤٣، وفهرس المخطوطات المصورة ٢٤٩ـ ٢٨٧، ومعجم المؤلفين ٥/ ٢٤٩، ودرة الأفلاك ١/ ورقة ٢٩، وعيون التواريخ ٢٠/ ٢٧٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ ـ ٦٦٠هـ) ص ٤١٦رقم ٥٣٤.

قال الشريف عز الدين في الوفيات: حدث، ودرَّس، وأفتى، وصنف، وولي الحكم بمصر مدة، والخطابة بجامعيها العتيق، وكان علم عصره في العلم، جامعاً لفنون متعددة عارفاً بالأصول والفروع والعربية، مضافاً إلى ما جبل عليه من ترك التكلف، والصلابة في الدين، وشهرته تغني عن الإطناب في وصفه.

ولي الخطابة فلما تملك دمشق الملك الصالح إسماعيل، وأعطى الفرنج الشقيف وصفد تألم /١٩٤/ الشيخ، ونال من الصالح، وترك الدعاء له في الخطبة عمداً، فعزله، واعتقله، ثم أطلقه. فنزح هو وابن الحاجب إلى مصر، فتلقاه السلطان نجم الدين، وبالغ في احترامه إلى الغاية، واتفق موت قاضي القاهرة شرف الدين ابن عين الدولة فولَّى بعده قاضي القضاة بدر الدين السنجاري ولي قضاء مصر نفسها، والوجه القبلي الشيخ عز الدين مع خطابة جامع مصر، فاتفق أن بعض غلمان الصاحب معين الدين بن الشيخ بنى بنياناً على سطح مسجد بمصر، وجعل فيه طبلخاناه الصاحب، فأنكر الشيخ عز الدين ذلك، ومضى بجماعته، وهدم البناء، وعلم أن السلطان والصاحب يغضب من ذلك، فأشهد على نفسه بإسقاط عدالة معين الدين، وعزل نفسه عن القضاء، فعظم ذلك على السلطان، وقيل له: اعزله عن الخطابة، وإلاَّ شنع على المنبر، كما فعل بدمشق فعزله، فأقام في بيته يشغل الناس، وكانت عند الأمير حسام الدين بن أبي علي شهادة تتعلق بالسلطان، فجاءه لأدائها، فنفذ يقول للسلطان: هذا ما أقبل شهادته، فتأخرت القضية، ثم أثبتت على السنجاري، وله أفعال من هذا الجنس محمودة، وقد رحل إلى بغداد، فأقام بها أشهراً، وذلك في سنة سبع وتسعين.

وكتب عبد الملك بن عساكر: إن الشيخ عز الدين لما ولي خطابة دمشق فرح به المسلمون، إذ لم يصعد هذا المنبر من مدة مديدة [من هو] في علمه وفتياه، وكان لا يخاف في الله لومة لائم، لقوة نفسه، وشدة تقوله، فأمات من البدع ما أمكنه، فغير ما ابتدعه الخطباء، وهو لبس الطيلسان للخطبة، والضرب بالسيف ثلاث مرات، وإذا قعد لم يؤذن إلا واحد، /١٩٥/ وترك الثناء، ولزم الدعاء، وكانوا يقيمون للمغرب عند فراغ الآذان، فأمرهم بالتمهل، وكانوا في دبر كل صلاة يقولون: إنَّ الله وملائكته يصلون، فأمرهم أن يقولوا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الحديث.

ولما مرض بعث الملك الظاهر يقول: عين مناصبك لمن تريد من أولادك، فقال: ما فيهم من يصلح، وهذه المدرسة الصالحية تصلح للقاضي تاج الدين، ففوضت إليه بعده.

قال قطب الدين اليونيني[١]: كان رحمه الله مع شدته، فيه حسن محاضرة بالنوادر والأشعار، وكان يحضر السماع ويرقص ويتواجد. مات في عاشر جمادى الأولى سنة ستين وستمائة، وشهد جنازته الملك الظاهر والخلق.

وقال أبو شامة[٢]: شيعه الخاص والعام، ونزل السلطان. قال: وعمل العزاء له في جامع العقيبة، وكان مقتصداً في لباسه، تاركاً للتكبر، مقدماً في العلم والعمل. ومن نظر في تصانيفه عرف قدره.

ومنهم:

[٤٦]

محمد بن أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر قاضي القضاة، ذو الفنون، شهاب الدين، أبو عبد الله ابن قاضي القضاة شمس الدين[٣]، أبو العباس الخُوَيِّي[٤]

غمام لا ينزف من العلوم، ومنهل لكل طالب منه شرب يوم معلوم، جبل إذا استقرت الحلوم، ونار إذا جف ويبس حطب الظلوم، ولد ذلك الوالد الذي نشأت من

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٧٥.

(٢) الذيل على الروضتين ٢١٦.

(٣) **ترجمته في**: تالي كتاب وفيات الأعيان ٦، ٧ رقم ٤، والمقتفي ١/ورقة ٢١٦ أ، وتاريخ حوادث الزمان ١/ ٢٣٢ ـ ٢٣٥ رقم ١٠٨، ومعجم شيوخ الذهبي ٤٥٩ـ ٤٦٠ رقم ٦٧٢، والمعجم المختص ٩٣ رقم ١٠٩، والمعين في طبقات المحدثين ٢٢١ رقم ٢٢٩١، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٨٠، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٩٠، والعبر ٥/ ٣٧٩، ومرآة الجنان ٤/ ٢٢ «وفيه : شهاب الدين ابن قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن الخليل...» وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٥٠٠، والبداية والنهاية ٣٣٧/١٣، ودرة الأسلاك ١/ورقة ١٢٠، وتذكرة التنبيه ١/ ٦٦٦ و١٧٠ ـ ١٧٢، وفوات الوفيات ٢/ ٣٦٨ رقم ٣٨٩، وعيون التواريخ ٢٣/ ١٦٦ ـ ١٦٩، والوافي بالوفيات ٢/ ١٣٧ رقم ٤٨٧، وذيل التقييد ١/ ٤٤ رقم ١٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٥/ ٨، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣/ ٤٧ ـ ٤٩ رقم ٤٨٥، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣٩، وتاريخ ابن الفرات ٨/ ١٨٩، والسلوك ج١ ق٣/ ٤، ٨، وحُسن المحاضرة ١/ ٥٤٣، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ٢/ ٩٤٥ ـ ٩٤٧ رقم ١٣، والمقفى الكبير ٥/ ١٦٦ رقم ١٧١٦، وبغية الوعاة ١/ ١٠، والدارس ١/ ٢٣٧، وعقد الجمان (٣) ١٤٧ ـ ١٤٩، والدليل الشافي ٢/ ٥٩١ رقم ٢٠٣١، وكشف الظنون ١٣٤ و١٥٥ و١٨٦٢ و١٢٦٩ و١٢٧٣ و١٧١٩ و١٨١٨، ونزهة النظار في قضاة الأمصار لابن الملقن ٢٠٦، ورفع الإصر، ورقة ٩٠ ب، وشذارت الذهب ٥/ ٤٢٣، وقضاة دمشق ٧٩، والأنس الجليل ٤٦٦، وروضات الجنات ٢٠٣، والأعلام ٦/ ٢١٩، ومعجم المؤلفين ٨/ ٢٥٨، وذيل المرآة ٤/ ورقة ١١٩ ـ ١٢١، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٩١ ـ ٧٠٠هـ) ص١٩١ رقم ١٨٥.

(٤) خُوَيّ: بضم الخاء المعجمة وفتح الواو وتشد الياء آخر الحروف. نسبة إلى بلد كبير مشهور بأذربيجان.

بحره سحابه، وتلألأ من شمسه شهابه، وولي القضاء بالديار المصرية، ثم بالشام، فقرت به قرارته، وكان قمره الطالع، وداره دارتهن، ولاذت به الطلبة، فكمل نشأتها، وأحيا في ظلمة الليل ناشئها، ونوه بأهل الاستحقاق، ونول ما أزال الشقاق، وكان على كرمه /١٩٦/ ربما بخل، وضن وطالما وهب سجاياه الغمام ونحل.

قال شيخنا ابن الزملكاني: لو لم يقدر الله أن ابن الخويي يجيء إلى دمشق لما جاء منا فاضل، وبه انتفع الجماعة: ابن الوكيل، وابن الزملكاني، وابن الفركاح، وغيرهم، واشتغلوا عليه، وأذن له بالفتوى، ثم كان ينبه عليهم، ويذكرهم بالعلم والفضيلة.

ولد في شوال سنة ست وعشرين وستمائة، ونشأ بدمشق في صغره، ومات والده وله إحدى عشرة سنة، فبقي منقطعاً بالعادلية، ثم أدمن الدرس والسهر، والتكرار مدة بالمدرسة، وحفظ عدة كتب، وعرضها، وتنبه وتميز على أقرانه، وسمع في صغره من ابن اللتي، وابن المقير، والسخاوي، وابن الصلاح، وأجاز له خلق من أصبهان، وبغداد، ومصر، والشام، وخرّج له تقي الدين عبيد الحافظ معجماً حافلاً، وحدَّث بمصر، وصنف كتاباً كبيراً في مجلد يحتوي على عشرين علماً.

وأجاز له عمر بن كرم، وأبو حفص السهروردي، وابن منده، وهذه الطبقة، ولازم الاشتغال في كبره، وصنف، وشرح «الفصول» لابن معط، ونظم «علوم الحديث» لابن الصلاح، و «الفصيح» لثعلب و «كفاية المتحفظ» وشرح من أول «الملخص» للقابسي خمسة عشر حديثاً في مجلد. قال الذهبي: فلو تم هذا الكتاب لكان أكبر من التمهيد، وأحسن أبدي.

وله مدائح نبوية، وكان من الأذكياء الموصوفين، وانتظار المصنفين، يبحث بتؤدة وسكينة، ويحب الذكي، وينوه باسمه، وكان حسن الأخلاق، حلو المجالسة، ديناً، متصوناً، صحيح الاعتقاد، يحب الحديث وأهله، ويقول: أنا من الطلبة.

درّس وهو شاب بالدماغية، ثم ولي قضاء القدس قبل هؤلاء، قال الذهبي: ثم انجفل إلى القاهرة، فولي قضاء القاهرة، والوجه /١٩٧/ البحري خاصة. اقتطع له من ولاية الوجيه البهنسي، وأقام البهنسي على قضاء مصر والوجه القبلي إلى أن توفي.

قال أبو حيان: تولى القضاء بالمحلة من الغربية، ثم تولى قضاء القاهرة، وما ينسب إليها. انتهى.

وتولى موضعه تقي الدين ابن بنت الأعز، ثم نقل الخويي إلى الشام، ومات

الخضر السنجاري، فجمع قضاء الديار المصرية لابن بنت الأعز، ولما مات ابن الزكي بدمشق، نقل ابن الخويي إليها.

سمع منه ابن الفرضي، والمزي، والبرزالي، والختني، وغيرهما، وروى صحيح البخاري بالإجازة نوبة عكا، وسمع منه خلق. قال أبو حيان: سمعنا عليه مسند الدارمي. انتهى.

وكان يعرف من العلوم: التفسير، والأصولين، والفقه، والنحو، والخلاف، والمعاني، والبيان، والحساب، والفرائض، والهندسة.

[وحكى لي شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود الحلبي رحمه الله قال: حججت، وكان من جملة الحاج في تلك السنة قاضي القضاة شهاب الدين الخويي، فلما كنا بالموقف، تذاكرنا ما ورد في فضل يوم عرفة، وما ينزله الله تعالى من الرحمة والمغفرة لأهل الموقف حتى ذكرنا حديث «من ذكرني في نفسه»، فقال القاضي شهاب الدين الخويي: ليت شعري هل ذُكرنا بالملأ الأعلى، وإذا شخص ينادي على كتاب لا ندري ما هو، فقلت للخويي: ننظر في هذا الكتاب ما هو؟ ونأخذ منه فألاً في معنى ما نحن فيه، فدعونا الرجل، وأخذنا منه الكتاب، وفتحنا فيه فألاً، فإذا أول الصفحة اليمنى قول ابن الفارض[1]:

لِيَ البشارة فاخلعْ ما عليكَ فقدْ ذُكِرْتَ ثَمَّ على ما فيكَ مِنْ عوجِ

فتأملنا الكتاب فإذا هو ديوان ابن الفارض، فخلع القاضي شهاب الدين الخويي ثياب إحرامه، ودفعها إلى الرجل الذي كان معه الكتاب، وسر سروراً عظيماً لم يكن مثله].

ومن شعره: [من الكامل]

بِخَفِيِّ لُطفِكَ كلَّ سوءٍ أتَّقِي فامنُنْ بإرشادي إليهِ ووفِّقِ
أَحسنتَ في الماضي وإني واثقٌ بكَ أنَ تجودَ عليَّ فيما قدْ بَقِي
أنتَ الذي أرجو فما لي والورى إنَّ الذي يرجُو سواكَ هوَ الشَّقي

ومنه قوله: [من الكامل]

أَمَّا سِوَاكَ فبابَهُ لا أطرقُ حَسْبِي كَريمٌ جُودُهُ متدفِّقُ
ما إنْ يخافُ بظلِّ بابِكَ واقفٌ ظِمَأً وبحرُ نداكَ طامٍ مُغْدِقُ

---

(١) ديوان ابن الفارض ١٤٤ ـ ١٤٧.

بحبالِ جودِكَ لا يزالُ تعلُّقي ... ما خابَ يوماً مَنْ بها يتعلَّقُ
بُشرى لمَنْ أضحى رجاؤُكَ كنزَهُ ... ولهُ الوثوقُ بأنَّهُ لا يُملِقُ

ومنه: [من الطويل]

وهَبْنِي ملكتُ الأرضَ طُرّاً ونلتُ ما ... أُنيلَ ابنُ داودٍ مِنَ المالِ والمُلْكِ
/١٩٨/ ألستُ أُخلِّيهِ وأمْسِي مُسَلَّماً ... برُغمي إلى الأهوالِ في منزلٍ ضَنْكِ

ومنه قوله في ذم الخمر: [من الكامل]

أَضحَى على تركِ المُدام يلومُني ... فأَجبتُهُ لمَّا أطالَ مَلامِي
العقل أنفس حِلْيةٍ تكسُو الفَتى ... فَخراً فكيفَ أُزيلُهُ بحَرامِ

ومنه قوله: [من المتقارب]

هجرتُ المُدامةَ إذ حُرِّمتْ ... وما زلتُ مُغرًى بهجرِ الحَرَامِ
وأنفسُ ما للفَتى عقلُهُ ... فكيفَ يُزال بشُربِ المُدَامِ

ومنه قوله: [من الوافر]

مَساوي الخَمرِ لا تُحصى ولكنْ ... سأذكرُ بعضَها فاسمعْ مَقالي
حصولُ عُقوبةٍ وظهورُ سِرٍّ ... وفقدُ بصيرةٍ وذَهابُ مالِ

ومنه قوله: [من البسيط]

قالتْ: وقدْ أبصرتْ فضلي ومعرفتي ... ما لي أراكَ بعينِ الفَقْرِ مَلْحُوظا
فقلتُ: إنَّ الغِنى آلى وأقْسمَ لا ... يحنو على مَنْ غَدا بالعلم مَحْظُوظا
فقالتْ: أبشر بعلمٍ قدْ ظفِرتَ بهِ ... فالمالُ يفنى ويبقى العلمُ مَحْفُوظا[1]

ومنهم:

[٤٧]

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، البرمكي، الإربلي[2]، قاضي القضاة، شمس الدين، أبو العباس، الشافعي

أحنف وقته حلماً، وشافعي زمانه علماً، وحاتم عصره الذي لا يقاس به حاتم،

(١) بعدها بياض بمقدار خمسة أسطر.

(٢) **ترجمته في**: زبدة الفكرة ٩/ ورقة ٢٨٦ب، والمقتفي للبرزالي ١/ ورقة. ١١ب، وتالي وفيات الأعيان ٥ـ٦ رقم ٣، والمختصر في أخبار البشر ٤/ ١٦، ١٧، ودول الإسلام ٢/ ١٨٤، والعبر ٥/ ٣٣٤، =

وخاتم دهره الذي ختم به على الكرماء، ولم يفك له خاتم، من بقايا البرامكة الكرام، والسادة الذين لينوا جانب الدهر العرام، وكان زمنه مثال ذلك الزمان الذاهب، وعلى منوال ذلك الإحسان والمواهب، مع التخلق بتلك الخلائق التي كأنما بات يشب عنبرها، ويتخير من إكليل الثريا جوهرها، بحلم ما دار بمثله معاوية سورة غضبه، ولا دارى بشبيهه أبو مسلم أشتات عَصَبه، وكرما ما دانى السفاح غمامه، ولا دان به المأمون، وقد طلب الإمامة، هذا إلى أدب خف به الخفاجي، واستُصغر الوليدُ والطائي، مع إتقان في ضبط الوقائع وحفظ البدائع، وتحقيق الأسماء، وتحرير النقل لكل ما تحت خيمة السماء. أحد علماء عصره المشهورين، وسيد أدباء دهره المذكورين.

كان خبيراً بعلم الأدب، والنحو، واللغة، والعروض، حسن الشعر، عارفاً بالتواريخ، صحيح الذهن، كثير المروءة، وافر العقل، كامل الرئاسة، محباً للفضائل وأهلها. ولي قضاء الشام عشر سنين، ثم انفصل وسافر إلى الديار المصرية، وأقام بها

=
والمعين في طبقات المحدّثين ٢١٧ رقم ٢٢٥٤، والمختار من تاريخ ابن الجزري ٣٠٨ـ ٣٠٩، وذيل مرآة الزمان ٤/ ١٤٩ـ ١٦٥، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣٠، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٤٩٦ـ ٤٩٨، والبداية والنهاية ١٣/ ٣٠١، والوافي بالوفيات ٧/ ٣٠٨ رقم ٣٣٠٠ـ ٣١٦، وعيون التواريخ ٢١/ ٣٠٨ـ ٣١٣، ومرآة الجنان ٤/ ١٩٣ـ ١٩٧، وتذكرة النبيه ١/ ٧٤ـ ٧٥، وحُسن المحاضرة ١/ ٣٢٠، والدارس ١/ ١٩١ـ ١٩٣، والقلائد الجوهرية ١/ ١٢٣ـ ١٢٤ و٢/ ٤٣٥ـ ٤٣٨، ومفتاح السعادة ١/ ٢٠٨ـ ٢٠٩، وكشف الظنون ٢٠١٧، وشذرات الذهب ٥/ ٣٧١ـ ٣٧٣، وروضات الجنات ٨٧ـ ٨٩، وكنوز الأجداد ٣٣٨ـ ٣٤٢، ومعجم المؤلفين ٢/ ٥٩ـ ٦٠، وطبقات الشافعية الكبرى ٥/ ١٤، وفوات الوفيات ١/ ١٠٠، ووفيات الأعيان ١/ ٨٠ـ ٣٧٣، وتكملة إكمال الإكمال ٢٣١، وتبصير المنتبه ٤/ ١٤٠٣، وهدية العارفين ١/ ٩٩، وديوان الإسلام ٢/ ٢٤٢ـ ٢٤٣ رقم ٨٨٣، والأعلام ١/ ٢٢٠، وتاريخ ابن سباط ١/ ٤٨٠، والمعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ٢/ ٣٠٠ـ ٣٠٢، والمستدرك عليه (للتدمري ـ طبعة معهد المخطوطات العربية ـ القاهرة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م ص ٤٨أ، ومختارات من المخطوطات العربية النادرة في مكتبات تركيا ٦٣ـ ٦٤ رقم ٩١، ونهاية الأرب ٣١/ ٩٣، والدرة الزكية ٢٦٠، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٧١، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٨٤، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ٢/ ٩١٧ـ ٩٢١ رقم ٢، وفيه: «أحمد بن أحمد بن إبراهيم» وهو غلط، ومنتخب الزمان ٢/ ٣٦٤، وقضاة دمشق ٧٦، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣/ ٢٢ـ ٢٤ رقم ٤٦٣، وطبقات الشافعية الوسطى، للسبكي، ورقة ٣٦، وتاريخ الأدب العربي ١/ ٢٦٦، وذيله ١/ ٥٦١، وفهرس مخطوطات التاريخ بالظاهرية ليوسف العش ١٦٣، والتاريخ والمؤرّخون العرب ٤/ ٢٣ـ ٢٩، وذيل التقييد ١/ ٣٧٤ـ ٣٧٥ رقم ٧٢٦، والدليل الشافي ١/ ٧٤، وبدائع الزهور ج١ ق١/ ٣٥١ـ ٣٥٢، والمقفّى الكبير ١/ ٥٩٨ رقم ٦١٥، وتاريخ الخلفاء ٤٨٤، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي للتدمري ق٢ ج١/ ٣٥١ـ٣٥٣ رقم ٢٠٤، وديوان الإسلام ٢/ ٢٤٢ـ ٢٤٣ رقم ٨٨٣، تاريخ الاسلام (السنوات ٦٨١ـ ٦٩٠هـ) ص ٦٥ رقم٦.

مدرساً بالمدرسة الفخرية.

وكان لا يزال يتشوق دمشق وأوطانها، ويتذكر أهلها وقطانها، وفي ذلك يقول: [من الخفيف]

عَلِّلاني عَنِ الشِّامِ بِذِكْرٍ ... إنَّ قلبي إليهِ بالأَشْواقِ
مَثِّلَتْهُ الذِّكْرى لعينيْ كأنِّي ... أتمشَّى هناكَ بالأَحداقِ

قال الكندي: إنّه حكى له أنه طلب بعد عمل هذين البيتين بخمسة أيام، وولي القضاء بدمشق، فرجع إلى الشام متولياً، فاشتغل بقضاء القضاة ثلاث سنين، وانفصل، فأقام بدمشق مدرساً معظماً، مقصوداً إلى حين وفاته.

وأول اشتغاله على ابن يونس شارح التنبيه، مولده في ربيع الآخر سنة ثمان وستمائة بإربل، /٢٠٠/ وحكى أنه كان في زمن صباه أيام اشتغاله بحلب يحب غلاماً بها كان في بعض الأحايين يغشاه، ويسل عليه سيوف حدقه، ولا يخشاه، فانقطع عنه مدة لم يستطع هو فيها أن يقصده لكشف خبره، ويتعرف ما الذي أوجب حجب قمره، فأتاه الغلام كالعاتب، فألفاه وهو في تقييد درسه يملي على كاتب، فقام إليه وعزم عليه أن يجلس إليه ساعة يقضي بها فائت نظره، ويقنع بها في الدنيا من وطره، فقال له: اقعد واشتغل في الفقه على ذلك، ولا تخدعني بمحالك فقال: [من البسيط]

وما تغيَّرتُ عَنْ ذاكَ الودادِ ولا ... حالتْ بي الحالُ عَنْ عَهدي وميثاقي
دَرْسِي غَرَامي بكُمْ دَهْرِي أُكرِّرُهُ ... فقدْ تفقَّهتُ في وجْدي وأَشواقي

فثنى ذلك الغزال جيده وولى، وقد أوقد النار في جوانحه وأصلى، وبقي مدة لا يزوره، ولا يأذن له، فيعود إليه سروره، فكتب إليه: [من الهزج]

ولمَّا أن تفرَّقْنا ... وحالتْ نُوَبُ الدَّهرِ
رأيتُ الشَّهْدَ لا يحلُو ... فما ظَنُّكَ بالصَّبْرِ

فكان هذا معه سبب صلحه، وعفوه عن ذنوبه وصفحه.

وحكي أنه كان يهوى بعض أبناء الأمراء، ولا يزيده لائمة فيه غير الإغراء، ولا يزال يتتبع مظانه إذا ركب؛ ليرى قمره الطالع وجبينه، وكان ذا خال طبع الحسن عليه بطابع، ويتقصد المرور به، وهو في الموكب يترنح غصن قوامه، ويصمي جفنه القلوب برواشق سهامه، وذوائب شعره وراءه مجرورة، وجلابيب أقبيته على النهار الساطع مزرَّرة، حتى اشتهر أمره في حبه، وظهر عليه حتى كان يفضي إلى قضاء

نحبه، فقال: [من الكامل]

/٢٠١/ يا سادتي إنّي قنعتُ وحقِّكُم ... في حبِّكُمْ منكُمْ بأَيسَرِ مَطْلَبِ
إنْ لَمْ تجودوا بالوِصالِ تعطُّفاً ... وقصدتُمُ هجري وفَرْطَ تجنُّبي
لا تحرمُوا عَيني القريحةَ أنْ تَرَى ... يومَ الخميسِ جمالَكُمْ في الموكبِ
لو كنتَ تعلمُ يا حَبيبي ما الذي ... ألقاهُ مِنْ كَمَدٍ إذا لَمْ تركبِ
لَرَحمتَني ورثيتَ لي مِنْ حالةٍ ... لولاكَ لَمْ يَكُ حملُها مِنْ مَذْهَبي
ومِنَ البليةِ والرَّزيَّةِ أنني ... أقضي وما تَدْري الذي قدْ حَلَّ بي
يا مَنْ كَلِفْتُ بهِ فَعَذَّب مُهْجَتي ... عطفاً على كَلِفِ الفؤادِ مُعَذَّبِ
إنْ فاتَهُ منكَ اللقاءُ فإنَّه ... يرضَى بلُقْيا طيفِكَ المُتأوِّبِ
إنْ كنتَ تسمحُ للجفونِ بهَجْعَةٍ ... فلقدْ أضرَّ بها ارتقابُ الكوكبِ
قسماً بوَجْدي في الهوى وتحرُّقي ... وتحسُّرِي وتلهُّفي وتِلهُّبي
لو قلتَ لي جُدْ لي بروحِكَ لَمْ أقِفْ ... فيما أمرتَ وإنْ شككتَ فجرِّبِ
مولايَ هلْ مِنْ عطفةٍ تُصْغِي إلى ... قصصِي وطولِ شكايتِي وتعتُّبي
مِنْ بعدِ ذاك الأُنسِ والإقبالِ قدْ ... أصبحتُ عندكَ كالغريبِ الأجنبي
قدْ كنتَ تلقاني بوجهٍ باسمٍ ... واليومَ تلقانِي بوجهِ مُقَطِّبِ
ما كانَ لي ذنبٌ إليكَ سوى الأسى ... فعلامَ تهجرُني إذا لَمْ أُذنبِ
وإلى متى هذا الصُّدودُ وإنَّهُ ... لَيَطُولُ مِنْ هذا الصدودِ تعجُّبِي
وحياةِ وجهِكَ وهوَ بدرٌ طالع ... وسوادِ طرَّتِكَ التي كالغَيهبِ
وفتورِ مُقلتِكَ التي قدْ أذعنتْ ... لجمالِ بهجتِها عيونُ الرَّبْرَبِ
[وبياضِ مَبْسِمَكَ النَّقِيِّ الواضحِ الـ ... ـعذبِ الشَّهيِّ اللؤلؤيِّ الأشنبِ
وبقامةٍ لكَ كالقضيبِ ركبْتُ مِنْ ... أخطارِها في الحُبِّ أصعبَ مَرْكَبِ
لَوْ لَمْ أكنْ في رُتبةٍ أَرعى لها ... العهدَ القديمَ صيانةً للمَنصبِ
لهتكتُ ستري في هواكَ ولذَّ لي ... خَلَعُ العذارِ ولجَّ فيكَ مؤنِّبي
/٢٠٢/ لكنْ خشيتُ بأنْ تقولَ عَوَاذلي ... قدْ جُنَّ هذا الشيخُ في هذا الصَّبي]
فاسترْ فديُتكَ حُرقةً قدْ قاربتْ ... كشفَ القناعِ بحقِّ ذَيَّاكَ النَّبي
لا تفضحنَّ بحُبِّكَ الصَّبَّ الذي ... جرَّعتَهُ في الحُبِّ أكدرَ مَشْرَبِ
قدْ خانني صبري وضاقتْ حيلتي ... وتقسَّمتْ فِكَرِي وعقلِي قدْ سُبِي

فانظرْ إليَّ برحمةٍ أحيا بها ... وتُريحُ قلبي مِنْ غَرَامٍ مُتْعِبِ

وحكي أن شجناً له نزل بالغور شاتياً، وكان له حبيباً مواتيا، وكان له هناك نشبٌ أطال مقامه، وأطاب في ليل تهامه منامه، وكان الغور قد تعجل حلة الربيع، ولبس رقيق سحابه اللاذ الرفيع، والشريعة قد أبهجت من جهاتها المذاهب الأربعة، وأصبحت مكانس الظباء غاباتها المشبعة، وكان ابن خلكان يخرج في كل يوم إلى جهة القبلة مسيراً لمخبر يوافيه، أو خبر يخفف ما هو فيه، لعلّ يهب إليه رفقة رائحة، أو تهب عليه من الغور رائحة، وكان يسير ويقول: [من الكامل]

أحبابَنا بالغَورِ طالَ فِراقُكمْ ... وتنكَّرتْ لمُحبِّكمْ أيامُهُ

مُنُّوا على جَفنِي القَريحِ بهجعةٍ ... لعسَى تُمثِّلُكمْ لهُ أحلامُهُ[1]

/٢٠٣/ وحكي أنه كان في موعد غلام يجيء إلى زيارته، وقعد ينتظر نزول قمره إليه من دارته، فطال المدى وما زاره، ولا زاد على أن أوقد في قلبه ناره، فقامت قيامته بانتظاره، ومضى أكثر الليل وما حظي بمزاره، فقام يطوف حول البركة إذ لا يقدر على أنه يطوف بربعه، وينظر إلى الماء ويكاد يغرقه بدمعه. هذا والشوق في أحشائه يضطرب، والساعات تمضي، وحبيبه لا يدنو، ولا يقترب، وكان الغلام فوق أمل المقترح، وأحسن من الغزال لمن يلتمح، لا يشبه الغصن لين قامته، ولا يراه إلاَّ من يئس من سلامته، فجعل يقول: [مجزوء الخفيف]

أنا واللَّهِ تالفٌ ... آيسٌ مِنْ سَلامَتِي

أَو أَرى القامةَ التي ... قدْ أَقامتْ قِيامَتِي

ولم يزل يكررها حتى فتح الباب، وطلع عليه الصباح بوجهه المشرق، فانمحى صبغ الليل وانجاب، وبات وليت مثله كل عاشق يظفر بمواصلة الأحباب.

وحكي أنه كان يهوى غلاماً من أبناء الملوك الشيركوهية، تبله غراماً، وصير منامه عليه حراماً، فكان يكثر الركوب إلى برزة، مظهراً أن توجهه لزيارة المقام، وقصده المرور على باب الغلام، ولا يقدر له أن يراه، ولا يستطيع في دفع حبه أكثر من أنه واراه، فمر مرةً ببابه، وهناك رجال من أقربائه، فعرضوا عليه النزول عندهم من حر الهجير، وكان الزمان صيفاً يتوقد شراره، وشهر ناجر مثل التمام سراره، فثنى القاضي رجله ونزل، وكان هذا أكبر أمانيه، وجل قصده، ولأجله كان يطوف حول

---

(١) بعده بياض بمقدار ٧ أسطر.

مغانيه، فلما قامت الظهيرة، وطاب النزول في الماء، نزلت الغلمان إلى نهر لتبترد بالماء، وتطلع في أفقه طلوع النجوم في السماء، وقد شدوا سود المآزر على بيض الروادف، فطرفوا الصباح بالظلماء، وانغمسوا في ماء النعماء، وذاك الغلام بينهم يسبح، وقد شخص إليه بصر القاضي فما يبرح، فنهاهم فقيه /٢٠٤/ هناك، لم يلم العشق له بفؤاد. ولم يبت وهو يدري كيف تفتت الأكباد، فذبح القاضي بما جاء به من الاعتراض، وحال بينه وبين بوادر الأغراض، فزجر القاضي ذلك الفقيه المعترض، وسل عليه سيف عتبه الممض، ثم أقسم أنه لا قعد إن خرجوا من الماء ولا لبث ثم أنشأ يقول غير مكترث: [من الطويل]

وسربِ ظِباءٍ في غديرٍ تخالعوا ... بُدورٍ بأفقِ الماءِ تبدو وتغربُ
يقولُ خليلي والغرامُ مصاحِبي ... أما لكَ عن هذي الصبابة مَذْهَبُ
وفي دمكَ المطلولِ خاضوا كما تَرَى ... فقلتُ لهُ ذَرْهُمْ يَخُوضوا ويَلعبوا

وحكي أنه مرَّ مرة أخرى بعد ذلك بالمكان، لعله يرى ذلك الغصن في ذلك البستان، وكان قد سافر منه في بكرة ذلك النهار، وسار وترك من أثر موقده في قلب القاضي النار، فقال: [من البسيط]

كأنَّني يومَ بانَ الحَيُّ عَنْ أضَم ... والقلبُ مِنْ سَطَواتِ البيتِ مَذْعُورُ
وُرْقاءُ ظَلَّتْ لفقدِ الإلفِ ساجعةً ... تبكي اشتياقاً عليهِ وهوَ مأْسُورُ
يا جِيرةَ الحَيِّ هلْ مِنْ عَودةٍ فَعَسى ... يُفيقُ مِنْ سكراتِ الوَجْد مَخْمورُ
إذا ظَفِرتُ مِنَ الدنيا بقربِكِمُ ... فكلُّ ذنبٍ جناهُ الحُبُّ مغفورُ

وحكي أنه كان قد دعي إلى وليمة عملت لبعض أبناء الأكابر في بستان، وقد أعرس، فلما أكل منها، ورش عليه من ماء الورد ركب، ولم ينظف يده، وكان يكره الزفر فرأى فقيهاً كانت له به خصوصية، وتحت ثيابه شيء يحمله، فسأله عما معه، فقال: ماء ورد، فقال: اسكب على يدي منه، فتأبى، وألح القاضي عليه في إخراجه، وكان معه، فلما لم يجد الفقيه بداً، أخرج ما معه فلما رآه القاضي، قال: ما هذا ويحك؟ فقال له الفقيه: يا مولانا ماء ورد إلا أنه لما رآك استحيا، فقال القاضي لعن الله من لا يستحي ثم تركه وسار.

/٢٠٥/ ومنهم:

[٤٨]

عبد الرحمن بن سباع بن ضياء الفزاري، البدري، الشافعي، الشيخ تاج الدين، أبو محمد، وأبو إبراهيم(١)

إمام أنشأ غرس العلماء، وبث منهم في الأرض مثل النجوم في السماء، وأنجب غرسه، وثبت أسه. لم يبق إلا من اغترف من بحره، واعترف لبره، طبق البلاد علماء، وملا الجواد إليه ارتماء، وأوجب للخلائق إليه انتماء، واقتضى أن تومىء إليه الحقائق إيماء، وكان لا يعد عدد أتباعه، ولا يخالف في وجوب اتباعه، بعلم أُيد بدين، وقرن بصلاحٍ به أُعين، وكان على هذا غاية في اللطف، ونهايةً في الظرف، لو مزج الماء بصفاءٍ خلقه لما تكدر، أو استعار النهار بياض سريرته لما تغير، كل هذا إلى كمال أدوات أنَّى صرف إليها النظر تحير، وصفات ما يعرف المرء اللبيب من محاسنها ما يتخير.

قال فيه بعض المؤرخين: آخر علماء المسلمين، وعين أعيان مذهبه، ومن انتهت إليه رياسة الشافعية بالشام، أقر له الموافق والمخالف بالتقدم، وغزارة العلم، وفقه النفس، وله التصانيف الحميدة، والتآليف المفيدة.

تفقه على الإمام أبي محمد بن عبد السلام، وبرع في المذهب بروعاً تاماً، وكان تفقه قبله على ابن الصلاح، وقرأ الأصول والعربية، ونظر في الطريقة، وسمع

(١) ورد اسمه في بعض المصادر: «عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء..».
ترجمته في: المقتفي للبرزالي ١/ورقة ١٧٤ب، وتالي كتاب وفيات الأعيان ١١٨ رقم ١١٢، وتاريخ حوادث الزمان ١/ ٧١ـ ٧٣ رقم ٢٦، ودول الإسلام ٢/ ١٤٦، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٧٨، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٨٨، والمعين في «طبقات المحدّثين» رقم ٢٢٧٩، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣٦، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٢٨٧ـ ٢٨٩ رقم ٩٠٨، ومرآة الجنان ٤/ ٢١٨، والبداية والنهاية ١٣/ ٣٢٥، وعقود الجمان للزركشي، ورقة ١٦٣، وتذكرة النبيه ١/ ١٤٣ـ ١٤٤، ودرّة الأسلاك ١/ ورقة ١٠٦ـ ١٠٧، وعيون التواريخ ٢٣/ ٨٦ـ ٨٨، وفوات الوفيات ٢/ ٢٦٣ـ ٢٦٥ رقم ٢٤٧، وذيل التقييد ٢/ ٧٩ رقم ١١٨٥، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣/ ٢٩ـ ٣٢ رقم ٤٧٠، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ٢/ ٩٢١ـ ٩٢٣ رقم ٣، والسلوك ج١ ق٣/ ٧٧٦، وعقد الجمان (٣) ٩١ـ ٩٢، والعبر ٥/ ٣٦٧، ٣٦٨، والنجوم الزاهرة ٨/ ٤١، وتاريخ الخلفاء ٤٨٧، وكشف الظنون ٣٤٢، وغيرها، وإيضاح المكنون ٢/ ٦٩٣، وشذرات الذهب ٥/ ٤١٣، وهدية العارفين ١/ ٥٢٥، والمنهل الصافي ٧/ ١٥٣ـ ١٥٦ رقم ١٣٦٧، والدليل الشافي ١/ ٣٩٦ رقم ١٣٦٤، وديوان الإسلام ٣/ ٤٢١ـ ٤٢٢ رقم ١٦٢٠، والأعلام ٣/ ٢٩٣، ومعجم المؤلفين ٥/ ١١٢، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٨١ـ ٦٩٠هـ) ص ٤١٤ رقم ٦٣٣.

الحديث من جماعة كابن الزبيدي وطبقته، وخرج له مشيخة عن مائة شيخ سمع عليهم، وجلس للإقراء من سنة أربعين وستمائة. والانتفاع به متعدٍ عام للخلق لاسيما الفتاوى التي ما كان وقته يخلو منها، وانتفع به جماعة بما درس وأفتى.

مولده سنة أربع وعشرين وستمائة، وحين ولد، ضاق صدر أبيه لما رأى في رجليه التغيير، وكان رجلاً صالحاً /٢٠٦/ فرأى النبي ﷺ، وهو يسأله عن ذلك ويبشره أن الناس ينتفعون بعلمه، ورآه بعد موته رجل مقعد، وكان صاحباً له، فشكا إليه، فقال له قم فاستيقظ، وقام كأن لم يكن به شيء.

وتوفي الشيخ تاج الدين رحمه الله ضحوة الاثنين خامس جمادى الآخرة سنة تسعين وستمائة.

ومنهم:

[٤٩]

محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد القرشي، الأموي، العثماني، الفقيه الشافعي، الإمام المفتن، أبو عبد الله صدر الدين، ابن المرَحِّل، ويعرف بابن الوكيل لأنّ أباه ولي وكالة بيت المال بالشام[(١)]

إمامٌ له نسب في قريش أعرق، وحسب في بني عبد شمس مثل الشمس أشرق، وعلمٌ لو أن البحر سطا بشبهه لأغرق، وفهم لو أن الفجر سطع نظيره لأحرق، وبيت طنَّب على المجرة، ومد رواقه فتلألأ بالمسرَّة، ونشر رايته البيضاء الأموية، وحولها ثغور الكواكب المفترة، وارتفع أن يقاس بنظير، واتضع والثريا تاج فوق مفرقه، والجوزاء تحته سرير، وهمة دون السماء لا يقصرها، وحكمة عن سبق القدماء لا يؤخرها، مع جبين وضاح، ويمين منها الكرم يستماح، وأدب أشهى من رشف الرضاب، وأحلى من رضا الحبائب الغضاب، وخلق شرح الله له صدره، ومنح فضله أندية الرياض المخضرة، وصبر على نوائب ما برح الكريم يمنى بصروفها، ويرمى بصنوفها، ويبيت قلبه المعنى قِرًى لضيوفها، ورعبه المخيَّل مقدماً عنقه لسيوفها، وهو

---

(١) **ترجمته في**: طبقات الشافعية للسبكي ٩/ ٢٥٣، طبقات الشافعية للأسنوي ٢/ ٤٥٩، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٢٣٣- ٢٣٤، الوافي بالوفيات ٤/ ٢٦٤، أعيان العصر ٥/ ٥، فوات الوفيات ٤/ ١٣، البدر الطالع ٢/ ١١٨، الدرر الكامنة ٤/ ١١٥، البداية والنهاية ٩/ ٣٢٩، الدارس ١/ ٢٧، مرآة الجنان ٤/ ٢٥٦، النجوم الزاهرة ٩/ ٢٣٣، شذرات الذهب ٦/ ٤٠- ٤٢، حسن المحاضرة ١/ ٢٣٧، معجم المؤلفين ١١/ ٩٤، هدية العارفين ٢/ ١٤٣، الاعلام ٧/ ٢٠٥.

على صداء النوائب لا يزيد سيف ذهنه إلا صقالاً، ورحب صدره إلا احتمالاً، وكرم يده إلا بسط أنامل، وحط رحل لديه لآمل، وسعة نفسٍ /٢٠٧/ غرفت من بني عبد شمس، وهزة طرب لا تنكر لبقية أولئك العرب، وجرت له مع سلطاننا أيام سلطنة الأمراء عليه، وسلطنة المظفر بيبرس أمور، هيجت عليه ساكن حنقه، ولججت به إلى موضع غرقه، وكان هو ذلك الوقت بمصر رأس تلك المجالس التي عقدت، ومبتدىء تلك الفتاوى التي عليه حقدت، ومرتب تلك الأمور التي انتقدت، وناظم تلك القصائد التي كانت سبب تلك النيران التي عليه أوقدت، وأراد الصاحب ابن الخليلي، وهو إذ ذاك بطال أن يمسكه؛ ليتقرب به إلى السلطان، وأخذ هو الخبر، ففر وتردد رأيه في أي جهةٍ يقصد، ثم حمل نفسه أهوالها، وقال إمّا عليها، وإمّا لها، وركب طريق البدرية حتى شارف قطيا والسلطان قد اشرف عليها، فأتى بكتمر الحاجب لصحبة سالفة له به، فعرفه بمجيئه، فقال: ليتك لا جئت، ثم لم يسعه إخفاء أمره، ولا خفاء ما أطل من بدره، فأمر السلطان بالتوكيل به ثم أمر بإحضاره فما كان إلاَّ أن رآه وكلمه، وإذا بتلك البارقة وقد تجلت، وتلك الحفيظة قد ألقت ما فيها وتخلت، ومد يد ذلك الغيم، وقد تقشع، وحديد ذلك الغضب وقد تقطع، وذلك الحلم الناصري قد رقت حواشي أهدابه، وراقت نواشي سحابه، فأمر بأن يكون في الصحبة مخلى السبيل، محمي القبيل، وأقيلت مواضي تلك الهفوة، وأقيمت مضاجع تلك الغفوة، ودخل مصر آمناً، وأقام في الظل الناصري ساكناً، ثم خرج إلى حلب على وظائف تولاها ومراتب وطيء بأخمصه أعلاها، /٢٠٨/ ثم ذكره السلطان، أو ذكَّره بعض خواصه به، فاستدعاه إيثاراً لقربه، فرتبت له رواتب، وعينت له مناصب، وأقام في الحضرة السلطانية عليها مرعي الجانب، مرمي المجانب. وأرسل إلى ملك العرب مهنا بن عيسى، فأجمل وفادته وأسماها، وأجزل إفادته وأسناها ثم كان بمصر مقامه، وبالسلطان وحاشيته التيامه، ما روع له سرب حتى أتاه حمامه. وفرغت منه أيامه. ودفن لدى شباك الشافعي رحمه الله بالقرافة، وكانت وفاته بكرة الأربعاء عشرين ذي الحجة سنة عشرة وسبعمائة.

ومولده في شوال سنة خمس وستين وستمائة بدمياط، ومنشؤه بدمشق، تفقه بأبيه، وبالشيخ شرف الدين بن المقدسي، وغيرهما، وسمع من القاسم الإربلي، والعامري، والمزني «صحيح مسلم»، وسمع من ابن علان «المسند» للإمام أحمد، وأفتى وله اثنتان وعشرون سنة، ودرس بالمدارس الكبار، وله صيت بين العلماء بالفضيلة، وتقدم عند الدولة والسلطان، وولي مشيخة الحديث بالأشرفية مدة، وحدث

بجملة من صحيح مسلم بها. ثم نزح عن دمشق، وأقام بحلب مديدة، ثم انتقل إلى مصر وسكنها، وولي جهات كبارا.

وكان ذكياً، فطناً، كثير الاشتغال، والنظر، والبحث، يعرف الفقه، والأصلين، والنحو، والطب، والأدب، وغير ذلك، وله شعر رائق، وأصحاب وتلامذة تأسفوا لفقده، وطووا الجوانح على أسًى زاد في وقده، ومن تصانيفه كتاب «الأشباه والنظائر».

ولما وصل خبر موته إلى دمشق، عُمِل عزاؤه تحت النسر، وصلى عليه صلاة الغائب في ثالث المحرم، ورثاه جماعة منهم علاء الدين بن غانم، والإمام نجم الدين القجفاري، /٢٠٩/ ونجم الدين الصفدي[(١)].

وكانت بينه وبين الأفرم ـ أيام نيابته بالشام ـ صداقة كشفت بينهما الوقار، وأرشفت تصافيهما العقار، حكى لي ابن الدقاق عنه: أن الأفرم استدعاه ليلةً والليل جناحه ما نُسِل، وخضابه ما نصل، وفارسه المُعلم ما نزع جوشنه، وأفقه المروض ما قلع سوسنه، وخصماء الطير خرس بعدما نطقت لها ألسنة، وسر الفجر ما جال في ضمير، وفرق الشرق ما شاب، والأدب في لمته القتير، وثوب الأفق ما ذر عليه الكافور، ولا نفض عنه العبير، فدخل عليه، وهيف الشمع تولول ألسنة نارها، وتعصب رؤوسها بتيجان نضارها، وقد أضاء بصباحها بهو الدار، وقمص سواد ذلك الليل بضيائها جلباب النهار، وقد دعي بالصبوح، وبطح زق قام عليه الراووق ينوح، وصفقت القناني وتصدرت الأواني، واتفق البمَ والزيرَ ورقص الطرب الزائر والمستزير، وقد دب شعاع الخمر في وجنه الساقي، وفاض على المجلس وألقى على الزجاج الباقي في حضرة ما حصلت في إشبيلية للمعتمد بن عباد، ولا للمقتدر بن أبي العباس في بغداد، ولا للأشرف شاه أرمن في ظواهر أخلاط، ولا لتميم أبي معدٍ في مناظر الفسطاط، وهو بدمشق بالقصر الظاهري المشرف على الميادين المكتنف بالبساتين، المزرَّر عليه حبّ الغمام، المؤزَّر بديباج الرخام. وسقوفه تنقط ذهباً، وتشعل فحمة الليل لهباً، والشاذروان قد عُلّقت /٢١٠/ به سلاسل من فضة، وتساقطت عليه من الماء نجوم منقضه، والبركة قد أتلعت جيد نوفرةٍ تتلقى ذلك الصب، وتومىء إليه بالتقبيل إيماء من أحب، فرأى ما قيد النظر، وقدد النهار في ذلك النهر، فدهش وقد تحفز نسيم السحر، واضطرب موج تلك الميادين في ضوء

---

(١) بعده بياض بمقدار ٣ أسطر.

القمر، فلما حميت بها الحُمَيَّا ابتدر، وقال قصيدة في صفة الخمر أنست أبا نواس، وشغلت كل الحواس، ومنها قوله: [من البسيط]

ليذهَبُوا في ملامي أيةً ذَهَبوا ... في الخمرِ لا فضةٌ تبقى ولا ذَهَبُ
لا تأسفَنَّ على مالٍ تُمَزِّقه ... أيدي سُقاةِ الطِّلا والخُرَّدُ العُرُبُ
فما كَسَوَا راحتِي مِنْ راحِها حُللاً ... إلا وعَرَّوا فُؤادي الهمَّ واستلَبُوا
راحٌ بها راحَتي في راحَتي حَصَلَتْ ... فتمَّ عُجْبي بها وازدادَ لي العَجبُ
وليستِ الكيميا في غيرِها وُجِدَتْ ... وكلُّ ما قيلَ في أبوابِها كَذِبُ
قيراطُ خمرٍ على القنطارِ مِنْ حَزَنٍ ... يُعيدُ ذلكَ أفراحاً وينقلبُ
عناصرٌ أربعٌ في الكأسِ قدْ جُمعت ... وفوقَها الفَلَكُ السيَّارُ والشُّهُبُ
ماءٌ ونارٌ هواءٌ أرضها قدحٌ ... وطَوقُها فَلَكٌ والأنْجُمُ الحَبَبُ
ما الكأسُ عندي بأطرافِ الأناملِ بلْ ... بالخَمسِ تُمسَكُ لا يحلُو بها الرَّهَبُ
شَجَجْتُ بالماءِ منها الرأسَ مُوضحةً ... فحين أعقِلُها بالخَمسِ لا عَجَبُ
وأنْ أقطِّب وجهِيَ حينَ تبسِمُ لي ... فعندَ بسطِ المَوَالي يُحفَظَ الأدبُ
عاطيتُها مِنْ بناتِ التُّركِ عاطيةً ... لحاظُها للأسودِ الغُلبِ قدْ غَلَبوا
مِنْ وجهِها وثناياها وقامتِها ... تخشَى الأهلَّةُ والقضُبانُ والكُثُبُ
تحكي الثنايا التي أبدتْهُ مِنْ حَبَبٍ ... لقدْ حكيْتِ ولكنْ فاتَكِ الشَّنَبُ

/ ٢١١/ ومن شعره الذي نطق به، فأبان عن أنسابه، وأتى بالبيان ملء أهابه، قوله: [من الطويل]

سَرَى وستوُر الهَمِّ بالكأسِ تُهْتَكُ ... وساكِنُ وجدي بالغِناء يُحَرَّكُ
وأُقسمُ لولا نارُ قلبي تَبَرْقَعَتْ ... لها في الدياجي ما اهتدتْ كيفَ تَسلُكُ
فعاطيتُهُ كأساً فَحيَّا بفضلِهِ ... ومازجَ ذاك الكأسَ ريقٌ مُمسَّكُ
ولمَّا رأيتُ القومَ بالكأسِ صُرَّعاً ... وأنّ ٱبنةَ المطرانِ بالقوم تفْتكُ
أرقتُ دمَ الرَّاووقِ حِلاً لأنَّني ... رأيتُ صَليباً فَوقَهُ فهو مُشْرِكُ
وسالتْ دموعُ العينِ منهُ وكلّما ... بكى بالدِّما مما جرى منهُ أضحكُ
وزوَّجتُ بنتَ الكَرْمِ بابنِ سَحابةٍ ... فصحَّ على التعليق والشرطُ أَمْلَكُ

ومنه قوله: [من السريع]

وعارضٍ قدْ لامَ في عارضٍ ... وطاعنٍ يَطعنُ في سِنِّهِ

وقـائـلٍ قـدْ طـلـعـتْ ذَقْـنُـهُ فـقـلـتُ لا أُفـكِـرُ فـي ذَقْـنِـهِ

ومنه قوله: [من مجزوء الخفيف]

لـي حـبـيـبٌ مـكـمَّـلٌ مـنْ سَـنَـى الـبـدرِ أَوْجَـهُ
كـلّـمـا شـابَ يـنـحـنِـي بَـيَّـضَ اللهُ وجـهَـهُ

ومنه قوله: [من الطويل]

ولـمـا جَـلاَ فـصـلُ الـربـيـع مَـحـاسِـنـا وصـفَّـقَ مـاءُ الـنـهـر إذْ غـرّدَ الـقُّـمـري
أتـاهُ الـنـسـيـمُ الـرطـبُ رَقَّـص دَوحَـهُ فنقَّـطَ وجهَ الـماءِ بـالـذَّهـبِ المـصـري

ومنه قوله: [من الكامل]

عـيَّـرتَـنِـي بـالـسُّـقْـم طـرفـك مُـشـبـهٌ وكـذاكَ خَـصْـرُك مـثـلُ جـسـمـي نـاحِـلا
وأراكَ تـشـمَـتُ إذ أَتـيـتُـكَ سـائـلاً لا بـدَّ أن يـأتـي عِـذارُك سـائِـلا

/ ٢١٢/ ومنه قوله في مليح به يرقان، ذبَّل نرجسه، وفتَّر جفنه، وأنعسه وازداد به طرفه سقاماً، ذهب به نصله، وذهب لا يعرف في غير القلوب فعله[١]: [من المنسرح]

رأيـتُ فـي طـرفِـهِ اصـفـرارا سَـبَـى فـؤادي فـقـلـتُ مَـهْـلا
أيـا مـلـيـكَ الأنـامِ حُـسْـنـاً الـعـفـوُ مـنْ سـيـفِـكَ الـمُـحَـلَّـى

ومنه قوله: [من الكامل]

قـدْ جـرَّدَ الـهـنـديَ مِـنْ لـحـظـاتِـهِ وتـعـلَّـمَ الـخـطـيُّ مِـنْ خَـطَـراتِـهِ
يـا خـجـلـةَ الأغـصـانِ مِـنْ أعـطـافِـهِ وفـضـيـحـةَ الـغِـزلان مِـنْ لـفـتـاتِـهِ
أبـدى الـذؤابـةَ والـقَـوامَ فـلا تَـسَـلْ عَـنْ بـانِ نَـعـمـانٍ وعَـنْ عَـذَبـاتِـهِ
أرجـو وأحـذرُ قـربَـهُ وبـعـادَهُ فـالـقـلـبُ بـيـنَ حـيـاتِـهِ ومـمـاتِـهِ

ومنه قوله: [من الكامل]

أقـصـى مُـراديَ أن أَمُـرَّ عـلـى الـحِـمَـى ويـلـوحَ نَـوْرَ ريـاضِـهِ ويـفُـوحُ
حتى أُري سُـحُـبَ الـحِـمى كيفَ الـبُـكا وأُعـلـمَ الـورقـاءَ كـيـفَ تـنـوحُ

ومنه قوله في مليح يلقب بالحامض: [من الخفيف]

وبـديـعِ الـجـمـالِ مُـعـتـدلِ الـقـا مـةِ كـالـغُـصْـنِ والـقَـنـا الأُمْـلُـودِ
لـقّـبُـوه بـحـامـضٍ وهـوَ حُـلْـوٌ قـولَ مَـنْ لـمْ يـصـلْ إلى الـعُـنـقـودِ

---

(١) بعده بياض بمقدار سطرين.

ومنه قوله: [من الكامل]

غازلْ وخذْ مِنْ نرجسٍ مِنْ لحظهِ ... منثورَ دمعٍ كُلُّهنَّ نظامُ
واحذرْ إذا بعثَ السلامَ إليكَ مِنْ ... نَبْتِ العِذارِ فإنَّهُ نَمَّامُ

/٢١٣/ ومنه قوله: [من الوافر]

تغنَّتْ في ذرى الأوراقِ وُرْقٌ ... ففي الأفنانِ مِنْ طَرَبٍ فُنُونُ
وكمْ بَسَمَتْ ثغورُ الزهرِ عُجْباً ... وبالأكمامِ قدْ رَقصتْ غُصُونُ

ومنه قوله: [من الكامل]

واصلْ كؤوسَكَ لا أريدُ فراقَها ... فلقدْ رأتْ عيني المدامَ فَرَاقَها
إنَّ الذي جعلَ الهُمُومَ عَقارباً ... جعلَ السُّلافَ حقيقةً دِرياقَها
لمْ يُصلَبِ الراووقُ إلاَّ عندَما ... قطعَ الطريقَ على الهمومِ وعاقَها
ومعنِّفي في الخمرِ لوْ قدْ ذاقها ... لمْ يَلحَني لكنَّهُ ما ذاقها

ومنه قوله: [من الطويل]

وبي مَنْ قَسا قلباً ولانَ مَعاطفاً ... إذا قلتُ أدناني يُضاعفُ تبعيدي
أُقرُّ برقٍّ إذْ أقولُ أنا لهُ ... وكمْ قالها أيضاً ولكنْ لتهديدي

ومنه قوله: [من البسيط]

يا ناقضاً عهدَهُ مِنْ غيرِ ما سببٍ ... إلا لكونِيْ أراعيْ عهدَ مَنْ خانا
يقولُ قلبكَ طُورٌ قلتُ لا عَجَبٌ ... مِنْ جانبِ الطُّور قدْ آنستُ نيرانا

وحكى لي ثقات من أصدقائه أنه كان يكتم هوًى بعيد مزاره، قريب اذكاره، ومن دونه بحر من السراب مُتأق، وبيداء لا تجتازها من الريح سملق، وليل لا تبدو النار في سواده، وطود لا ترسى الأرض إلاَّ بأوتاده، والنهار لا يتوضح، والدهر ليل كله ليس يبرح، وعينه قد غار دمعها، فما له قرار، وجفا الغمض أجفانها القصار، والنجوم لا تغور /٢١٤/ كأنما مسخ فيها النهار، قد كتم الفجر منها الخفاء، وعدم الصباح كأنه جود أو وفاء، وهو في شغلٍ بليلى وهي في شغل بسواه، لا يميل غصنها لهواه، لاهية عن شؤونه، ساهيةً عما يحمل منها على عيونه، لا يرثي طرفها النائم لطرفه الساهر، ولا يعرف ما فعل الدمع بالناظر، فلم يكن له إلاَّ أن يخاطب إيماض البرق على دارها، ويجاذب عطف الصبا لازديادها، وفي بعض شجونه وهواه بها وجنونه، قوله: [من الطويل]

ألا هلْ صَباً أو بارقٌ باتَ مَوْهِناً ... على دارِ ليلى والنفانِفُ دونَها

يــبــلِّــغُ عــيــنــيــهــا تــحــيــةَ نــاظــرٍ أعــار الــغــوادي الــمُــعــصــراتِ جُــفُــونَــهــا
يــبــيــتُ عــلــى جــمــرٍ يَــشِــبُّ بــذكــرِهــا ويــكــتُــمُ مــا يــلــقــى يــخــافُ ظــنــونَــهــا
يُــرَاعُ لــبــرقٍ بــالــثــنــايــا كــأنَّــمــا عــلــيــهِ ســيــوفُ الــهــنــدِ هَــزَّتَ مُــتــونَــهــا
لــئِــنْ غــابَ عــنــكــمْ حُــسْــنُ لــيــلــى وحــيُّــهــا فــهــا فــانــظــروا مــجــنــونَــهــا وجُــنُــونَــهــا

وحدثت عمن كان يطَّرح معه المؤونة، ويبوح إليه بأسراره المصونة، أنها جاءت مرةً إليه، وقلب البرق يخفق غيرةً عليها، وعين النجم تنظر شزراً إليها، في ليلة ما لها سحر، ولا لآخرها عنده خبر، قد قصرها منادمة الحبيب، ومداومة الوصال على قلع عين الرقيب. مرت وهي حلوة المذاق، كأنها قبلة على حذر، يدفع في صدرها يد السَّحر، وتولت قصيرة كالنظر المخلوس، غزيرة بنور الكؤوس، قد حسنت كأنها يوم أغر، وحسبت أنها في مقلة الدهر حور، ثم أعقبها وقت للسرور فيه نمو، ويوم كأنّ العشى فيه غدو، في مجلسٍ لم يلو فيه على الذنوب، ولا يذود العفاف به هوى في القلوب، وقد /٢١٥/ شوشت الريح طرة الورد، وجمعت أصابع المنثور قرصة البرد، وهلال الصيام قد لاح نضوا، وأومىء للسجود إذ جاءه سهواً، فنعم بليلة ويوم ما شاب صفوهما تكدير، ولا دب ليومها عذار، ولا في مفرق ليلها قتير، لكنهما انقضيا وما منهما إلاَّ أضوأ وأقصر من ذبالة، وأماله حتى طال النهار وأجفلت الغزالة، فقال: [من الكامل]

ســمــحَ الــزمــانُ وكــانَ جــدَّ شــحــيــحِ مِــنْ بــعــدِ مــا مُــتّ عــادت روحــي
جــاءتْ ومِــسْــحُ الــلــيــلِ أســودُ مُــسْــبَــلٌ لا شــكَّ قــدْ وافــى إلــيَّ مَــسِــيــحــي
أحــيــيــتُ فــيــهــا لــيــلــتــي وحــيــيــتُــهــا هــيَ قــبــلــتــي وبــثــغــرهــا تَــســبــيــحــي
وبــقــيــتُ يــومــي كــلَّــهُ مــتــمــتــعــاً وبــهــا غَــبُــوقــي الــمُــشــتــهَــى وصَــبُــوحــي
حــتــى إذا مــا الــيــومُ ولَّــى طــائــراً ولَّــتْ ولــكــنْ خَــلَّــفــتْ تــبــريــحــي

وحدثت عنهم أنهم دخلوا عليه يوماً، وقد خطرت على خاطره نسمة من ذكرها، أجرت دموعه حتى فاضت على نحره، وأسبلت البكاء حتى غرق إنسان عينه في بحره، فقالوا له: أيها الرجل مهلاً على غربك، ورفقاً لا يذهب البكاء بقلبك، فازداد بكاؤه إلى أن قالوا: حصاة كبده تفتت، وظنوا أن جُملة صبره تشتَّتت، فبقوا يحدثونه، ولا تحدثهم إلا زفراته القائلة، وينادونه ولا تجيبهم إلا عبراته السائلة، فلما هموا بالانصراف، كف بعض ذلك الإسراف. قوله: [الطويل]

أَخــفــيــتُ حــبَّــكَ عَــنْ جــمــيــعِ جَــوَانــحــي فــوشــتْ عــيــونــي والــوُشــاة عُــيــونُ

وَوَدِدْتُ أنَّ جوانحي وجوارحي ... مُقلٌ تَراكَ وما لَهُنَّ جُفُونُ
/ ٢١٦/ وَوَدِدْتُ دَمْع الخافقين لمُقلتي ... حتى غزيرُ الدمعِ فيك يهونُ
يا ليتَ قيساً في زمانِ صَبَابتي ... حتى أُرِيهِ العشقَ كيفَ يكونُ

ومنه قوله: [من الطويل]

أُبَشِّكَ أنَّ المرءَ للقبرِ صائرُ ... فَلِمْ أنتَ عَنْ داعي المُدامةِ صابرُ
أجبْ واستمعْ مِنْ راهبِ الدَّيرِ واستمعْ ... ومِلْ طَرَباً لَمَّا تَرِنُّ المَزاهِرُ
ورَوِّ بها لحمي وعظمي ورِمَّتي ... وقبري وأكفاني فما لكَ عاذرُ
أمُزِّق مالي والمُدامُ أصونُها ... أرى الجوهرَ الأَعراضَ وهيَ جواهرُ
أُدخِّرُها للهمِّ والغمِّ إنما ... تفيدُ لأربابِ الرزايا الذخائرُ
وسِمُّ الحُمَيَّا نقطةً وهي نقطةٌ ... وقُطْبُ سروري حينَ تُبلَى السرائرُ

ومنه قوله: [من الخفيف]

قالَ لي مَنْ أُحبُّ والبدرُ يبدو ... مِنْ خلالِ السحابِ ثُمَّ يغيبُ:
ما حكى البدرُ قلتُ: وَجْهَكُ لما ... يختفي عندما يلوحُ الرقيبُ

ومنه قوله: [من السريع]

يا حبلَ ودِّي قطُّ لا تنقطعْ ... فقلبُهُ قدْ رقَّ مما جرى
أما تَرَى الحَبْلَ بتَكرارِهِ ... الصخرةَ الصماءَ قدْ أثَّرا

ومنه قوله: [من الطويل]

يقولونَ لي كَمْ ذا كَلِفْتَ بأَحولٍ ... يقلِّبُ بالزوجينِ قلتُ لهم عُذرا
رأتْ كلُّ عينٍ حُسْنَ أوصافِ أختِها ... فغارتْ فطولَ الدهر تنظرها شَزْرا

[ومنه قوله]: [من الطويل]

/ ٢١٧/ وَصيَّرتُ بَدرَ التم مُذ غابَ مُؤْنِسي ... أَنيسي وقلتُ البدرُ منهُ قريبُ
فَحَجَّبَهُ عني الظلامُ بذيلِهِ ... فواعجباً حتى الظلامُ رقيبُ

ومنه قوله مما يكتب على كَمرَّان: [من الطويل]

بلغتُ مقاماً ما تَأَتَّى لعاشقٍ ... حُسِدْتُ لهُ مِنْ بينِ كلِّ الخلائقِ
أدورُ على خَصْرٍ نحيلٍ وطالما ... غدوتُ على رِدْفٍ ولستُ بفاسقِ
ومِنْ أجلِ أنِّي ليسَ بينيَ حائلٌ ... وبينَ حبيبي فُقْتُ كلَّ المناطقِ
ولا يدعي العشاقُ حالي فإنَّني ... نَحيلٌ مُعنًّى مُثقلٌ بالعلائقِ

ومنه قوله: [من السريع]

عجبتُ مِنْ قلبِ مُعنَّاهُمُ على جَفَاهُمْ كيفَ يَهواهُمُ
رآهُمُ في الحُبِّ أهلاً فما أحْبَبُّ في الأكوانِ إلا هُمُ

ومنه قوله: [من الرجز]

زندُ المُدامِ في الكؤوسِ قدْ قَدَحْ لما رأى زَهْرَ الرياضِ قدْ قَدَحْ
فاصدعْ بأوتارِ الجنُوكِ حزناً قدْ طُيِّرَ المنامُ فالطيرُ صدحْ
واستحْلِ بنتَ الكَرْمِ للشُّربِ ففي طلاقِها كَدَّ عَذُولي وكَدَحْ
راحاً بها الأعمى يَرَى مع العَمَى وهاكَ بُرهاناً على هذي المِدَحْ
الخمرُ للأقداحِ قلبٌ دائماً والحَدَقَ انظرها تجدْ قلبَ القَدَحْ

ومنه قوله: [من المتقارب]

عقودُ الحسابِ كيومِ الحسابِ فمَنْ قَلَّ وقراً سما في المعالي
كذاك اليمينُ لها ما يَقِلُّ وعقْدُ الكثيرِ نصيبُ الشِّمالِ

/٢١٨/ ومنه قوله: [من المتقارب]

فَرَغْتُ بكُمْ عَنِ الأكوانِ لَمَّا شُغِلتُ بحبِّكمْ عَنْ كلِّ شُغْلِ
وأجمعتِ القلوبُ على هواكمْ فها أنا سالمٌ مِنْ كُلِّ عَذْلَ

ومنه قوله: [من المتقارب]

أعِنِّي على ما دهاني أعِنِّي فإني رُميتُ بريمٍ أغَنِّ
إذا قلتُ ثغرَكَ صُنْ باللثامِ يقولُ سيحميهِ صارمُ جَفْني
وإنْ قلتُ قدْ صارَ مِنْ فتكِهِ كليلاً فللقطفِ تُدْلي وللحَتْفِ تُدْني
ولا تخشَ مِنْ لَهَبٍ فيهما فنيرانُ خَدِّيَ جَنَّاتُ عَدْنِ

ومنه قوله: [من السريع]

كأنَّما البرقُ خِلالَ السماءْ مِنْ فَوقِ غيمٍ ليسَ بالكابي
طرازُ تبْرٍ في قَباً أزرقٍ مِنْ تحتِهِ فروةُ سِنْجابِ

ومنه قوله في عمر الذهبي: [من المنسرح]

ولائمٍ لامَني على عُمرٍ وقالَ لي: قدْ غَلِطتُ بالعَرَبي
كمْ في الورى مثلهُ فقلتُ لهُ: وأيُّ شيءٍ يكونُ كالذَّهَبي

ومنه قوله: [من الكامل]

يـا وجـنـةً هـيَ جـنـةٌ قـدْ زُخـرِفـتْ ... ورداً ومِـنْ آسِ الـعِـذارِ تَـخَـضَّـرَتْ
/٢١٩/ عينٌ بنورِ جمالِ وجهِكَ مُتِّعَتْ ... وسِوى جمالِكَ أَبصرَتْ لا أَبصرَتْ

ومنه قوله: [من الوافر]

بـعـيـشِـكَ خَـلِّ عـاذلـتـي تَـلُـمْـنِـي ... ومـنـهـا فـي مـلامـتِـهـا ومِـنِّـي
فإنْ نـجـحـتْ فـلا نـجـحـتْ طريقي ... وأدركـتُ الـمـنـيـةَ لا الـتَّـمَـنِّـي
وإنْ خـابـتْ فـلا خـابَـتْ طـريـقـي ... وإنْ كـانَ الـهَـوَى يـأتـيـهِ عَـنِّـي
ويـا غـصـنَ الـنَّـقـا ويَـجـلّ قـدراً ... قَـوامُـكَ أنْ أشـبـهَـهُ بـغُـصـنِ
لـحـاظُـكَ بـالـهـوى فـتـكـتْ عِـنـاداً ... ولا تـسـألْ عَـنِ الـظَّـبْـيِ الأغـنِّ
وعـطِـفُـكَ قـدْ كـسـا الأغـصـانَ وجْـداً ... فـمـالـتْ بـالـهـوى لا بـالـتـثـنـي
ورقَّـتْ وُرْقُـهـا فـبـكـتْ عـلـيـهـا ... وفـي الأفـنـانِ أبـدتْ كـلَّ فـنِّ
وقـدْ طـارحـتُـهـا شَـجَـنـاً فـلـمَّـا ... بـكـيَـتُ صـبـابـةً أخـذتْ تُـغـنِّـي[1]

ومنه قوله: [من الرجز]

يـا لـيـلـةً فـيـهـا الأمـانُ والـمُـنـى ... وكُـلُّ مـا أطـلـبُـهُ تـهَـيَّـا
لا تَـقْـصُـري فـالـصـبـحُ قـدْ شـربـتُـه ... مُـدامـةَ عـنـقُـودُهـا الـثُّـريَّـا

/ ٢٢٠/ ومنه قوله: [من الكامل]

تـلـكَ الـمـعـاطـفُ أمْ غـصـونُ الـبـانِ ... لـعـبـتْ ذوائـبُـهـا عـلـى الـكُـثْـبـانِ
وتـضـرَّجـتْ تـلـكَ الـخـدودُ فـورُدهـا ... قـدْ شـقَّ قـلـبَ شـقـائـقِ الـنُّـعـمـانِ
ما يـفـعـلُ الـموتُ الـمبـرِّحُ في الـوَرى ... مـا تـفـعـلُ الأحـداقُ فـي الأبـدانِ
أخـلـيـلَ قـلـبـي وهـوَ يـوسـفُ عـصـرِهِ ... قـلـبـي الـكـلـيـمَ رميتَ في الـنيـرانِ
قـطَّـعـتَـهُ مُـذْ كـانَ قـلـبـاً طـائـراً ... ودعـوتَـهُ فـأتـى بـغـيـرِ تَـوَانِـي
يـا نـورَ عـيـنـي لا أراكَ وهـكـذا ... إنـسـانُ عـيـنـي لا يـراهُ عِـيـانـي
ولـقـدْ رأيـتُ عـلـى الأراكِ حـمـامـةً ... تَـبـكـي وتَـسـعـدنـي عـلـى أَحـزانـي
تـبـكـي عـلـى غـصـنٍ وأنـدُبُ قـامـةً ... فـجـمـيـعُـنـا نـبـكـي عـلـى الأغـصـانِ
تـخـشـى مـن الأوتـارِ فـهـيَ مَـرُوعـةٌ ... مِـثْـلـي فـلـمْ تـبـكـي عـلـى الـعِـيـدانِ

ومنه قوله: [الطويل]

(١) بعده بياض بمقدار ٦ أسطر.

في خدكَ خطٌّ مُشرِفُ الصُّدغ سطور والشاهدُ ناظرٌ على الفَكِّ يَدُور
يا عارضَهُ بالشرعِ لا تقتلني الشاهدُ فاتِكٌ وذا خَطُّكَ زُور

ومنه قوله في مليح ذر على جسده سدرٌ بالحمَّام: [من الطويل]

ومُذْ ذُرَّ ذاكَ السدْرُ مِنْ فوقِ جسمِهِ تزايدَ مَنْ أهواهُ في حُسنهِ حُسْنا
ولوْ لمْ يَزِنْ ذاكَ القوامَ اخضرارُهُ لَمَا صَحَّ عندي أنَّهُ يُشبهُ الغُصنا

ومنه قوله: [من المتقارب]

بكَيتُ حَيَاً وحَياءً بكيتُ تَفاريق دمعٍ لحادٍ حَدَا
لئنْ كنتُ أبكي بحاراً وفي خدودِكَ قَطرٌ فماذا سُدَا
فإنَّ العُيونَ تمدُّ البحارَ وليسَ على الوَردِ غيرُ النَّدى

ومنه قوله: [من الكامل]

فصلُ الشتا منحَ النواظرَ نَضْرَةً لمَّا كَسَا الأكوانَ وهيَ عَوارِي
لمْ يُلبسِ الغبراءَ خُضْرَ مطارفٍ حتى كَسَا الزرقاءَ بيضَ إزارِ

ومنه قوله: [من مخلع البسيط]

قالوا اتئِدْ لا تَخَفْ فُلاناً فرأسُهُ خِفَّةً يَطيشُ
فقلتُ بالنَّبلِ كمْ رأينا قتلَى ورُوسُ النبالِ ريش

ومنه قوله: [من الطويل]

أحبتَنا والدهرُ جمٌّ صُرُوفُهُ ووجدي على طُولِ المَدَى ليسَ يَبْرَحُ
تغيَّرتُمْ عمّا عَهِدْتُ لأجلِ ذا تغيَّرَ دَمعي وهوَ في السَّفْحِ يُسْفَحُ[1]

/ ٢٢٢/ ومنهم:

[٥٠]

محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري، قاضي القضاة، أبو المعالي، كمال الدين الزملكاني[2]

من بيت علاء كان آخره، وبحر علمٍ ضم القبرُ آخره، وكان إذا ذكر تضاءلت

(١) بعده بياض بمقدار ٩ أسطر.
(٢) **ترجمته في**: طبقات الشافعية للسبكي ٩/ ١٩٠، طبقات الشافعية للعبادي ٦٢، الوافي بالوفيات ٤/ ٢١٤، أعيان العصر ٤/ ٦٢٤، فوات الوفيات ٧١٤، البداية والنهاية ٩/ ٣٨٣، نشوار المحاضرة ٨/ ١٨٦ـ ١٨٧، تاريخ بغداد ٤/ ٢٨٧ـ ٢٩٠، وطبقات الفقهاء ١٠٨ـ ١٠٩، والمنتظم ٦/ ١٤٩، ١٥٠ =

الناس، وإذا حضر مجلساً نكس لأجله كل راس، توقل ذرى المناصب والثريا موطىء قدمه حيث داس، وحل المراتب فأغضت النجوم، كأنما خاط جفونها النعاس، وساد وما خلت البقاع. وشاد بيت عُلاهُ والجوزاء له سجف، والمجرة شراع، ثم كان حجة في مذهب الإمام الشافعي رحمه الله، لا يعرف ما ابن ادريس لولا فتُّهُ المذهب، ولا يوصف معه في التدريس إلا إمامه؛ لكونه صاحب المذهب، فما تأمل أحد الوجهين إلا قال شعاعه لمن حدَّق: اذهب ولا تذهب، ولا وقف على شعب الطريقين إلا وأخذ بأطراف المذهب، ولا مال إلى القديم إلا وأعيا عياضٌ وكبا اشهب، ولا قال بالجديد إلاَّ وتمنى النهار أنه من خليع ملابسه يوهب، فإن عطف على الأصحاب نحو الماوردي عَطَّر أرجاءه. أو الرافعي رفع قدره وحقق رجاءه، أو ابن الصباغ أظهر ما حال من ألوانه، أو المزني أتى بالمطر في غير أوانه، أو القفال لما فتح باباً، والكيا الهرَّاس لما وجد زبوناً، ولا استفاد اكتساباً، وكان نوراً مدعق تمائمه، ونوراً وما تجافى كمائمه، ودُراً وما فارق غمائمه، وصدراً وما لاث عمائمه.

حكى لي من رآه مُراهقاً، ولمبالغ الرجال مَراهقاً، أنه ما أغب كتاباً من نظر، ولا تكلم إلا وسكت من حضر، فلهذا بز نهايات الآمال، وعزَّ بعده أن تدرك غايات الكمال، وكان أكثر ما ينتج الفتاوى، مواقع سيله، ويخرج وخطوط العلماء في ذيله، /٢٢٣/ وأتقن كل علم، وأخذ منه بطرف، أو تسلط عليه تسلط من عرف، بسرعة الإدراك اختصر طريقه، وقُوَّة عارضةٍ لا تعمل معارضها أن يبلع ريقه، بقواطع حجج لا يثبت معها منظاره، ولطافة حديث لا يمل منه محاضره، ما جالس حتى ولا عدواً

=

رقم ٢٢٩، والكامل في التاريخ ٨/ ١٠٩ ـ١١٥ وفيه: «أحمد بن محمد» و«شريح»، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٥١ـ ٢٥٢ رقم ٣٧٧، ووفيات الأعيان ١/ ٦٦ـ ٦٧ رقم ٢١، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٦٩ـ ٧٠، وفيه: «أحمد بن سريج»، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٥٦، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٠١ـ ٢٠٤ رقم ١١٤، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨١١ـ ٨١٣، والعبر ٢/ ١٣٢، ودول الإسلام ١/ ١٨٥ـ ١٨٦، والوافي بالوفيات ٧/ ٢٦٠ـ ٢٦١ رقم ٣٢٢٣، ومرآة الجنان ٢/ ٢٤٦ـ ٢٤٨، وفيه: «شريح»، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ٢١ـ ٣٩، والوفيات لابن قنفذ ١٩٩ رقم ٣٠٦ وفيه: «شريح»، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٢٠ـ ٢١ رقم ٥٩٣، والبداية والنهاية ١١/ ١٢٩، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٩٤، وطبقات الحفاظ ٣٣٨، ومفتاح السعادة ٢/ ١٧٤، وشذرات الذهب ٢/ ٢٤٧ـ ٢٤٨، وطبقات الأصوليين ١/ ١٦٥ـ ١٦٦، وكشف الظنون ٧٠٥ وغيرها، وروضات الجنات ٥٧، وهدية العارفين ١/ ٥٧، وديوان الإسلام ٣/ ١١٦، ١١٧ رقم ١٢٠٣، والأعلام ١/ ١٨٥، ومعجم المؤلّفين ٢/ ٣١، الفهرست ٢٩٩ـ ٣٠٠، ص ١٠٨ـ ١٠٩، تاريخ الاسلام (السنوات ٣٠١ـ ٣٢٠هـ) ص ١٧٧ـ ١٨١ رقم ٢٦٩.

له إلا وأخذ لُبَّهُ، وقلب إليه قلبه، وكان خطه أبهى من الرياض، وأزهى ما رأى من رأى من السواد في البياض، كأنه خط العذار، أو نقش المواشط في معاصم الأبكار، هذا إلى صورةٍ محبوبة، وهيبةٍ من النفوس قريبة، وولى التدريس على صغر، وتصدر في أجل محاريبه في الكبر، وكتب الإنشاء والحساب، ثم ولي الوكالة عن السلطان والقضاء بحلب، وما ولي شيئاً إلا وأتقنه، ولا عانى أمراً إلا وأحسنه، ونال أحسنه، وتميز على نظرائه بأنه عالم، وزاد في تخليص قلمه ماهو به عالم، وله تصانيف منها «شرح المنهاج في الفقه» ولم يكمله، و«إصابة الرمية في الرد على ابن تيمية» ومصنفات في أفضلية العلماء والشهداء.

ومن نثره قوله:

من توقيع كتبه لفضائله التي بسقت في رياض الفضائل أفنانها، ومعارفه التي تمَّ عليها عرفُها ودلَّ عليها برهانها، ومآثره التي ظهرت آثارها، فصدق خبرها عند الأعيان عيانها، فإذا أنشأ أتى بالبدائع التي لم تزل عن الانتحال تتورع، والبداية التي تتعب الأفكار همّاً تتسَّرع، وإذا رقش بيض الصحائف، خلتَ الليل البهيم طرزت به أردية النهار، وقلتَ: الروض البسيم تفتحت منه الأزهار.

ومنه قوله من آخر:

علماً بما اشتمل عليه من المحاسن والمناقب في المشارق والمغارب، ورغبة في استقراره بهذا البلد الأمين، واستمرار نظره في / ٢٢٤/ أهل العلم والدين، ولينتقل في بروج السيادة، فيبدي حُكماً وحِكماً، ويتصرف في فنون الإفادة فيُصرِّف لساناً وقلماً، ويصبح وقد أحيا كل أرض نزل بها صوب فضله الذي همى، وصواب رأيه الذي لو لم يكن البحر العباب لما طمى، ولا حل بهذا حلة ثم حلةً بهذا، فطاب الواديان كلاهما.

ومنه قوله مما كتبه على مجموع ابن نباتة على الاسم العمادي صاحب حماة وسماه: «مطلع الفوائد ومجمع الفرائد»:

لقد رُضت البيان في وصف هذا الكتاب حق وصفه فجمح، واستمحت البيان أن لو وصف محاسنه، فما سمح، واقتدحت نار الفكر لأرى نهج البلاغة في مدحه، فما ورى، ولا قدح، وسرحت جياد العزم في مصائد شوارد حمده، فما سرح شيء منها، ولا سنح، وكيف يجلى مطلع الفوائد ما لا يعلو على دراري النجوم، وتحلى مجمع الفرائد بما يفوق الدر المنظوم، أين من فلك المعاني فلك الصور، وأين بحر اللآلي من بحر الفكر، هذا الفلك مطلع صباح البصائر، وذلك مطلع صباح الأبصار، وذاتك

يتعاقب فيه شمس وقمر، وهذا كله شموسٌ وأقمار، وهذا البحر يفعم بُدّره وآناء كل من اغترف، وذاك إن ولد دُرّاً خبأه تحت قراره في الصدف، فلا غرو أن أحجمت عن سلوك هذا المهيع، ووقفت عن مجاراة أهل هذه الحلبة التي ليس إلى بلوغ الغاية معهم مطمع، ولا سيما وقد جعلوا من وسم الكتاب باسمه معنى كلمهم، وبلاغة حكمهم وسراج منهاجهم، ودرة تاجهم، وطراز حلة وشيهم المرقوم، وواسطة دُرِّ عقدهم المنظوم، فبلغوا من رتب البلاغة غاية المراد، لما شاهدوا مجموع الجمال الفريد /٢٢٥/ في ذات العماد.

ومنه قوله وقد أرسل إليه والدي رحمه الله كتاباً أنشأته ليقف عليه، فكتب إليه:

وينهي أنه وقف على هذا الكتاب الذي ما أنتجه إلاَّ فكر لبيب، ولا أظهره إلاَّ أُفق أديب، ولا أمد شعاعه إلاَّ شهاب منير، ولا أهدى نوؤه إلاَّ سحاب درِّه وبرقه مستطير، تضمن من الألفاظ الأدبية، واللطائف العربية، ما تحدى به على البلغاء فلم يواخوه، وعظم به شان عبد الحميد لما قيل: إنه ابن يحيى فظنوا أنه أخوه. أقسم المملوك بأمانه جهد أيمانه أنه طرب لمواضع منه طرباً كاد يستخفه، ويميل به لما كان كالمدام من تلك الزجاجة يستشفه، فهُنِّيَ منه مولانا بسيد كريم، وإمام علم من حاضره، قال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[1].

وقوله في ورقة كتبها إليه:

وحاش لله أن يسوء سيده بفعله، أو يقابل حلمه بالإقدام على ما يغير عوائد فضله، معاذ الله، معاذ الله. ومن يجحد منن الغمام؟! وينكر صنائع الكرام؟! إنا لله لهذه الأعجوبة، ويالله كيف جازت هذه الفرية المكذوبة.

ومنه قوله في مسامحة كتبها:

وبعد، فإن الله لما خص أيامنا الزاهرة بالفتوح التي أنامت الرعايا في مهاد أمنها، وأنالت البرايا مواقع يمنها ومنِّها، وكفَّت أكف الحوادث عن البلاد وأهلها، ونشرت عليهم أجنحة البشائر في حزن الأرض وسهلها، رأينا أن نصغي بالإعفاء من شوائب /٢٢٦/ الإكدار شربهم، ونؤمن بالإعفاء من طلب البواقي التي هي على ظهورهم كالأوزار سربهم، وإن نشفع العدل فيهم كما أمر الله تعالى بالإحسان إليهم، ونضع عنهم موضع هذه الأثقال إصرهم، والأغلال التي كانت عليهم، وأن توفر على عمارة البلاد هممهم، ونبرىء من تبعات هذه الأموال اللازمة لهم ذممهم، ونريح من

---

(١) سورة يوسف: الآية ٧٦.

هم ذلك أسرارهم، ونطلق من ربقة الطلب المستمر أسارهم، ونسامحهم بالأموال التي أهملوها، وهي كالأعمال محسوبة عليهم، ونعفيهم من الطلب بالبواقي التي نَسُوها كالآجال وهي مقدمة بين يديهم، ورسم بكذا، فليتقوا هذه النعمة بباع الشكر المديد، ويستقبلوا هذه المنَّة بحمد الله تعالى، فإن حمد الله تعالى يستدعي المزيد، ويقبلوا علي مصالحهم بقلوب أزال الأمن قلقها، وأذهبت هذه المسامحة المبرورة فرقها، ونفوسٍ أمنت المؤاخذة من تلك التبعات بحسابها، ووثقت بالنجاة في تلك الأهوال من شدة طلب يأبى أن يفارق إلاَّ بها، ولتعف أثار هذا الباقي بحيث لا يترك لطباقها في أموالنا انتساب، ولا يبقى لها إلى يوم العرض يورد ولا حساب.

ومنه قوله من توقيع خطيب:

وأشهد أنَّ محمداً عبده رسوله الذي بعثه إلى الأسود والأحمر، وجعله خطيباً للأنبياء يوم المحشر، وأذعن كل شيء بنبوته حتى حَنَّ إليه الجذع اليابس حين عدل عنه إلى المنبر، وأقامه للمتقين إماماً، ونشر له في الخافقين أعلاماً أعلاماً، وأمره / ٢٢٧/ بالتبليغ، فقال: أنا سيد ولد آدم، لا افتخاراً، بل تنبيهاً وإعلاماً ﷺ وعلى آله، وبلغه منا سلاماً. أما بعد، فإن أولى ما صرف إليه وجه الاهتمام، وصرف في تقرير أمره وتحرير ذكره صريف الأقلام، أمر الإمامة في الصلوت، وإقامة الجمعة والجماعات، وكذلك الخطابة التي ما زال خطبها في الإسلام جليلاً، والمترشح لها من الأنام قليلاً، وهما رتبتان متناجيتان في الشرف، ومعتنقتان اعتناق اللام للألف، قد رفعا إلى ذروة من العلياء شامخة، ووضعا في محلٍ لا ترقى إليه إلاَّ قدم في الإقدام على المعالي راسخة، فإنَّ أعواد المنابر فلك تتنزل عن رتبته الأفلاك، وسماء يعرج فيها الملوك كما تعرج في السماء الأملاك؛ لأنها المرمى البعيد، والمرام الصعب الشديد، والمقام الذي يجتمع الناس له بالذكرى، من ﴿كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾[1]، وإن المحراب باب منه إلى الله الوصول، ومقام بين يدي الله يفوق هوله كل مهول، فلا يدخله إلاَّ من رفع دونه الحجاب، ولا يثبت فيه إلاَّ من استغفر ربه، وخر راكعاً وأناب، ولذلك شفع مقامها الفرد بمن أصبح في الآفاق فرداً، وتعين بهذه الصفات في جامعها جامُعها فكتب له بها عهداً، ورسم أن يفوض إلى فلان؛ لأنه الواحد من علماء الآفاق، وأئمة الأمصار، والحبر الذي علا كعبه على كل حبرٍ، فاستحق أن يكون كعب الأحبار؛ ولأنه الذي تفرد بجميع شروط

---

(١) سورة قٓ: الآية ٣٧.

الإمامة، فهو الكامل، والإمام الذي إذا تقدم لم يكن ذلك تقديماً للمفضول مع وجود الفاضل، فمن أحق منه بالإمامة أم من أولى منه بأن يقيم /٢٢٨/ للدين هذه الدعامة، يأبى الله والمسلمون، ولا يتقدم بأمر الله إلاَّ السابقون الأولون.

وكيف لا والموعظة من مثله في القلوب أوقع، والذكرى منه في الأفئدة القاسية أنجع وأنفع، والدعاء منه أقرب للإجابة، والقلوب إلى قوله أحق بالإنابة، وهذا المنصب ما زال يتسوق إليه، ويتشوق لمقدمه حتى إن المنبر لو استطاع، لمشى إليه، والمحراب لولا استقبال القبلة، لكان يقف بين يديه، وهو أعلم بما لهذه المرتبة من الشرف؛ فإنها رتبةٌ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو وارثهم، ودرجةٌ لم يبلغها إلاَّ نبيٌ، أو أميرٌ، أو عالمٌ، وهو ثالثهم.

وأما شعره، فقليلٌ مختاره. ومنه قوله: [من الطويل]

سواكمْ بقلبي لا يحلُّ ولا يحلُو كما أنَّه مِنْ حسنِكُمْ قطَّ لا يخلُو
حَلَلتمْ عُرى صبري وحلَّلتُم دمي وحرّمتمُ وصلي، فلذَّ لي القتلُ
أَحبَّةَ قلبي ليس قلبي مُتيَّمٌ كمثلي ولا في العالمينَ لكم مِثْلُ
فلا تحسبَوُا أنِّي مَلِلتُ هواكُمُ ولا أنَّني يوماً أَمَلُّ ولا أَسلُو

ومنه وقوله: [من المتقارب]

وفي حلبة الخَدِّ مِنْ أدُمعي خُيولٌ تجولُ ولا تُركَبُ
فَسَبْقُ الكُمَيتِ بها بَيِّنٌ ولكنْ تقدَّمَهُ الأشهبُ[1]

وكان هذا الشيخ كمال الدين يجل المترجم وبلغه انني قد أجدت في حله، فجهز لي سبحة من الخرز والجزع، فحدست انها ... فوضعت لها اسماً إلاَّ ما نحلت، فإذا بي أول قصيدة الصرصري: [من البسيط]

يا سائق الركب لا تعجل فلي أربٌ فوق الرواحل حالت دونه الحجبُ
لعل بدر الدجى يرخي اللثام لنا عن عارضيه فيشفي الواله الوصبُ[2]

فكتب إليه قصيدة في الوزن والقافية معربة عن مدحه، ومعرّضاً بأم المترجم وليس هو موضع ذكرها فأعجبته، فكتب إلي: [البسيط]

يا فرع عليا لا تخفى محاسنه فيك النهى والعلى والفضل والأدب

(١) بعده بياض بمقدار ٤ أسطر، والصفحة التي تليه بكاملها.
(٢) من قصيدة قوامها ٤٢ بيتاً في ديوان الصرصري٨١ـ ٨٤.

بعثتها يا ابن يحيى أي قافية عبد الحميد إليها..... من طربِ
بلاغة ما رأى عبد الحميد لها بـــنـــات. . . . .
وإن علوت على الأفلاك مرتبة فهذا في السماوات العلى الشهبِ
وأنت أفضل أبناء الزمان ولا شك . . . . .ولا ريب
لا غرو ان كنت فيها مغرماً كلفاً لو تهت دهراً بها يوما فلا عجبِ

يقبل الباسط..... لا زال سحابه مطيراً، وشهابه منيراً وإذا به يفوق نظماً ونثراً وزوّد القصيدة البائية التي أخرجت زهرها من الأكمام، وجددت له نشأة أطيب من أبي الطيب، وأتم حسناً من أي...... موضحة لسرّ المترجم، معربة عما أعجم، فطرب الهول لعدّ المعاني، وعوذها من غير الكمال بالسبع المثاني، ..... فقسم بالله انها أقصى الغايات، .... المبادى ورا..... ما بلغه غيره من النهايات].

/ ٢٣٠/ ومنهم:

[٥١]

إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري، الشافعي، أبو إسحاق، شيخ الإسلام، برهان الدين[(١)]

التزم بطريقة أبيه حتى كان إبراهيم الذي وفى، ونزع به إليه الشبيه فما أعفى، وكان في زمانه أمةً قانتاً، وطوداً لا يقلقل ثابتاً، ثبت على هذا طول مدته، وكل عمره حتى أكل الدهر رونق جدته، وكان للدين برهاناً، وفي الزمان المسيء إحساناً، التفت عليه بقايا حلقة أبيه، واحتفت به، لم يبق منهم أحد حتى من يربيه.

اشتغل بعد موت والده على قاضي القضاة أبي عبد الله الخويي، وكان ولي الشام، ونشق منه ما ملأ المشام، فارتضاه لمنته، واصطفاه لابنته، وكان الخويي محباً لتقديم النجباء، وتكريم الألباء، وأذن لجماعة بالفتوى كان هو أولهم وأولاهم بما خوّلهم، ثم كان يخطب لجلة المناصب فيأباها، ويأنف منها وما أتته إلاّ أشباهاً، حتى توفي قاضي القضاة ابن صصرى، وتوقى المنصب أن يحَمّل إصراً، ولم يكن

---

(١) **ترجمته في**: طبقات الشافعية للسبكي ٩/ ٣١٢، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٢٤٠، الوافي بالوفيات ٦/ ٤٣، الدرر الكامنة ١/ ٣٤، طبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٢٩٠، أعيان العصر ١/ ٨٥، فوات الوفيات ١/ ٣٢، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٥٩٠، شذرات الذهب ٦/ ٨٨، الدارس ١/ ٢٠٨، البداية والنهاية ٩/ ٣٩٨، ذيول العبر ١٦٠- ١٦١، المنهل الصافي ١/ ٩٩، مرآة الجنان ٤/ ٢٧٩.

سواه من يجمع، عليه ويطمع النظر دونه إليه، فجهد ملك الأمراء بالشام تنكز في توليته، وطلبه إليه، وأخذ في ملاطفته وتفديته. وهو يصر على الامتناع، وتجلى عليه، ولا يكشف عنها القناع، هذا بعد أن يبعث إليه أكابر العلماء، ودخل عليه منهم بأماثل العظماء، وأتاه الخطيب القزويني، وابن الزملكاني برسائله، وجَدًّا في وسائله، وهو لا يلفت إليهم وجهاً، ولا يرى إلاَّ عنهم غافلاً يتلهى، وقعد لها حتى تخطته، ونزل عن صهوتها، وقد أمطته.

تفقه بأبيه وابن الخويي، وأخذ النحو عن عمه شرف الدين، ودأب الليل والنهار في القراءة، والمطالعة، والاشتغال والأشغال، والتعليق، والمراجعة، ومذاكرة من حضر، وطلب التحقيق لكل مسألة، والتحرير في حل كل مشكلة.

قلت: حكى لي من لا أشك فيه أن ابن الزملكاني / ٢٣١/ كان يعلق فتاوى الشيخ إذا أتته، وربما تشكل عليه المسألة فيضع لها سؤالاً، ويدس به من يأتيه، فيأخذ خطه عليه.

وكان ابن تيمية إذا ذكر الفقهاء قال: الفقيه ابن الفِرْكاح.

وكان ابن المجد، عبد الله يقول: ينبغي لمن حضر مع الشيخ برهان الدين أن يتأدب.

وسمعته مرة يقول: ما يستحق أحد أن يتكلم مع الشيخ برهان الدين إذا تكلم في الفقه، ولكن يسمع.

وكان رحمه الله كريم النفس، سخي الكف، لا يرد سائلاً، ولا يُخيّب آملاً، على ضيق رزقه، وقلة ذات يده، مع الصبر، والاحتمال، والقناعة، والتصدي لإشغال الطلبة في المسجد الجامع، وفي المدرسة الباذرائية، وفي بيته. لا يرى له راحةً إلاَّ في التعب، فلا يزال معمور الأوقات بالذكر، والاشتغال، والأشغال، والمطالعة، والتصنيف، والتأليف، والفتوى، هذا إلى خلقٍ حسن، وانبساط، ومجون لا يُحظر مثله، مع ملازمة عيادة المرضى، وتشييع الجنائز، ومجاملة الناس في السلام على القادمين، والتوديع للمسافرين، وتهنئة من تجددت له مسرة، والتغمم لمن نابته نائبة، إلى غير هذا من مكارم الأخلاق، والمحاسن على الإطلاق، وأكثر من برع من الفقهاء بدمشق، وبلاد الشام. وقضاة البر تلاميذه، وعنه أخذوا.

وقال لي العلامة فخر الدين المصري: لولا الشيخ برهان الدين لما تفقه أحد، يعني في مذهب الشافعي في زمانه.

قلت: والذي قاله هو الحق؛ لأنه لم يكن في مشايخ زمانه لا من أهل مذهبه ولا

من غيرهم من كان متصدياً لإشغال الناس، وإفادتهم غيره، لا يشغله عن ذلك شاغل، ولا يصده صاد، وله مصنفات أجلها «التعليقة الكبيرة» وهي على التنبيه في... ومنها: مصنف في «المنطق» وأخر سماه «تفهم المجاملة في علم المراسلة» وبعث به إليَّ لأقف عليه، فكتبت عليه مقرضاً له، وليس بطائل.

/ ٢٣٢/ ومنهم:

[٥٢]

محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر الكناني، الحموي الأصل، الشافعي، قاضي القضاة، بدر الدين، أبو عبد الله(١)

بقية المشايخ القدماء، وآخر الأكابر العلماء، وكفؤ القضاء، وأهل الإمضاء، وصدر العظماء، وبدر الدين في الأرض أخو بدر السماء، تهادته من بيت المقدس عقيلتا الإسلام، وخطبته دمشق ضرة إرم ذات العماد، ومصر شقيقة بغداد دار السلام، وجمع له في كل منهما بين الخطابة والقضاء، فأحسن فيهما عن الخلفاء الخلف، وأبيح له منهما الجمع بين الأختين، وكان لا يباح إلاَّ ما سلف، ووفق بينهما، وكانت لا تتفق الضرائر، ولا يحصل الجمع بين الأختين على صفاء السرائر، وتخلت كواعب المناصب غير ما مرة من حبائله، فكانت لا تعرف هجوعاً، ولا تقر حتى تراجعه، ويبيت لها ضجيجاً، وجمعني وإياه الحج، فلما كنا بموقف الصخرات، ونحن به حيث تعقد النظرات، نزل عن بغلة كان عليها، وركب ناقةً تنتقل إليها، فطلع بدره أتم من قمر تلك العشية، وأوقر من تلك الأطواد العلية، فقلت: [من مجزوء الرمل]

يومَنا في عَرَفاتٍ ... كنتَ مِنْ إحدى المنائِحْ
إذْ وقفنا حولَ حَبْرٍ ... فيهِ تحلو لِي المَدَائِحْ
وعلى الناقةِ منُه ... بدرٌ تمَّ منه لائح

---

(١) ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي ٩/ ١٣٩، طبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٣٨٦، الوافي بالوفيات ٢/ ١٨ـ ٢٠، أعيان العصر ٤/ ٢٠٨، فوات الوفيات ٣/ ٢٩٧، نكت الهميان ٢٣٥، البداية والنهاية ٩/ ٤١٦، الدرر الكامنة ٣/ ٣٦٧، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٠٢، ذيول تذكرة الحفاظ ١٠٧، ذيول العبر ١٧٨، الأنس الجليل ٢/ ١٣٦، حسن المحاضرة ١/ ٤٢٥، شذرات الذهب ٦/ ١٠٥، طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٤٨، قضاة دمشق ٨٠ـ ٨٢، النجوم الزاهرة ٩/ ٢٩٨، مرآة الجنان ٤/ ٢٨٧.

قيلَ: مَنْ هذا فقلنا: صاحبُ الناقةِ صالحْ

ثم أتيت الديار المصرية حين انتقالي إليها، فكنت أجتمع به، وآخذ عنه.

مولده بحماة في سنة تسعٍ وثلاثين وستمائة، وسمع سنة خمسين من شيخ الشيوع الأنصاري، وبمصر من الرضي بن البرهان، والرشيد العطار، وإسماعيل بن عزّون وغيره، وبدمشق من أبي اليسر، وابن عبدٍ، وطائفة، وأجاز له عمر بن البراذعي والرشيد بن مسلمة، وحدث بالشاطبية عن ابن عبد الوارث صاحب الشاطبي، وحدث بالكثير، وتفرد في وقته.

وكان قوي المشاركة في علوم الحديث والفقه والأصول والتفسير، خطيباً يخطب من إنشائه، ذا تعبد، وأوراد، وحجٍ.

[وله عدة تصانيف، درس وأفتى واشتغل، ونُقل إلى خطابة القدس، ثم طلبه الوزير ابن السلعوس، فولاه قضاء مصر، ورفع شأنه، ثم أتى الشام قاضياً، وولي خطابة دمشق مضافة إلى القضاء، ثم طلب لقضاء مصر بعد ابن دقيق العيد، وامتدت أيامه، ثم عُزل بالزرعي عند عود السلطان من الكرك ثاني مرة، ثم أُعيد ودام حتى استعفى، وولي عوضه القزويني.

وله نظم كثير، ومنه قوله: [من الكامل]

لمَّا تمكَّنَ مِنْ فُؤادي حُبُّهُ ... عاتبتُ قلبي في هَواهُ ولُمتُهُ

فرثَى لهُ طَرْفي وقالَ: أنا الذي ... قدْ كنتُ في شَرَكِ الهَوَى أوقعْتُهُ

عاينتُ حسناً باهراً فاقتادَني ... سِرّاً إليهِ عندما أبصرتُهُ

وقوله: [من الوافر]

أحِنُّ إلى زيارةِ حَيِّ ليلَى ... وعهدي مِنْ زيارتِها قريبُ

وكنتُ أظنُّ قُرْبَ العَهدِ يُطفِي ... لهيبَ الشوقِ فازدادَ اللَّهيبُ

وقوله: [من الكامل]

يا لهفَ نفسي لوْ تدومُ خَطابتي ... بالجامعِ الأقصى وجامعِ جِلِّقِ

ما كان أَهنأَ عيشَنا وألذَّهُ ... فيها وذاكَ طِرازُ عمري لوْ بَقِيْ]

ومنهم: / ٢٣٣/

[٥٣]

محمد بن محمد بن عبد القادر ابن الصايغ، الشافعي، الإمام، الزاهد، بدر الدين، أبو اليسر(١)

قد غلب الجنيد في جمعه، وسبق إبراهيم بن أدهم بدمعه، وزاد على أبي يزيد في كشفه، وتأنى والسّري يسري من خلفه، ومعروف يستدل بعرفه، هذا مع علم جم هو الذي أوجب له أن يزهد، وأراه ما وراء البصر ليشهد، وكان يدع في غالب أوقاته المدينة ويخرج إلى قراها شغفاً بالخمول والبعد، ليتقدم أمام الحمول، ولما خلا منصب قضاء القضاة بدمشق عرض عليه، وترقق له؛ ليقبله ملك الأمراء تنكز، ولم يتطلع إليه، وجاءه تقليد السلطان، فحين بلغه وصوله، فرّ إلى بعض القرى، وتغيب أياماً لا يرى، وصمم على رأيه في عدم القبول، وبقي التقليد حتى جف، وأسرع في ورقه الذبول، ثم إنه ولي خطابة بيت المقدس، وازداد به ضياء يومها المشمس، ثم إنه تركها، وأفلت منها، وقطع شبكها.

أخذ الفقه عن ابن الفركاح ولازمه ملازمة ظله، وطاوعه مطاوعة نعله، وتشبه بأفعاله، وتشبث بأذياله، وسلك نحو طريقته المثلى، وكان في غاية الورع والتقشف، والتقلل من الدنيا، والفرار من الناس، وكان أبعد الناس من شبهةٍ، لم يزاحم في مدّة عمره على منصب، ولا نافس لسوامه في مجدب، ولا مخصب.

وكانت بيني وبينه صداقة مؤكدة الإخاء، معدة للشدة والرخاء.

ولد...وتوفي... ودفن بتربة تعرف بهم بسفح قاسيون.

/ ٢٣٤/ ومنهم:

---

(١) ولد سنة ٦٧٦هـ، وتوفي سنة ٧٣٩هـ.

ترجمته في: ذيل العبر ٢٠٦ـ ٢٠٧، والإعلام بوفيات الأعلام ٣١٣، وذيل تذكرة الحفاظ ٢٢، ومرآة الجنان ٤/ ٣٠١، والوفيات لابن رافع ١/ ٢٦٢ـ ٢٦٥ رقم ١٣٧، والمختصر في أخبار البشر ٤/ ١٢٩، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٤٦٤، وعيون التواريخ ١/ ورقة ٣٥ب، ٣٦أ، وفوات الوفيات ٢/ ٣٥٠، وأعيان العصر ٥/ ١٩٧ـ ١٩٩ رقم ١٧٦٧، والوافي بالوفيات ١/ ٢٤٨هـ، وذيل تذكرة الحفاظ ٢٢، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣/ ١٤٦، رقم ٢٦٨، والسلوك ج٢ ق٢/ ٤٧١، وعقود الجمان، ورقة ٢٦٥أ، ٩٤/ ٣٤٣، ٣٤٤، والمنهل الصافي ٦/ ورقة ٧٥٠أ، ب، الدليل الشافي ٢/ ٦٩٤، رقم ٢٣٧٦، والدارس ١/ ٢٣٨ـ ٢٣٩، والأنس الجليل ٢/ ١٣٦، وقضاة دمشق ٧٦، وشذرات الذهب ٦/ ١٢٣، وموسوعة علماء المسلمين (المستدرك على القسم الثاني) ص ٢٦٨ـ ٢٦٩ رقم ٢٣٣، وطبقات الفقهاء الشافعيين ٢٠٣ـ ٢٠٤، وتذكرة النبيه ١/ ٣٠٣، ودرّة الأسلاك ٢/ ٣١٢، تاريخ الاسلام (السنوات ٧٠١ـ ٧٤٦هـ) ص ٣٥٤ـ ٣٥٥ رقم ١٠٦٤.

[٥٤]

محمد بن علي بن إبراهيم، القاضي، الإمام، الحجة، فخر الدين، أبو المعالي، المصري(١)

الذي لا يسمح منه بالمثاقيل، ولا يهون ذهبه، فيشبَّه به ذائب الأصيل، ولا يقاس به كل مصري يعم البلاد نفعه، كما يقاس النيل، بل هو البحر المصري؛ لأنه ذو النون، والقطب المصري بل صاحبه الإمام فخر الدين، ومثله لا يكون ذو العلم المعروف الذي لا ينكر، واللفظ الحلو المصري السكر، فاء على الإسلام ظلاً مديداً، واستطرف للأيام فضلاً جديداً، وهو إمام الشام، وغمام العلم العام، طالما زجرت فضائله المسامع، وفخرت دمشق منه بالجامع، ولا حلق أخويه في السماء إلاَّ ليرى بمثله ثم فروقه انقطعت به المطالع، فبرّد دير بردى عينا باستقراره في دياره، وطال ظل النيرين بأنه قال في فيه، واستقر في جواره، وهو أفقهُ من هو بالشام موجود، وأشبه عالم بأصحاب إمامه في الوجود، وأشبه سمي يُسمّى بلغ به رتبة الكمال، وصعد هضبةً العلياء، وما تشكى الكلال.

مولده...

سمع الحديث من شيوخ وقته، وتفقه على ابن قاضي شهبة، وابن الفركاح، ثم صحب ابن الزملكاني، والخطيب القزويني، وقرأ عليهما، وانتفع بهما، وكان ابن الزملكاني أول آذنٍ له في الإفتاء، وولي بعده تدريس العادلية الصغيرة، وكان ينوه بذكره، وينبه على شكره، ويصف تقدمه في العلم والفهم، ويصفه بإفراط الذكاء، وكان إذا أتته الفتوى بحضوره ألقاها إليه، وقال: ما تقول فيها؟ وكذلك كان / ٢٣٥/ يفعل بابن جُملة إلاَّ أنه كان يرجحه في الفهم على ابن جملة، ولما ولي القزويني القضاء بالشام، استنابهما في الحكم برأي ابن الزملكاني.

ثم زهد فخر الدين في القضاء، وتركه وعُين للقضاء بطرابلس، فأبى واستقال، وقال: لا ألي القضاء أبداً، ثم درَّس بمدارس أخرى منها المدرسة الرّواحية حين طلب الشيخ شمس الدين الأصفهاني إلى حضرة السلطان بمصر، لاجتماع شروطهما

---

(١) توفي سنة ٧٥١هـ.

ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي ٩/ ١٨٨، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣/ ٦٢، الوافي بالوفيات ٤/ ٢٢٦، أعيان العصر ٤/ ٦٥٤ـ ٦٥٩، الوفيات لابن رافع ١/ ٢٢٩، الذيل التام ١١٥، النجوم الزاهرة ١٠/ ٢٥، الدارس ١/ ١٨٤، ذيول العبر ٢٨٣، الدرر الكامنة ٤/ ٥١.

فيه دون غيره، وحج مرات، وجاور بمكة والمدينة.

وهو اليوم بدمشق لإشغال أبناءها، وقصد إفتائها، جلس مكان شيخه ابن الفركاح، واجتمعت عليه الطلبة، وتصدى للاشغال والاشتغال، وتقرير المباحث، وإجابة السؤال. هذا إلى غنًى ويسار، وبر وإيثار، وملازمة جماعات لا يقطعها، وجاري عادات لا يمنعها، محافظاً على عيادة المرضى، وتشييع الجنائز، ومجالسة الفقراء، والتغليس إلى المساجد مع رياضة أخلاق، ولين جانب، وتفرد في أهل بلده بسيادة أهل المذهب.

وقد حكى لي من أثق به أنه كان القيم بأهل ابن جملة أيام محبسه بالقلعة في مدة عقلته. وطول عطلته، وقد رزق من الولد من أنجب، واعجز ابتداؤه وأعجب[1].

/٢٣٦/ ومنهم:

[٥٥]

الأيكي، عبد الرحمن بن عبد الغفار، التيمي، البكري، عضد الدين، قاضي قضاة الشرق[2]

حي موجود، ومحيي للجود، عطاياه جسام، وسجاياه وسام، وجداه نائل، ونداه طائل، تحلى به حزب الله الغالب، وتخلى كرمه للطالب.

قال الذهلي: هو ذو إنصاف، وعدل، وسياسة، شافعي من الفروع، أشعري في الأصول، ينصر مذهبه، ويحط على المعتزلة والفلاسفة. حسن الصورة، والخط، والعبارة، والإنشاء، قادر على البحث، إمام في المنطق، شرح «مختصر ابن الحاجب» في الأصول في مدة شهر، وله عدة كتب مصنفة ومؤلفه، وأجاب الأرموي عن اعتراضاته على الإمام الرازي.

أخذ عن قطب الدين القالي، وجمال الدين الدمشقي وغيرهم، وأخذ عنه أكثر

---

(١) بعده بياض بمقدار ٥ أسطر.

(٢) توفي سنة ٧٥٦هـ.

ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي ١٠/ ٤٦، طبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٢٣٨، طبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٢٣٨، بغية الوعاة ٢/ ٧٥، شذرات الذهب ٦/ ١٧٤ـ ١٧٥، الدرر الكامنة ٢/ ٤٢٩، النجوم الزاهرة ١٠/ ٢٨٨، البدر الطالع ١/ ٣٢٦ـ ٣٢٧، السلوك ج٣ق١/ ١٦، تلخيص مجمع الأداب ١/ ٤٤٤ـ ٤٤٥، مفتاح السعادة ١/ ٢١١.

فضلاء الشرق منهم أوحد المحققين قطب الدين الرازي، وروى عن الدوري عن الصغاني.

قال الذهلي: يقال إنه أعرف بالكلام من الإمام فخر الدين الرازي، وإنما هو متشرع لا يعرف إلاَّ بهذا، وقال: إن بلده الأيك كله أو جُلِّه ملكه، وإنه كريم حرق اليدين، يقوم بثلاثمائة طالب، أو نحوهم من ماله[١].

* * *

(١) بعده بياض بمقدار ٧ أسطر.

[فقهاء الشافعية في الجانب الغربي]

وأما الشافعية بالجانب الغربي: فلم يوجد أحد منهم إلاَّ بمصر، وهم بها عددٌ جم في كل زمانٍ، ولهم بها أقدارٌ علية، وتعظيم جانب، وبمذهبهم يتمذهب جمهور أهل البلد /٢٣٧/ لمثوى الإمام الشافعي رضي الله عنه فيهم، وحسن رأيهم فيه.

فمنهم صاحبه:

[٥٦]

أبو يعقوب، يوسف بن يحيى المصري، البُوَيْطيُّ[1]، صاحب الشافعي

أحد من طار به خبره، ولمس فأبت أن تلين زبره، قبض على دينه والجمر ملتهب، والسيف للأرواح منتهب، والمحنة قد شملت ظلماؤها، والفتنة قد ترامى شررها وأربد ماؤها، والبلية قد عمّت، والليلة الليلاء قد جمعت النوام وضمت، فما زحزحت هذه القواصف مستقر دينه، ولا غيرت مستمر يقينه، حتى مات وهو في أسار الحديد، وخلِّي في القبر وقد أزلف في الجنة منزله الجديد.

اختص به الشافعي في حياته، وقام مقامه في الدروس والفتوى بعد وفاته، سمع الحديث، وحمل في أيام الواثق بالله من مصر إلى بغداد في مدة المحنة، وأريد على

---

(١) **ترجمته في**: الجرح والتعديل ٩/ ٢٣٥ رقم ٩٨٨، وتاريخ بغداد ١٤/ ٢٩٩ رقم ٧٦١٣، والفهرست ٢٩٨، والأنساب ٢/ ٣٣٩، والكامل في التاريخ ٧/ ٢٦، واللباب ١/ ١٨٩، ووفيات الأعيان ٧/ ٦١ـ ٦٤ رقم ٨٣٥، وتهذيب الكمال (المصوّر) ٣/ ١٥٦٣ـ ١٥٦٤، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٣٦، والعبر ١/ ٤١١، ودول الإسلام ١/ ١٣٩، والمعين في طبقات المحدّثين ٩٢ رقم ١٠٣٩، والكاشف ٣/ ٢٦٣ـ ٢٦٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٨ـ ٦٣ رقم ١٣، وطبقات الفقهاء الشافعية للعبّادي ٧، ومرآة الجنان ٢/ ٢٠١ـ ٢٠٢، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٠٨، وطبقات الشافعية للقاضي ابن شهبة ٤٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١/ ٢٧٨، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٢٠ـ ٢٢ رقم ٤، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٧٩، والانتقاء ١٠٩، ومناقب الإمام أحمد ٣٩٧، ومعجم البلدان ٢/ ٣١١، وتهذيب التهذيب ١١/ ٤٢٧ـ ٤٢٩ رقم ٨٣٤، وتقريب التهذيب ٢/ ٣٨٣ رقم ٤٦٣، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٦٠ـ ٢٦١، وحسن المحاضرة ١/ ١٢٣، ومآثر الإنافة ١/ ٥٥٧، وخلاصة تذهيب التهذيب ٤٤٠، وشذرات الذهب ٢/ ١٧١ـ ٧٢، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١٦ـ ١٩، تاريخ الاسلام (السنوات ٢٣١ـ ٢٤٠هـ) ص ٤٢٢ رقم ٥٠٧.

القول بخلق القرآن الكريم، فامتنع من الإجابة إلى ذلك، فجلس ببغداد، ولم يزل في السجن والقيد حتى مات.

وكان صالحاً، متنسكاً، عابداً، زاهداً.

قال الربيع بن سليمان: رأيت البويطي على بغل في عنقه غل، وفي رجليه قيد، وبين الغُل والقيد سلسلة من حديد فيها طوبة وزنها أربعون رطلاً، وهو يقول: إنما خلق الله سبحانه وتعالى الخلق بكنّ، فإذا كانت كن مخلوقة، فكأن مخلوقاً خلق مخلوقاً، فوالله لأموتن في حديدي حتى يأتي من بعدي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشان قومٌ في حديدهم، ولئن أُدخلت عليه لأُصدقنه. يعني الواثق.

وقال أبو عمر بن عبد البر: كان ابن أبي الليث قاضي مصر يحسد البويطي ويعاديه، فأخرجه في وقت المحنة في القرآن العظيم فيمن أخرج من مصر إلى بغداد، ولم يخرج من أصحاب الشافعي /٢٣٨/ غيره، وحمل إلى بغداد وحبس، فلم يجب إلى ما دُعي إليه في القرآن، وقال: هو كلام الله غير مخلوق، وحبس ومات في السجن.

وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي: كان البويطي إذا سمع المؤذن، وهو في السجن يوم الجمعة، اغتسل ولبس ثيابه، ومشى حتى يبلغ باب السجن، فيقول له السجان: أين تريد؟ فيقول: أجيب داعي الله، فيقول: ارجع عافاك الله، فيقول البويطي: اللهم إنك تعلم أنّي قد أجبت داعيك، فمنعوني.

وقال ابن أبي الجارود: كان البويطي جاري، فما كنت أنتبه ساعةً من الليل إلاَّ سمعته يقرأ ويصلي.

وقال الربيع: كان أبو يعقوب أبداً يحرك شفتيه بذكر الله تعالى، ما رأيت أحداً أنزع لحجةٍ من كتاب الله تعالى من أبي يعقوب البويطي.

وقال الربيع أيضاً: كان لأبي يعقوب منزلة من الشافعي، كان الرجل ربما يسأله عن المسألة، فيقول له: سل أبا يعقوب، فإذا أجابه أخبره، فيقول: هو كما قال.

وقال أيضاً: ربما جاء صاحب الشرطة إلى الشافعي، فيوجه أبا يعقوب البويطي ويقول: هذا لساني.

وقال الخطيب في تاريخ بغداد[1]: لما مرض الشافعي مرضه الذي مات فيه،

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/٣٠١.

جاء محمد بن عبد الحكم ينازع البويطي في مجلس الشافعي، فقال البويطي: أنا أحق به منك، وقال ابن عبد الحكم: أنا أحق بمجلسه منك، فجاء أبو بكر الحميدي، وكان في تلك الأيام بمصر، فقال: قال الشافعي: ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف بن يحيى يعني البويطي، وليس أحد من أصحابي أعلم منه، فقال له ابن عبد الحكم: كذبت، فقال الحميدي: كذبت أنت، وكذب أبوك، وكذبت أمك. وغضب ابن عبد الحكم، فترك مجلس الشافعي، وتقدم مجلس في الطاق، وترك طاقاً بين مجلس الشافعي ومجلسه، وجلس البويطي فيه في الطاق الذي كان فيه يجلس الشافعي.

/ ٢٣٩/ وقال أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم: رأيت أبي في المنام، فقال لي: يا بني عليك بكتاب البويطي، فليس في الكتب أقل خطأً منه.

وقال الربيع بن سليمان: كنت عند الشافعي أنا والمزني، وأبو يعقوب البويطي، فنظر إلينا، فقال لي: أنت تموت في الحديث، وقال للمزني: هذا لو ناظره الشيطان قطعه أو جدله، وقال للبويطي: أنت تموت في الحديد. قال الربيع: فدخلت على البويطي أيام المحنة، فرأيته مقيداً إلى أنصاف ساقية، مغلولة يداه إلى عنقه.

وقال الربيع أيضاً: كتب إليَّ أبو يعقوب من السجن أنه ليأتي عليَّ أوقات لا أحس بالحديد أنه على بدني حتى تمسه يدي، فإذا قرأت كتابي، فأحسن خلقك مع أهل حلقتك، واستوص بالغرباء خاصة خيراً، فكثيراً ما كنت اسمع الشافعي يتمثل بهذا البيت: [من الطويل]

أهينُ لهمْ نفسي لأُكرِمَها بهمْ ولنْ تُكرمَ النفسُ التي لا تهُينُها

توفي يوم الجمعة في رجب سنة إحدى وثلاثين ومائتين في القيد والسجن ببغداد، وقيل: سنة اثنتين، وقيل: يوم الثلاثاء.

ومنهم:

[٥٧]

حَرْمَلَة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة بن عمران التجيبي، أبو حفص، المصري[١]

أحد الحفاظ المشاهير من أصحاب الشافعي، وكبار رواة مذهبه الجديد،

(١) **ترجمته في**: التاريخ لابن معين برواية الدوري ٢/ ١٠٥، والتاريخ الكبير للبخاري ٣/ ٦٩ رقم ٢٤٥، =

ومذهبه الذي زُهِيَ به كل عطف وجيد، أحيا العلم بعد نبو نباته، وتصريح أسنانه، فأزاح رونقه، وأزال رنقه، بفضائل سامية الأعلام، هامية الغمام، وعمّر والسيادة له مستمرة، والزيادة مستدرة، والسعادة لا تخلق له ثيابها، ولا تطلق لغير سهام حظه عيانها، ولم يزل على هذا وبوارق سحبه منجزة، وصواعق رهبه معجزة، حتى حمى مطالع /٢٤٠/ مذهبه، وحفظها من العدو، وخفضها بالهدو، فأضحت لا تجاذب أطرافها، ولا تجانب إشرافها، ولا يصوح لها نبات، ولا يزحزح ثبات بقيام أدلة، تضمن انكشاف الأضواء، وانكفاء الضوضاء.

قال ابن معين: كان أعلم الناس بحديث ابن وهب ونظر إليه أشهب، فقال: خير أهل المسجد. وكان حديث ابن وهب قريباً من مائة ألف حديث، كانت عند حرملة إلاَّ حديثين.

قال الشيخ أبو إسحاق: كان حافظاً للحديث، وصنف «المبسوط» و«المختصر» وولد سنة ست وستين ومائة، ومات سنة ثلاث وأربعين ومائتين.

= والمعرفة والتاريخ للفسوي ١/ ٢٣٦، ٦٤٥، ٦٥١، ٦٥٩ و٢/ ٢١٧، ٢١٨ و٣/ ١٣٨، ٣٢٠، وأخبار القضاة لوكيع ١/ ١٤٣ و٢/ ٢٠٢، والجرح والتعديل ٣/ ٢٧٤ رقم ١٣٢٤، والولاة والقضاة للكندي ٣٠، ١٢٣، ٤٢٩، ووُلاة مصر، له ٥٤ـ ١٤٥، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عديّ ٢/ ٨٦٣ـ ٨٦٦، والفهرست لابن النديم ٢٦٥، ورجال صحيح مسلم لابن منجويه ١/ ١٧٧ رقم ٣٦٢، وأدب القاضي للماوردي ١/ ٥٧٨، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٨٦، ٨٩، والسابق واللاحق للخطيب ٢٦٥ رقم ١٢٠، والانتقاء لابن عبد البّر ١٠٩؛ وتاريخ جرجان للسهمي ٨٩، ١٤٣، ٥١٨، والجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ١/ ١١٢ رقم ٤٣٤، والمعجم المشتمل لابن عساكر ٩٥ رقم ٢٢٤، واللباب لابن الأثير ١/ ٢٠٧، وفيه: «حرملة بن عمرو»، ومعجم البلدان ٣/ ٨٨٨ و٤/ ٤٨، ٧٨٢، والإرشاد للخليلي (طبعة ستنسل) ٢/ ٩ـ ١٠، والأنساب لابن السمعاني ٣/ ٢٥، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ١٥٥ـ ١٥٦ رقم ١١٦، ووفيات الأعيان ٢/ ٦٤ـ ٦٥ رقم ٧٩، و٥/ ٤٠٩ و٧/ ٣١٣، وملء العيبة للفِهري ٢/ ٢٨١، وتهذيب الكمال للمزّي ٥/ ٥٤٨ـ ٥٥٢ رقم ١١٦٦، والعبر ١/ ٤٤٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٨٦، وميزان الاعتدال ١/ ٤٧٢، ٤٧٣ رقم ١٧٨٣، والمغني في الضعفاء ١/ ١٥٣ رقم ١٣٥١، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٣٨٩ـ ٣٩١ رقم ٨٤، والكاشف ١/ ١٥٤ رقم ٩٨٦، ومرآة الجنان ٢/ ١٤٣، والمعين في طبقات المحدّثين ٨٤ رقم ٩١١، والوافي بالوفيات ١١/ ٣٣٤، والمستدرك على الصحيحين ١/ ١٥٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١/ ٥٧ـ ٥٩، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٤٥، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٧٨، وتهذيب التهذيب ٢/ ٢٢٩ـ ٢٣١ رقم ٤٢٦، وتقريب التهذيب ١/ ١٥٨ رقم ٢٠٣، وحسن المحاضرة ١/ ٣٠٧، وطبقات الحفاظ ٢١٠ـ ٢١١، والوفيات لابن قنفذ ١٧٨ رقم ٢٤٣، وطبقات الفقهاء الشافعية للعبّادي ١٧، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٢٢، وخلاصة تذهيب التهذيب ٧٤، وشذرات الذهب ٢/ ١٠٣، ولسان الميزان ٦/ ٢٢٦، وتاريخ الإسلام (السنوات ٢٤١ـ ٢٥٠هـ) ص٢١٦ رقم ١٢٦ .

ومنهم:

[٥٨]

إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق المُزنيُّ[(١)]، أبو إبراهيم

لم يقم مذهب صاحبه الإمام الشافعي إلاَّ بوزنه، ولم يدم سح سحابٍ إلا من مزنه، ولا شيم برق إلاَّ ونوؤه المزني قادح ناره، وماتح مائه من دافق أنهاره، ومفتل خيوط الأنواء من أدنى ما وهب، ومكتنف سجوف اللأواء منه بالذهب، وهو ذو المختصر الذي ما أتى بمثله مطيل، ولا أوتي نظير فضله إلاَّ من ادَّعى الأباطيل.

وكان البحر فيض ندى، والغمام ومض شعاع يطير بأجنحة الضرم مصعداً، نور دجًى بعبادة محت حندسه، وحمى الوادي بما أسسه، وسكن مصر فأضحت به مقدسة، لتقوى عمّرت باطنه، وعمت مواطنه، وعدت عليها البحار، ولم تزل في مكانها قاطنة، حتى واراه الضريح، وناب القبر عن الصدر، والرثاء عن المديح.

كان زاهداً، عالماً، مجتهداً، محجاجاً، غواصاً على المعاني / ٢٤١/ الدقيقة، وهو إمام الشافعيين، وأعرفهم بطرقه وفتاويه، وما ينقله عنه. صنف كتباً كثيرة.

وقال الشافعي في حقّه: المزني ناصر مذهبي، وكان إذا فرغ من مسألة، وأودعها مختصره، قام إلى المحراب، وصلى ركعتين شكراً لله تعالى.

وقال ابن سُريج: يخرج «مختصر المزني» من الدنيا عذراء، وهو أصل الكتب

---

(١) **ترجمته في**: الجرح والتعديل ٢٠٤٢ رقم ٦٨٨، ومروج الذهب ٢٧٣٦، ٣١٧٨، وطبقات علماء إفريقية ٢٣٧، وأدب القاضي للماوردي ١/ ١١، ٤٦، ٧٥، ٩٤، ١٣٥، ١٩٦، ٣١٠، ٤٦٩، ٥٢١، ٦٧٩، و٢/ ١٦، ١٠٧، ١٠٨، ٣٧٠، ٣٨٢، وتاريخ العظيمي ٢٦٥، والفهرست لابن النديم ٢٩٨، والانتقاء لابن عبد البرّ ١١٠، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٩٧، وطبقات فقهاء الشافعية للعبّادي ٩، والأنساب ٥/ ٢٧٨، ووفيات الأعيان ١/ ٢١٧ـ ٢١٩ رقم ٩٣، والعبر ٢/ ٢٨، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٩٢ـ ٤٩٧ رقم ١٨٠، ودول الإسلام ١/ ١٦٠، واللباب ٢/ ٢٠٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ٩٣ـ ١٠٩، والبداية والنهاية ١١/ ٣٦، ومرآة الجنان ٢/ ١٧٧ـ ١٧٩، والوافي بالوفيات ٩/ ٢٣٨ـ ٢٣٩ رقم ٤١٤٥، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٥١، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٣٨، والوفيات لابن قنفذ ١٨٦ رقم ٢٦٤، والنجوم الزاهرة ٣/ ٣٩، وشذرات الذهب ٢/ ١٤٨، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٢٠، ومفتاح السعادة ٢/ ١٥٨ـ ١٥٩، وبدائع الزهور ج ١ق١/ ٢٠٧، والأعلام ١/ ٣٢٩، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٣٤ـ ٣٦ رقم ١٥، وديوان الإسلام ٤/ ٢٠٢ـ ٢٠٣ رقم ١٩٣٤، وتاريخ الإسلام (السنوات ٢٦١ـ ٢٨٠هـ) ص٦٥ رقم٤١.

المصنفة في مذهب الشافعي، وعلى مثاله رتبوا، ولكلامه فسروا وشرحوا.

ولما ولي القضاء بكار بن قتيبة بمصر، وجاءها من بغداد، وكان حنفي المذهب، توقع الاجتماع بالمزني مدة، ولم يتفق، فاجتمعا يوماً في صلاة جنازة، فقال القاضي بكار لأحد أصحابه: سل المزني شيئاً حتى أسمع كلامه، فقال له ذلك الشخص: يا أبا إبراهيم قد جاء في الأحاديث تحريم النبيذ، وجاء تحليله، فلِمَ التحريم على التحليل؟ فقال المزني: لم يذهب أحد من العلماء إلى أن النبيذ كان حراماً في الجاهلية، ثم حلل، ووقع الاتفاق على أنه كان حلالاً، فهذا يعضد صحة الأحاديث بالتحريم، فاستحسن ذلك منه، وهذا من الأدلة القاطعة.

وكان في غاية الورع، وبلغ من احتياطه أنه كان يشرب في جميع فصول السنة في كوز نحاس، فقيل له في ذلك، فقال: بلغني أنهم يستعملون السرجين في الكيزان، والنار لا تطهرها.

وقيل إنه كان إذا فاتته الصلاة في جماعة، صلى منفرداً خمساً وعشرين صلاة استدراكاً لفضيلة الجماعة، مستنداً في ذلك إلى قوله ﷺ: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين درجة».

وكان من الزهد على طريقة صعبة شديدة، وكان مجاب الدعوة، ولم يكن أحد من أصحاب الشافعي يحدث نفسه /٢٤٢/ في شيء من الأشياء في التقدم عليه، وهو الذي تولى غسل الشافعي. وقيل: كان معه أيضاً الربيع.

توفي لست بقين من رمضان سنة أربع وستين ومائتين بمصر، ودفن بالقرب من تربة الشافعي، وذكر ابن زولاق: أنه عاش تسعاً وثمانين سنة وصلى عليه الربيع بن سليمان المؤذن المرادي.

ومنهم:

[٥٩]

الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي[1] بالولاء، المؤذن المصري، أبو محمد

صاحب الإمام الشافعي، وهو الذي روى أكثر كتبه، وآوى إلى أكثر كتبه، ونشر

---

(١) ترجمته في: صحيح ابن خزيمة ١/ رقم ٣٠ و٢٠٩ و٢٥٢ و٢٧٤ و٣٥٢ و٤٢١ ومواضع كثيرة، والجرح والتعديل ٣/ ٤٦٤ رقم ٢٠٨٣، والثقات لابن حبّان ٨/ ٢٤٠، والعيون والحدائق ٣/ ٣٦٠ =

بعلمه حلل الربيع، وظهر بفهمه خفي البديع، وكان من إمامه الشافعي قريباً، ومن غمامه لا يرد إلا قليباً، علا به كعبه نهاية الدرج، وغاية ما يبلغه الأرج، طالما رتعت سوائم الإفهام في وهاد ربيعه، فخرجت جلابيب الإعلام في ربوعه، وأخضر نبات ربيعه المعشب، واخضَّل بناء صنيعه المعجب، وتقضت فصول السنة، وزهر ربيعه ينفح، ونجوم نرجسه عليها نهر المجرة يطفح، ومضى ونسيمه الربيع ما صح اعتلاله، وليله ونهاره ما طال، ولا قصر اعتداله، ومطره الربعي ما زاد على أن لثم ثغور أقاحه، وزاد في التصنيف حلب لقاحه، وفضضت بكر أيامه وسماؤه قد صفحت بالحديد، وطرر لياليه قد سرحت لتجلي الزمان في ثوب ربيعه الجديد.

قال الشافعي في حقّه: الربيع راويتي.

وقال الشافعي أيضاً: ما خدمني أحد ما خدمني الربيع.

وكان يقول له: لو أمكنني أن أطعمك العلم، لأطعمتك.

وقال الربيع: دخلت على الشافعي عند وفاته، وعنده البويطي والمزني، وابن عبد /٢٤٣/ الحكم، فنظر إلينا ثم قال: أما أنت يا أبا يعقوب، يعني البويطي، فتموت في حديدك، وأما أنت يا مزني، فستكون لك في مصر هنات، ولتدركن زماناً تكون فيه أقيس أهل زمانك، وأما أنت يا أبا محمد ـ يعني ابن عبد الحكم ـ فسترجع إلى ما ذهب مالك، وأمّا أنت يا ربيع، فأنت أنفعهم لي في نشر الكتب، قم يا أبا يعقوب فتسلم الحلقة. قال الربيع: فلما مات الشافعي صار كل واحدٍ منهم إلى ما قال، حتى كأنه نظر إلى الغيب من ستر رقيق.

= ج٤ق١/ ١١٠، ومروج الذهب ٢٧٣٥، ٣١٩٢، والفهرست ١٩٧، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٧٩، والمعجم المشتمل ١١٩ رقم ٢٣٥، وتهذيب الكمال ٩/ ٨٧ـ ٩٤ رقم ١٨٦٥، والمنتظم ٥/ ٧٧ رقم ١٦٥، والعقد الفريد ٣/ ٤٢٨، وأدب القاضي للماوردي ١/ ٤٦٩ و٢/ ٤٤، ٢٧٠، ٢٧١، وطبقات الشافعية للعبادي ١٢، والتذكرة الحمدونية ١/ ٢٠٤ و٢/ ٣٤٠، والتقييد لابن نقطة ٢٧٠ رقم ٣٣٣، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٨٧ـ ٥٩١ رقم ٢٢٢، والعبر ٢/ ٤٥، والمعين في طبقات المحدّثين ٩٦ رقم ١٠٨٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٨٦ـ ٥٨٧، والكاشف ١/ ٢٣٦ رقم ١٥٤٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ١٣٢ـ ١٣٩، والبداية والنهاية ١١/ ٤٨، والوافي بالوفيات ١٤/ ٨١ـ ٨٢ رقم ٩٦، وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٤٥ـ ٢٤٦ رقم ٤٧٣، وتقريب التهذيب ١/ ٢٤٥ رقم ٤٣، والنجوم الزاهرة ٣/ ٤٨، وطبقات الحفاظ ٢٥٢، وخلاصة تذهيب التهذيب ١١٥، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٦، وشذرات الذهب ٢/ ١٥٩، وانظر: تاريخ بغداد ١٤/ ٢٩٩ في ترجمة البويطي، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٣٩ـ ٤٠ رقم ١٨، وديوان الإسلام ٢/ ٣١٩ـ ٣٢٠ رقم ٩٨٠، والأعلام ٣/ ١٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٦١ـ ٢٨٠هـ) ص٩٦ رقم٦٦ .

والربيع آخر من روى عن الشافعي بمصر.

ومن شعره: [من المنسرح]

صبراً جميلاً ما أسرعَ الفَرَجا مَنْ صَدقَ اللهَ في الأُمورِ نَجا
مَنْ خشيَ اللهَ لَمْ ينلْهُ أذًى ومَنْ رَجَا اللهَ كانَ حيثُ رَجَا

وتوفي الربيع يوم الاثنين لعشرٍ بقين من شوال سنة سبعين ومائتين بمصر ودفن بالقرافة.

ومنهم:

[٦٠]

محمد بن عبد الله بن عبد الحَكَم بن أَعْيَن بن ليث بن رافع المصري الفقيه(١)

عنبر مجدٍ يتضوع، وجوهر حدٍّ يتنوع، وبحرٌ لا يجيء النيل من أياديه بإصبع، وسائقٌ أرخى عنانه لما علم بأنه لا يتبع، وكان قوي الجنان، قويم السنان، قؤول اللسان، صؤول اليد بالإحسان، حمل إلى بغداد، والسيف يقطر دماً، والرمح يقرع سنه ندماً، والوجود يود لو عدّ عدما، وطُلب في المحنة التي أظلت والمدة التي ظلت، والمصيبة التي افترست الأديان، وأخرست الألسنة إلى يوم العرض على الديان، فقال، ولم يبل، وبالغ، لله أبوه، ولأم غيره الهبل.

/ ٢٤٤/ سمع من ابن وهب، وأشهب من أصحاب مالك، فلما قدم الشافعي

---

(١) **ترجمته في**: مسند أبي عوانة ١/ ٢٢، ٢٢٤، ٢٧٢، ٣٢٣، ٣٤٩، ٣٨٢، ٤٠٠ و٢/ ١٨٥، ٢٢٨، وصحيح ابن خزيمة ١/ رقم١٨٥ و٤٩٩ و٦٤٨، وتاريخ الطبري ١/ ١٣ و٣/ ١٦٨-١٩٧، لابن حبّان ٩/ ١٣٢، والانتقاء لابن عبد البر ١١٣، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٩٩، والمنتظم ٥/ ٦٥ رقم ١٤٨، ووفيات الأعيان ٤/ ١٩٣-١٩٥ رقم ٥٧١، والمعجم المشتمل ٢٤٩ رقم ٨٦٥، وتهذيب الكمال (المصوّر) ٣/ ١٢٢٠، والكاشف ٣/ ٥٥ رقم ٥٠٣٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٩٧-٥٠١ رقم ١٨١، وميزان الاعتدال ٣/ ٦١١-٦١٢، رقم ٧٨١٥، والعبر٢/ ٣٨-٣٩، والمعين في طبقات المحدّثين ٩٩/ ١١٣٢، ودول الإسلام ١/ ١٦٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٤٦-٥٤٨، والوافي بالوفيات ٣/ ٣٣٨ رقم ١٤٠٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ٦٧-٧١، والبداية والنهاية ١١/ ٤٢، وتقريب التهذيب ٢/ ١٨٧ رقم ٣٩٠، والنجوم الزاهرة ٣/ ٤٤، وطبقات الحفاظ ٢٤١، وحسن المحاضرة ١/ ١٢٤، وخلاصة التذهيب ٣٤٥، وطبقات المفسّرين ٢/ ١٧٤، ومفتاح السعادة ٢/ ٢٩٥، وشذرات الذهب ٢/ ١٥٤، وطبقات العبادي ٢٠، وطبقات الحسيني ٧٠، وتاريخ الإسلام (السنوات ٢٦١-٢٨٠هـ) ص١٦٨ رقم ١٤٤.

مصر صحبه وتفقه عليه، وحمل في المحفة إلى بغداد إلى القاضي أحمد بن أبي دؤاد، فلم يجب إلى ما طلب منه، فرد إلى مصر، وانتهت إليه الرياسة بها.

قال المزني: كنا نأتي الشافعي نسمع منه، فنجلس على باب داره، ويأتي محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، فيصعد به، ويطيل المكث، وربما تغدى معه، ثم ينزل، فيقرأ علينا الشافعي، فإذا فرغ من قراءته، قرّب إلى محمد دابته فركبها، وأتبعه الشافعي بصره، فإذا غاب شخصه قال: وددت لو أن لي ولداً مثله، وعلي ألف دينارٍ ديناً لا أجد لها قضاء.

وقال ابن عبد الحكم: كنت أتردد إلى الشافعي، فاجتمع قوم من أصحابنا إلى أبي، وكان على مذهب مالك، فقالوا له: يا أبا محمد إن محمداً ينقطع إلى هذا الرجل ويتردد إليه، فيرى الناس أن هذا رغب عن مذهب أصحابه، فجعل أبي يلاطفهم، ويقول: هو حدث، ويحب النظر في اختلاف أقوال الناس، ومعرفة ذلك، ويقول لي في السر: يا بني، الزم هذا الرجل، فإنك لو جاوزت هذا البلد، فتكلمت في مسألة، فقلت فيها: أشهب، لقيل لك: من أشهب؟ قال: فلزمت الشافعي، وما زال كلام أبي في قلبي حين خرجت إلى العراق، فكلمني القاضي بحضرة جلسائه، فقلت فيها: قال أشهب، قال مالك، فقال: ومن أشهب، وأقبل على جلسائه، فقال لبعضهم كالمنكر: ما أعرف أشهب، ولا أبلق.

وذكره القضاعي في كتاب خطط مصر، فقال: ومحمد هذا هو الذي أحضره أحمد بن طولون في الليل إلى جُب سقايته بالمعافر، لما توقف الناس عن شرب مائها، والوضوء به، فشرب منها وتوضأ، فأعجب ذلك ابن طولون، وصرفه لوقته، ووجه إليه بصلة، /٢٤٥/ والناس يقولون: إنه المزني، وليس بصحيح.

قال ابن خلكان[١]: توفي يوم الأربعاء لليلة خلت من ذي القعدة سنة ثمانين ومائتين، ودفن فيما ذكر عند أبيه وأخيه مع الشافعي، ومولده سنة اثنتين وثمانين ومائة، وقيل: سنة سبع وستين[٢].

/٢٤٦/ ومنهم:

---

(١) وفيات الأعيان ٤/ ١٩٣.

(٢) بعده بياض بمقدار ١٥ سطر.

[٦١]

ابن الرفعَة(١)

بحر يعج، ومعين يفج، كان في المذهب من أوضح الإعلام، وأوضأ البدور في الظلام، لو جاء فيما تقدم لأخليتْ له الرحاب وخلفت خلفه الأصحاب، وشفي به صدر الشافعي، ورفع قدر الرافعي، ولم يماثل اخا العلم منه ابن الصلاح، ولا قابله ابن عبد السلام إلاّ وقد ألقى السلاح، ولم تعد أُسد الشرى شراءه، ولا سحب الحياء إلاّ وراءه.

سألت عنه قاضي القضاة السبكي أمتع الله ببقائه، فقال: ما جاء بعد الرافعي مثله.

قلت: وأهل مصر على كلمة إجماع في تفضيله، وأهل الشام بعدهم على ذلك، وشرح «التنبيه» شرحاً ما ترك فيه بعده، ولا ترك من أهل الفقه إلا من لم يتجاوز حده(٢).

/٢٤٧/ ومنهم:

[٦٢]

الزَّنْكَلُوني(٣)

فقيه نبله المتصوب لم يطش، ومثله إلى زمانه المتأخر لم يعش، رسا مجداً،

---

(١) واسمه: أحمد بن محمد بن علي بن مرتفع بن صارم، توفي سنة ٧١٠هـ.
ترجمته في: ذيل العبر ٥٤، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٩٨، وطبقات الشافعية الكبرى ٥/ ١٧٧ (٩/ ٢٤)، ونهاية الأرب ٣٢/ ١٧٢، والوافي بالوفيات ٧/ ٣٩٥، وأعيان العصر ١/ ٣٢٤ـ ٣٢٦ رقم ١٦٩، والبداية والنهاية ١٤/ ٦٠، والدرر الكامنة ١/ ٢٨٤ـ ٢٨٧، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢١٣، وشذرات الذهب ٦/ ٢٢، ومرآة الجنان ٤/ ٢٤٩، والبدر الطالع ٢/ ١١٥ـ ١١٧، ومفتاح السعادة ٢/ ٢١٦، وكشف الظنون ٤٩١ و٨٨٦، ٨٨٧ و١٩٦٦ و٢٠٠٨، وإيضاح المكنون ١/ ١٥٨ و٤٩٩ و٥٤٩، وفهرست الخديوية ٥/ ١٧٨، ومعجم المؤلفين ٢/ ١٣٥، وطبقات الشافعية للإسنوي، رقم ٥٥٦، وديوان الإسلام ٢/ ٣٤٨، ٣٤٩ رقم ١٠١٤، وهدية العارفين ١/ ١٠٣، والأعلام ١/ ٢٢٢، والمعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ٣/ ٦٨، والمنهل الصافي ٢/ ٨٢، ذيل تاريخ الإسلام (السنوات ٧٠١ـ ٧٤٦هـ) ص٩٩ برقم٢٥٠.

(٢) بعده بياض بمقدار نصف صفحة.

(٣) أبو بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز المصريّ، الإمام، العلاّمة، البارع، القُدوة، مفتي المسلمين، مجد الدين، السَّنْكلوني، الشافعيّ، الفقيه البارع.

=

وعلا نجداً، واتسع ذيل تصنيفه، وطبع العلم على حكم تصريفه، وكان وقوراً ترى الطود لديه محقوراً، وتخال السحاب بما حمل منه موقوراً، انتفع به عامة الجيل الباقي من الفقهاء، وارتفع به شأنهم رفع الازدهار. ومن نكد الدهر وولعه بالحط من ذوي القدر أنه كانت له خطابة قرية من قرى مصر لا يكاد يزيد عدد رجالها على من تقوم بهم الخطبة، وزوحم فيها، ونوزع عليها، وليت من نازعه كان يحفظ غير فاتحة الكتاب سورة متلوة، أو يحسن يسبغ كما أمر وضوءه، وإنما كان رجلاً من أهل الريف أصوب ما قرأه بالتحريف، وحرصت أنا وشيخنا قاضي القضاة القزويني الخطيب رحمه الله على تحقيق أولويته، وسداد قضيته، وتقديمه على ذلك الفدم الجاهل، وإظهار الفرق ما بين القدم والفَرق، فأبى له الحظ السيىء إلاَّ الحرمان، وليس هذا موضع القول، ويكفي هذا القدر في التلويح[1].

/ ٢٤٨/ ومنهم:

=

وسنكلوم من قرى بلبيس.

وُلد سنة بضع وسبعين [وستمئة]، وتفقّه بجماعة. وسمع من: الأَبْرَقُوهيّ، ومحمد بن عبد المنعم بن شهاب، وعلي ابن الصوّاف، ويحيى بن أحمد بن الصّواف، وعدّة. ولازم الحافظ سعد الدين، وسمع منه في «المسنَد»، وبرع في المذهب، وشارك في الأصول والعربية، وأفتى ودرّس، وتخرَّج به الأصحاب، وصنَّف التصانيف مع التقوى والعبادة والتّصوُّن والوقار والجلالة. درّس بجامع الحاكم، وبالبشيريّة، وأعاد بأماكن في الحديث والفقه. وعُرض عليه قضاء قوص فامتنع.

ألّف «شرحاً للتّنبيه» في خمسة أسفار، و«شرحاً للتّعجيز» في ثمانية، و«شرحاً للمنهاج» لم يُطوّلْه، واختصر «الكفاية» لابن الرِفْعَة. وخرّج له الحافظ ابن رافع «مشيخة». وحدّث.

تُوُفّي في سابع ربيع الأول سنة أربعين [وسبعمئة] في الشيخوخة ودُفِن بالقرافة، وكثُر التأسُّف عليه، رحمه الله تعالى.

أخذ عنه: السُّرُوجي، وابن القُطْب، وأبو الخير الذُّهليّ، وآخرون:

ترجمته في: ذيل العبر ٢١٢ـ ٢١٣، ومرآة الجنان ٤/ ٣٠٤، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ١٧، ١٨، والوفيات لابن رافع ١/ ٣٠٤ـ ٣٠٦ رقم ١٨٣، والسلوك ج٢ ق٢/ ٥٠٤، وأعيان العصر ١/ ٧١٨ـ ٧١٩ رقم ٤١٤، والوافي بالوفيات ١٠/ ٢٢٦، والمنهل الصافي ٦/ ورقة ٨٧١أ، ب، والنجوم الزاهرة ٩/ ٣٢٤، وحُسن المحاضرة ١/ ٤٢٦، وكشف الظنون ١/ ٤١٨ و٤٩٠ و٢/ ٦٢٦ أو ١٧٨٣، وشذرات الذهب ٦/ ١٢٥، وهدية العارفين ١/ ٢٣٥، والأعلام ٢/ ٣٦، وديوان الإسلام ٢/ ٣٨٧ـ ٣٨٨، رقم ١٠٦٥، ومعجم المؤلفين ٣/ ٥٨، وتذكرة النبيه ٢/ ٣١٨ـ ٣١٩، ودرّة الأسلاك ٢/ ورقة ٣١٥، وتاريخ الإسلام (السنوات ٧٠١/ ٧٤٦هـ) ص٣٧٠ رقم ١٠٨٨.

(١) بعده بياض بمقدار ٥ أسطر.

[٦٣]

ابن عَدْلان، محمد بن الكناني الشافعي، قاضي القضاة، شمس الدين، أبو عبد الله[١]

إمام نشر في التدريس مذهب ابن إدريس، وأتى بما لم تستطعه الأوائل، ولم تطقه قدرة مُصنف ولا قائل، حتى أضحت الوجوه ضاحكة مسفرة، والطرق سالكة مستقرة، واستدل للقولين معاً، وبلغ قَصِيَّ كل فضيلة، فلا غرو أن دعي مجمعاً، وسُدّد منه سهمٌ من كنانة، وثُقّف سمهريٌّ لا يردُّ سنانه، وبقى فقيه السلف وقدوة الخلف، وناب في القضاء حيث المُتولي لا تُداني النجوم رتبته المنيفة، وحيث النائب عنه في الحكم العزيز خليفة، هذا وكم من مواقف جاهد فيها أكبر الجهاد، وزاحم فيها مرتبة الاجتهاد، وأقدم والسيوف على رأسه تتلمظ، ونيران الغضب حوله تتشوظ، ولم يُخط جرح فمِه، وقد كان ينزف دماً، ويأتي منه على آخر الذَمَاء، إلاَّ أنّ الله سَلَّم، وخلص من دمه من كاد له يتذمم، وهو الآن على قضاء العساكر تعزُّ به جنودها، ويعقد بسببه بنودها، وهو مقبل على التصنيف، لا يريح منه خاطرة، ولا يربح أنواءه الماطرة[٢].

وهذا آخر من نذكره من الفقهاء الشافعية.

* * *

---

(١) واسمه: محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان بن محمود بن لاحق بن داود الكناني المصري. توفي سنة ٧٤٩هـ.
ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي ٩/ ٩٧، الوافي بالوفيات ٢/ ١٦٨، البدر الطالع ٢/ ٣٧، حسن المحاضرة ١/ ٤٢٨، الدرر الكامنة ٣/ ٣٣٣، شذرات الذهب ٢١/ ٣٣٧، غاية النهاية ٢/ ٧٠.

(٢) بعده بياض بمقدار ٤ أسطر.

طبقات الفقهاء الحنابلة

[طبقات الفقهاء الحنابلة]

ونتلوهم برابع الأئمة الأربعة، وهو:

/٢٤٩/

[١]

الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس الشيباني الإمام، أبو عبد الله، المروزي، ثم البغدادي[(١)]

أحد أئمة الإسلام، والهُداة الأعلام، وأحد الأربعة الذين تدور عليهم أقضية

---

(١) **ترجمته في**: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٥٤، والتاريخ لابن معين برواية الدوري ٢/ ١٩ـ ٢٠، ومعرفة الرجال برواية ابن محرز ٢/ رقم ٤٤٥، والتاريخ الكبير للبخاري ٢/ ٥ رقم ١٥٠٥، والتاريخ الصغير، له ٢٣٤، والكنى والأسماء لمسلم، ورقة ٦٥، والمراسيل لأبي داود (في مواضع كثيرة)، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٤٧٢، والمعرفة والتاريخ للفسوي (انظر فهرس الأعلام) ٣/ ٤٣٣٦، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي ١/ ٤٤٣، ٤٦٦، ٤٨٣، ٥٥٣، ٥٥٦، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٧٠، ٦١٥، ٦١٧، ٦١٨، ٦٢١، ٦٤٩، ٦٥١، ٦٥٦، ٦٦٢، ٦٧٦، ٦٧٧، و٧١٦، ٧١٨، وأخبار القضاة لوكيع ١/ ٤٥، ١٠٨، ١٠٩، ١١٦، ٢٩٧، ٣٢٦، ٣٣٣، ٣٧١، ٣٧٣ و٢/ ٧، ١٦١، ١٨٩، ١٩٥، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢٢٤، ٢٧٤، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٨٩، ٣٠٠، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٦، ٣٢٦، ٣٨٠، ٤٠٨، ٤٢٣، ٤٢٧ و٣/ انظر فهرس الأعلام ٤٨٢، وتاريخ الطبري ٢/ ٢٩٢، ٣٨٤، ٣٩٠ و٨/ ٦٣٧ـ ٦٤٤، والكنى والأسماء للدولابي ٢/ ٥٣، وتاريخ الثقات للعجلي ٤٩ رقم ٩، وتقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ١/ ٢٩٢ـ ٣١٣، والجرح والتعديل ٢/ ٦٨ رقم ١٢٦، والثقات لابن حبّان ٨/ ١٨ـ ١٩، ومروج الذهب ٢٧٩٧، ٢٩١٤، ٢٩١٦، ٣٣٨٤، ورجال الطوسي ٣٦٧ رقم ٧، ورجال صحيح البخاري للكلاباذي ١/ ٤٢ـ ٤٣ رقم ٢٥، ومن حديث خيثمة الأطرابلسي (بتحقيق التدمري) ٦٦، ٦٧، ٩٨، ١٠٧، ورجال صحيح مسلم لابن منجويه ١/ ٣٠ـ ٣١، رقم١، وتاريخ بغداد ٤/ ٤١٢ـ ٤٢٥ رقم ٢٣١٧، وجمهرة أنساب العرب ٣٠٠، وموضح أوهام الجمع والتفريق ١/ ٤٣٢، والسابق واللاحق ٥٣ رقم١، وتاريخ جرجان للسهمي ٧١، ٨٣، ١١١، ١١٥، ١٤١، ١٤٧، ١٦٩ـ ١٧١، والجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ١/ ٥ رقم١، والبدء والتاريخ للمقدسي ٦/ ١٢١، والإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني ١٢، ١٠٥، ١١٨، والعيون والحدائق ١/ ٣٦٠، ٣٧٧، ٣٨٤، ٤٦٥، وتاريخ حلب للعظيمي ٢٢٩، ٢٤٩، ٢٥٧، والجليس الصالح للجريري ٢٧١، وتاريخ دمشق ٧/ ٢١٨ـ ٢٩٦ رقم ١٣٦، والمعجم المشتمل لابن عساكر ٥٨ رقم ٧٨، والفرج بعد الشدّة للتنوخي ١/ ١٢٠، ونشوار المحاضرة، له ٧/ ٦٠، ٦١، ٦٣، وذم الهوى لابن الجوزي ٦٥، =

الحكام، وفتاوى الفقهاء في الحلال والحرام، والتابعين بإحسان لطُرق السلف الكرام، وهو العَلَمُ إلاَّ أنّه في صدره النور، والنجم الذي يهدي ولا يغر، ويسري ولا يغور، وحافظ الملة من تحريف الغالين، وتحريف القَالين، قام بالحق حتى كان أمةً وحْدَهُ، وقال الصدق ولم يخش السيف، ولا حدَّه، وصبر على بلاء المحنة، وصابر من الأعداء الإحنة، وأقام في إخماد ضرم تلك الفتنة حين أضرمت الهيجاء، وأظلمت الأرجاء، حتى انكشفت تلك الضلة، وانصرفت تلك الفرق المُضلَّة، ووجهه يتهلل، وشبهه القمر لمن يتأمل، حتى منع حمى القرآن ممن قال فيه تلك المقالات، ودعا فيه إلى تلك الضلالات، ولم يرعه مضاء السيف المُصلت، ولا ضيق السجن الذي منه لا يفلت، وصابر السياط التي صبت عليه عذابه. والقيود التي جمد عليه مذابها، حتى جلَّى الله تلك المحن، وقد وقى مهجته، ورفع بحط عدوه درجته، وأعد له ما أعَدَّه، وأقامه قيام سيد تيم في قتال أهل الردة، وكانت لا تخور له قوى عزيمة، ولا تمر به الأبطال إلاَّ كلمى هزيمة، وكان غماماً في المحل إذا ما طرا ماطرا، وهماماً في الخطب إذا عرا ذا عرا، ما عدل عن كتابٍ ولا سنة، ولا سلك مذهبه إلاَّ طريقاً إلى الجنة.

= وأدب القاضي للماوردي (انظر فهرس الأعلام) ٢/ ٤٦٨ـ ٤٦٩، والإرشاد للخليلي (طبعة ستنسل) ١/ ١٥، والإشارات إلى معرفة الزيارات للهروي ٧٤، والحمقى والمغفّلين ٦٥، وطبقات الحنابلة ١/ ٤ـ ٢٠ رقم ١، وحلية الأولياء ٩/ ١٦١ـ ٢٣٢، والكامل في التاريخ ٧/ ٨٠، وانظر فهرس الأعلام ١٣/ ١٣، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي، ووفيات الأعيان ١/ ٦٣ـ ٦٥، وانظر فهرس الأعلام ٧/ ٥٦، والروض المعطار للحميري ١٩٣، والاقتراح في بيان الاصطلاح لابن دقيق العيد ٨، ٩٧، ١١١، ٣٩٢، والزهد الكبير للبيهقي رقم ٧٣ و٧٢٥، ٨٩٧، وخلاصة الذهب المسبوك للإربلي ١٩٥، وملء العَيْبَة للفهري ٢/ ٢٦٩، ٢٨٩، ٣٥٠، وطبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ٢/ ٢٧ـ ٣٧، وتهذيب الكمال ١/ ٤٣٧ـ ٤٧٠ رقم ٩٦، والكاشف ١/ ٢٦ رقم ٧٧، والمعين في طبقات المحدّثين ٨٢ رقم ٨٨٧، ودول الإسلام ١/ ١٤٦، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٧ـ ٣٥٨ رقم ٧٨، والعبر ١/ ٤٣٥، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣١، والفهرست لابن النديم ٢٨٥، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ١١٠ـ ١١٢، والوافي بالوفيات ٦/ ٣٦٣ـ ٣٦٩ رقم ٢٨٦٨، ومرآة الجنان ٢/ ١٣٢ـ ١٣٤، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٢٥ـ ٣٤٣، وغاية النهاية ١/ ١١٢، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٣٩، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٢٦، وآثار البلاد وأخبار العباد ٣١٨، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٢، ٤٤٥، ٥١١، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٧٨، والنجوم الزاهرة ٢/ ٣٠٤ـ ٣٠٦، وطبقات الحفاظ ١٨٦، وتهذيب التهذيب ١/ ٧٢ـ ٧٦ رقم ١٢٦، وتقريب التهذيب ١/ ٢٤ رقم ١١٠، وخلاصة تذهيب التهذيب ١١ـ ١٢، وطبقات المفسّرين للداودي ١/ ٧٠، وشذرات الذهب ٢/ ٩٦ـ ٩٨، والكشكول ٢١٩، والرسالة المستطرفة ١٨، ومعجم المؤلّفين ٢/ ٩٦، والوفيات لابن قنفذ ١٨٩ رقم ٢٤١، ومشارع الأشواق للدمياطي (انظر فهرس الأعلام) ٢/ ١١٤٢، وآثار الأول في ترتيب الدول للعباسي ٢٤٩، وتاريخ الإسلام (السنوات ٢٤١ـ ٢٥٠هـ) ص٦١ رقم ٣٥.

خرجت أمه من مرو، وهي حامل به، فولدته في بغداد في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة، وقيل: بل ولد بمرو، وحمل إلى بغداد، وهو رضيع، /٢٥٠/ وطاف البلاد في سماع الحديث والعلم، فدخل الكوفة، والبصرة، ومكة، والمدينة، واليمن، والشام، والجزيرة، وروى عن الجم الغفير، والعدد الكبير من أهل العلم، ومشايخ الحديث، وأخذ الفقه عن جماعة من أجلِّهم الإمام أبو عبد الله الشافعي.

وقد روي أن الإمام أحمد صحب الشافعي مدة مقامه ببغداد في الرحلة الثانية، وأنه سلك مسلكه، ونهج منهجه، وقال: كل مسألة ليس عندي فيها دليل، فأنا أقول فيها بقول الشافعي.

وكان إمام المحدثين، صنف كتابه «المسند» وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره.

وهو من أجلِّ كتب الإسلام، وصنف كتاب «الزهد»، ويقال: إنه جمع تفسيراً جمع فيه مائة ألف حديث، وعشرين ألفاً.

وقال في حقه الشافعي: خرجت من بغداد، وماخلفت بها أتقى، ولا أفقه من ابن حنبل.

ودُعي إلى القول بخلق القرآن، فلم يجب، فضرب وحبس، وهو مُصِرٌّ على الامتناع، وكان ضربه في العشر الأخير من شهر رمضان سنة عشرين ومائتين.

وكان حسن الوجه، ربعة، يخضب بالحناء خضاباً ليس بالقاني، في لحيته شعرات سود.

قال الزعفراني: ما قرأت على الشافعي حرفاً إلاَّ وأحمد حاضر، ولا ذهبت إلى الشافعي مجلساً إلاَّ وجدت أحمد فيه.

وقال إبراهيم الحربي: الشافعي أستاذ الأستاذين، أليس هو أستاذ أحمد؟

وقال صالح بن أحمد: مشى أبي مع بغلة الشافعي، فبعث إليه يحيى بن معين، فقال: أما رضيت إلاَّ أن تمشي مع بغلته؟! فقال: يا أبا زكريا، ولو مشيت إلى جانبها الآخر، لكان أنفع لك.

وقال يحيى بن سعيد القطان: أحمد بن حنبل حبرٌ من أحبار هذه الأمة.

وقال الميموني: قال لي علي بن المديني ـ لما ضرب أحمد بن حنبل وحُبس: يا ميموني ما قام أحدٌ في الإسلام ما قام به أحمد بن حنبل.

قال المروزي: سمعت / ٢٥١/ سلمة بن شبيب يقول: كنت عند أحمد بن حنبل، فجاءه رجل، فقال: قد ضربت برها وبحرها، أو قال: قصدت إليك، ولولا أني قيل لي في منامي أن آتيك، فأخبرك لما جئت، فقيل لي: قل له إنَّ الله قد باهى بضربك الملائكة.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: لست أعلم في الإسلام مثل أحمد.

وقال أبو جعفر النُّفَيْليّ: أحمد بن حنبل من أعلام الدين.

وقال مهنا بن يحيى الشامي: ما رأيت أحداً أجمع لكل خيرٍ من أحمد بن حنبل، وما رأيت مثله في علمه، وفقهه، وزهده، وورعه.

وسئل أبو ثور عن مسألة، فقال: قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل شيخنا وإمامنا فيها كذا وكذا.

وقال حجاج بن الشاعر: ما رأت عيناي روحاً في جسد أفضل من أحمد بن حنبل.

وقال أحمد بن سعيد الدارمي: ما رأيت أسود الرأس أحفظ لحديث رسول الله ﷺ ولا أعلم بفقهه ومعانيه من أحمد بن حنبل.

وقال أبو زرعة الرازي: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له: وما يدريك؟ فقال: ذاكرته، فأخذت عليه الأبواب.

وروى عنه جماعة من الأماثل منهم: البخاري، ومسلم، والشافعي، ويزيد بن هارون ـ وهما من شيوخه ـ وإسحاق بن منصور الكوسج، وبقي بن مخلد الأندلسي، وأبو حاتم، وأبو زرعة الرازيان، وحرب الكرماني، وابناه صالح وعبد الله.

وذكر مناقبه يطول شرحها، وللناس في ذلك مصنفات مفردة، أحسنها وأبسطها ما جمعه أبو الفرج ابن الجوزي.

وتوفي أحمد بن حنبل ضحوة نهار الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وقيل: بل لثلاث عشرة ليلة بقيت من الشهر المذكور، وقيل: من ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ومائتين ببغداد عن سبع وسبعين سنة على المشهور، ودفن بمقبرة باب حرب، وقبره مشهور هناك يزار، وحزر من حضر جنازته من الرجال، / ٢٥٢/ فكانوا ثمانمائة ألف، ومن النساء ستين ألفاً، وقيل: ألف ألف.

وقيل: إنه أسلم يوم مات عشرون ألفاً من النصارى واليهود والمجوس، قال صالح ابن أحمد: حضرت أبي الوفاة، فجلست عنده، وبيدي الخرقة لأشد بها

لحيته، فجعل يعرق، ثم يفيق يفتح عينيه، ويقول بيده هكذا لا بعد، لا بعد ثلاث مرات، فقلت له: يا أبة إيش هذا الذي لهجت به في هذا الوقت، قال لي: ما تدري، قلت لا، قال: إبليس لعنه الله قائم بحذائي عاضاً على أنامله، يقول لي: يا أحمد فُتَّني، فأقول: لا حتى أموت.

حدث إبراهيم الحربي، قال: رأيت بشر بن الحارث الحافي في المنام كأنه خارج من مسجد الرصافة، وفي كمه شيء يتحرك، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وأكرمني، فقلت: ما هذا الذي في كُمِّك؟ قال: قدم علينا روح أحمد بن حنبل، فنثر عليه الدر والياقوت، فهذا ما التقطت، قلت: فما فعل الله بيحيى بن معين، وأحمد بن حنبل؟ قال: تركتهما وقد زارا رب العالمين، ووضعت لهما الموائد. قلت: فلم لم تأكل معهما أنت؟ قال: قد عرف هوان الطعام عليَّ، فأباحني النظر إلى وجهه.

ومنهم:

[٢]

إسحاق بن منصور بن بهرام، أبو يعقوب الكَوْسَج، المروزي(١)

الرافل في أحسن فخار وزي، استمد منه أهل الصحيح، واستعد للسحاب فلم يقدح زناده الشحيح، حتى حصَّل ما حَصَّل، وحاز ما لو شاب خضاب الليل لما تنصَّل، وكان جدَّ ثقة، ومؤدي أمانةٍ أعطى عليها موثقه.

ولد بمرو، ورحل إلى العراق، والحجاز، والشام، وسمع جماعةً، وورد بغداد، وحدّث بها، وروى عنه الشيخان صاحبا الصحيحين، وجماعة من الأئمة، وكان عالماً /٢٥٣/ فقيهاً.

وهو الذي دَوّن الفقه عن الإمام أحمد، ولما بلغه أن أحمد رجع عن المسائل التي كان علقها عنه، جمع إسحاق تلك المسائل في جرابٍ، وحملها على ظهره،

---

(١) **ترجمته في**: طبقات الحنابلة ١/١٠٦، المقصد الأرشد ١/٢٥١، المنتظم ١٢/٥١، سير أعلام النبلاء ١٢/٢٥٨، الوافي بالوفيات ٨/٤٢٦، التاريخ الكبير ١/٤٠٤، التاريخ الصغير ٢/٣٩٣، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٢٤، تاريخ بغداد ٦/ ٣٦٠، المعجم المشتمل ٧٧، طبقات علماء الحديث ٢/ ٢٠١، الجرح والتعديل ٢/ ٢٣٤، تهذيب الكمال ٢/ ٤٨٤، العبر ٢/١، تهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٤٥٣، اللباب ٣/١١٧، ودول الإسلام ١/١٥١، شذرات الذهب ٢/١٢٣، مرآة الجنان ٢/١٥٧، الكامل في التاريخ ٧/١٦٦، وفيه: «الكوشج»، الثقات لابن حبان ٨/١١٨، البداية والنهاية ١١/ ١٠، النجوم الزاهرة ٢/٣٣٣.

وخرج راجلاً إلى بغداد، وهي على ظهره، وعرض خطوط أحمد عليه في كل مسألةٍ استفتاه فيها، فأقر له بها ثانياً، وأعجب بذلك أحمد من شأنه.

وسئل مسلم عن إسحاق، فقال: ثقةٌ، مأمون.

توفي يوم الخميس، ودفن يوم الجمعة لعشر بقين من جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين ومائتين بنيسابور، ودفن إلى جنب إسحاق بن راهويه.

ومنهم:

[٣]

أحمد بن محمد بن هانىء الإسكافي، أبو بكر الأثرم[١]

صاحب الإمام أحمد

زندُ ذكاءٍ ما فيه قادح، ونهار لألاءٍ لا يحتاج إلى مادح، أثرى من الفضائل، ثم ما افتقر، وأثرٌ من الفواضل ما لو قيس به الذهب، لكان يحتقر، جذب بضبعه العلم فارتفع، وعمَّ بنفعه الخلق وانتفع، ولم يُرّ ألين من فننه، ولا أجرى من ماء التعليم في غُصنه، حتى صار من أعلام الحفاظ، ومن أعلى من عرُف منه حسن الحفاظ.

قال أبو بكر الخلال: كان جليل القدر، حافظاً. لما قدم عاصم بن علي بغداد طلب من يخرج له فوائد، فلم يجد مثل أبي بكر، فلم يقع منه بموقع لحداثة سنه، فأخذ يقول: هذا خطأ، وهذا وهم، فُسرَّ عاصم به.

وكان للأثرم تيقظ عجيب، حتى قال يحيى بن معين وغيره: كأن أحد أبويه جني.

وقال إبراهيم الأصفهاني: الأثرم أحفظ من أبي زرعة الرازي وأتقن.

وقال الحسن بن علي بن عمر: قدم شيخان من خراسان للحج فحدثا، فقعد هذا ناحية معه خلق ومستملٍ، وقعد الآخر ناحية كذلك، فقعد الأثرم بينهما، فكتب ما

---

(١) **ترجمته في**: الثقات لابن حبّان ٨/ ٣٦، والجرح والتعديل ٢/ ٧٢ رقم ١٣٤، والفهرست لابن النديم ٢٨٥، وطبقات الحنابلة ١/ ٦٦ـ ٧٤ رقم ٥٧، وتاريخ بغداد ٥/ ١١٠ـ ١١٢ رقم ٢٥٢٠، والمنتظم ٦/ ٨٣ رقم ١١٠، وتهذيب الكمال ١/ ٤٧٦ـ ٤٨٠ رقم ١٠٣، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٦٢٣ـ ٦٢٨ رقم ٢٤٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٧٠ـ ٥٧٢، والعبر ٢/ ٢٢، والمعين في طبقات المحدّثين ٩٥ رقم ١٠٦١، والكاشف ١/ ٢٧ رقم ٨٢، وتهذيب التهذيب ١/ ٧٨ـ ٧٩ رقم ١٣٣، وتقريب التهذيب ١/ ٢٥ رقم ١١٧، وطبقات الحفاظ ٢٥٦، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٢، وشذرات الذهب ٢/ ١٤١ـ ١٤٢، والتمهيد ١/ ١٣، والحثّ على العلم ٤٤، وديوان الإسلام ١/ ٦٢ رقم ٦٣، والرسالة المستطرفة ٢٧، ومعجم المؤلفين ٢/ ١٦٧، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٦١ـ ٢٨٠هـ) ص٥٣ رقم١٨.

أمليا / ٢٥٤/ معاً.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي[١]: أظنه مات بعد الستين ومائتين.

ومنهم:

[٤]

صالح ابن الإمام أحمد، أبو الفضل[٢]، قاضي أصبهان

أكبر إخوته، ومجيب كلمة أبيه وملبي دعوته، كان زاهداً ما فيه ما يقال، وعابداً أمن أن لا يقال بُلِيَ بثقل الجناح والقضاء، وإن كان لا يخاف الجناح، وتوفي بدار اغتراب، وبلدٍ نازحٍ، على أن أصل ابن آدم من تراب.

سمع من أبيه مسائل كثيرة، وكان الناس يكتبون إليه من خراسان، ومن المواضع يسأل لهم عن المسائل، فوقعت إليه مسائل جيدة، وكان أبوه يحبه ويكرمه، ويدعو له، وكان معيلاً بُلي بالعيال على حداثته، وكان سخياً يطول ذكر سخائه، افتصد يوماً، فدعا اخوانه وأنفق في ذلك عشرين ديناراً في طبيبٍ وغيره.

وروي عن صالح بن أحمد قال: قال لي أبي: أنا أدعوك، وأبعث خلفك إذا جاءنا رجلٌ متقشف، لتنظر إليه رجاء أن يرسخ في قلبك إذا نظرت إلى مثله، فلما صار صالح إلى أصبهان بدأ بمسجد الجامع، فدخله وصلى ركعتين، واجتمع الناس والشيوخ، وجلس وقرىء عليه عهد الخليفة الذي كتب له، جعل يبكي بكاءً كثيراً، فبكى الشيوخ الذين قربوا منه، فلما فرغ من قراءة العهد، جعل المشايخ يدعون له، ما في بلدنا أحدٌ إلاَّ وهو يحب أبا عبد الله ويميل إليك، فقال لهم: أتدرون ما الذي أبكاني؟ ذكرت أبي رحمه الله أن يراني في مثل هذا الحال، قال: وكان عليه السواد. قال: كان أبي يبعث خلفي إذا جاءه رجلٌ زاهد، أو رجل متقشف؛ لأنظر إليه يحب أن أكون مثلهم، أو يراني مثلهم، ولكن الله يعلم ما دخلت في هذا الأمر إلاَّ لدينٍ قد غلبني، وكثرة عيال. أحمد الله، وكان صالح إذا انصرف من مجلس الحكم يترك

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٧١.

(٢) صالح ابن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي.

ترجمته في: أخبار القضاة لوكيع ٣/ ٢٤٥، والجرح والتعديل ٤/ ٣٩٤ رقم ١٧٢٤، وذكر أخبار أصبهان ١/ ٣٤٨ـ ٣٤٩، وطبقات الحنابلة ١/ ١٧٣ـ ١٧٦ رقم ٢٣٢، والمنتظم ٥/ ٥١ رقم ١٢١، والعبر ٢/ ٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٢٩ـ ٥٣٠ رقم ٢٠٤، والبداية والنهاية ١١/ ٤٠، وشذرات الذهب ٢/ ١٤٩ـ ١٥٠، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/ ٣٦٤ـ ٣٦٥، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٨٣، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٦١ـ ٢٨٠هـ) ص١٠٧ رقم ٧٥.

سواده، ويقول: تراني أن أموت وأنا على هذا.

وولي صالح بطرسوس /٢٥٥/ قبل ولاية القضاء بأصبهان، ومات بأصبهان في رمضان سنة ست وستين ومائتين، وقيل: سنة خمس، ومولده سنة ثلاث ومائتين.

ومنهم:

[٥]

حنبل بن إسحاق بن حنبل، أبو علي الشيباني(١)

ابن عم الإمام أحمد، فقيه لولاه للفضل لما نفق، ولولا بُقياه لما تخلّق الصباح بالشفق، ممن يقر البحر بعلمه، وإن كان ما له قرار، والبدر لفهمه لو لم يدركه السرار، من كافور تلك الجبلة، ونور تلك الأسرة المستهلة، عرف بعلمه، وعز قدره بابن عمه.

قال الخلال: جاء عن أحمد بمسائل أجاد فيها الرواية وأغرب، وإذا نظرت في مسائله شبهتها في حسنها وإشباعها وجودتها بمسائل الأثرم.

وكان رجلاً فقيراً خرج إلى عُكبرا، فقرأ مسائله عليهم، وخرج أيضاً إلى واسط.

وقال حنبل: جمعنا عمي لي، ولصالح، ولعبد الله، وقرأ علينا المسند، وما سمعه مني ـ يعني تاماً ـ غيرنا، وقال لنا: إن هذا الكتاب قد جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفاً، فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله ﷺ ارجعوا إليه، فإن وجدتموه فيه وإلاَّ ليس بحجة.

ومن ورعه أنه لما قدم عُكبرا نزل في غرفة اكتراها، فلما اجتمع أصحاب الحديث إليه. قال لهم: اكترينا هذه الغرفة لنسكنها، فإذا كثر الناس خشينا أن نضر، فإذا اجتمعتم خرجنا إلى المسجد.

وقال حنبل: حججت في سنة إحدى وعشرين فرأيت في المسجد الحرام كسوة البيت الديباج، وهي تخيط في صحن المسجد، وقد كتب في الدارات «ليس كمثله شيء وهو اللطيف الخبير» فلما قدمت سألني عن بعض الأخبار، فأخبرته بذلك،

---

(١) **ترجمته في**: الجرح والتعديل ٣/ ٣٢٠ رقم ١٤٣٤، وتاريخ بغداد ٨/ ٢٨٦ـ ٢٨٧ رقم ٤٣٨٦، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٧٠، وطبقات الحنابلة ١/ ١٤٣ـ ١٤٥ رقم ١٨٨، والمنتظم ٥/ ٨٩ رقم ١٩٨، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥١ـ ٥٣ رقم ٣٨، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٠٠ـ ٦٠١، والعبر ٢/ ٥١، والنجوم الزاهرة ٣/ ٧٠، وطبقات الحفاظ ٢٦٨، وشذرات الذهب ٢/ ١٦٣ـ ١٦٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٦١ـ ٢٨٠هـ) ص٣٤٣ رقم ٣٦٢.

فقال: قاتله الله، الخبيث ـ يعني ابن أبي دؤاد ـ عمد إلى كتاب الله فغيره، يعني أزال /٢٥٦/ «السميع البصير»[١].

توفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ومائتين.

ومنهم:

[٦]

أحمد بن محمد بن الحجاج بن عبد العزيز، أبو بكر المرُّوذي[٢]

لم يكن مثله في التحلي بدين، والتخلي ليقين، فرد في تأييد العلم بالورع، والتقدم والناس له تبع، وكان أنيس إمامه، وجليس غمامه، ورسيل علمه إذا عبَّ بحره وزخر، وعديل حلمه إذا رسا طوده وفخر.

كان مقدماً في أصحاب الإمام أحمد لورعه وفضله، وكان أحمد يأنس به، وينبسط إليه، وهو الذي تولى إغماضه لما مات وغسله، وقد روى مسائل كثيرة.

وقال المروذي: رأيت ربي في المنام، وكأن القيامة قد قامت، ورأيت الخلائق والملائكة حول بني آدم، فسمعت الملائكة تقول: قد أفلح الزاهدون في الدنيا، ورأيت النبي ﷺ وسمعته يقول: يا أحمد بن حنبل هلم إلى العرض على الله عز وجل، فرأيت أحمد ورأيتني خلفه.

ولمّا قدم أحمد بن حنبل من سامراء، جعل يقول: جزى الله المروذي عني خيراً.

وكان المروذي شديد التمسك بقول أحمد. قال يوماً في جنازة حضرها: لو أن الخليقة انحازت عن قول أحمد بن حنبل ما تحاشيت أن أجفوها.

توفي المروذي في جمادى الأولى سنة خمس وسبعين ومائتين، ودفن عند رجل قبر أحمد بن حنبل.

ومنهم:

[٧]

إبراهيم بن إسحاق البغدادي، الإمام، الحافظ، أبو إسحاق الحربي[٣]

أحد الأعلام، وفرقد الظلام، تفقه على الشيباني، وتبع مذهبه، وسمع الحديث

---

(١) انظر: سورة الشورى: الآية ١١.

(٢) **ترجمته في**: تاريخ بغداد ٤/ ٤٢٣ـ ٤٢٥ رقم ٢٣١٨، السابق واللاحق ٥٦، الكامل في التاريخ ٧/ ٤٣٥، دول الإسلام ١/ ١٦٦ـ ١٦٧، البداية والنهاية ١١/ ٥٤، النجوم الزاهرة ٣/ ٧٢، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٧١ـ ٢٨٠هـ) ص٢٧٣ رقم ٢٤٢.

(٣) **ترجمته في**: أخبار القضاة لوكيع ٢/ ٢٣٠، ٢٤٢، ٢٩٩، والثقات لابن حبّان ٨/ ٨٩، والسابق =

وكتبه، وصنف في سائر العلوم، وتصرف في الخصوص، وتصرف [في] العموم، وكان من أفراد الزهاد، وأنجاد العلماء، وهو النجد وهم الوهاد.

/ ٢٥٧/ ولد سنة ثمان وستين ومائة، وسمع الحديث، وتفقه على الإمام أحمد، وكان من جملة أصحابه.

قال الخطيب[1]: كان إماماً في العلم، رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، حافظاً للحديث، مميزاً لعلله، قيماً بالأدب، جماعةً للغة، صنف «غريب الحديث»، وكتباً كثيرة. أصله من مرو.

قال القفطي: «غريب الحديث» له من أنفس الكتب وأكبرها.

قال ثعلب: ما فقدت إبراهيم الحربي من مجلس لغة.

وقال السُّلمي: سألت الدارقطني عن إبراهيم الحربي، فقال: كان يقاس بأحمد ابن حنبل في زهده وعلمه وورعه.

وقيل: إن المعتضد سير إلى الحربي عشرة آلاف فردها، ثم سير له مرة أخرى ألف دينارٍ فردها.

وقال الحربي: ما أنشدت بيتاً قط إلاَّ قرأت بعده ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ثلاث مرات.

وقال عبد الله بن أحمد: قال لي أبي: امض إلى إبراهيم الحربي حتى يلقي عليك الفرائض.

= والللاحق ٢٢٠، وتاريخ بغداد ٦/ ٢٧ـ ٤٠ رقم ٣٠٥٩، والفهرست لابن النديم، المقالة ٦، فن ٦، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٧١، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٨٦ـ ٩٣، رقم ٨٦، وأخبار الحمقى والمغفّلين لابن الجوزي ٨٠، والإكمال لابن ماكولا ٣/ ٢٢٠، والمنتظم لابن الجوزي ٦/ ٣ـ ٧، ومعجم الأدباء ١/ ١١٢ـ ١١٩، والكامل في التاريخ ٧/ ٤٩٢، و٥١٠ وفيه «المريّ» وهو تحريف، واللباب ١/ ٣٥٥، وإنباه الرواة ١/ ١٥٥ـ ١٥٨، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٥٨، ومرآة الجنان ٢/ ٢٠٩ـ ٢١٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٨٤ـ ٥٨٦، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٥٦ـ ٣٧٢ رقم ١٧٣، وميزان الاعتدال ٣/ ١٣٨ في ترجمة (علي بن عاصم بن صهيب الواسطي)، والمعين في طبقات المحدّثين ١٠٤ رقم ١١٨٣، ودول الإسلام ١/ ١٧١، والعبر ٢/ ٧٤، وفوات الوفيات ١/ ١٤ـ ١٧، والوافي بالوفيات ٥/ ٣٢٠ـ ٣٢٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ٢٥٦ـ ٢٥٧، والبداية والنهاية ١١/ ٧٩، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة ٤ـ ٥، وطبقات الحفاظ ٢٥٩، وبغية الوعاة ١/ ٤١٨، وطبقات المفسّرين للداودي ١/ ٥، وشذرات الذهب ٢/ ١٩٠، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٨١ـ ٢٩٠هـ) ص١٠١ رقم ١١٠.

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٢٨.

وقال الحاكم: سمعت أحمد بن صالح يقول: ما أخرجت بغداد مثل إبراهيم الحربي في الفقه، والحديث، والأدب، والزهد. يعني من جميع هذه الأشياء.

وقال الدارقطني: هو إمامٌ بارع في كل علمٍ، صدوق.

ومات في ذي الحجة سنة خمس وثمانين ومائتين.

ومنهم:

[٨]

عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل[(١)]، الحافظ، الحجة، أبو عبد الرحمن

محدث العراق، ومحط الطُرّاق، شبل ذلك القسورة، وبقية تلك الجوهرة، جرى على ذلك السنن، وغرد على ذلك الفنن، وأحيا مآثر شيبان، وما شاب عارضه، ولا يُنال باللثام معارضه.

ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين، وسمع من أبيه فأكثر، وحدث عنه النسائي وغيره.

قال الخطيب[(٢)]: كان ثقة، ثبتاً، فهماً.

---

(١) **ترجمته في**: أخبار القضاة لوكيع ١/ ٤٥، ١٠٨، ١٠٩، ١١٦، ٢٩٧، ٣٢٦، ٣٣٣، ٣٧١، ٣٧٣ و٢/ انظر فهرس الأعلام ٤٨٢، و٣/ انظر فهرس الأعلام ٣٥٥، والجرح والتعديل ٥/ ٧ رقم ٣٢، والمعجم الصغير للطبراني ١/ ٢١٣، ومسند الشاميين، له ١/ ٣٦ رقم ٢١ و٢/ ٤٦ رقم ٣٩، والسنن للدارقطني ١/ ٧٥ رقم ٤، و١/ ٨١ رقم ٥/ ٨٥ رقم ١٠ و٤٠٢ رقم ٣ و٢/ ٧٩ رقم ١٢، والإيمان لابن منده، رقم الحديث ٦، وتاريخ جرجان للسهمي ٥٥١، والسابق واللاحق ٢٥٩، وموضح أوهام الجمع والتفريق ٢/ ٢٠٥، وتاريخ بغداد ٩/ ٣٧٥ـ ٣٧٦ رقم ٤٩٥١، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٦٩، ١٧٠، وطبقات الحنابلة ١/ ١٨٠ـ ١٨٨ رقم ٢٤٩، والمنتظم ٦/ ٣٩ـ ٤٠ رقم ٥٥، ووفيات الأعيان ١/ ٦٥، ٢٧٦ و٢/ ٢٤٣ و٤/ ١٦٣ـ ١٦٤، ومعجم البلدان (باب التبن)، وجمهرة أنساب العرب ٣١٩، والمعجم المشتمل لابن عساكر ١٥١ رقم ٤٦٢، وأنساب القرشيين ٩٤، والكامل في التاريخ ٧/ ٥٢٩، وأخبار الحمقى والمغفّلين لابن الجوزي ٧٦ـ ٧٨، ومناقب أحمد بن حنبل، له ٣٠٦، وتهذيب الكمال ١٤/ ٢٨٥ـ ٢٩٢ رقم ٣١٥٧، والكاشف ٢/ ٦٣ـ ٦٤ رقم ٢٦٥١، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥١٦ـ ٥٢٦ رقم ٢٥٧، والعبر ٢/ ٨٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٦٥ـ ٦٦٦، والمعين في طبقات المحدّثين ١٠٥ رقم ١١٩٠، ودول الإسلام ١/ ١٧٥، ومرآة الجنان ٢/ ٢١٨، والبداية والنهاية ١١/ ٩٦ـ ٩٧، وشرح علل الترمذي لابن رجب ٦٧، والوافي بالوفيات ١٧/ ٢٤ رقم ١٩، وأدب القاضي للماوردي ١/ ٣٥١، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٨٥، وغاية النهاية ١/ ٤٠٨، وتهذيب التهذيب ٥/ ١٤١ـ ١٤٣، رقم ٢٤٦، وتقريب التهذيب ١/ ٤٠١، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٩٠، وشذرات الذهب ٢/ ٢٠٣ـ ٢٠٤، والأعلام ٤/ ١٨٩، وتاريخ التراث العربي ٢/ ٢١١ـ ٢١٢ رقم ٨، وتاريخ الإسلام (السنوات ٢٨١ـ ٢٩٠هـ) ص١٩٧ رقم ٣٠٠.

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ٣٧٥.

وقال أحمد بن المنادي في تاريخه: لم يكن أحد أروى /٢٥٨/ في الدنيا عن أبيه من عبد الله؛ لأنه سمع منه «المسند» وهو ثلاثون ألفاً، و«التفسير» وهو مائة وعشرون ألفاً ثلثه، والباقي وجادة، وسمع منه «التاريخ» و«الناسخ والمنسوخ» و«حديث شعبة» و«المقدّم والمؤخّر في كتاب الله» و«المناسك الكبير» وغير ذلك، وحديث الشيوخ، وما زلنا نرى أكابر شيوخنا يشهدون لعبد الله بمعرفة الرجال، ومعرفة علل الحديث، والأسماء، والمواظبة على الطلب حتى أفرط بعضهم وقدمه على أبيه في الكثرة والمعرفة.

وقال عبد الله بن أحمد: سمعت من أبي مائة ألف، وبضعة عشر ألفاً، وكل شيء أقول: قال أبي، فقد سمعته مرتين أو ثلاثة وأقله مرة.

وقال أبو زرعة: قال لي أحمد: ابني عبد الله محظوظ من علم الحديث لا يذاكرني إلاَّ بما أحفظ.

وكان كثيف اللحية، يصبغ بالحمرة، وكان يلي القضاء بطريق خراسان في خلافة المُستكفي، ومات في جمادى الآخرة سنة تسعين ومائتين، وكانت جنازته مشهورة، وأوصى أن يدفن بالقطيعة بباب التبن، فقيل له في ذلك، فقال: قد صح عندي أنّ بالقطيعة نبياً مدفوناً، وإلى أن أكون في جوار نبي، أحب إليَّ أن أكون في جوار أبي.

ومنهم:

[٩]

أحمد بن محمد بن هارون، أبو بكر المعروف بالخلاّل[1]

صاحب التصانيف الدائرة، والكتب السائرة، أشهر من النهار، وأظهر محاسن من الروض تدفقت في جوانبه الأنهار، ولم ير أشهى من شهده، ولا أورى من زنده، ولا أضم من نطاقه ولا أتم سَنًى من قمره في آفاقه، أراق عن جفونه في طلب العلم

---

(١) **ترجمته في**: تاريخ بغداد ٥/ ١١٢ـ ١١٣ رقم ٢٥٢٢، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٧١، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٢ـ ١٥ رقم ٥٨٢، والمنتظم ٦/ ١٧٤ رقم ٢٨٦، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٧٨٥، ٧٨٦، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٩٧ـ ٢٩٨ رقم ١٩٣، والعبر ٢/ ١٤٨، ودول الإسلام ١/ ١٨٨، والمعين في طبقات المحدّثين ١٠٨ رقم ١٢١٧، ومرآة الجنان ٢/ ٢٦٤، والوافي بالوفيات ٨/ ٩٩ رقم ٣٥٢١، والبداية والنهاية ١١/ ١٤٨، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٠٩، وطبقات الحفاظ ٣٢٩ـ ٣٣٠، وشذرات الذهب ٢/ ٢٦١، والرسالة المستطرفة ٣٧ـ ٣٨، وكشف الظنون ٥٧٦، وهدية العارفين ١/ ٥٧، والأعلام ١/ ٢٠٦، ومعجم المؤلّفين ٢/ ١٦٦، وديوان الإسلام ٢/ ٢٣٠ـ ٢٣١ رقم ٨٦٦، وتاريخ الأدب العربي ١/ ٣١١، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٠١ـ ٣٢٠هـ) ص٤٠٦ رقم ١٢.

الكرى، حتى أنامها قريرة وادعة، مسرورة هاجعة، وتفرد بحسن الأحدوثة، وانحصر فيه بالاستحقاق علوم مذهبه الموروثة، وبقي بين أقرانه غريباً، وعلى بعد زمانه قريباً، وخلى من مدده ما هو ليد كل طالبٍ غنى، ولسمع كل راغبٍ جنى، ولأمل كل غائب نائى عنه مُنى.

/٢٥٩/ رحل إلى أقاصي البلاد في جمع مسائل أحمد، وسماعها ممن سمعها من أحمد، وممن سمعها ممن سمعها من أحمد، فنال منها وسبق إلى ما لم يسبقه إليه سابق، ولم يلحقه بعده لاحق، وكان شيوخ المذهب يشهدون له بالفضل والتقدم، وكانت حلقته بجامع المهدي.

قال أبو بكر عبد العزيز: رأيت أبا بكر الخلال في المنام، فسألته عما يأكل، فقال: ما أكلت منذ فارقتكم إلاَّ بعض فرخ، أما علمت أن طعام الجنة لا ينفد.

ومن تصانيفه: كتاب «الجامع» و«العلل» و«السنة» و«الطبقات» و«العلم» و«تفسير الغريب» و«الأدب» و«أخلاق أحمد» وغير ذلك، وسمع من خلائق لا يحصون كثرة.

قال أبو بكر بن شهْرَيار: كلنا تبع لأبي بكر الخلال، لم يسبقه إلى جمع علم الإمام أحمد أحدٌ قبله.

وقال أبو بكر الخطيب(١): جمع علوم أحمد بن حنبل وتطلبها، وسافر لأجلها، وكتبها وصنفها كتباً، ولم يكن فيمن ينتحل مذهب أحمد أجمع لذلك منه.

توفي يوم الجمعة ثاني ربيع الأخر سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، ودفن إلى جانب قبر المروذي عند رجل أحمد، وله سبع وسبعون سنة، وقيل: بل نيف على الثمانين.

ومنهم:

[١٠]

الحسن بن علي بن خلف، أبو محمد البَرْبَهاري(٢)

كان حيث سار تبعته الرعية، وحيث أشار كلمته مرعية، وكان حبه مغناطيس

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ١١٣.

(٢) **ترجمته في**: طبقات الحنابلة ٢/ ١٨ـ ٤٥، والمنتظم ٦/ ٣٢٣، والكامل في التاريخ ٨/ ٣٧٨، واللباب ١/ ١٠٧، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٨٦، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٩٠ـ ٩٣ رقم ٥٢، والعبر ٢/ ٢١٦ـ ٢١٧، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٧١، ومرآة الجنان ٢/ ٢٨٦ـ ٢٨٧، والبداية والنهاية ١١/ ١٨٣ و٢٠١، والوافي بالوفيات ١٢/ ١٤٦ـ ١٤٧، وشذرات الذهب ٢/ ٣١٩، وديوان الإسلام ١/ ٢٧٧ـ ٢٧٨ رقم ٤٣٠، والأعلام ٢/ ٢٠١، ومعجم المؤلفين ٣/ ٢٥٣، وتاريخ الإسلام (السنوات ٣٢١ـ ٣٣٠هـ) ص٢٥٨ رقم ٤٣٤.

القلوب، وذكره عطر الأفواه والجيوب، ولذلك ما جار ابن المعتز حيث أراد استنهاض العامة إلاَّ باسمه الذي صرخ به مناديه، وصرف الأنصار إلى ناديه، حتى كاد يتم أمره لو ساعده القدر، وساعفه الحظ الذي كسف الشمس وخسف القمر.

وكان لا يرى بعد ابن حنبل رضي الله عنه إلاَّ بدلاً من إمامه، /٢٦٠/ وخلفاً منه إن وصل أحد بعده إلى مقامه، كان شيخ الطائفة، ومتقدمها في الإنكار على أهل البدع والمباينة لهم باليد واللسان، وكان له صيت عند السلطان وقدم عند الأصحاب، وكان أحد الأئمة العارفين، والحفاظ للأصول المتقنين، والثقات المأمونين.

صحب جماعة من أصحاب أحمد، منهم: المروذي، وصحب سهلاً التستري، وصنف كتاب «شرح السنة» وتنزه عن ميراث أبيه، عن سبعين ألف درهم.

وكانت له مجاهدات ومقامات في الدين كثيرة، وكان المخالفون يغلظون قلب السلطان عليه، ففي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة في خلافة القاهر، تقدم الوزير ابن مقلة بالقبض على البربهاري فاستتر وقبض على جماعة من أكابر أصحابه، وحملوا إلى البصرة، فعاقب الله ابن مقلة على ذلك بأن أسخط عليه القاهر، وهرب ابن مقلة، وعزله القاهر عن الوزارة، وطرح في داره النار، وقبض على القاهر يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة، وحبس، وخلع، وسملت عيناه في هذا اليوم حتى سالتا جميعاً فعمي، ثم تفضل الله، وأعاد البربهاري إلى حشمته، وزادت خصوصاً في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، علت كلمته، وظهر أصحابه، وانتشروا في الإنكار على المبتدعة حتى أنه اجتاز بالجانب الغربي فعطس، فشمته أصحابه، فارتفعت ضجتهم حتى سمعهم الخليفة، وهو في روشنه، فسأل عن الحال، فأخبر بها، فاستهولها، وذلك في أيام الراضي.

ثم لم يزل المبتدعة يثقلون قلب الراضي على البربهاري، فتقدم الراضي إلى بدر الخرشني صاحب الشرطة بالركوب والنداء ببغداد /٢٦١/ أن لا يجتمع من أصحاب البربهاري نفسان، فاستتر البربهاري، وكان ينزل بالجانب الغربي بباب محول، فانتقل إلى الجانب الشرقي مستتراً، فتوفي في الاستتار في رجب سنة تسع وعشرين وثلثمائة.

وكان قد اختبأ عند أخت توزون بالجانب الشرقي، فبقي نحواً من شهر، فلحقه قيام الدم، فقالت لخادمها ـ لما مات البربهاري ـ: انظر من يغسله، فجاء بالغاسل، فغسله وغلق الباب حتى لا يعلم أحدٌ، ووقف يصلي عليه وحده، فاطلعت صاحبة الدار، فرأت الدار ملأى رجالاً بثياب بيض وخضر، فلما سلم لم ترَ أحداً، فاستدعت الخادم، وقالت: أهلكتني مع أخي.

فقال: رأيت ما رأيت، فقالت: نعم، فقال: هذه مفاتيح الباب، وهو مغلق، فقالت: ادفنوه في بيتي، وإذا مت، فادفنوني عنده، فدفنوه في دارها وماتت بعده بزمان، فدفنت في ذلك المكان، ومضى عليه الزمان وصار تربة يزار.

ومنهم:

[١١]

أحمد بن سلمان بن الحسن بن إسرائيل بن يونس، أبو بكر النّجّاد(١)

العالم الناسك الورع، والسالك على ما نص الشارع ـ صلوات الله عليه ـ وما شرع، طرقت فتاويه المشارق والمغارب، وطُرّزت حلل النهار وأردية الغياهب، وتناقلت فضائله الركائب، وكانت أحاديثه تتحدث بها السمار على عيسها، وتؤنس بها الفيافي في إقالتها وتعريسها.

كان له في جامع المنصور يوم الجمعة حلقتان قبل الصلاة للفتوى على مذهب احمد، وبعد الصلاة لإملاء الحديث. اتسعت رواياته، وانتشرت أحاديث ومصنفاته.

قال أبو علي الصواف: كان أحمد بن سلمان يجيء معنا إلى المحدثين ونعله في يده، فقيل له: لم لا تلبس /٢٦٢/ نعلك، قال: أحب أن أمشي في طلب حديث رسول الله ﷺ وأنا حافٍ، فلعله ذهب إلى قوله ﷺ: «ألا أنبئكم بأخف الناس حساباً يوم القيامة بين يدي الملك الجبار، المسارع إلى الخيرات ماشياً على قدميه حافياً. أخبرني جبريل أن الله تعالى ناظر إلى عبد يمشي حافياً في طلب الخير».

---

(١) **ترجمته في**: تاريخ بغداد ٤/ ١٨٩ـ ١٩٢، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٧٢، وطبقات الحنابلة ٢/ ٧ـ ١٢، والأنساب ٥/ ٤٥٧، والمنتظم ٦/ ٣٩٠ رقم ٦٥٧، والكامل في التاريخ ٨/ ٥٢٧ـ ٥٢٨، وفيه «أحمد بن سليمان»، والمختصر في أخبار البشر ٤/ ١٠٢، والعبر ٢/ ٢٧٨ـ٢٧٩، وميزان الاعتدال ١/ ١٠١، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٠٢ـ ٥٠٥ رقم ٢٨٥، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨٦٨ـ ٨٦٩، والمعين في طبقات المحدّثين ١١٢ رقم ١٢٥٦ وفيه «أحمد بن سليمان»، ودول الإسلام ١/ ٢١٥، والإعلام بوفيات الأعلام ١٤٨، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٨٧ـ ٢٨٨، والوافي بالوفيات ٦/ ٤٠٠، ومرآة الجنان ٢/ ٣٤٢ وفيه «أحمد بن سليمان» وتحرّفت فيه نسبة «النجاد» إلى «السجاد»، والبداية والنهاية ١١/ ٢٣٤ وفيه «أحمد بن سليمان»، ولسان الميزان ١/ ١٨٠، وشذرات الذهب ٢/ ٣٧٦، وكشف الظنون ١٣٠٣، وهدية العارفين ١/ ٦٣، وديوان الإسلام ٤/ ٣٢٣ـ ٣٢٤ رقم ٢١٠٥، وفيه «أحمد بن سليمان»، والرسالة المستطرفة ٢٨، والأعلام ١/ ١٣١، ومعجم المؤلفين ١/ ٢٣٥، ومعجم طبقات الحفاظ ٥٢ رقم ٨٠٩ وفيه «أحمد بن سليمان»، وتاريخ التراث العربي ٢/ ٢١٥ـ ٢١٦ رقم ١٢، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٣١ـ ٣٥٠هـ) ص٣٩٢ رقم ٦٥٠.

وقال أبو إسحاق الطبري: كان النجاد يصوم الدهر، ويفطر كل ليلة على رغيف، ويترك منه، فإذا كان ليلة الجمعة تصدق بذلك الرغيف، وأكل تلك اللقم التي استفضلها.

وكان إذا أملى الحديث في جامع المنصور يكثر الناس في حلقته حتى يغلق بابان من أبواب الجامع مما يليان حلقته.

وقال أبو بكر النجاد: ضقت وقتاً من الزمان، فمضيت إلى إبراهيم الحربي، فقصصت له قصتي، فقال لي: أعلم أنني ضقت يوماً حتى لم يبق معي إلاَّ قيراط، فقالت الزوجة: فتش كتبك، وانظر ما لا تحتاج إليه فبعه، فلما صليت عشاء الآخرة، جلست في الدهليز اكتب إذ طرق على الباب طارق، فقلت: من هذا؟ فقال: كلمني، ففتحت الباب، فقال لي: أطف السراج، فطفيته، فدخل الدهليز فوضع فيه كارةً، وقال لي: أعلم أننا أصلحنا للصبيان طعاماً، فأحببنا أن يكون لك وللصبيان فيها نصيب، وهذا أيضاً شيء آخر، فوضعه إلى جانب الكارة وقال: اصرفه في حاجتك، وأنا لا أعرف الرجل، وتركني وانصرف، فدعوت الزوجة، وقلت لها: أسرجي، فأسرجت، وجاءت وإذا الكارة منديل له قيمة، وفيه خمسون وسط في كل وسط لون من الطعام، وإذا إلى جانب الكارة كيس فيه ألف دينار.

قال النجاد: /٢٦٣/ فقمت من عنده، ومضيت إلى قبر أحمد وزرته، ثم انصرفت، فبينا أنا أمشى على جانب الخندق إذ لقيتني عجوز من جيراننا، فقالت لي: أحمد، فأجبتها، فقالت: ما لك مغموم، فأخبرتها، فقالت: اعلم أن أمك أعطتني قبل موتها، وقالت: أخبئي هذه عندك، فإذا رأيت ابني مضيقاً مغموماً، فأعطيه إياها، فتعال معي حتى أعطيك إياها، فمضيت معها، فدفعتها إليَّ.

توفي وقد كف بصره ليلة الثلاثاء لعشر بقين من ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وعاش خمساً وتسعين سنة، ودفن عند بشر الحافي.

ومنهم:

[١٢]

عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد، أبو القاسم الخِرَقيّ[1]

صاحب المصنف الذي هو اليوم لأهل المذهب جادة الطريق، ومادة الفريق،

---

(١) ترجمته في: تاريخ بغداد ١١/ ٢٣٤ـ ٢٣٥، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٧٢، وطبقات الحنابلة ٢/ ٧٥ـ ١١٨، والأنساب ٥/ ٩٢، وتاريخ دمشق (مخطوطة الظاهرية) ١٢/ ٣٥٢أ، والمنتظم ٦/ ٣٤٦ رقم =

ومُفَقّه الطائفة الأحمدية إلاَّ أنها التي لا تتقحم النار، ولا تسري على غير منار، ولا يطربها أصوات المزاهر، ولا المدائح، ولا تقتفي إلاَّ الأثر الأحمدي. ساكن طيبة لا ساكن البطائح.

قرأ العلم على من قرأه على المروذي وغيره، وله المصنفات الكثيرة في المذهب لم ينتشر منها إلاَّ «المختصر في الفقه» لأنه خرج عن مدينة السلام لما ظهر سب الصحابة، وأودع كتبه في درب سليمان، فاحترقت الدار التي كانت الكتب فيها، ولم تكن انتشرت بعد، قرأ عليه جماعة من شيوخ المذهب.

توفي الخرقي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ودفن بدمشق.

/ ٢٦٤/ ومنهم:

[١٣]

عبد العزيز بن جعفر بن أحمد، أبو بكر المعروف بغلام الخَلاَّل(١)

إمام له صدر المحراب، وسر الصواب، والواحد الذي إذا تكلم في السنة أزال العتاب، وإذا قال، قال الذي عنده علمٌ من الكتاب، رأس طائفته ورئيسها، وفريدها الذي تهدى إليه سُفُنها، وتحدى عيسها، جدد مذهب إمامه، وما أخلق، ووصل به سببه وهو بالسماء معلق.

حدث عن جماعة وروى عنه خلق، وكان موثوقاً به في العلم، متسع الرواية، مشهوراً بالديانة، موصوفاً بالأمانة، مذكوراً بالعبادة، له المصنفات في العلوم المختلفة كتفسير القرآن، والفقه، والخلاف مع الشافعي، وغير ذلك.

= ٥٦١، والكامل في التاريخ ٨/ ٤٦٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٤١، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٩٦، والعبر ٢/ ٣٣٨ـ ٣٣٩، ودول الإسلام ١/ ٢٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٦٣ـ ٣٦٤، رقم ١٨٦أ، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٨٠، والبداية والنهاية ١١/ ٢١٤، وشذرات الذهب ٢/ ٣٣٦ـ ٣٣٧، وديوان الإسلام ٢/ ٢٢٣ رقم ٨٥٦، وكشف الظنون ٤٤٦، وغيرها، ومفتاح السعادة ١/ ٤٣٨، والأعلام ٥/ ٤٤، ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٨٢، وتاريخ الإسلام (السنوات ٣٣١ـ ٣٥٠هـ) ص١٠٩ رقم ١٤٥.

(١) **ترجمته في**: طبقات الفقهاء ١٧٢، طبقات الحنابلة ٢/ ١١٩، العبر ٢/ ٣٣٠، المنتظم ٧/ ٧١ رقم ٩٤ وفيه: «عبد العزيز بن أحمد بن جعفر بن يزداد»، تاريخ بغداد ١٠/ ٤٥٩ـ ٤٦٠ رقم ٥٦٢٨، البداية والنهاية ١١/ ٢٧٨، الكامل في التاريخ ٨/ ٦٤٧، شذرات الذهب ٣/ ٤٥، النجوم الزاهرة ٤/ ١٠٥، طبقات المفسرين ١/ ٣٠٦ رقم ٢٨٦، دول الإسلام ١/ ٢٢٤، الأعلام ٤/ ١٣٩، معجم المؤلفين ٥/ ٢٤٤، تاريخ التراث العربي ٢/ ٢١٦ رقم ١٣، سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٤٣ـ ١٤٥ رقم ١٠٢، هدية العارفين ١/ ٥٧٧، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٥١ـ ٣٨٠هـ) ص٣٠٨.

وقال أبو يعلى: كان ذا دين، وأخا ورع، علامة، بارعاً في علم المذهب، ثم ذكر مكانته في النفوس، وتقدمه عند السلطان، وذكر أنَّ أبا بكر ذكر عند أخت معز الدولة بسوءٍ، وأنه تغمص من علي رضي الله عنه، فاستدعته، وجمعت المتكلمين لمناظرته، فكان صوته عالياً عليهم، وحجته ظاهرة لديهم، وأخت معز الدولة بحيث تسمع كلامه، حتى شهدت له بالفضل، وكان منها الإنكار عليهم فيما كَذبوه عليه، وأضافوه إليه، وبذلت له شيئاً من المال، فامتنع من قبوله، مع خفة حاله، وقلة ما له، زهداً وروعاً.

قال القاضي أبو يعلى: حكى لنا أبو بكر أحمد بن إسحاق المعروف بابن سكينة الآزجي قال: حكى لنا الشيخ أبو الفضل بن التميمي، قال حكى لي شيخ كان يسافر في طلب الحديث أنه وقع إليَّ في خبرٍ أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب» قال فسافرت كذا وكذا بلد أسأل / ٢٦٥/ هل هناك زيادة على هذا العدد، فما زادني أحدٌ، وكل يقول: هكذا سمعنا، فدخلت مدينة البصرة، وسألت عن ذلك، فما زادني أحدٌ، فلما كان ذات يوم نمت، وأنا تعب، فرأيت النبي ﷺ فقبلت قدمه، فقال لي: يا فلان، قد تعبت في هذا الخبر الذي سمعته عني، فقلت له: أي والله يا رسول الله، فقال لي: امض إلى بغداد إلى جامع الخليفة سترى رجلاً واسع الجبين، جهوري الصوت، فسله عن هذه المسألة، يعني أبا بكر عبد العزيز، فإنه يجيبك، قال: فلم يحملني القعود حتى مضيت إلى بغداد، قال: فقلت في نفسي: لا سألت أحداً عن هذا الرجل حتى أدخل الجامع، وأنظر إلى الصفة التي وصفها رسول الله ﷺ، فدخلت يوم الجمعة الجامع، فسمعت صوته، فإذا هو بالصفة التي وصفها رسول الله ﷺ، فوقفت حذاءه، وقلت له: أيها الشيخ، مسألة، فقال: اوسعوا للشيخ موضعاً إلى أن وصلت إلى بين يديه، فقال لي: اجلس، فجلست، فقال لي سراً ألست الرجل الذي بك رسول الله ﷺ فوقعت عليّ الرعدة، فقلت: نعم وأمسكت، ثم قال لي: أيها الشيخ هات مسألتك، فسألت عن الحديث أن النبي ﷺ قال: «يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب» فقال لي: يا أبله، أنت والذين سألتهم، حدثنا فلان عن فلان ـ وذكر الإسناد ـ أنه إذا كان يوم القيامة، وحصل أهل الموقف يقول الله سبحانه وتعالى ولا أبالي ثلاث مرات، ويحثي ثلاث حثيات، فمن قبضته أربع عشرة سماء وأرض كحبة خردلٍ في أرض فلاة: كم مرة سبعون ألف؟

/ ٢٦٦/ توفي يوم الجمعة لعشر بقين من شوال سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وروي أنه قال لأصحابه في علته: أنا عندكم إلى يوم الجمعة، فقيل له: يعافيك الله أو كلاماً هذا معناه، فقال: سمعت أبا بكر الخلال يقول: سمعت أبا بكر المروذي

يقول: عاش أحمد ثمانياً وسبعين سنة، ومات يوم الجمعة ودفن بعد الصلاة، وعاش أبو بكر المروذي ثمانياً وسبعين سنة، ومات يوم الجمعة ودفن بعد الصلاة، وعاش أبو بكر الخلال ثمانٍ وسبعين سنة، ومات يوم الجمعة ودفن بعد الصلاة، وأنا عندكم إلى يوم الجمعة، ولي ثمانٍ وسبعون سنة، فلما كان يوم الجمعة مات، ودفن بعد الصلاة. وهذه كرامة حسنة، فإنه حدث بيوم موته، وكان يوماً عظيماً بكثرة الجمع، وهاجر من داره لما ظهر سب السلف إلى غيرها، وهذا يدل على قوة دينه، وصحة عقيدته.

وحكى أبو القاسم الأزجي عن عبد العزيز أنه ضاق في بعض الأوقات. قال: فأخذت رقعة، وكتبت فيها «بسم الله الرحمن الرحيم فلان بن فلان محتاج» قال وأخذت الرقعة، وخرجت إلى باب الحلبة، وألقيت الرقعة من يدي، فحملتها الريح، وعدت إلى منزلي، فما كان يسيراً، وإذا الباب يطرق، فخرجت وإذا شيخ لا أعرفه، ودفع إليَّ قرطاساً ثقيلاً، فأخذته ودخلت فاعتبرته فإذا هو خمسمائة درهم، وإذا رقعتي بالقرطاس، وفيها مكتوب، «يا صاحب الرقعة بعدها أحسن الأدب في الطلب».

ومنهم:

[١٤]

الحسين بن حامد بن علي بن مروان، أبو عبد الله البغدادي(١)

فقيه وفق لصواب القول وسداده، وتدفق العلم وإمداده، كان يبكر إلى المعابد، ويفكر فكر العابد، إلى علم يُلقنه، وعمل يتيقنه، بدقائق معانٍ تُتأمل /٢٦٧/ تأمل العيان، وتتكامل تكامل السحر في العيان، أدرك الغاية وحازها، وبلغ النهاية وجازها، وكان يعد من غرائب الرغائب، ويُعدّى حُسن اللآلىء على الترائب، فلو كانت الفضائل نفوساً، لكان قوتها، أو جواهر، لكان ياقوتها.

وكان إمام الحنبلية في زمانه ومدرسهم ومفتيهم، له المصنفات في العلوم، وله

---

(١) ورد في المصادر الأخرى «الحسن بن حامد بن علي بن مروان».
ترجمته في: تاريخ بغداد ٧/ ٣٠٣ رقم ٣٨١٦، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٧١-١٧٧، رقم ٦٣٨، والكامل في التاريخ ٩/ ٢٤٢، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ٦٢٥، والمنتظم ٧/ ٢٦٣-٢٦٤، رقم ٤١٥، والعبر ٣/ ٨٤، ودول الإسلام ١/ ٢٤٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٠٣-٢٠٤ رقم ١١٦، والبداية والنهاية ١١/ ٣٤٩، والوافي بالوفيات ١١/ ٤١٥ رقم ٥٩٤، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٣٢، وشذرات الذهب ٣/ ١٦٦-١٦٧، وديوان الإسلام ٢/ ٢٠٢-٢٠٣ رقم ٨٢٥، ومختصر طبقات الحنابلة لابن شطّي ٣٢، ومعجم المؤلفين ٣/ ٢١٤، والأعلام ٢/ ١٨٧، وتاريخ التراث العربي ٢/ ٢١٨، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٠١-٤١٠هـ) ص٧٨ رقم٩٨.

المقام المشهود في الأيام القادرية، وقد ناظر أبا حامد الإسفراييني في وجوب الصيام ليلة الغمام في دار الإمام القادر بالله بحيث يسمع الخليفة الكلام، فخرجت الجائزة السنية من أمير المؤمنين، فردها مع حاجته إلى بعضها فضلاً عن جميعها تعففاً وتنزهاً.

وقيل: إنه كان يبتدئ في مجلسه بإقراء القرآن، ثم بالتدريس، ثم ينسخ بيده، ويقتات من أجرته، فسمي ابن حامد الوراق لأجل ذلك.

قال القاضي أبو الحسين: وبلغني أنه كان في كثير من أوقاته إذا اشتهت نفسه الباقلاء، لم يأكل معه دهناً، وإذا كان معه دهن، لم يجمع بينه وبين الباقلاء، وكان كثير الحج، فعوتب في كثرة سفره، وحجه مع كبر سنه، فقال: لعل الدرهم الزيف يخرج مع الدراهم الجيدة.

وحكي: أن إنساناً من الحاج جاءه بقليل ماء وهو مستند إلى حجر، وقد أشرف على التلف، فأومأ إلى الجائي له بالماء من أين هو، وإيش وجهته، فقال له: هذا وقته، فأومأ أنْ نعم هذا وقته، عند لقاء الله تعالى أحتاج أن أدري ما وجهه، أو كما قال.

توفي سنة ثلاث و أربعمائة.

ومنهم:

[١٥]

محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء[(١)]، أبو يعلى

القاضي والإمام الذي حمد من زمانه الراضي، بحر العلم الزاخر العباب، الفاخر /٢٦٨/ الدر على مباسم الحبائب والحباب، لم يجمع طرفي عصره مثله،

---

(١) **ترجمته في**: تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٦، رقم ٧٣٠، وتاريخ دمشق ط دار الفكر / ٥٤ـ ٣٥٦ رقم ٦٢٦٦، والمنتظم ٨/ ٢٤٣ـ ٢٤٤ رقم ٢٩٥ (١٦/ ٩٨ـ ٩٩ رقم ٣٣٩٠)، والكامل في التاريخ ١٠/ ٥٢، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٩٣ـ ٢٣٠، والأنساب ٩/ ٢٤٦، ومناقب الإمام أحمد ٥٢٠ـ ٥٢١، واللباب ٢/ ٤١٣، ٤١٤، وتاريخ دولة آل سلجوق ٣٥، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٢٢/ ١٢٠ـ ١٢١ رقم ١٤٥، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٨٦، والإعلام بوفيات الأعلام ١٨٩، ودول الإسلام ١/ ٢٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٨٩ـ ٩١ رقم ٤٠، والمعين في طبقات المحدّثين ١٣٢ رقم ١٤٥٨، والعبر ٣/ ٢٤٣ـ ٢٤٤، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٧٢، ومرآة الجنان ٣/ ٨٣، والوافي بالوفيات ٣/ ٧ـ ٨، والبداية والنهاية ١٢/ ٩٤ـ ٩٥، وفيه: «محمد بن حسن»، والنجوم الزاهرة ٥/ ٧٨، وتاريخ الخلفاء ٤٢٣، ومختصر طبقات الحنابلة للنابلسي ٣٧٧، وكشف الظنون ١/ ١٩٣، ٣٠٨، ٥٦٤ و٢/ ١٤١٦، ١٤٢١، ١٤٣٣، ١٤٩٨، ١٥٩٣، ١٦٦٨، ١٧٣٢، وشذرات الذهب ٣/ ٣٠٦ـ ٣٠٧، وهدية العارفين ٢/ ٧٢، والأعلام ٦/ ١٠٠، ومعجم المؤلفين ٩/ ٢٥٤ـ ٢٥٥، ومختصر طبقات الحنابلة لابن شطي ٣٢ـ ٣٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٤١ـ ٤٦٠هـ) ص٤٥٣ رقم ٢٥١ .

وإن ذهب بُكراً وأصالاً، وأبى ليله تضولاً ونهاره الإيصالا، أعاد عصر الإمام الشيباني مقبلاً، وقد شابت اللمم، وشانت معايب العجز الهمم، ونال من أكرومة الخلفاء ما كان ببره جديراً وعلى شكره قديراً.

كان عالم وقته، وفريد عصره، ونسيج وحده، وقريع دهره، وكان له في الأصول والفروع القدم العالي، وفي شرف الدين والدنيا المجلس السامي، والحظ الرفيع عند الإمامين القادر والقائم رضي الله عنهما، وأصحاب الإمام أحمد له يتبعون، ولتصانيفه يَدرسون ويُدرِّسون، وبقوله يفتون، وعليه يعولون، والفقهاء على اختلاف مذاهبهم وأصولهم كانوا عنده يجتمعون، ولمقاله يسمعون ويطيعون، وبه ينتفعون، وبالائتمام به يقتدون، وقد شوهد له من الحال ما يغني عن المقال، لا سيما مذهبه، واختلاف الروايات عنه، وما صح لديه منه، مع معرفته بالقرآن وعلومه، والحديث، والفتاوى، والجدل، وغير ذلك من العلوم، مع الزهد والورع، والعفة، والقناعة، وانقطاعه عن الدنيا وأهلها، واشتغاله بتسطير العلم، وبثه، وإذاعته.

ولما خرج ابن حامد إلى الحج سنة اثنتين وأربعمائة سأله محمد بن علي المقرىء على من يدرس؟ وإلى من يجلس؟ فقال له: إلى هذا الفتى، وأشار إلى القاضي أبي يعلى، وكان لابن حامد أصحاب كثير، فتفرس في أبي يعلى ما أظهره الله تعالى عليه.

وكان فيه صبرٌ على المكارة، واحتمال لما يلحقه من عدوٍ وزلل، إن جرى من صديقه، وتعطف بالإحسان /٢٦٩/ على الكبير والصغير، ويصطنع المعروف مع القاصي والداني، ويجري على سنن الإمام أحمد حذو القذة بالقذة، ولم يزل على طول الزمن يزداد جلالة، ونبلاً وعلماً، وفضلاً.

وحضر سنة اثنتين وأربعمائة في دار الخلافة في أيام القائم بأمر الله مع الجم الغفير والعدد الكثير مع أهل العلم؛ لفساد قول أجرى من المخالفين لما شاع قراءة كتاب «إبطال التأويلات» فخرج إلى أبي يعلى من القائم بأمر الله: الاعتقاد القادري في ذلك بما يعتقده أبو يعلى.

وكان قبل ذلك قد التمس منه حمل كتاب «إبطال التأويلات» ليتأمل، فأعيد إلى أبي يعلى، وشكر له تصنيفه، فقرىء ذلك الاعتقاد الذي خرج من عند الخليفة القائم، والقارىء قائماً على قدميه، والموافق والمخالف بين يديه، ثم أخذت في تلك الصحيفة خطوط الحاضرين من أهل العلم والفقهاء على اختلاف مذاهبهم، وجعلت كالشرط المشروط، فأول من كتب الزاهد أبو الحسن القزويني «هذا هو قول أهل

السنة، وهو اعتقادي، وعليه اعتمادي» ثم كتب أبو يعلى بعده، وكتب القاضي أبو الطيب الطبري، وأعيان الفقهاء من بين موافق ومخالف، فلما أرادوا النهوض التفت ابن القزويني إلى أبي يعلى وقال: كما في نفسك، فقال أبو يعلى: الحمد لله على ما تفضل به من إظهار الحق، فقال ابن القزويني: لا أقنع بهذا، وأنا أحضر بجامع المنصور، وأملي أحاديث الصفات، فحضر القزويني جمعات مترادفات بجامع المنصور، وأملى أخبار الصفات ناصراً لما سطره أبو يعلى.

توفي أبو يعلى ليلة الاثنين بين العشائين تاسع شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وأربعمائة / ٢٧٠/ وصلى عليه ولده أبو القاسم، وحضره جمع، ولحقهم حر شديد، فأفطروا جماعة لم يسمحوا بالرجوع.

ومنهم:

[١٦]

عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى، أبو جعفر(١)

الشريف العباسي، والمنيف الطود الراسي، من آل بيت النبوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم، وأطلعهم على سرائر العلم وأظهرهم، وبلغ من المقتدي بالله مبلغاً كان به حجة المعتدي، ونجم المهتدي، ومزنة السحاب التي تشافه الروض الندي، قل أن وجد له مثال، أو بلغ له منال، أو عرف وجه في المذهب إلاَّ وله فيه مقال.

مولده سنة إحدى عشرة وأربعمائة، درس الفقه على القاضي أبي يعلى، وأعاد الدروس في الفروع وأصول الفقه، فبرع في المذهب، ودرس وأفتى في حياة شيخه، وكان مليح التدريس، جيد الكلام في المناظرة، عالماً بالفرائض، وأحكام القرآن، والأصول، صنف رؤوس المسائل، وغير ذلك.

وكان يدرس في مسجد بدرب بسكة، وبجامع المنصور ثم انتقل إلى الجانب

---

(١) **ترجمته في**: طبقات الحنابلة ٢/ ٢٣٧ـ ٢٤١ رقم ٦٧٤، والمنتظم ٨/ ٣١٥ـ ٣١٨ رقم ٣٨٨ (١٦/ ١٩٥ـ ١٩٧ رقم ٣٤٧٢)، والإعلام بوفيات الأعلام ١٩٤، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٤٦ـ ٥٤٨ رقم ٢٧٦، والعبر ٣/ ٢٧٣ـ ٢٧٤، ودول الإسلام ٢/ ٥، والبداية والنهاية ١٢/ ١١٩، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٥ـ ٢٦ رقم ١١، ومناقب أحمد ٥٢١، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٠٦، وشذرات الذهب ٣/ ٣٣٦، والأعلام ٣/ ٢٩٢، ومعجم المؤلفين ٥/ ١١٠ـ ١١١، وتاريخ الإسلام (السنوات ٤٦١ـ ٤٧٠هـ) ص٣٢٢ رقم٣٢٢.

الشرقي، فدرس في المسجد المعروف به مقابل دار الخلافة.

وكان إذا بلغه منكر عظم عليه ذلك جداً، وعرف فيه الكراهة الشديدة وكان شديد القول عل أصحاب البدع، والقمع لباطلهم، ودحض كلمتهم، ولم تزل كلمته عالية عليهم، وأصحابه متظاهرين على أهل البدع، لا يرد يده عنهم أحد.

ثم انتقل إلى الرصافة، وسكن درب الديوان، ودرس بجامع المهدي، وبالمسجد الذي برأس درب الديوان، وكان يجلس للنظر في كل يوم اثنين / ٢٧١/ ويقصده جماعة من فقهاء المخالفين.

وهو الذي غَسَّل أبا يعلى بن الفراء، وغَسَّل القائم بأمر الله بعد وفاته، وكان قد أوصى له الخليفة بأشياء كثيرة من المال، والثياب فأبى أخذها، فقيل له: خذ قميص أمير المؤمنين تتبرك به، فأخذ فوطة نفسه، فنشف بها الإمام القائم، وقال: قد لحق هذه الفوطة، وهي ملكي، بركة أمير المؤمنين، ولم يأخذ القميص.

وبلغ من قدره ومحله عند الإمام المقتدي بأمر الله أنه لما فرغ من غسل القائم لم يؤذن له في المصير إلى منزله، حتى بايع الناس المقتدي بأمر الله على الاجتماع، واستدعاه لبيعته مُنفرداً حالياً به وبايعه، ثم قال له الشريف في جملة كلامه: [من الطويل]

إذا سيدٌ منَّا مَضى قامَ سيِّدٌ قَؤُولٌ بما [قالَ] الكِرامُ فَعُولُ

ثم أذن له بالمضي إلى منزله بعد بيعته.

توفي في نصف صفر سنة سبعين وأربعمائة، ودفن بمقبرة الإمام أحمد، وحضره جمع يفوت الإحصاء، وأخذ الناس من تراب القبر شيئاً كثيراً للتبرك، ولزموا قبره ليلاً ونهاراً مدة طويلة يقرأون الختمات، وقرىء على قبره في مدة شهور ألف ختمة.

ومنهم:

[١٧]

الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء[1]، أبو علي

وذو الفخار الذي ينظر إلى الكواكب من علٍ. شيَّدَ لأبيه البِناء، وجدد له الثناء،

---

(١) **ترجمته في**: المنتظم ٨/ ٣١٩ـ ٣٢٠ رقم ٤٩١ (١٦/ ٢٠٠، ٢٠١ رقم ٣٤٨٥)، ومعجم الأدباء ٧/ ٢٦٥ـ ٢٠٧)، والكامل في التاريخ ١٠/ ١١٢، وإنباه الرواة ١/ ٢٧٦ـ ٢٧٧، وتاريخ إربل ١/ ٢٧١، وطبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٣ـ ٢٤٤ رقم ٦٧٧، والإعلام بوفيات الأعلام ١٩٤، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٨٠ـ ٣٨٢ رقم ١٨٥، والمعين في طبقات المحدّثين ١٣٥ رقم ١٤٩٣، والعبر ٣/ ٢٧٥، ودول =

ونشر له جناحاً امتدَّ طِرافه المذهب، وصفَّح بلجين الكواكب أبنوس الغيب، وكان طود العلم المنيف، وقوام الدين الحنيف، وحجةً لله قاطعة، وبينة بلألاءِ الحق ساطعة، وأبقى بعده من التصانيف أفضل ما خلفه عالم، وأسرى / ٢٧٢/ بغير طيفه الحالم.

تفقه على القاضي أبي يعلى، وعَلَّقَ عنه المذهب والخلاف، ودرَّس في الجانب الشرقي بدار الخلافة في حياة شيخه أبي يعلى، وصنف كُتباً في الفقه، والحديث، والفرائض، وأصول الدين، وفي علوم مختلفات.

وكان متفنناً في العلوم، وكان له حلقتان في جامع المنصور والأخرى في جامع القصر للفتوى والوعظ، وقراءة الحديث، وكان أديباً، شديداً على أهل الأهواء.

توفي أبو علي بن البناء يوم السبت الخامس من رجب سنة إحدى وسبعين وأربعمائة[(١)].

/ ٢٧٣/ ومنهم:

[١٨]

عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة، شيخ الإسلام، موفق الدين، أبو محمد المقدسي ثم الدمشقي، الصالحي، الحنبلي[(٢)]

كان إماماً موفقاً، وغماماً مُدفقاً، كنزاً لكل طالب، وعِزًّا لكل غالب. طرز برد

= الإسلام ٢/ ٥، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٤٣٣ـ ٤٣٤ رقم ٣٦٨، وتذكرة الحافظ ٣/ ١١٧٧، وتلخيص ابن مكتوم، ورقة ٥٠، ومرآة الجنان ٣/ ١٠٠، والوافي بالوفيات ١١/ ٣٨١ـ ٣٨٣، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٢ـ ٣٧ رقم ١٤، وغاية النهاية ١/ ٢٠٦ رقم ٩٤٩، ولسان الميزان ٢/ ١٩٥ـ ١٩٦، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٠٧، والمقصد الأرشد في ذكر أصحاب أحمد لابن مفلح، ورقة ٨٧، وبغية الوعاة ١/ ٤٩٥ـ ٤٩٦، وكشف الظنون ١/ ٢١٢، ٨٩٢ و٢/ ١١٠٥، ٢٠٠١، وشذرات الذهب ٣/ ٣٣٨ـ ٣٣٩، وهدية العارفين ١/ ٢٧٦، وديوان الإسلام ١/ ٣٣٨ رقم ٥٢٩، ومعجم المؤلفين ٣٠٠/ ٢٠١، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٧١ـ ٤٨٠هـ) ص٣٩ رقم٧.

(١) بعده بياض بمقدار ١٢ سطر.

(٢) **ترجمته في**: معجم البلدان ٢/ ١١٣ـ ١١٤، التقييد لابن نقطة ٣٣٠ـ ٣٣١، رقم ٤٠١، وذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي ١٥/ ١٢، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ١٠٧ رقم ١٩٤٤، ومرآة الزمان ج٨ق٢/ ٦٢٧ـ ٦٣٠، وذيل الروضتين ١٣٩ـ ١٤٢، وتلخيص مجمع الآداب ٥/رقم ١٩٦٢، وتاريخ إربل ١/ ٣٩١، ومشيخة قاضي القضاة ابن جماعة ١/ ١٢١، والمعين في طبقت المحدثين ١٩٠ رقم ٢٠٢٣، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٥٥، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٢٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٦٥ـ ١٧٣ رقم ١١٢، والعبر ٥/ ٧٩، والمختصر المحتاج إليه ٢/ ١٣٤ـ ١٣٧٦ رقم ٧٦٣، ودول الإسلام =

ذلك الأوان، وبرز في ذلك القِران على كيوان، وكان مجلسه يقدس الواطي، ويحبو بالعفو الخاطي كرماً وسَّعه نطاق حلمه، ووشَّعهُ إشراق علمه، وله في مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه ما أصبح فيه أحمد أهل دهره، وأجمع أهل وقته لأفنان زهره، حتى كان جادة ذلك المذهب، ومادة ذلك البحر الذي عنه لا يذهب.

مولده بجماعيل من عمل نابلس سنة إحدى وأربعين وخمسمائة في شعبان، وهاجر مع أهل بيته وأقاربه، وله عشر سنين، وحفظ القرآن، ولزم الاشتغال من صغره، وكتب الخط المليح، وكان من بحور العلم وأذكياء العالم.

ورحل هو وابن خاله الحافظ عبد الغني في أول سنة إحدى وستين في طلب العلم إلى بغداد، فادركا نحو أربعين يوماً من حياة الشيخ عبد القادر، ونزلا عنده بالمدرسة، واشتغلا عليه تلك الأيام، وسمعا منه ومن تلك الطبقة، وكان عالم أهل الشام في زمانه.

قال ابن النجار: كان إمام الحنابلة بجامع دمشق، وكان ثقةً، حجةً، نبيلاً، غزير الفضل، نزهاً ورعاً، عابداً على قانون السلف، عليه النور، والوقار، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه.

وقال عمرو بن الحاجب: هو إمام الأئمة، ومفتي الأمة، خصَّه الله بالفضل الوافر، والخاطر الماطر، والعلم الكامل، طنَّت بذكره الأمصار، وضنت بمثله الأعصار، أخذ بمجامع الحقائق النقلية والعقلية.

قال: وله /٢٧٤/ المؤلفات الغزيرة، وما أظنُّ الزمان يسمح بمثله، متواضع، حسن الاعتقاد، ذو أناة، وحلم، ووقار، مجلسه معمور بالفقهاء والمحدثين، وكان كثير العبادة، دائم التهجد، لم يُرَ مثله، ولم ير مثل نفسه.

وعمل الشيخ الضياء سيرته في جزئين، فقال: كان تام القامة، أبيض، مشرق الوجه، أدعج، كأن النور يخرج من وجهه لحسنه، واسع الجبين، طويل اللحية، قائم

= ٢/ ١٢٤، ومرآة الجنان ٤/ ٤٧ـ ٤٨، وفوات الوفيات ١/ ٤٣٣ـ ٤٣٤، والوافي بالوفيات ١٧/ ٣٧ـ ٣٩ رقم ٣٠، والبداية والنهاية ١٣/ ٩٩ـ ١٠١، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٣٣ـ ١٤٩ رقم ٢٧٢، والمنهج الأحمد ٣٥٠، والقلائد الجوهرية ٢/ ٣٤٠ـ ٣٤٤، وذيل التقييد للفاسي ٢/ ٢٧ـ ٢٨ رقم ١١٠١، والعسجد المسبوك ٢/ ٣٩٥ـ ٣٩٦، وعقد الجمان ١٧/ ورقة ٤٤٠، ومختصر طبقات الحنابلة ٥٢ـ ٥٤، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٥٦، والمقصد الأرشد، رقم ٤٩٤، والدر المنضد ١/ ٣٤٦ـ ٣٤٧ رقم ٩٨٨، وشذرات الذهب ٥/ ٨٨ـ ٩٢، والتاج المكلّل للقنوجي ٢٢٩ـ ٢٣١، وتاريخ الإسلام (السنوات ٦١١ـ ٦٢٠هـ) ص٤٨٣ رقم ٦٦٧ .

الأنف، مقرون الحاجبين، صغير الرأس، لطيف اليدين والقدمين، نحيف الجسم، ممتع بحواسه، أقام هو والحافظ ببغداد أربع سنين، فاتقنا الفقه، والحديث، والخلاف. أقاما عند الشيخ عبد القادر خمسين ليلة، ومات، ثم أقاما عند ابن الجوزي، ثم انتقلا إلى رباط النعال، واشتغلا على ابن المنى، ثم سافر في سنة سبع وستين ومعه الشيخ العماد، وأقاما سنة. صنّف «المغني» عشر مجلدات و«الكافي»أربعة، وصنَّف عدة مجلداتٍ.

قال الحافظ ضياء الدين: رأيت أحمد بن حنبل في النوم، فألقى عليَّ مسألة، فقلت: هذه في الخِرقي، فقال: ما قصَّر صاحبكم الموفق في شرح الخِرقي.

قال الضياء: كان رحمه الله إماماً في التفسير، وفي الحديث ومشكلاته، إماماً في الفقه بل أوحد زمانه فيه، إماماً في علم الخلاف، أوحداً في الفرائض، إماماً في أصول الفقه، إماماً في النحو، والحساب، والأنجم السيَّارة، والمنازل.

وسمعت داود بن صالح المقرئ، سمعت ابن المنى يقول ـ وعنده الإمام الموفق ـ: إذا خرج هذا الفتى من بغداد احتاجت إليه.

توفي يوم السبت، يوم الفطر، ودفن من الغد سنة عشرين وستمائة، ودفن بسفح قاسيون.

/ ٢٧٥/ ومنهم:

[١٩]

محمد بن أبي الحسين [بن] أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد ابن علي اليُونيني، البعلبكي، الحنبلي[١]، أبو عبد الله القدوة

عرف بالشيخ الفقيه، من أفاضل العلماء، ومناهل الظماء، منشأ البيت المشهور،

(١) ورد اسمه في بعض المصادر: «محمد بن أبي الحسن أحمد...»
ترجمته في: ذيل مرآة الزمان، ١/ ٤٢٩ـ ٤٣٠، ٢/ ٥٩، ومشيخة قاضي القضاة ابن جماعة ١/ ٣٤٤، والوفيات للسُلامي ١/ ٢٣٨، والإشارة إلى المحدّثين ٢٠٩ رقم ٢١٩٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٥٠، ودول الإسلام ٢/ ١٦٤، وتاريخ الإسلام (٦١١ ـ ٦٢٠) في ترجمة «عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة» المتوفى سنة ٦٢٠ هـ رقم ٦٧٨، وصفة الغرباء من المؤمنين، للآجُرّي، بقراءة تقي الدين اليونيني، تحقيق بدر بن عبد الله بن البدر ـ طبعة دار القلم ،بيروت (لا تاريخ) ص١٢٧ـ ١٢٨، وحوادث الزمان المعروف بتاريخ ابن الجزري (مخطوطة محمد رقم ٢١٩٧، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٢٧ ـ ٢٢٩، وأعيان العصر ١/ ورقة ٢٠ وج٦ ق٢/ ورقة =

ومنبع الفضل الذي استعذب ورده الجمهور، جمع العلم والعمل، وهما شرفان، وحازهما وهما طرفان، وكان ممن دنا له خضوع الملك الأشرف موسى، وكان إذا أتاه نهض له وقام، وإذا جاء إليه زائراً سأله المقام، وعلى هذا كان بنوه عند الملك المنصور قلاوون.

ومن عقبه الآن العلامة محيي الدين عبد القادر، وهو ببعلبك اليوم صدرها، وشمس أفقها المشرق وبدرها، لعلمه الموقر الأجزاء، وكرمه الذي يضحك بالسحاب ضحك الاستهزاء.

مولده سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بيونين من بعلبك، ولبس الخرقة من الشيخ عبد الله البطائحي صاحب الشيخ عبد القادر، وصحب الشيخ عبد الله اليونيني، وتفقه بالشيخ الموفق، وبرع في الخط المنسوب، وسمع الحديث، وحدث، وروى عنه خلق كثير.

وكان والده مرحّماً ببعلبك ثم بدمشق، فمات، ونشأ الفقيه يتيماً بالكشك مع والدته، فأسلمته نشابيا، ثم حفظ القرآن، وجوّد الخط، ثم حفظ «الجمع بين الصحيحين» للحميدي بكما له.... عمر بن الحاجب، فأطنب وقال: اشتغل بالفقه والحديث إلى أن صار إماماً حافظاً، لم يُر في زمانه مثله في كما له وبراعته. جمع بين علمي الشريعة والحقيقة، وكان حسن الخلق والخُلق، نفاعاً للخلق، مطرحاً للتكليف، من جملة محفوظه: «الجمع بين الصحيحين» وحدثني أنه حفظ «صحيح مسلم» جميعه، وكرر عليه /٢٧٦/ في أربعة أشهر، وكان يكرر عليَّ أكثر سند مسلم من حفظه، وأنه كان يحفظ في الجلسة الواحدة ما يزيد على سبعين حديثاً.

وقال ولده قطب الدين: حفظ «الجمع بين الصحيحين» وأكثر «المسند» وحفظ «صحيح مسلم» في أربعة أشهر، وحفظ سورة الأنعام في يوم واحد، وحفظ ثلاث مقامات من الحريرية في بعض يوم.

٢٠٦، ودرة الحجال لابن حجلة التلمساني ١/ ٢٧٢، والوافي بالوفيات ٢/ ١٢١، والسلوك ج١ ق٢/ ٤٤١، والنجوم الزاهرة ٧/ ٩٢، وشذرات الذهب ٥/ ٤٥٢، والدرر الكامنة ٢/ ١٩٥، ٢٧٨، ٣٠٢، ٣/ ٦٣، ٢٦٠، ٢٦٥٠، و٣٦٥ و٤/ ١٨، ١٥٤، ٥/ ١١١، ١٩٨، والمنهل الصافي (مخطوط) ٣/ ورقة ١٠٤، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ق٢ ج ٣/ ٢٢٤ ـ ٢٢٩ رقم ٩٣٩، ومختصر الذيل على طبقات الحنابلة ٧٦، والمنهج الأحمد ٣٨٨، والمقصد الأرشد، رقم ٨٨٠، والدرّ المنضد ١/ ٤٠٣ رقم ١٠٩٧، وعيون التواريخ ٢٠/ ٢١٠ في وفيات سنة ٦٥٦ هـ. وعقد الجمان (١) ٢٧٥ـ ٢٧٦، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ ـ ٦٦٠هـ) ص رقم ٤٥٦.

وكان الأشرف يحترمه ويعظمه، وكذلك أخوه الصالح، وقدم في أواخر عمره دمشق، فخرج الملك الناصر يوسف إلى زيارته بزاوية الفريثي، وتأدب معه.

وقال غيره: كان الشيخ الفقيه، كبير القدر، يذكر بالكرامات والأحوال، وكان أهل بعلبك يسمعون بقراءته على المشايخ الواردين عليهم.

توفي في تاسع عشر رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة[١].

/ ٢٧٧/ ومنهم:

[٢٠]

عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الحسين بن أبي الجيش القطفتي الحنبلي[٢]، أبو الخير، وأبو أحمد، مجد الدين، شيخ الإسلام

إمام لم يكن بمتَّهم، ولا يمكن أن تتطرق إليه التهم. حصل الفضل وجمعه، وأقام أعياده وجمعه، ولم يشم في عمره لغيره لامعة، ولا استمطر لسواه هامعة، وكان في طلب العلم نهما لا يشبع، ومرتسماً بما يطبع، لا ينبع غيره ما استنبط، ولا يربع على غيره، وما أفرط.

وحكي عنه أيام تحصيله ما فضل به كل أهل أوانه، وأشاب ناصية الليل وقد صحبه في عنفوانه فماج بحراً، ومال طوداً هو بحراً أحرى، ومات يبلل البكاء عليه جيداً ونحراً، وأبقت شمسه شعاعاً يخلفها وقد غربت، ويدينها والساعة بموته قد اقتربت.

مولده ببغداد في منتصف المحرم سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة. قرأ القرآن بالروايات على جماعة، وأخذ النحو والعربية عن أبي البقاء العكبري، والمبارك بن أبي السعادات الواسطي، وتفقه على مذهب الإمام أحمد، وسمع الحديث من خلائق.

---

(١) بعده بياض بمقدار ٩ أسطر.

(٢) **ترجمته في**: المقتفي للبرزالي ١/ورقة ٦٧ أ، والحوادث الجامعة ١٩٠، والمعين في طبقات المحدثين ٢١٥ رقم ٢٢٤١، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٧٤، ودول الإسلام ٢/١٧٨، والعبر ٥/ ٣١١، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٦٦٥ ـ ٦٦٧ رقم ٦٣٥، والوافي بالوفيات ١٨/ ٤٤٣ رقم ٤٦٢، ومنتخب المختار، رقم ٨٦، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩٤، رقم ٤٠٥، وغاية النهاية ١/ ٣٨٧ـ ٣٨٨، ونهاية الغاية، ورقة ٩٦، وبغية الوعاة ٢/ ٩٦، وشذرات الذهب ٥/ ٥٣٥، ومختصر الذيل على طبقات الحنابلة ٨٠، والمنهج الأحمد ٩٤، والقصد الأرشد، رقم ٦٠٥، والدرر المنضد ١/ ٤١٧ـ ٤١٨ رقم ١١٢١، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٧١ ـ ٦٨٠هـ) ص٢٢٩ رقم ٢٩٦.

وكان إماماً، عالماً، فاضلاً، سيداً، وقوراً، مهيباً، خطيباً، زاهداً، عابداً، قل أن ترى العيون مثله، أجمعت الطوائف على أنه إمام وقته في القرآن وإنشاء الخطب، ومعرفة اللغة، العربية، والحديث، والزهد، والورع.

وكان طويل القامة، حسن الشكل، جهوري الصوت، له وقع في القلوب، وجلالة في النفوس، صاحب كرامات، ومكاشفات، وأحوال، ومدحه الشيخ يحيى الصرصري، وجمع له بعض أصحابه مجلداً في فضائله وزهده وسيرته.

وحَدَّث «بأسباب النزول» للواحدي، و«بزاد المسير في التفسير» لابن الجوزي، و«بالصحيحين»، و«جامع الترمذي»، و«السنن لابن ماجه»، و«مسند الدارمي»، و«أحمد»، و«المنتخب» من «مسند عبد بن حميد»، و«مسند أبي داود الطيالسي» وعدة كتب من تصانيف /٢٧٨/ ابن الجوزي، وبكثير من كتب القراءات.

وأنشأ الخطب والتصاديق ووسمها «بصنوف الضيوف المرتبة على الحروف» وهي سبع مجلدات، وكتب كثراً بخطه من كتب القراءات، وأجزاء الحديث، وخطه مليح صحيح معرب، وخطب بجامع الخليفة بعد واقعة بغداد قريباً من عشر سنين.

وتوفي يوم الخميس سابع عشر ربيع الأول سنة ست وسبعين وستمائة، ودفن عند الإمام أحمد في الحضرة، واقتسم العوام خشب تابوته قصداً لبركته، ولم يخلف بعده مثله[1].

/٢٧٩/ ومنهم:

[٢١]

عبد الجبار بن عبد الخالق بن محمد بن أبي نصر بن عبد الباقي ابن عكبر العكبري، البغدادي، جلال الدين، أبو محمد[2]

إمام حل التمام، وحل بيده الزمام، وحلق وقصر الغمام، درَّس حتى درس،

---

(١) بعده بياض بمقدار ١٢ سطر.

(٢) **ترجمته في**: الوافي بالوفيات ١٨/٤٧ رقم ٤٢، طبقات المفسرين للسيوطي ١٦، الحوادث الجامعة ٢٠٣، الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٣٠٠، طبقات المفسرين للداودي ١/٢٥٨، عيون التواريخ ٢١/٣١٧ ـ ٣١٨، شذرات الذهب ٥/٣٧٤، المشتبه في الرجال ٢/٢٦٧، المنهج الأحمد ٣٩٦، المقصد الأرشد رقم ٦٤٨، معجم طبقات الحفاظ والمفسرين ٢٤٥، تذكرة النبيه ١/٧٨ ـ ٧٩، الدر المنضد ١/٤٢٣، هدية العارفين ١/٤٩٩، معجم المؤلفين ٥/٨٠، الإعلام ٣/٢٧٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٨١ ـ ٦٩٠هـ) ص٧٧ ـ ٧٨ رقم ٣٠.

وجلس مجلس الطلبة حتى أجلس، وشرح الله صدره، ومنح الشرف قدره، وفخر بما ذخر، وطما على البحر وقد زخر، وأحيا عظم فخاره الرميم وقد انتحر، ولاذ به الناس من كل جانب، وعاذ به المسالم والمجانب، وعاف وارده بعهده الأنهار واستذنب المذانب.

مولده سنة عشرين وستمائة ببغداد، حفظ القرآن في صباه وكتباً في علوم شتى، وسمع الحديث، وكان إماماً، عالماً، فاضلاً، كاملاً، وحيد دهره في علم التّفسير، والفقه، والوعظ، والحديث، خبيراً بالمذهب، جامعاً لفنون من العلم، مليح الشكل، دمث الأخلاق، له وقع في القلوب، ومهابة في النفوس، طيب الإنشاء، رقيق الاستشهاد، درَّس بالمدرسة المستنصرية لطائفة الحنابلة بعد واقعة بغداد، وانتهت إليه رياسة العلم ببغداد، وصنف عدة كتب.

قال جلال الدين العكبري: كتب إليَّ النقيب قطب الدين الحسين بن الأقساسي من نظمه ببيتين، وأنشدني إياهما بعد ذلك: [من المتقارب]

كتابةُ صُدغيهِ قدْ جُهِّزَتْ ... وأبدعَ في الحُسنِ خَطَّاطُها
فلا كالرجالِ ولا كالنساءِ ... وخيرُ المراتبِ أوساطُها

فأجزتهما ارتجالاً:

جيادُ قَريضِكَ يومَ السِّباقِ ... أعيا السّوابقَ أشواطُها
وشِعْرُكَ يوسفُ غُرِ القريضِ ... وأشعارُ غيركَ أسباطُها
وإنْ حلّ سُمٌ بأذهانِنا ... فألفاظُكَ الغُرُّ بُقْراطُها

ومن نثره:

أخواني من لم ينظر بعين اليقظة ما بين يديه، توجهت الملامة في وقوعه إليه، ومن نسي حساب سيئاته، وجده مذكوراً في كتاب حافظيه، ومن لم يخف مقامه بين يدي ربه، فلا يحضر لديه، ومن اعتبر بمن عبر وغبر، ونظر العبر بالغير في نفسه وجانبيه. فيا مَن غفل عن ذنبه بين يدي ربه، أما علمت أنَّ ربك مطلع عليه.

توفي يوم الاثنين السابع والعشرين من شعبان سنة إحدى وثمانين وستمائة ببغداد[١].

---

(١) بعده بياض بمقدار نصف صفحة.

/ ٢٨١/ ومنهم:

[٢٢]

عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة، قاضي القضاة، شيخ الإسلام، شمس الدين، أبو الفرج، المقدسي الحنبلي(١)

شمس عصره التي ذهبت وأبقت شعاعاً منها يخلفها، وواحد دهره الذي أمن أيامه وهو يخوّفُها، أوسع زمانه صلاحاً، وولي الحكم، فأسكت من لاحى، وكان يجلس فوق الشافعي صاحب المنصب، ويهمي حتى على ربعه المخصب، وكان خيراً كله، وسحاباً في كل مكان يحله، لا جرم أنَّ أيامه انقضت أقصر من جناح الذبابة، وأقرب مما بين الوسطى والسبابة، ويقال إنه كان يحكم على الجان، ويحكى عنه في هذا مثل حكايات المُجّان، وعلى الجملة كان فرداً لا يُخلف، ولابس حلل فخارٍ مثلها لا يخصف، لعلم مغدق، وعمل مصبح ومغبق، وكرم ملء الوفاض، وخط كوشي الرياض، إلى رأفةٍ أندى من السحاب، وبصيرة أهدى من الشهاب، وورع عفَّ به عن أكثر الحلال، وزهد كان لا يرى الإكثار إلاَّ في الإقلال، فما عدا سيرة السلف، ولا عدى طريقة الاقتصاد خوفاً من السرف.

مولده سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وسمع حضوراً قبل الستمائة، وسمع من حنبل المسند كله، وأكثر عن ابن طَبَرزد وتلك الطبقة، وطلب الحديث، وقرأ على الشيوخ، وتفقه بعمه الشيخ موفق الدين، وعرض عليه «المقنع» وعمل له شرحاً في عشر مجلدات.

---

(١) **ترجمته في**: ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٨٦ ـ ١٩١، والمقتفي للبرزالي ١/ورقة ١١٢ ب، ونهاية الأرب ٣١/ ١١٦، والسلوك ج١ ق٣/ ٧٢٠، ودول الإسلام ٢/ ١٨٥، والعبر ٥/ ٣٣٨ـ ٣٣٩، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٧٢، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٨٤، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٩٢ ومعجم شيوخ الذهبي ٢٩٩ـ ٣٠٠ رقم ٢٢٦٠، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٠٤ ـ ٣١٠، ومرآة الجنان ٤/ ١٩٧ ـ ١٩٨، والبداية والنهاية ١٣/ ٣٠٢، وعيون التواريخ ٢١/ ٣٣٢ ـ ٣٣٦، والوافي بالوفيات ١٨/ ٢٤٠ ـ ٢٤٤ رقم ٢٩٤، وتالي كتاب وفيات الأعيان ١٠٦، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٥٨، والمنهل الصافي ٢/ ٣٠٢، وتاريخ ابن الفرات ٧/ ٢٨٦ـ ٢٨٧، وشذارت الذهب ٥/ ٣٧٦ ـ ٣٧٩، والدليل الشافي ١/ ٤٠٤، وذيل التقييد ٢/ ٩٥ ـ ٩٦ رقم ـ١٢٢، وعقد الجمان (٢) ٣١١، وذرة الأسلاك ١/ ورقة ٧٤، وتذكرة النبيه ١/ ٨١، والمختصر على الذيل على طبقات الحنابلة ٨٢، والمنهج الأحمد ٣٩٦، والمقصد الأرشد، رقم ١٢٦٠، والدرّ المنضّد ١/ ٤٢٤ رقم ١١٣١، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٨١ ـ ٦٩٠هـ) ص١٠٦ رقم ٩٥.

وكان كبير الشأن، بعيد الصيت، منقطع القرين، له وقع في النفوس، ومحبة في القلوب، جميل الصورة، حسن البشر، وافر الجلالة، سريع الحفظ والفهم، بديع الكتابة، كثير التعبد والصيام، والتهجد، والسكينة، والتودد /٢٨٢/ وحسن الأخلاق، والصفات الحميدة. قل أن ترى العيون مثله، ليس بالطويل، ولا بالضخم، أزهر اللون، مشربا حمرة، واسع الوجه، أزج الحاجبين، أقنى، أشهل، رقيق البشرة، كث اللحية، مقتصداً في ثيابه، صغير العمامة، يرسل عذبته بين يديه، يدخل إلى البلد للفصل بين الخصوم، فيركب دابة، وكان يقوم الليل، ويصلي الضحى، وبين العشائين، ويبلغه الأذى فيغضي ويحلم، فقل ما انتقم لنفسه، وكان يقبل جوائز الدولة، فيفرقها على الفقراء والتلاميذ، وحج ثلاث مرات، وغزا ثلاث غزوات: نوبة صفد، ونوبة الشقيف، وحصن الأكراد. قد جمع الله الألسنة على تعظيمه وتوقيره، وولي القضاء اثنتي عشرة سنة لم يتناول عليه رزقاً ثم تركه.

قال الفخر أبو محمد عبد الرحمن البعلبكي: أعرفه منذ خمسين سنة مارأيته غضب.

وكان الشيخ محيي الدين النواوي يقول: هو أجلّ شيوخي، وقد أثنى عليه الموافق والمخالف.

توفي شهيداً بالبطن في سلخ ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وستمائة عن خمس وثمانين سنة وأربعة أشهر، وكانت جنازته مشهودة، كان الجمع يفوت الإحصاء، ورثته الشعراء بعدة قصائد، ودفن عند والده بسفح قاسيون.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: رأيت وفاته بخط شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: توفي شيخنا الإمام، سيد أهل الإسلام في زمانه، وقطب فلك الأنام في أوانه، وحيد الزمان حقاً حقاً، وفريد العصر صدقاً صدقاً، الجامع لأنواع المحاسن والمعالي، البريء عن جميع النقائض والمساوىء، القارن بين خلتي العلم والحِلم، /٢٨٣/ والحسب والنسب، والعقل والفضل، والخلق والخُلق، ذو الأخلاق الزكية والأعمال المرضية، مع سلامة الصدر والطبع، واللطف والترفّق، وحسن النية وطيب الطوية حتى إنْ كان المتعنت يطلب له عيباً فيعوزه. إلى أن قال: وبكت عليه العيون بأسرها، وعم بمصابه جميع الطوائف وسائر الفرق، فأي دمع ما انسجم، وأي أصلٍ ما جذم، وأي ركن ما هدم، وأي فضل ما عدم، يا له من خطب ما أعظمه، وأصل قدره، ومصاب ما أقحمه، وأكثر ذكره.

وفي الجملة: فقد كان الشيخ أوحد العصر في أنواع الفضائل. هذا حكم مسلم

من جميع الطوائف، وكان مصابه أجل من أن تحيط به العبارة فرحمه الله ورضي عنه.

[وحكى لي من أثق به أنَّ الملك الظاهر بيبرس لما خرج إلى بلاد الروم، جعل طريقه بمدينة دمشق على الجسر الأبيض حتى أتى الجامع المظفري، ونزل به، والشيخ جالس به، يريد وداعه؛ ليكون آخر عهده به، فأتى إليه، وجلس بين يديه، وأمسك يده، والشيخ يتأبى، ثم لم يزل به حتى قبلها، وأمرها على عينيه، ثم سأل منه الدعاء، وخرج لوقته، فركب وانطلق].

ومنهم:

[٢٣]

سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر ابن الشيخ أبي عمر، تقي الدين، أبو الفضل، قاضي القضاة[1]

ولي الحكم، فكان سليمان زمانه حكماً، وسلمان أوانه علماً، لو علم بإتيانه القاضي أبو يعلى لاستعلى، أو ابن بطة ولو استبطا، أتى إبانه لما استملى، أو استشعر به قاضي العراق؛ لنفض عن هدبه الكرى وأراق، فلو علم به البربهاري، لبره، أو أقسم به الموفق على الله لأبرّه، بزهدٍ لو رأى المروذي بَزه الرفيع، لنسج عليه، أو الخلال، لخلى ما عنده لديه، حكم فما انتقد عليه حتى ألان، واشتد فما قسا، وسهل فما لان، وذهب وصدر الزمان به ملآن.

ولد سنة ثمانٍ وعشرين وستمائة، وسمع «الصحيح» حُضوراً في الثالثة من ابن الزَّبيدي، وسمع «صحيح مسلم» وما لا يوصف كثرة من الحافظ ضياء الدين، وابن

---

(١) **ترجمته في**: المقتفي للبرزالي ٢/ورقة ٢٤٣ ـ ٢٤٤ ب، وذيل العبر ٨٥، وتالي كتاب وفيات الأعيان ٨٩ـ ٩٠ رقم ١٣١، والإعلام بوفيات الأعلام ٣٠١، والمعين في طبقات المحدثين ٢٣٠ رقم ٢٣٦٤، ومعجم الشيوخ ٢١٥ـ ٢١٦ رقم ٢٩٦، ودول الإسلام ٢/ ٤٤، ونهاية الأرب ٣٢/ ٢٣٠، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٦٤ ـ ٣٦٦، ومختصره ٩٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٦٣، والمنهج الأحمد ٤١٧، وفوات الوفيات ٨٣٦٢، واوافي بالوفيات ١٥/ ٣٧٠ ـ ٣٧٢، ودرة الأسلاك ١/ورقة ٢٠٣، وتذكرة النبيه ٢/ ٧١، والبداية والنهاية ١٤/ ٧٥، وذيل التقييد ٢/ ٧ـ ٨ رقم ١٠٥٥، ونثر الجمان ٢/ورقة ١١١ ب، والسلوك ج٢ ق ١/ ١٥٨، والدرر الكامنة ٢/ ١٤٦ـ ١٤٧ رقم ١٨٣٧، والمقصد الأرشد، رقم ٤٤٣، والدر المنضد ٢/ ٤٦٣ رقم ١٢١٣، وشذرات الذهب ٦/ ٣٥ـ ٣٦، والدارس ٢/ ٣٥، والقلائد الجوهرية ٩٨، وأعيان العصر ٢/ ٤٣٣ ـ ٤٣٦ رقم ٧١٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٧٠١ ـ ٧٤٦هـ) ص١٣١ ـ ١٣٥ رقم ٤١٦.

اللتي، وجعفر الهَمداني، وابن الجُميزي، وكريمة، وسمع حضوراً من جده الجمال أبي حمزة، وابن المُقَيِّر، وأبي عبد الله الأربلي، وأجازه محمد بن عماد، وابن باقا، والمسلم المازني، ومحمد بن مَندَه، وابن عبد الواحد المديني، وشعرانة، والسهروردي، والمعافى، وابن عيسى المُقرئ، وخلق كثير.

وخرَّج له ابن الفخر معجماً كبيراً، وسمع عليه الكثير، ودرَّس بالجوزية، وكان مليح الدروس، وولي القضاء عشرين سنة، وعزله الجاشنكير في سلطنته ثم أعاده السلطان عند عوده من الكرك، فبقي حتى توفي سنة خمس عشرة وسبعمائة[1].

/ ٢٨٥/ ومنهم:

[٢٤]

محمد بن مسلم بن مالك بن مَزْروع الصالحي، قاضي القضاة شمس الدين، أبو عبد الله، الحنبلي[2]

شمس حُجبت أيامه بأجنحة الفواخت، وضمنت بطيبها ردّ الأيام الفوائت، كان عصره مُذهباً، وزمنه لأوقات السرور مذهبا، أمن به كل خائف كان يترقب، واستقر به كل سارقٍ كان بخُمر الباطل يتنقب، كان أبوه رجلاً يبيع الملح، ويتسبب في قليله طلباً للربح، وقضى على هذا الأيام، وأصلح به زمنه إصلاح الملح للطعام، وولد ابنه مغتذياً بطعامه الحل، ناشئاً منه على نهج لسواه لا يستحل، فلما آن حُبب إليه العلم، وحل لديه تاج الفهم، ظل يكاثر في اقتنائه، ويتابع سبيل السلف باقتفائه، حتى أصبح شمس عصره إلاَّ أنه مثل رأد الضُحى، ورِدء الفجر وقد أطلَّ مصبحاً، فقنع ببلل من العيش لا تبل به الأماق، ولا تمسك بسببه الأرماق، منتصباً لطلبةٍ يعلمها ما لم تعلم، وطلبةٍ لو سئلت من الغمام لكان منه يتعلم.

ثم خطب من وظيفة القضاء للمنصب الجليل فامتنع، وطلب له غير القليل فاقتنع، فلم يزل به أرباب التعيين حتى قبل عقدها، وقدم زخرف الدنيا نقدها، وولي منصب القضاء، وقعد لفصل المضاء، فما رأى حكى الكبراء أدق منه نظراً، ولا أكثر منه لقديم الوقائع مستحضراً، هذا على أنه كان من الناس بمعزل، ومن الدنيا كلها في

---

(١) بعده بياض بمقدار صفحة كاملة تحمل رقم / ٢٨٤/.

(٢) **ترجمته في**: الوافي بالوفيات ٥/ ٢٨، أعيان العصر ٥/ ٢٦٣ ـ ٢٦٥ رقم ١٧٨٧، الدرر الكامنة ٤/ ٢٥٨، البداية والنهاية ١٤/ ١٢٦، ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٨٠ ـ ٣٨١، شذرات الذهب ٦/ ١٣.

جوف منزل، إلاَّ أنَّ الله نور بصره وسدد رأيه ونصره، فما جاز عليه زيف التدليس ولا قابله طيف الباطل إلاَّ تحت راية التنكيس، كل هذا إلى استعادة جهات أوقافٍ تملكت، /٢٨٦/ وعمارة مواضع برٍّ استهلكت، والنظر في عامة المصالح مع إصلاح طرق المسلمين، والضرب على أيدي الظلمة المتحكمين، وقول الحق، وإن كان مُرّاً، والوقوف معه نفع زيداً أو ضرّ عمراً.

وحج مرات آخرها، وقد تألَّبت عليه عُصبٌ لم ترد إلاَّ أن تغطى عليه، وقد جنحت شمسه، وأشرفت على الفراق نفسه، فلما أتى المدينة الشريفة، مات ودفن في البقيع، وجاور في سماء تلك الأنجم أهل ذلك الرقيع.

وكان قبل تلك حج مرةً، فمات له صاحب في مرجعه فحمل من مكة المعظمة حتى دفن في تلك المقبرة، وحضر هو جنازته، فبقي يقلب تراب قبره بيده، ويقول: طوبى لك، وينافسه عليه، ثم قال: تمنيت أن يكون قبري إلى جانبه، وكان في السنة الآتية ما تمنى، ونال سروره إذ قبر هناك طاب وتهنا.

وحكي أنه لما حُفر قبره ليدفن فيه، وتكون في قيد تلك الأذرع شمسه، إن أمكن، وجدت نصيبة قبرٍ من قديم مكتوب عليها هذا البيت: [من الطويل]

إذا كـانَ قـبـري فـي الـبَـقِـيـعِ بـطَـيْـبَـةٍ   فلا شكَّ أنِّي في حِمَى صاحبِ القبرِ

فهنيئاً له ما سنح له الفأل، وما سيمنح من تحية ركائب إلى ذلك الحمى زائرين وقفال.

وكان ذا علمٍ جم، مبرزاً في نحو أضحى الرياشي إليه أحصَّ العوالم، والفارسي قدام العربي كالخادمٍ، والمازني لا يقام له معه وزن ما هو له عالم، إلى لغة يجب لأهلها هجر القالي، وحط قدر صاعد العالي، وحساب لو كلف اقليدس أقل ما لديه، لقال ما هذا فني، أو فرض شبيهه في الفرائض الحسين بن محمد الوني، لأسرع ونى الوني، مع روايات يخشع لها الخشوعي، ويدرك /٢٨٧/ سلف السلف الاختشاء والعي مما لو اتصل بأبي القاسم الطبراني، لطرب، أو أبي زكريا النووي، لما اطمأنت بنواه رحلة مغترب، هذا إلى زهدٍ ترتعد له فرائص الحارث بن أسد، ويظن سري السقطي أن ما عنده قد كسد.

ولي القضاء على شرط أن لا يلزم بتغيير زيه، ولا ركوب بغلة، ولا ركوب قدام المحمل السلطاني، في دوران، ولا وداع، ولا ملتقى، وأن يكون له النظر في أوقاف طائفة الحنابلة من غير معارضة، وغير ذلك، فأجيب إلى هذا جميعه، فلم يغير زيه الذي كان عليه، وقام بالحق، وسدد وقارب، وفعل فوق ما كان يظن في الإمكان

لسوء الزمان، وخلّص كثيراً من الأوقاف التي كان استولى عليها حتى فتح مدارس كانت قد أغلقت منذ أزمان منها: الصاحبية بسفح قاسيون، والدنيسرية للطب، وعمر الدواثر، ورمم المتماسك، وأمسك المتداعي، ونهض نهضة عازم، وقام مقاماً لم يقمه غيره، وفعل وقال، ولم يخش إلاَّ الله.

وكانت امرأة مات أبوها، وخلّف لها عقاراً صالحاً، فأراد كافل الممالك تنكز أن يزوجها من مملوك له، وكانت هي لا تريد إلاَّ ابن خالٍ لها، وكان دونها في الملاء مع كفاية، (فزوجها القاضي) فغضب تنكز لذلك، وبعث ينكر عليه، وقال: كيف زوجت هذه بمن هو دونها؟! فقال لرسوله: قل له مثلما زوجت أنت مملوكك ببنت بيبرس العلائي، وكان بيبرس العلائي من كبار الأمراء النواب، فلما أعيد عليه الجواب زاد غضبه ولم يقدر يتكلم.

وكان يصدع بالحق، ولا يخاف لومة لائم، وولي القضاء ومذهب الإمام أحمد رحمه الله قد مات بموت العلماء، وخمل بقلة الفقهاء، فأحيا المذهب، وجعل هذا دأبه، /٢٨٨/ وحلَّ أوقاف مدارسه المضمونة، وعمرها، وثمرها حتى نمت متحصلاتها وتضاعفت أجورها، وكثرت غلاتها، وأقام عليها الأمناء وولي أمورها للكفاة وتولاها بالعفاف والخبرة حتى درَّتْ إدراراتها، وتسهلت أرزاق الطلبة، ثم جعل من عرض عليه كتاباً في الفقه على مذهبه، أو في الحديث، أو في النحو جُعالة، وجعل جعالة كل كتاب على قدره، فانصرفت الهم إلى الاشتغال بالعلم، وكثرت الطلبة، فلم يمض مدة حتى صلح منهم جماعة للإفتاء وبلغت طائفة منهم درجة الانتهاء، وتصدى بنفسه للجلوس للأشغال والعرض عليه، ومقابلة الكتب.

وكان يسمح لمن عرض عليه ويوصيه، ليزداد رغبة، وأخذ بقلوب الكبراء ورؤساء البلد، وقدم أماثل أبنائهم، واستشهد عليه أهل الخير منهم، فمالوا كلهم إليه، وأجمعوا دون قضاة بقية المذاهب عليه، وصار مجلسه مجلس الحكم والقضاء بدمشق، وصار مذهبه أظهر المذاهب، وكثر فيه أهل الإفتاء، وعلت سمعتهم، وجرى ذكره على لسان الخاص والعام، وضرب به المثل، وتقرب إلى الله بصالح العمل.

وكان مدة ولايته كلها على حال الأُول، متقللاً من الدنيا، غير متكثر منها، ولا مكترث بها، ينزل من الجبل إلى المدينة ماشياً برجله، ويطلع من المدينة إلى الجبل كذلك، فإن وجد تعباً اكترى دابةً من حمير الكراء يركب عليها بالأجرة، ويمشي، والمئزر تحت إبطه، ويفرشه في مجلس الحكم، ويجلس عليه، وتقدم له محبرة من زجاج هي دواته التي يكتب منها، ويأكل مأكل الفقراء، ويقنع بالقليل.

قال لي بعض بطائنه: أنه ما يأكل إلاَّ من مقرر إعادة المدرسة الضيائية التي كانت بيده /٢٨٩/ من قبل القضاء، لا يأكل من سواها، ولم يأخذ تدريساً، ولا استزاد لنفسه زيادةً، وكان يصرف جامكية القضاء إلى زوجته، وإلى المستحقين من أقربائه، وغيرهم، ويستفضل منها ما عمر به مواضع وقفها بعده.

وكان معاناً على البر، مفتوحاً عليه فيه، إذا أراد بناء مدرسة، أو إصلاح لطريقٍ من طرق المسلمين، يؤتى بمال ممن له رغبة في الخير، فيستعين في ذلك البر، وتهيأ له في هذا كل عجيب.

حكى لي أنه ربما أتي بمال لا يعرف من بعث به حتى صرفه في عمارة مدرسة الشيخ أبي عمرو الضيائية، وغير ذلك، وكنت على كثرة اجتماعي به، وقراءتي النحو عليه أُجلَّه عن السؤال عن هذا، غير أنني كنت إذا رأيته أتوسم سيماء السلف، وأرى عليه ملامح الأئمة الأول، وأظن ـ والله أعلم ـ أنه لو مد له في العمر، غطت شمسه على الكواكب، وابتلع بحره السحائب، وبقي منقطع القرين.

وحج مرات رافقته منها سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة، فلم أر مثله في كثرة التواضع، وسعة الصدر، وكرم النفس، وحسن الخلق، وبشاشة الملتقى. وحج بأهله في جماعة على أكمل ما يكون، وكان يدع محمله، وجما له غالب الطريق، وينزل يمشي تخفيفاً عن الظهر، ورغبة في احتساب الخطوات. ودخل تلك الحجة قارناً، ودخلت أنا متمتعاً، فلما أتينا مكة المعظمة، وأهللت بالحج، قال لي: اعلم أنك لو مشيت من هنا إلى أن تقضي حجك، لكنت قد حججت ماشياً، كما كان الحسن بن علي رضي الله عنهما يفعل، ولقد كان يحج ماشياً والجنائب تقاد بين يديه، ففعلت فوافقني، ومشيت أنا وهو في جماعة ممن حجّ معي وحج معه حتى أتينا نمرة /٢٩٠/ ، ثم أتينا عرفة، يعمل في ذلك كله بالسنة المأثورة. فرحمه الله، وغفر له. لقد كان سيداً كبيراً، وعالماً عاملاً.

ورأيت شيخنا أبا المعالي ابن الزملكاني قد كتب كتاباً إلى قاضي القضاة ابن الحريري ذكره فيه، فقال: الإمام العالم الرباني، القائم بالحق.

وكان شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية يقول ـ وقد ذكر عنده كما هو عليه ـ: هو يدٌ لم تؤيد بساعد.

وكان شيخ المذهب ابن الفركاح يقول: هو أنموذج السلف، وكان على هذا كله ثاقب الرأي، واري الزناد، قيما بمصالح الدنيا، عارفاً بمكايد الرجال، عالماً بأخبار أهل الزمان، مقبل السمع على معرفة أحوال الناس، لا يكاد يجوز عليه زيف، ولا

يدخل عليه بهرج، ولا يفضله أحد في حسن النقد، يعود المرضى، ويشيع الجنائز، ويقوم بحقوق الناس، ويتألفهم، ولا ينفرهم، ويستر فضائحهم، ولا يكشفها مع الاحتراز لنفسه، والاحتياط لدينه.

وحقد عليه بعض أصحابنا الشافعية آخراً؛ لقيامه مع العلامة أبي عبد الله بن القيم الجوزية، وأصحاب ابن تيمية، وأسروها له، واستعانوا بدوادار النائب، وكان لا يصدر، ولا يورد إلا به، وكان متحملاً عليه لعدم قبول شفاعاته، فشرع في بناء حوانيت في وجه يريد بها ارتفاع الوقف وينمي أجوره، فقالوا: هذا ما يجوز، وعقد له مجلس انتدب فيه ابن جملة للمحاققة، وأبرز فيه وجه المقالحة، وتبسط في الأقوال الفاضحة، فحكم بهدم ما كان شرع في بنائه، وقام رحمه الله بدائه، فعزم على الحج واجتمعت به لابسطه وأثبطه، فقال لي: هيهات والله، والله لأستبدلن داراً خيراً من دارهم، وجاراً خيراً من جارهم، ولأقيمن بالمدينة ثم انطلق /٢٩١/ أوان الحج، فكان ما أراد أنه أقام ميتاً لا حياً، أتى المدينة متمرضاً ومات بها في التوجه ودفن بالبقيع قريباً من قبر عقيل بن أبي طالب رضي اله عنه، فرحمه الله، وغفر له، ونعمَّه في تلك الدار، وأوجب له حق الجوار(١).

/٢٩٣/ ومنهم:

[٢٥]

عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن إسماعيل الزّرِيْرَانيُّ، ثم البغدادي الحنبلي، شيخ الإسلام، تقي الدين، أبو بكر(٢)

لمحة فضل تغتنم، ولمعة بارق في ليلة لم ينم، طبق الربى والوهاد، وفرّق الكرى والسهاد، وجعل قراءة الكتب طيفه الذي يهم، وسهاده الذي يمنع إغفاءه أن يلم، ولقي العلماء وما بقل نبت عارضه، ولا أثار أرض الصبا بذلوله ولا فارضه، ولا ألمَّ بالشباب، وهو في ميعته إلاَّ إلماماً، ولا صرف إليه ونية ولا اهتماماً، حتى

---

(١) بعده بياض بمقدار ١٦ سطر، تليها صفحة بيضاء كاملة رقم /٢٩٢/.

(٢) توفي في جمادى الأولى سنة ٧٢٩هـ. نسبة إلى زيران، وهي قرية بينها وبين بغداد سبعة فراسخ على طريق الحاج إذا أرادوا الكوفة من بغداد «معجم البلدان ٣/ ١٤٠».

ترجمته في: ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤١٠، ومختصره ١٠٥، المنهج الأحمد ٤٣٣، المقصد الأرشد رقم ٥٣٨، الدر المنضد ٢/ ٤٨٠ ـ ٤٨١، الوافي بالوفيات ١٧/ ٥٩٢، أعيان العصر ٣/ ٧١٤، شذرات الذهب ٦/ ٨٩ ـ ٩٠، الإعلام بوفيات الأعلام ٣٠٨، تاريخ حوادث الزمان ٢/ ٣٥٥، ذيل تاريخ الإسلام ص٢٦٧ رقم ٨٢٤.

حَصَّل من العلم جليله، وبل به غليله، وكان شعلة تُشرق على غارب، وسلة من حسامٍ بيد ضارب، وحلةً مسهمة ما أكنت مثلها الحلل، ولا المضارب.

ولد في جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وستمائة، وحفظ القرآن الكريم وله سبع سنين، وأتقن العربية واللغة، وصار علامة في الفقه وأصوله، والحديث وفنونه، والفرائض وأصول الدين، والتاريخ وعيونه، وإليه النهاية في التحقيق والتدقيق، والغوص على المعاني.

انتهت إليه رئاسة العلم ببغداد غير مدافع، وأقرَّ له الموافق والمخالف، وكان قد قرأ الفقه ببغداد على جماعة، ثم ارتحل إلى دمشق، فقرأ بها المذهب على الشيخ زين الدين المنجا، ومجد الدين إسماعيل، ثم عاد إلى بلده، وأعاد وأفاد، ولازم الاشتغال ليلاً ونهاراً، ثم درس بالمدرسة المستنصرية، وتولى قضاء الحنابلة مع التقشف والصيانة، وصار عالم العراق على الإطلاق، وفقيه بغداد بالاتفاق، وآية في الفقه، ومعرفة مذاهب الأئمة الأربعة.

قال الشيخ أبو الخير الذهلي: حكى لي بعض الفضلاء ببغداد. قال: اجتمع الشيخ تقي الدين الزريراني وجماعة من علماء بغداد في مجلس فوقعت مسألة، فسأل تقي الدين ابن المطهر عن حكمها في مذهبه، فأجاب عنها، فقال له الشيخ تقي الدين: مذهبكم /٢٩٤/ خلاف ما نقلت لنا، والصحيح عندكم كذا وكذا، وأوقفه على النقل فأذعن له ابن المطّهر.

قال: وحكى ابن خميس الفقيه الحنبلي قال: جاءت فتيا من واسط، فكتب عليها بعض الشافعية والمالكية والحنفية، وحملوها إلى الشيخ تقي الدين، فلما قرأها قال: أخطأ الجماعة كلهم في الجواب، وطلبهم، وقال: الصحيح من مذهبكم كذا وكذا فسلموا له، ورجعوا إلى قوله.

قال: ومن محفوظاته «الهداية» لأبي الخطاب، والخرقي، وطالع «المغنى» للشيخ موفق الدين ثلاثاً وعشرين مرة، وعلق عليه حواشٍ مفيدة، وشرع في شرح «المحرر» فكتب منه قطعة من أوله، وكانت دروسه منقحة مفيدة، يزيد في كل يوم على أربعمائة سطر مع ضيق وقته واشتغاله بأمر القضاء والعيال، ويتردد إليه العلماء من الطوائف الأربع، ويستفيدون منه، وكذلك المحدثون يسألونه عن أسماء الرجال، وصحيح الحديث وسقيمه، والتاريخ. وكان ذهنه يتوقد ذكاءً مع فكرة صائبة، وعذب عبارة، وحسن خطٍ ولفظ وشكلٍ، ومدحه جماعة من الأئمة الفضلاء.

وتوفي في الليلة المسفر صباحها عن يوم الجمعة ثاني عشرين جمادى الأولى

سنة تسع وعشرين وسبعمائة، وأخرج يوم الجمعة، فصلى عليه بالمدرسة المستنصرية، وحضر جنازته خلق عظيم، ودفن بمقبرة الإمام أحمد.

[ومنهم:]

[٢٦]

محمد بن محمد بن محمود بن قاسم البرزبي، الحنبلي، العلامة، شمس الدين، أبو عبد الله(١)

خطيٌّ المجد المنبت أسلا، وطائر الشهد المجنى عسلا، لسان الفضل وقلمه، وعلم العدل وعلمه، ومثقف الشرع وسمهريه، وفاروق الحق وعبقريّه، طال أرومة، وطاب جنًى وأكرومه، بلزوم طريقةٍ تقفِّي المجرّة عليها / ٢٩٥/ وتقف الجبال المشمخرة لديها، مَدَّ على مرمي الطرف سجافها، وأدار بكؤوس الصَّباح سلافها، بنهمةٍ حمد في طلب العلم إسرافها، وحدَّ على مراقب النجوم أسفافها، لهمةٍ لا قصور في باعها، ولا قصور إلاَّ في رباعها، فما رَدَّت الغايات جماحه، ولا ردت بغير رياش السُّحب جناحه، إلى أن شط مزاراً، وقطوف الثريا دانية، ونشط بداراً، وعصوف الرياح مُتوانية، فنزل من السماء في عليائها، وترك السحائب وراءه قطائع من إعيائها، ورسا كما رسا أبَان، ووصل بشباب الليالي ذوائب شيبان.

ولد يوم الأحد منتصف شوال سنة إحدى وثمانين وستمائة. حفظ القرآن العظيم في صباه، واشتغل بالفقه، وحفظ «المقنع» وقرأ الأصلين، والعربية، واللغة، والمنطق، والطب، وعلم التصوف، وبهر في ذلك.

وكان إماماً، علامة، زاهداً، كثير التلاوة للقرآن مع صلاة وصيام، وتهجد في الليل، شجاعاً، شهماً، قوالاً بالحق، مهيباً وقوراً، يتوقد ذكاءً، وله اليد البارعة في جميع الفنون، وله الشعر الفائق، والنظم الرائق، مليح المذاكرة، حلو النادرة، سخي النفس.

سافر إلى بلاد الهند، وبحث مع علمائها، واستظهر عليهم في البحث، وأبان عن علم غزير، وفضل كثير، فأذعنوا له، وتقدم عليهم عند سلطانها، وأقروا له

(١) ترجمته في: ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٢٥، ومختصره ١٠٩، المنهج الأحمد ٤٤٠، الدر المنضد ٢/ ٤٩٢، الوافي بالوفيات ١/ ٢٣٧، الدرر الكامنة ٤/ ٢٣٨، تاريخ علماء المستنصرية ١/ ١٨١، المشتبه في الرجال ١/ ٦٢.

بالفضل والعلم، وصنف للسلطان كتاباً في الطب نظماً ونثراً، فأعجبه ذلك، وسأله الإقامة عنده، فلم يفعل، فعاد إلى بغداد، وعين معيداً بالمدرسة المستنصرية، ثم ولي تدريسها بعد الزريراني.

ومن شعره، قوله: [من الطويل]

ثكلت مني نفسي إن اخترت غيرَهُ إماماً لغاياتٍ عِظامٍ أَرومُها

/٢٩٦/ وإنْ سمحتْ نفسي لغيرِ محمدٍ بمدحٍ فلا انجابت بذكري غيومُها

وإن جنحت إلاَّ إليه مَطيتي فتعساً لها والعاصفات تغومها

توفي في يوم الأحد سادس عشر شوال سنة أربع وثلاثين وسبعمائة[(١)]، وأخرج بكرة نهار الاثنين، فشيعته القضاة، والعلماء، والفقهاء، وأرباب المناصب في عالم كثير، وجم غفير، وصلي عليه بجامع القصر بدار الخليفة، ثم صلّي عليه ثانياً بالمدرسة المستنصرية، ودفن بمقبرة الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

ومنهم:

[٢٧]

أحمد بن الحسن بن عبد الله ابن شيخ الإسلام، أبي عمر المقدسي، الحنبلي، العلامة، شرف الدين، أبو العباس[(٢)]

بحرٌ دُرُّهُ عجب، وغمام شكره وجب. روض يُطلع ألواناً، ودوحٌ يجمع صنواناً، وفاضلٌ ما شئت منه اقتبس، وكامل ما طلبت منه التمس، انتهى إليه الطلب، والتهى لديه المستوفز عن المنقلب، إن فسر فما الواحدي بأوحد، ولا الرازي ممن وقف عند الحد، ولا الثعالبي إلاَّ ممن أوكر خوفاً منه فأقبره وألحد، لو أدركه الخرقي لسأل منه رقع ما خرق، أو ابن نقطة لاستكفى منه الغرق، أو الغيلاني لداخله خوفاً منه لا يأكله الفرق، أو السيف الآمدي لما أسهر جفنه الأرق، بل لو عدل إلى بقية العلماء لما عدّ أحداً من القدماء، ولا عدل به المحاملي إذا ظعن، ولا صاحب أبي حنيفة، وكُلٌّ منهما ابن الحسن، ولا شبّه الباجي، وإن جيء به قبله في الزمن، بل لو ساوم الرُّماني لرمى نهود رمانه بالبوار، وبرقع خدود زمانه حياءً بالجلنار.

---

(١) وردت في الأصل «ستمائة» وهو خطأ صوّبناه من المصادر الأخرى.

(٢) **ترجمته في**: ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٧٢، المقصد الأرشد ١/ ١٠٠، أعيان العصر ١/ ٢١٠ ـ ٢٢١ رقم ١٠١، شذرات الذهب ٦/ ٢١، تالي وفيات الأعيان ٨، ذيل العبر ٥٢ ـ ٥٣.

أو لزّ به في غرائب اللغة أبو عبيدة لأنف استعباده، أو ابن قريب لما قرّب بعاده، /٢٩٧/ أو جُنادة اللغوي، لجعل من جملة أجناده جنادة.

أو نسب إليه في النحو ابن المرزبان لما بان، أو ابن جني لأصبح ذاهل الجنان، أو ابن رشيق، لأنكر معاطف كلمه، أو ابن وكيع، لتكعكع دون حكمه، أو العسكري أكبر أئمة الأدب، لما جاء إلاّ تحت علمه.

مع منقول ما حفظها الحافظ الخطيب، ولا جاء ابن عساكر قريباً منها إلاّ بالتقريب إلى ما يُفَلّ به أفلاطون، ويقرر أرسطو أن مخالفيه يخطئون، بذكاء لو رأى ضوء ناره إياس، ليئس، أو جرى على آثاره ابن الجوزي، لبئس، كل هذا إلى أصل عريق، وفضل وريق، وخلقٍ ألين من تنبيه الشفيق، أندى مما ترشفه شمس الضحى من ريق الغوادي بكؤوس الشقيق.

تفقه على مجد الدين إسماعيل، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وأخذ عنه وعن أخيه الشيخ شرف الدين عبد الله(١).

/٢٩٩/ وكتب إليَّ: [من الكامل]

اللهَ أَحمَدُ إذ رأيتُ لسيدٍ ... قُسُ البلاغةِ زندُهُ قَدَّاحُ
هوَ بحرُها الطَّمْطَامُ لا بلْ نحرُها ... هو فخرُها بلْ فجرُها الوضَّاح
سلطانُها إنسانُها بلْ عينُها ... ما قلتُ مِنْ ذا ليسَ فيهِ جَناحُ
أسُلالةَ الأطهار ما هذا الذي ... طَرْفُ العوالِم نحوَهُ طمَّاحُ
أبرزتَ إبريزاً يفوقُ نَضارَةً ... بلْ جَوهراً هوَ ماطرٌ سَحَّاحُ
وجليتَ في هذا الوجود عرائساً ... ظَهرتْ يَزينُ جمالَها الإفْصاحُ
فتفطَّرَتْ كَبِدُ المعانِدِ جَهْرَةً ... حقاً كأنَّ نثارَها الأرواحُ

فأجبته:

وافتْ إليكَ وما أضاءَ صبَاحُ ... بيضٌ أوانِسُ كلهُنَّ صِباحُ
بيضٌ عواطرُ ما هَبَبْنَ لسُحْرَةٍ ... إلاَّ وهنَّ صَبَابها وصَباح
حَمَّرنَ أطرافَ البنانِ وإنَّما ... خمرَنَها وكذا تكونُ الرَّاحُ
وبناظري منهنَّ بدرٌ طالعٌ ... والبدرُ يجنحُ ما عليهِ جَناحُ
ويزينُهُ سمراءُ تنبتُ بالنَّقا ... ياخدَّها مِنْ أينَ ذا التفاحُ

(١) بعده بياض بمقدار ٨ أسطر وتليه الصفحة /٢٩٨/ بياض بكاملها.

وأفت ومِنْ شَرَفِ المدينةِ قدْ أتتْ ... والحيُّ بادِ والرجالُ فِصاحُ
قد عُوّدوا شُربَ اللقاحِ لأجلِ ذا ... أمسَوا وحيُّهم المُشِطّ لفاحُ
أبياتُ حُسْنٍ طُفْتُ حولَ فِنائِها ... والليلُ منتطقٌ عليهِ وشاحُ
فرأيتُ ما ملأَ العيُونَ محاسِناً ... مُتِّعْتَ ما كلُّ المِلاحِ مِلاحُ
أصدافُ ريم خِفتُ ربَّ كِناسِها ... لولاهُ قلتُ بأنَّها أقداحُ
/٣٠٠/ شُكراً لمنيتِهِ فقدْ قلدتُها ... وكلاهُما للجَوهريِّ صِحاحُ
وأريدُ أمدحهُ وباعي قاصرٌ ... هيهاتَ انْ بلغَ السما مَدَّاحُ[1]

/٣٠٢/ وهذا من الفقهاء الحنابلة آخر من ذكر، وبتمامهم تمام المختار من مشاهير الأعلام من مذاهب الأئمة الأربع المجمع عليهم في العصور والأمصار إلى وقتنا هذا.

* * *

(١) بعده بياض بمقدار ١٧ سطر. وبعدها بياض بمقدار صفحة كاملة تحمل الرقم /٣٠١/، ثم بياض بمقدار ١٦ سطر بداية الصفحة التي تليها رقم /٣٠٢/.

طبقات الفقهاء الظاهرية

وسنذكر بعدهم مشاهير الفقهاء الظاهرية الآخذين بالظاهر دون التأويل /٣٠٣/ وإنما ذكرناهم معهم، وأعقبنا بهم جميعهم، اقتداءً بالشيخ العلامة أبي إسحاق الفيروز آبادي رحمه الله؛ إذ ذكرهم في طبقات الفقهاء، وجعلهم فرقة خامسة، ولم يكن إلاَّ التسليم إليه، وإن أمكن فيه المنافسة وإمامهم:

[فقهاء الظاهرية في المشرق]

[١]

الإمام أبو سليمان، داود بن خلف[(١)] الأصبهاني، ثم البغدادي

مولى المهدي، إمام أهل الظاهر، وتمام الفضل الباهر، قلب العلم ولسنه، وكرى الحلم ووسنه، طال ما خلّى بيده زمام الأدب ورسنه، وخُلف بتعهده شقيق الروض وسوسنه، وكان للمجالس زيناً، ولأهل المدارس عيناً، لفضائل فسيحة الفضاء، وفواضل صحيحة القضاء، وخُلُقٍ بات النسيم يُدَمِّثُه وخلقٍ ود ثاني القمرين لو يثلثه، إلى أجوبةٍ حاضرةٍ، وأندية لباديه وحاضره، وديم تسحب مطارفها الأنواء، وشيم تبلل معطافها الأنداء.

ولد سنة مائتين، وقال أبو إسحاق الشيرازي: سنة ثلاث ومائتين، وسمع الحديث، وجالس الأئمة، وصنف الكتب، وأخذ العلم عن إسحاق، وأبي ثور، وكان زاهداً، متقللاً.

قال أبو بكر الخطيب[(٢)]: كان إماماً، ورعاً، ناسكاً، زاهداً، وفي كتبه حديث

---

(١) في بعض المصادر ورد اسمه: «داود بن علي بن خلف...».
ترجمته في: ذكر أخبار أصبهان ١/ ٣١٢ـ ٣١٣، ومروج الذهب ٣١٨٩، والفرج بعد الشدة ٥/ ٥٥، والفهرست لابن النديم ٣١٧ ـ ٣١٩، وتاريخ بغداد ٨/ ٣٦٩ ـ ٣٧٥ رقم ٤٤٧٣، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٩٢، والأنساب ٨/ ٢٩٦ والمنتظم ٥/ ٧٥ ـ ٧٧ رقم ١٦٤، وتكملة تاريخ الطبري، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٥٥ ـ ٢٥٧ رقم ٢٢٣، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٩٧ ـ ١٠٨ رقم ٥٥، والعبر ٢/ ٤٧، وتذكرة ٢/ ٥٧٢، ودول الإسلام ١/ ١٦٤ـ ١٦٥، وميزان الاعتدال ٢/ ١٤ ـ ١٦ رقم ٢٦٣٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ٢٨٤ ـ ٢٩٣، والبداية والنهاية ١١/ ٤٧ـ ٤٨، ولسان الميزان ٢/ ٤٢٢ ـ ٤٢٤ رقم ١٨٤٢، والنجوم الزاهرة ٣/ ٤٧ ـ ٤٨، وطبقات الحفاظ ٢٥٣ـ ٢٥٤، وطبقات المفسرين للداودي ١/ ١٦٦ ـ ١٦٩ رقم ١٦٥، وشذرات الذهب ٢/ ١٥٨ـ ١٥٩، ومرآة الجنان ٢/ ١٨٤، ومفتاح السعادة ٢/ ٣١٢، وديوان الإسلام لابن الغزي ٢/ ٩٠٩ـ ٩١٠، والوافي بالوفيات ١٣/ ٤٧٣ ـ٤٧٧ رقم ٥٧٩، والكامل في التاريخ ٧/ ٤١٢، والتاج المكلّل للقنوجي ٤٥ رقم ٢١، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج١/ ١٨٢، وروضات الجنات ٢٧٦، وكشف الظنون ١٨٣٩، وهدية العارفين ١/ ٣٥٩، والأعلام ٢/ ٣٣٣، ومعجم المؤلفين ٤/ ١٣٩، تاريخ الإسلام (٢٦١ ـ ٢٨٠هـ) ص٩٠ رقم ٦٥.

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠.

كثير، لكن الرواية عنه غزيرة جداً.

وقال أبو إسحاق: قيل كان في مجلسه صاحب أربعمائة طيلسان أخضر، وكان من المتعصبين للشافعي، صنّف كتابين في فضائله والثناء عليه، وقال: وانتهت إليه رياسة العلم ببغداد.

قال أبو عمرو المستملي: رأيت داود بن علي يرد على إسحاق بن راهوية، وما رأيت أحداً قبله، ولا بعده يرد عليه هيبة له.

وقال عمر بن محمد بن بجير: سمعت داود بن علي يقول: دخلت على إسحاق بن راهويه، وهو يحتجم، فجلست فأخذت كتب الشافعي، فجعلت أنظر، فصاح: إيش تنظر؟ فقلت: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾[١] فجعل يضحك.

وقال المروذي: كان داود قد خرج إلى خراسان إلى إسحاق بن راهويه، فتكلم بكلام شهد عليه أبو نصر بن عبد المجيد، وآخر /٣٠٤/ شهدا عليه أنه قال: القرآن محدث، فقال لي أبو عبد الله: مَنْ داود بن علي، لا فرج الله عنه، قلت: هذا من غلمان أبي ثور، قال: جاءني كتاب محمد بن يحيى النيسابوري أن داود الأصبهاني قال ببلدنا: إنَّ القرآن مُحْدَثٌ.

قال المروذي: حدثني محمد بن إبراهيم النيسابوري أن إسحاق بن راهويه لما سمع كلام داود في بيته، وثب عليه إسحاق فضربه، وأنكر عليه.

قال أبو محمد بن حزم: إنما عرف بالأصبهاني؛ لأن أمَّهُ أصبهانية، وكان أبوه حنفي المذهب. قال: وكتب داود ثمانية عشر ألف ورقة[٢].

قال ابن كامل: توفي في رمضان سنة سبعين ومائتين.

/٣٠٥/ ومنهم:

[٢]

أبو بكر، محمد بن داود[٣]

نبعة زلال، وطلعة هلال، لو شاء لألان الصخرة الصماء، وأماط عن معطف

---

(١) سورة يوسف: الآية ٧٩. (٢) بعده بياض بمقدار ١٢ سطر.

(٣) محمد بن داود بن علي بن خلف، أبو بكر بن أبي سليمان الأصبهاني ثم البغدادي الظاهري، الفقيه الأديب «مصنف كتاب الزهرة».

=

الليل الظلماء بألفاظ تروض الجامح، وترد الجانح، لوفور نصيب تحلق على الناطح، وفنون نسيب تحل العصم سهل الأباطح، هذا إلى مددٍ غزير وفضل غزير، وعلم لا يُنقصه انتهاب الطُّلاب ولا تعريه كثرة السلاب، كضياء المصباح يزيد إذا اقتبس، والماء القراح يطيب إلاَّ إذا حبس، لو رآه سلف العشاق لتكثر به كُثَير، واستسقى منه ابن مطير، ولبنى على قواعد بيوت أغزاله صاحب لبنى، ورمم ذو الرمة ما له من طلل ألفاظ بلا معنى.

حفظ القرآن الكريم وله سبع سنين، وذاكر الرجال بالآداب والشعر، وله عشر سنين، وسمع الحديث من جماعة.

قال أبو بكر الخطيب[1]: لما جلس محمد بن داود الأصبهاني بعد وفاة أبيه يفتى استصغروه عن ذلك، فدسوا إليه رجلاً، وقالوا له: سله عن حدِّ السكر ما هو؟ فأتاه الرجل، فسأله عن حد السكر ما هو، ومتى يكون الإنسان سكران، فقال محمد: إذا عزبت عنه الهموم، وباح بسرّه، فاستحسن ذلك منه، وعلم موضعه من العلم، وكان يشاهد في مجلسه أربعمائة صاحب محبرة.

وروى بسنده عن رويم بن محمد قال: كنا عند داود بن علي الأصبهاني إذ دخل عليه ابنه محمد، وهو يبكي فضمه إليه، وقال: ما يبكيك، قال: الصبيان يلقبوني، قال: فعلى إيش حتى أنهاهم، قال: يقولون لي شيئاً. قال: قل لي ما هو حتى أنهاهم عن الذي يقولون، قال: يقولون لي يا عصفور الشوك، قال: فضحك داود، فقال له ابنه: أنت أشدُّ علي من الصبيان، مم تضحك؟ فقال داود: لا إله إلاَّ الله، ما الألقاب، إلا من السماء، ما أنت يا بني إلاَّ عصفور الشوك.

وقال القاضي أبو الطيب الطبري: حدثني أبو العباس الخضري شيخ كان

=

ترجمته في: مروج الذهب ٣٤٠٤، ٣٤٠٥، ٣٤٣٠، ٣٣٩٧، وتاريخ بغداد ٥/ ٢٥٦ ـ ٢٦٣ رقم ٢٧٥٠، والمنتظم ٦/ ٩٣ ـ ٩٥ رقم ١٢٨، والفهرست لابن النديم ١/ ٢١٧، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٧٥ـ ١٧٦، والكامل في التاريخ ٨/ ٥٩، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٥٩ ـ ٢٦١، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٢٠٩، والعبر ٢/ ١٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٠٩ ـ ١١٦ رقم ٥٦، والوافي بالوفيات ٣/ ٥٨ ـ ٦١، ومرآة الجنان ٢/ ٢٢٨ ـ ٢٣٠، والبداية والنهاية ١١/ ١١٠ـ ١١١، وشذرات الذهب ٢/ ٢٢٦، وكشف الظنون ١٧٣، ٩٦٢، ١٣٩٤، ١٣٩٩، ١٤٢٣، ٢٠١٤، وإيضاح المكنون ١/ ٦٢٠، والأعلام ٦/ ٣٥٥، ومعجم المؤلفين ٩/ ٢٩٧، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٩١ ـ ٣٠٠هـ) رقم ٤١٤.
درس شعره وحققه د. نوري حمودي القيسي في «أوراق من ديوان أبي بكر محمد بن داود الأصفهاني، ط بغداد ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٢٥٦.

بطبرستان، قال: كنت جالساً عند أبي بكر محمد بن داود، فجاءته امرأة، /٣٠٦/ فقالت له: ما تقول في رجل له زوجة لا هو ممسكها ولا هو مطلقها؟ ومعنى قولها: لا هو ممسكها أنه لا يقدر على نفقتها، فقال أبو بكر: اختلف في ذلك أهل العلم، فقال القائلون: تؤمر بالصبر والاحتساب، وتُبعث على التطلب والاكتساب، وقال قائلون: يؤمر بالإنفاق وإلاَّ يحمل على الطلاق، قال أبو العباس: فلم تفهم قوله، وأعادت فسألته، وقالت له: رجل له زوجة لا هو ممسكها، ولا هو مطلقها، فقال: يا هذه قد أجبتك عن مسألتك، وأرشدتك إلى طلبك، ولست بسلطان فأمضي، ولا قاضٍ فأقضي، ولا زوج فأرضي. انصرفي رحمك الله. قال: فانصرفت المرأة، ولم تفهم جوابه.

وروى الخطيب[1] بسنده قال: كان أبو بكر بن داود، وأبو العباس بن سريج إذا حضرا مجلس القاضي أبي عمر محمد بن يوسف لم يجر بين اثنين فيما يتفاوضانه أحسن مما يجري بينهما، وكان ابن سريج كثيراً ما يتقدم أبا بكرٍ في الحضور إلى المجلس، فتقدمه أبو بكر يوماً، فسأله حدث من الشافعيين عن العود الموجب للكفارة في الظهار ما هو؟ فقال: إنه إعادة القول ثانياً، وهو مذهبه، ومذهب داود، فطالبه بالدليل فشرع فيه، ودخل ابن سريج فاستشرحهم ما جرى فشرحوه، فقال ابن سريج، لابن داود: أولاً يا أبا بكر أعزك الله هذا قول مَنْ من المسلمين تقدمكم فيه، فاستشاط أبو بكر من ذلك، وقال: أتقدر أن من اعتقدت أن قولهم إجماع في هذه المسألة إجماع عندي، أحسن أحوالهم أن أعده خلافاً، وهيهات أن يكونوا كذلك. فغضب ابن سريج وقال له: أنت يا أبا بكر بكتاب «الزهرة» أمهر منك في هذه الطريقة، فقال أبو بكر: وبكتاب الزهرة تعيرني؟! والله ما تحسن تستتم قراءته قراءة من يفهم، وإنه لمن أجل المناقب إذ كنت أقول فيه[2]: [من الطويل]

/٣٠٧/ أكررُ في روضِ المَحاسنِ مُقلتي ... وأمنعُ نفسي أنْ تَنال محرَّما
وينطقُ سرّي عَنْ مترجمِ خاطري ... فلولا اختلاسي رَدَّهُ لتكلَّما
رأيتُ الهوى دعوى مِنَ الناسِ كُلِّهمْ ... فما إنْ أرى حبّاً صحيحاً مُسَلَّما

فقال له ابن سريج: أو علي تفخر بهذا القول وأنا الذي أقول: [من الكامل]

ومُساهرٍ بالغُنْجِ مِنْ لحَظَاتِهِ ... قَدْ بتُّ أمنعُهُ لذيذَ سُباتِهِ
ضناً بحُسنِ حديثِهِ وعتابِهِ ... وأكرِّرُ اللحظاتِ في وجَناتِهِ

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٢٦١.
(٢) ديوانه ٨٢.

حتى إذا ما الصُّبحُ لاحَ عمودُهُ ولَّى بخاتمِ ربِّهِ وبراتِهِ

فقال أبو بكر: أيد الله القاضي، قد أقرَّ بالمبيت على الحال التي ذكرها، وادعى البراءة مما توجبه، فعليه إقامة البينة، فقال ابن سريج: من مذهبي أن المقر إذا أقر إقراراً، وناطه بصفة، كان إقراره موكولاً إلى صفته، فقال ابن داود: للشافعي في هذه المسألة قولان، فقال ابن سريج: فهذا القول الذي قلته اختياري الساعة.

وروي أيضاً عن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم النحوي نفطويه: قال: دخلت على أبي بكر في مرضه الذي مات فيه، فقلت له: كيف تجدك، فقال: حب من تعلم أورثني ما ترى فقلت: ما منعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه، فقال: الاستمتاع على وجهين: أحدهما النظر المباح، والثاني اللذة المحظورة، فأما النظر المباح، فأورثني ما ترى وأما اللذة المحظورة، فإنه منعني منها ما حدثني به أبي، قال: حدثنا سويد بن سعيد، ثنا علي بن مسهر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «من عشق وكتم وعف وصبر، غفر الله له وأدخله الجنة» ثم أنشدنا لنفسه[1]: [البسيط]

انظرْ إلى السِّحرِ يجري في لواحظِهِ وانظرْ إلى دعجٍ في طرفه الساجي

/٣٠٨ وانظر إلى شعراتٍ فوق عارضِهِ كأنهن نمالٌ دبَّ في عاج

وأنشدنا لنفسه أيضاً[2]: [من الخفيف]

ما لهمْ أنكروا سواداً بخدَّيْـ ـهِ ولا يُنكرونَ وردَ الغُصونِ

إنْ يكنْ عيبُ خدِّهِ بدَدَ الشَّعْـ ـرَ فعيبُ العُيونِ شَعْرُ الجُفونِ

فقلت له: نفيت القياس في الفقه وأثبته في الشعر، فقال: غلبة الهوى، وملكة النفوس دَعَوا إليه، قال: ومات في ليلته، أو في اليوم الثاني في رمضان سنة سبع وتسعين ومائتين، وقيل: في شوال عن اثنتين وأربعين سنةً.

وقال أبو بكر في كتاب الزهرة عقيب هذا الحديث: ولو لم تكن عفة المتحابين عن الأدناس وتحاميها ما ينكر في عرف كافة الناس محرماً في الشرائع، ولا مستقبحاً في الطبائع، لكان الواجب على كل واحد منهما تركه إبقاء على وده عند صاحبه، وإبقاء على ود صاحبه عنده.

---

(١) ديوانه ص٧٨.

(٢) ديوانه ٨٤.

ومن شعره قوله: [من المتقارب]

أحبُّ إليَّ مِنَ الصَّبْرِ عَنْكَ ... فؤادٌ جريحٌ وطَرْفٌ قَريحُ
إذا ما سألتُكَ عَطفاً تُريحُ ... بهِ مُهجتي فأنا المُستريحُ
فلا تُنجزِ الوعدَ خوفَ السُّلُوِّ ... فإنِّي على زَفَراتِي شَحيحُ

ومنه قوله[1]: [من الطويل]

بعينيكَ ما ألقى إذا كنتَ حاضراً ... وإنْ غبتَ فالدنيا عليَّ محابسُ
إذا لمْ أُنافِسْ في هَوَاك ولمْ أُغَرْ ... عليكَ ففيمنْ لَيْتَ شعريَ أنافسُ
فلا تحتَقرْ نفسي وأنتَ حبيبُها ... فكل امرِىءٍ يصبُو إلى مَنْ يجانسُ

ومنه قوله[2]: [من البسيط]

قُدِّمْتُ قبلَكَ قدْ واللهِ بَرَّحَ بي ... شوقٌ إليكَ فهلْ ليْ فيكَ مِنْ حَظِّ
قلبي يَغارُ على عيني إذا نظرتْ ... بُقياً عليكَ فما أروَى مِنَ اللَّحظِ

ومنه قوله: [من الوافر]

/ ٣٠٩/ جعلتُ فِداكَ إنْ صَلَحَتْ فِداءً ... لنفسِكَ نفْسُ مثلِيْ أوْ وقاءُ
وكيفَ يجوزُ أنْ تفديكَ نفسي ... وليسَ مَحَلُّ نفسَينا سَواءُ

وقال محمد بن داود: ما انفككت من هوى منذ دخلت الكُتّاب وبدأت بعمل كتاب الزهرة، وأنا في الكُتّاب، ونظر أبي في أكثره.

وروى الخطيب، عن محمد بن الحسين قال: كان محمد بن داود وأبو العباس بن سريج يسيران في طريق ضيقة، فقال ابن سُريج: الطرق الضيقة تُورث العقوق، فقال له محمد بن داود: وتوجب الحقوق.

وقال ابن سريج لابن داود في كلام ناظره فيه: عليك بكتاب الزهرة، فقال: ذاك كتاب عملناه هزلاً، فاعمل أنت مثله جداً.

وقال عبيد الله بن عبد الكريم: كان محمد بن داود خصماً لابن سريج، وكانا يتناظران، ويترادان في الكتب، فلما بلغ ابن سريج موت محمد بن داود، نحّى مخاده ومساوره وجلس للتعزية، وقال: ما آسى إلاَّ على تراب يأكل لسان محمد بن داود.

وذكر ابن النجار: أن محمد بن داود صنع خاتماً، ونقش عليه سطرين الأول: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾[3] والسطر الثاني ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾[4]،

---

(١) ديوانه ص٥٣.
(٢) ديوانه ص٥٥.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٠٢.
(٤) سورة فاطر: الآية ٨.

وكان إذا رأى رجلاً يلح بالنظر إلى الأحداث، قال له: اقرأ ما على هذا الخاتم، فينتهي عن ذلك.

ومن شعره أيضاً[١]: [من الطويل]

حَمَلْتُ جبالَ الحُبِّ فيكَ وإنَّني ... لأَعجِزُ عَنْ حَمْلِ القَميصِ وأَضْعُفُ

وما الحبُّ مِنْ حُسنٍ ولا مِنْ سماجةٍ ... ولكنهُ شيءٌ بهِ الرُّوح تَكْلَفُ

ومنه قوله في حبيبه محمد بن زُخرُف[٢]: [من البسيط]

يا يوسفَ الحُسنِ تمثيلاً وتشبيهاً ... يا طلعةً ليسَ إلاَّ البدرُ يَحكِيها

/ ٣١٠/ مَنْ شكَّ في الحُورِ فلينظرْ إليكَ فما ... صِيغَتْ معانيكَ إلاَّ مِنْ معانيها

ما للبدورِ و للتجذيفِ يا أملي ... نورُ البدورِ عَنِ التجذيفِ يُغنيها

إنَّ الدنانيرَ لا تُجلى وإنْ عَتُقَتْ ... ولا تُزاد على النقشِ الذي فيها

قال الخطيب[٣]: كان ابن داود يميل إلى محمد بن جامع، وبسببه عمل كتاب الزهرة، وقيل: إن محمد بن جامع دخل الحمام وأصلح من وجهه، وأخذ المرآة، فنظر إلى وجهه، فغطاه، وركب إلى محمد بن داود، فلما رآه مغطى الوجه خاف أن يكون لحقته أفةٌ، فقال: ما الخبر، فقال: رأيت وجهي الساعة في المرآة، فغطيته وأحببت أن لا يراه أحدٌ قبلك، فغشي على محمد بن داود. وكان محمد بن جامع ينفق على محمد بن داود، وما عرف فيما مضى من الزمان معشوق ينفق على عاشق إلاَّ هو، وقيل: إن النفقة كانت في كل يوم عشرين ديناراً.

وذكر ياقوت الحموي[٤] في ترجمة نفطويه زيادة غريبة، وهي أنه قال: دخلت على ابن داود، وذكر القصة التي تقدمت والحديث، قال نفطويه: ثم غشي عليه ساعة وأفاق، ففتح عينيه، فقلت له: أرى قلقك قد سكن، وعرق جبينك قد انقطع، وهذه إمارة العافية، فأنشد يقول[٥]: [من الوافر]

أقولُ لصاحبيَّ وسَلَيَاني ... وغَرَّهُما سكونُ حُمَى جبيني

تسلَّوْ بالتعزِّى عَنْ أخيكُمْ ... وخُوضوا في الدعاءِ ووَدِّعوني

فَلَمْ أدعِ الأنينَ لضَعْفِ سُقْمٍ ... ولكنِّي ضَعُفْتُ عَنِ الأنينِ

ثم مات من ليلته، فيقال إن نفطويه انفجع عليه، وجزع جزعاً شديداً، ولم

(١) أخل به ديوانه.
(٢) أخل به ديوانه.
(٣) تاريخ بغداد ٥/ ٢٦٠.
(٤) معجم الأدباء ١/ ٣٠٩.
(٥) ديوانه ص٨٣.

يجلس للناس سنةً كاملةً، ثم ظهر بعد السنة فجلس، فقيل له في ذلك، فقال: إنَّ أبا بكر بن داود قال لي يوماً، وقد تجارينا حفظ عهود الأصدقاء، فقال: أقل ما يجب للصديق أن يحزن / ٣١١/ على صديقه عملاً بقول لبيد: [الطويل]

إلى الحولِ ثُمَّ اسمُ السلامِ عليكُما ومَنْ يبْكِ حَولاً كاملاً فقدِ اعتذرْ

فحزنا عليه سنة كما شرط.

وذكر ابن السمعاني: أنَّ ابن جامع معشوق ابن داود قال: دخلت على المتقي بالله أمير المؤمنين، فسألني عن أبي بكر بن داود هل رأيت منه ما تكره؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين إلاَّ أني بت عنده ليلة، فكان يكشف عن وجهي، ثم يقول: اللهم إنك تعلم أني لأحبُّه، وإني لأراقبك فيه. قال: فما بلغ من رعايتك من حقه؟ قلت:

دخلت الحمام فلما خرجت نظرت إلى المرآة، فاستحسنت صورتي فوق ما أعهد، فغطيت وجهي وآليت أن لا ينظر إلى وجهي أحد قبله، وبادرت إليه فكشف وجهي ففرح وسر، وقال: سبحان خالقه ومصوّره، وتلا ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾(١).

وذكر ابن النجار: أنَّ ابن سريج كانت له جارية توقظه بالليل للمطالعة، فلما مات ابن داود جاءت الجارية لتوقظه، فقال لها: ويلك الذي كُنا نسهر لأجله قد مات.

وهذه نبذة يسيرة من كتاب «الزهرة»(٢).

أطال الله في العز الدائم بقاك، وصان عن غَير الأيام نُعماك، وجعلني غرضاً للنوائب بدلك، وقدَّمني إلى ورود الحِمام قبلك.

أما بعد: أدامَ اللهُ الرغبة إليك، وجعل متعمد أوليائك عند المهمّات عليك، فإني وإن بخل عليَّ الزمان بوفائك، ونافستني الأيام فيما أعتصم به من جميل إخائك، لمنطوٍ من المودة لك، والثقة بك، والرعاية لحقك، والأنس بقربك، على حالٍ تفنى الأوصاف دون فنائها، وتنقضي الآجال قبل انقضائها، ولن يعدل بي شكوى ما شكوت وجوده من تواتر جفائك، وألمتُ لفقده من صحة وفائك، عن المسارعة إلى طاعتك، والوقوف عند / ٣١٢/ محبتك، فإنَّ من حسن وداده، قبح استفساره، ومن صحّت مودّته وجبت طاعته، ولست أفعل ذلك.

قدّمني الله قبلك وفاءً لك بدلاً من وفائك، ولا مجازاةً لك على عدلك

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦.
(٢) كتاب الزهرة ١/ ٣٧.

وإحسانك، ولا ملتمساً به الذريعة إليك، ولا متفضّلاً به عليك؛ لأن من دعاه العدل إلى الوفاء لصاحبه وفاه، دعاه إلى الغدر جفاه، ومن دعاه العدل إلى الإنصاف دعاهُ الجورُ إلى الانتصاف، ومن دعاه إلى فعل المكرمات رغبة في المجازاة دعاه إلى تركها ظفره بأمنيته، أو يأسه من لحاق طلبته.

وكيف يكون متفضلاً عليك من ليست له فضيلة إلاّ وهي مردودةٌ إليك، ولئن حُرمت العلم بفضلك عليَّ مع ما حرمت من رغبتك فيَّ وميلك إليَّ، لقد حُرِمتُ حظّاً جزيلاً وخيراً كثيراً، ولكن السبب الباعث لي على طاعتك، والمذَلِّل لي عند سطوتك، والباسط إليَّ العذر فيما تجنيه، والمُعدِّل لك عليَّ فيما تدَّعيه، سببٌ يلطف عن أن يُعاين بالأبصار، ويدقُ عن أن يُدرك بالفحص والاعتبار، إنْ رُمتَ إخفاءه وُجد، وإن حاولت إظهاره فُقد، فهو شيء منعني عن وصف جنسه، اشتغالي به في نفسه، وتقطعني مُسامرته عن المُسامرة، ويعوقني التفرُّد بمغازلته، عن التعرض بصفاته كما قال بعض أهل هذا العصر : [من البسيط]

يُنسى الهوى وصفهُ من حَلَّ ذُروتَهُ كالأرضِ يُشغلُ عنها مَنْ ثَوَى فيها

لا أقول شيئاً وقع لي اضطراراً، فأقرُّ بأني لم أكن مختاراً، ولا أقول: أوسعتُه لنفسي اكتساباً، فاكون إذ نفيتُه عن نفسي كذاباً، لا أزهد فيه فأرغب في سواه، ولا يفارقني فأتمناه، محلُّه من الروح محلّ الروح من الجسد، لا يدري الجسد ما الروح فيُسرُّ إذ جعل وعاه، ويحزن إذ لم يُستودع سواه، وقد وقفت على ما وقفت من تصاريف الزمان وخيانة الإخوان.

واعلم ـ أيّدك اللهُ ـ أن من عجيب ما تُحضره الأيام / ٣١٣/ ، وتجول به الأوهام ظالماً يتظلم، وغائباً يتندم، ومطاعاً يستظهر، وغالباً يستنصرُ.

ما الذي تُنكر ـ أدام الله عزّك، وبسطَ بالخير يدك ـ من تغيُّر الزمان، وأنت من أحدِ مَغيريه، ومن جفاء الإخوان، وأنت المقدمُ فيه، أنتَ بأنْ تحتجَّ له وتعتذر لفاعليه، أولى منك أن تعيبه، وتَذُمَّ مستعمليه.

إلى أن قال[1]:

من كَثُرت لحظاتُهُ، دامت حسراتُه.

العقل عند الهوى أسير، والشوق عليهما أمير.

---

(١) كتاب الزهرة ١/ ٤٢ ـ ٤٣، وهذه الجمل هي فهرس أبواب كتاب الزهرة.

من تداوى بدائه، لم يصل إلى شفائه.
ليس بلبيب، من لم يصف ما به لطبيب.
إذا صحّ الظفر، وقعت الغير.
التدللُّ للحبيب من شيم الأديب.
من طال سروره، قصُرت شهورُه.
من كان ظريفاً، فليكن عفيفاً.
ليس من الظرف امتحان الحبيب بالوصف.
سوء الظنَّ، من شدة الضنَّ.
من وفى له الحبيب، هان عليه الرقيب.
من مُنع من كثرة الوصال، قنع بقليل النّوال.
من حُجبَ عن الأحباب، تذلَّل للحُجَّاب.
من مُنع من الوصول، اقتصر على الرسول.
من أحبّه أحبابه وَشى به أترابهُ.
من لم يُعاتب على الزلَّة، فليس بحافظِ للخُلَّة.
من عاتب على كل ذنبٍ أخاه، فحقيق أن يملّه ويقلاه.
بعد القلوب على قرب المزار، أشد من بعد الديار.
ما عتب من اغتفر.
ولا أذنب من اعتذر.
إذا ظهر الغدرُ، سهُل الهجر.
من راعه الفراق، مَلَكه الإشفاق.
قلَّ من سلا إلاَّ غلبه الهوى.
من غلبه هواه على الصبر، صَبَر لمن يهواه على الغدر.
من تجلَّد على النَّوى، فقد تعرَّض للبلوى.
في الوداع قبل الفراق، بلاغ إلى وقت التلاق.
ما خُلق الفراق إلاَّ لتعذيب العشّاق.
من غاب قرينه، كثر حنينّه.
من لم يلحق بالحُمول، بكَى على الطلول.

من قصّر عن مُصاحبة الجار، لم ينفعه مساءلة الدار.

من مُنع من البراح، تشوّق بالرياح.

في لوامع البروق، أُنسٌ للمستوحش المشوق.

في تلهُّب النيران / ٣١٤/ أنسٌ للمُدنف الحيران.

في نوح الحمام، أنسٌ للمتفرد المستهام.

من امتحن من المفارقة والهجر، اشتغل فكره بالعيافة والزَّجر.

في حنين البعير المُفارق، أنسٌ لكلِّ صبٍّ وامق.

من فاته الوصال، نَعَشه الخيال.

من مُنع من النظر، استأنس بالأثر.

من حُجب عن الأثر، تعلَّل بالذِّكر.

مُسامرة الأوهام والأماني تنسب إلى العجز والتواني.

من قَصُر نومه، طال ليلُه.

من غُلب عزاؤه، كثر بكاؤه.

نُحول الجسد، من دلائل الكمد.

طريق الصد بعيد، وكتمان الحُبّ شديد.

من غَلَب صبرهُ، ظهر سرُّه.

من لم يقع له الهوى باكتساب، لم ينزجر بالعِتاب

من قدم هواه، قوي أساه.

من شابت ذوائبُه، جفاه حَبائبُه.

من يئس ممن يهواه، فلم يتلف من وقته، سلاه.

لا يعرف المقيم على العهد، إلاَّ عند فراقٍ أو صدّ.

قليل الوفاء بعد الوفاة، أجلُّ من كثيره وقت الحياة.

وقال أيضاً:

الهجر على أربعة اضرب: هجر ملالٍ، وهجر دلال، وهجر مكافأة على الذنوب، وهجر يوجبه البغض المتمكن في القلوب. فأمّا هجر الدلال، فهو ألذ من كثير من الوصال، وأمّا هجر الملال، فيبطله مر الأيام والليالي، إمّا بنأي الدار، وإمّا بطول الاهتجار، وأمّا الهجر الذي يتولد عن الذنب، فالتوبة تذهبه من القلب، وأمَّا

الهجر الذي يوجبه البغض الطبيعي، فهو الذي لا دواء له.

قال ابن داود[١]: حدثتني مريم الأسدية قالت سمعت امرأةً عُقيلية تقول وهي على بعير لها تسير: [من الوافر]

سُقينا سَلوةً فَسَلا كلانا أزال اللهُ نعمةَ مَنْ سَقانا

قالت مريم: فسألتها عن هواها، فقالت: كنت أهوى ابن عمٍّ لي، ففطن لي بعض أهل الحيِّ، فسقوني وإيّاه شيئاً، فسلا كُلُّ واحدٍ منّا عن صاحبه. قال ابن داود: وهذه حال قلَّ ما يقع مِثلها، وهي ألطف محلاً من كُلّ ما ذكرناه قبلها وما نذكرُه بعدها؛ / ٣١٥/ لأنا نصف من آثار المقام مع من يهواه، على السُّلو عنه والرّاحة من أذاه. وصاحبة هذا البيت تسلت عن محبوبها، وإنما تأسي على العشق لا على المعشوق، وفي هذا النحو يقول بعض الهذليين[٢]:

[من المتقارب]

إذا ما سألتكَ وعدا تُريحُ بهِ مُهجتي فأنا المُستريحُ
فلا تُعطني الوعدَ خَوفَ السُّلوِّ فإنِّي على حَسَراتي شَحِيحُ
أحبُّ إليَّ مِنَ الصّبْرِ عَنْكَ فؤادٌ قَريحٌ وقلبٌ جريحُ

ولقد أحسن الوليد بن عبيد حيث يقول[٣]: [الطويل]

ويُعجبني فقري إليكَ ولمْ يكنْ ليُعجبني لولا محبّتُكَ الفقرُ
وما ليَ عُذْرٌ في جحُودكَ نعمةً ولو كانَ لي عُذرٌ لَمَا حَسُنَ العُذْرُ

وأحسن الذي يقول[٤]: [من الطويل]

وما سرَّني أنِّي خَليٌّ مِنَ الهوى على أنّ لي ما بينَ شرقٍ إلى غَربِ
فإنْ كانَ هذا الحبُّ ذنبي إليكُمُ فلا غفرَ الرَّحمانُ ذلكَ مِنْ ذَنبي

وأحسن أيضاً الذي يقول[٥]: [البسيط]

أحببتُ قلبيْ لمّا أحبّكمُ وصارَ رأْيي لرأْيهِ تَبَعَا
وربَّ قلبٍ يقولُ صاحبُهُ تعْساً لقلبيْ فبئسَ ما صَنَعَا

قال: وأنشدني أحمد بن يحيى عن الزبير بن بكار لجميل[٦]: [من الطويل]

---

(١) الزهرة ١/ ٦٨. (٢) الزهرة ١/ ٦٨.
(٣) من قصيدة قوامها ٣٦ بيتاً في ديوان البحتري ٢/ ٨٤٣ ـ ٨٥١.
(٤) الزهرة ١/ ٦٩. (٥) الزهرة ١/ ٦٩.
(٦) ديوان جميل ٩٨ ـ ٩٩.

خليليّ فيما عشتُما هلْ رأيتُما   قتيلاً بكى مِنْ حُبِّ قاتلِهِ قبلي
فلو تَركَتْ عقلي مَعِي ما طَلَبْتُها   ولكنْ طِلابِيها لِمَا فاتَ مِنْ عَقْلِي

قال أبو بكر[١]: هذا المعنى في البيت الثاني داخلٌ فيما عيناه من أن أقبل على من تهواهُ /٣١٦/ وما دام مفتقراً إليهِ، فليست له في ذلك منّة عليه.

قال أبو بكر[٢]: أصل الهوى يتولدُ من النظر والسماع، ثم يقوى حالاً بعد حال، فإذا كان نظر الصاحي إلى الصورة التي يستحسنها طرفه مؤكداً للمنظور إليه المحبّة في قلبه، كان نظرُ المُحب بعد تمكن المحبة من قلبه إلى الصورة التي كانت سبباً لوقوع المحبة أحرى أن يغلبه على لبه، ويزيده كرباً على كرب. ألا ترى أنّ من حُمّ يومين متواليين كان ألمه في الثاني من اليومين إذا تساوى مقدار الحميين أصعب من ألمه في أوّل اليومين؟

وفي ذلك يقول غيلان بن عقبة[٣]: [من الطويل]

خليليَّ لمّا خفتُ أن تستفزني   أحاديثُ نفسي بالهوى واهتمامها
تداويتُ مِنْ مَيٍّ بتكليمةٍ لها   فما زاد ألا ضَعْفَ نفسي كلامُها

وقال أيضاً: إنَّ تقصير المحبوب عن مُواصلة محبه وتراخيه عن إظهاره على كلّ ما في قلبه إنما يتولد عن وقوع الثقة به. فربما حمل المحبُّ على نفسه، فتوهم أن ذلك داخلٌ في باب الخيانة والغدر، فكافأ عليه بالانحراف والهجر، فجنى على نفسه ما لا يتلافاه العذرُ. ولا يقاومه الصبرُ. والحازم من صبر على مضاضة التدلُّل، والتمس العزّ في استعمال التذلل فحينئذٍ يتمكن من وداد محبوبه ويظفر ممن يهواه بمطلوبه.

قال الحسن بن هاني[٤]: [من المديد]

يا كثيرَ النوحِ في الدِّمَنِ   لا عليها بلْ على السّكَنِ
سُنَّةُ العُشاقِ واحدةٌ   فإذا أحببتَ فاستكِنِ

وقال عمر بن أبي ربيعة[٥]: [من الخفيف]

لستُ من ظالمتي مُنتصِفاً   قَبَحَ اللهُ مُحباً ينتصفُ

---

(١) الزهرة ١/ ٧١.   (٢) الزهرة ١/ ٧١.
(٣) من قصيدة قوامها ٢٣ بيتاً في ديوان ذي الرمة ٥٢٤ـ ٥٢٧.
(٤) ديوان أبي نؤاس ص ٦٤٥.
(٥) الزهرة ١/ ١٠١، وقد أخل بها ديوان عمر بن أبي ربيعة.

/٣١٧/ وفتاةٍ إنْ تِغَبْ شمسُ الضُّحَى   فهيَ للناسِ مِنَ الشمسِ خَلَف
أجمعَ الناسُ على تفضيلِها   وهواهمْ في سِوَاها مُختلِف

وقال الوليد بن عبيد البحتري[1]: [من مخلع البسيط]

منيَ وصلٌ ومنكَ هجرُ   وفيَّ ذُلّ وفيكَ كِبْرُ
عذَّبني حُبّكَ المعنّي   وغَرَّني فيكَ ما يغُرُّ
قدْ كنتُ حرّاً وأنتَ عبدٌ   فصرتُ عبداً وأنتَ حُرُّ
يا ظالماً لي بغيرِ جُرمٍ   إليكَ من جُرْمكَ المفرُّ
أنتَ نَعيمي وأنتَ بُؤسي   وقدْ يَسوءُ الذي يَسُرُّ

وقال أبو تمام الطائي[2]: [البسيط]

ظَنِّي بهِ حَسَنٌ لولا تجَنِّيه   وأنَّهُ ليسَ يَرعَى عَهْدَ حُبِّيهِ
عَفَّتْ محاسنُهُ عنِّي إساءَتَهُ   حتى لقدْ حَسُنَتْ عندي مَساوِيهِ
تاهتْ على صُورةِ الأشياءِ صورتُهُ   حتى إذا خضعتْ تاهتْ على التِّيهِ

وقال أبو بكر[3]: من ساعدته الأيام بمحابةٍ، ورُزق حُسن الوفاء والمساعدة من أحبابه، فأقل ما يجبُ عليهِ في حدود الظرف، دون ما يجب عليه في رعاية حقوق الإلف، أن يقابل نعم الله جل ثناؤه عليه، بما يوجب المزيد فيها لديه، فإن لم يفعل فلا ينبغي له أن يتعرض لأسباب المهالك، وليعلم أن وصفه ما في صاحبه من الخصال المرتضاة يغري من علمها بالمشاركة له في هواه، ولقد أحسن الذي يقول: [الوافر]

ولستُ بواصفٍ أبداً حبيباً   أُعرِّضُهُ لأهواءِ الرجالِ
وما بالي أُشوِّقُ عينَ غَيْري   إليهِ ودونَهُ سترُ الحِجالِ
/٣١٨/ كأني آمنُ الشركاءِ فيهِ   وآمنُ فيهِ أحداث الليالي

وأحسن أيضاً الذي يقول: [من الوافر]

أصونُكَ أن أدُلَّ عليكَ وهْماً   لأنَّ الظنّ مفتاحُ الغُيُوبِ

وماأقصر علي بن محمد العلوي حيث يقول[4]: [من الخفيف]

ربما سرَّني صُدُودُك عَنِّي   وتَأبِّيكَ وآمتناعُكَ مِنِّي
ذاكَ ألا أكونَ مفتاحَ غَيْري   وإذا ما خَلَوتُ كنتَ ألتَّمنِّي

---

(١) ديوان البحتري ٢/ ١٠٥٠.
(٢) ديوان أبي تمام الطائي ٤/ ٢٩٣.
(٣) الزهرة ١/ ١٢٦.
(٤) ديوان علي بن محمد الحماني.

وقال أبو بكر[١]: زعم بعض المتفلسفين: أن الله عزو وجل خلق كلَّ روح مدورة الشكل على هيأة الكرة، ثم قطعها أنصافاً، فجعل في كل جسدٍ نصفاً، فكل جسدٍ لقي النصف الذي قُطع من النصف الذي كان معها، كان بينهما عشقٌ للمناسبة القديمة. وتقارب أحوال الناس في ذلك بين القوي والضعيف على حسب رقة طبائعهم.

وقد قال جميل بن عبد الله العذري، أو قيس بن ذريح في ذلك[٢]: [من الطويل]

تعلّقَ رُوحي روحَها قبلَ خلقِنا ... ومِنْ بعدِ ما كنّا نِطافاً وفي المَهْدِ

فزادَ كما زِدْنا فأصبحَ نامياً ... وليسَ إذا مُتنا بمنتقصِ العهدِ

ولكنَّهُ باقٍ على كلِّ حادثٍ ... وزائِرُنا في ظُلمةِ القبرِ واللَّحْدِ

وحُكي عن أفلاطون أنه قال: لا أدري ما الهوى، غير أني أعلم أنه جنون إلّهي لا محمودٌ، ولا مذمومُ.

وقال جالينوس: العشق من فعل النفس، وهي كامنة في الدماغ والقلب والكبد، والدماغ له مساكن: التخييل وهو في مقدم الراس، والفكر، وهو في وسطه، والذكر، وهو في مؤخره. وليس يكمل اسم عاشقٍ حتى يكون إذا فارق من يعشقه لم يخلُ من تخيّله وفكره وذكره وقلبه وكبده، فيمنع من الطعام والشراب باشتغال الكبد، /٣١٩/ ومن النوم باشتغال الدماغ بالتخيّل، والذكر له والفكر فيه، ويكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به، فمتى لم يشتغل به وقت الفراق، لم يكن عاشقاً، فإذا لقيه خلت هذه المساكن.

قال أبو بكر[٣]: ولعمري لقد أحسن فيما وصف، واحتج لما قال، فانتصف غير أنهُ ذكر حال العاشق وحده، وترك ذكر أحوال ما قبله، وذلك أن الأحوال التي تتولد عن النظر والسماع والاستحسان تختلف في باب العظم والصغر، فأول ما يتولد عن السماع الاستحسان، ثم يقوى فيصير مودة، والمودة سبب الإرادة، فمن ود إنساناً ود أن يكون له خلاًّ. ومن ودّ غرضاً، ودن أن يكون له ملكاً. ثم تقوى المودّة، فتصير محبة، والمحبة سبب للطاعة، وفي ذلك يقول محمود الوراق[٤]: [من الكامل]

تَعصي الإلهَ وأنتَ تُظهرُ حبَّهُ ... هذا محالٌ في القياسِ بديعُ

لو كانَ حُبَّكَ صادقاً لأطعتَهُ ... إنّ المحبَّ لمَنْ أحبَّ مُطيعُ

(١) الزهرة ١/٥٣.
(٢) ديوان جميل ٤٢ ديوان مجنون ليلى ١١٤.
(٣) الزهرة ١/٥٨.
(٤) ديوانه ١٧٤_١٧٥.

ثم تقوى المحبة فتصير خُلَّةً، والخلة بين الآدميين أن تكون محبة أحدهما قد تمكنت من صاحبه، حين أسقطت حجاب السرائر بينه وبينه، فصار متخللاً لسرائره، ومطلعاً على ضمائره.

وفي هذا النحو يقول بعض أهل العصر: [من الوافر]

فلا تهجرْ أخاكَ بغيرِ جُرمٍ ... فإنّ الهجرَ مفتاحُ السُّلُوِّ

إذا كتمَ الخليلُ أخاه سراً ... فما فضلُ الصديقِ على العدوِّ

ويقالُ: إن الخلة بين الآدميين مأخوذة من تخلل المودة بين اللحم والعظام، واختلاطهما بالمخ والدم، وهذا المعنى غير مخالف للأول، بل هو أوضح سبب له؛ لأن من حلّ من النفس هذا المحل، لم يستبد عنه بأمرٍ، ولا يستظهر عنه بسرٍ.

/ ٣٢٠/ وقد أنشدونا لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود في هذا المعنى[١]: [من الوافر]

تغلغلَ حُبَّ عثمةَ في فُؤادي ... فباديهِ معَ الخافي يَسيرُ

شققتُ القلبَ ثمَّ ذَرَرْتُ فيهِ ... هواكِ فِليمَ فالتامَ الفُطُورُ

توغَّلَ حيثُ لمْ يبلغْ شَرَابٌ ... ولا حُزْنٌ ولمْ يبلغْ سُرورُ

غنى النفْس أنْ ازدادَ حُبا ... ولكنِّي إلى وصْلٍ فقيرُ

قال أبو بكر[٢]: ثم تقوى الخلّة، فتوجب الهوى، والهوى اسم لانخراط المحب في محابّ المحبوب، وفي التوصل بغير تمالكٍ، ولا ترتيب.

وقال أيضاً: ذكروا أن قيس بن الملوح المجنون العامري رقد ليلة تحت شجرة، فانتبه بتغريد طائرٍ، فأنشأ يقول[٣]: [من الطويل]

لقدْ هتفتْ في جُنحِ ليلٍ حَمامةٌ ... على فَنَنٍ تدعو وإنِّي لنائِمُ

فقلتُ اعتذاراً عندَ ذاكَ وإنَّني ... لنفسيَ فيما قدْ رأيتُ للائِمُ

أأزعمُ أنِّي عاشق ذو صبابةٍ ... بليلي ولا أبكي وتبكي البهائمُ

كَذَبتُ وبيتِ اللهِ لو كنتُ عاشقاً ... لَمَا سبقتْني بالبكاءِ الحَمائمُ[٤]

/ ٣٢١/ ومنهم:

---

(١) شعر الفقيه الشاعر، عبيد الله بن عبد الله الهذلي ص٨١.

(٢) الزهرة ١/ ٣٢٧. (٣) ديوان مجنون ليلى ٣٨.

(٤) بعدها بياض بمقدار ٦أسطر.

[٣]

أبو الحسن، حيدرة بن عمر(١) الزَّنْدَوَرْدِي(٢)

ظاهري عجز عن الجدال، ونكب عن المجال، واقتصر على ظاهر النقل، فما فعل سواه ولا قال، أخذ العلم عن ابن المغلس، وكان من الأخيار، وفقيها على مذهب أصحابه.

قال النديم: رأيته وكان لي صديقاً.

قال الشيخ أبو إسحاق: مات سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، وقبره في مقبرة خيزران، وعنه أخذ البغداديون مذهب داود.

ومنهم:

[٤]

أبو سعد، بشر بن الحسين قاضي القضاة(٣)

وقف عند الساحل، وحطّ رحله قبل طي المراحل، ولم يقدر على خوض الغمرة، ولا مخالطة الزمرة، فوقف عند الظاهر، وسكت حيث لا ناهٍ ولا آمر.

قال الشيخ أبو إسحاق: أخذ العلم عن علي بن محمد البغدادي صاحب ابن المغلس، وكان إماماً في مذهب داود، وولي قضاء القضاة ببغداد بجاه عضد الدولة وعنايته، فاستناب على القضاء أربعة أنفسٍ، ومات بفارس سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة.

ومنهم:

---

(١) **ترجمته في**: تاريخ بغداد ٨/ ٢٧٣ رقم ٤٣٧٢، المنتظم ٧/ ٥٠ رقم ٦٥، طبقات الفقهاء ١٧٧، الأنساب ٦/ ٣٣٨، الفهرست ١/ ٢١٩، الوافي بالوفيات ١٣/ ٢٢٧ رقم ٢٧٥ ، كشف الظنون ١٢٤٧، إيضاح المكنون ٢/ ٤٥٠، معجم المؤلفين ٤/ ٩٣، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٥١ـ٣٨٠هـ) ص ١٧٨.

(٢) نسبة إلى زَنْدَوَرْد: مدينة كانت قرب واسط مما يلي البصرة «اللباب ٢/ ٧٨، معجم البلدان ٣/ ١٥٤».

ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٣/ ٢٢٧، الجواهر المضية ٢/ ٢٢٨، طبقات الفقهاء ١٧٧، المنتظم ١٤/ ١٩٩، تاريخ بغداد ٨/ ٢٦٧، الفهرست ٣٦٥، الأنساب ٦/ ٣٣٨، كشف الظنون ١٢٤٧، إيضاح المكنون ٢/ ٤٥٠، معجم المؤلفين ٤/ ٩٣، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٥١ـ ٣٨٠هـ) ص١٧٨.

(٣) وردت كنيته في بعض المعادر: «أبو سعيد».

ترجمته في: طبقات الفقهاء ١٧٧ـ ١٧٩، تاريخ الاسلام (السنوات ٣٨١ـ ٤٠٠هـ) ص٣٠، الفهرست ٣٦٥.

[٥]

القاضي أبو العباس، أحمد بن محمد بن صالح المنصوري(١)

رجل وقف مع الظاهر، فضيق على نفسه، وغيّم على شمسه، وقلل فئته التي إليها يرجع، وأمحل مراده، فلم ينجع.

قال الشيخ أبو إسحاق: أخذ العلم عن مملوك أبيه الذي أعتقه، وكان خرج إلى بغداد، فتعلم العلم، وعاد إلى المنصورة، فأخذ عنه ابن معتقه.

قال النديم: كان أبو العباس من أفاضل الداوديين، وله كتب جليلةٌ حسنةٌ، كبارٌ، منها: كتاب «المصباح» كبير، /٣٢٢/ وكتاب «الهادي» وكتاب «النير».

ومنهم:

[٦]

القاضي أبو الفرج الفامي الشيرازي(٢)

جمع بين نقيضين: ظاهر لا يحتمل التأويل، واعتزالٍ له في ليله سبح طويل خرج في كلا ميليه عن الإجماع، ونهج عجيباً قرع به الأسماع، فكان في قومه عجباً، وفي قوله ما أصبح صباح الحق به عنه محتجباً.

أخذ العلم عن بشر بن الحسين، وكان إماماً في مذهب داود، وعنه أخذ فقهاء شيراز مذهب داود، وكان أيضاً رأساً في الكلام على مذهب المعتزلة.

قال أبو إسحاق الشيرازي: كنت أناظره، وأنا صبي.

ومنهم:

[٧]

أبو نصر، يوسف بن عمر بن محمد بن يوسف(٣)

فزع إلى فئةٍ منزورة الأعداد، منزوفة الإمداد، أخذ عن من لقي، وكثر طائفة كالنكتة السوداء في بياض الثوب النقي.

ذكره الشيخ أبو إسحاق فقال: تفقه أولاً على مذهب مالك، ثم انتقل إلى مذهب

---

(١) **ترجمته في**: طبقات الفقهاء للشيرازي ١٧٨.

(٢) **ترجمته في**: طبقات الفقهاء ١٧٩.

(٣) توفي في ذي القعدة سنة ٣٥٦هـ.

ترجمته في: طبقات الفقهاء ١٧٩، تاريخ بغداد ١٤/ ٣٢٢، المنتظم ١٤/ ١٨٧ـ ١٨٨ رقم ٢٦٦٥، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٥١ـ ٣٨٠هـ) ١٥٣ـ ١٥٤.

داود، وتقدم فيه، وتمم كتاب «الإيجاز» لمحمد بن داود، ومولده سنة خمس وثلاثمائة[١].

/ ٣٢٣/ ومنهم:

[٨]

أبو الحسن، عبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس[٢]

حمد نَظرهُ السرى لما أصبح، وفقد الكرى حتى أربح، وحصل علما لا تنفذ ذخائره، ولا تسام أخايره، حتى أقامت إليه المطي صدورها، وأدامت تتناوب إليه ورودها وصدورها، وضربت إليه الإبل أكبادها تخبط المهامه، وتحطب منه المتشابه، وتعقل في ذراه لتحمل أوقارها، وتعمل إليه السير، لتجد لديه قرارها.

أخذ العلم عن أبي بكر ابن داود، وانتهت ليه رياسة الداوديين في وقته، ولم ير مثله فيما بعد، وكان فاضلاً، عالماً، نبيلاً، صادقاً، ثقة، مقدماً عند جميع الناس، ومنزله ببغداد على نهر مهدي يقصده العامة من سائر البلدان.

توفي لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بسكتة أصابته، وله كتاب جليل يعرف «بالموضح» وعنه انتشر علم داود في البلاد.

ومنهم:

[٩]

أبو الحسن، عبد العزيز أحمد بن الخوزي[٣]، الأصفهاني، القاضي[٤]

ممن لم يتسع به مدى النظر، ولم يتجاوز به مذهب الظاهر مقدار ما ظهر.

---

(١) بعد بياض بمقدار ٦ أسطر.

(٢) **ترجمته في**: طبقات الفقهاء ١٧٧، المنتظم ١٣/ ٣٦٢، طبقات المفسرين للداودي ٢١٥، تاريخ بغداد ٩/ ٣٨٥، تذكرة الحفاظ ٨٢١، العبر ٢/ ٢٠١، البداية والنهاية ١١/ ١٨٦، شذرات الذهب ٢/ ٣٠٢، الفهرست ٣٦٤، اللباب ٢/ ١٠٠، الكامل في التاريخ٨/ ٣٢٨، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٥٩، أخبار الراضي للصولي٨٣، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٧٧ـ ٧٨، المختصر في أخبار البشر٢/ ٨٤، تاريخ ابن الوردي ١/ ٢٦٩، ديوان الإسلام ٤/ ٢٦٢، إيضاح المكنون ٢/ ٦٠٦، معجم المؤلفين ٦/ ٣٠، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٢١ـ ٣٣٠هـ) ص ١٤٩.

(٣) في الأمل «الخرزي» وهو تصحيف ورد في جميع مصادر ترجمته، وقد أورده اليافعي صاحب مرآة الجنان: «الخوزي: بالخاء المعجمة والزاي».

(٤) **ترجمته في**: المنتظم ٧/ ٢١٨ رقم ٣٤٩، العبر٣/ ٥٠، مرآة الجنان ٢/ ٤٤٤، البداية والنهاية ١١/ =

وقف به الجمود، وطفي في لهبه الخمود، ومضى وعلمه لا يُقدر له في السرد لما نسب إلى داود، وكان في أهل وقته من العلماء الذين يفضلون، والحكام الذين يؤهلون، والقضاة الذين مضوا على الحق، قضوا به، وكانوا يعدلون.

صنف في مذهب داود، وكان متمكناً في المذهب، وولاه عضد الدولة قضاء الربع الأسفل من الجانب الشرقي، أخذ العلم عن بشر بن الحسين.

قال أبو عبد الله الصيمري: ما رأيت أنظر منه، ومن أبي حامد الإسفراييني. وجاء إلى بغداد هو والقاضي أبو بكر ابن الباقلاني صحبة عضد الدولة من شيراز، وعنه أخذ فقهاء بغداد من أهل الظاهر، وأخذ عنه ابن له.

قال الشيخ أبو إسحاق: رأيته وكان يناظر، وأخذ عنه أيضاً القاضي أبو بكر محمد بن عمر بن الأخضر، وكان من أجلاء شهود قاضي القضاة ببغداد، وأخذ عنه أيضاً القاضي أبو علي الداودي قاضي فيروز آباذ. ومات أبو الحسن سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة.

وهؤلاء مشاهير الظاهرية بالمشرق، ثم انقطع مداهم، وما أكل القلم مطاه، وتقلص ظلهم، وكان أقصر من إبهام القطاة.

* * *

= ٣٣٠، تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٢٣، شذرات الذهب ٣/ ١٣٧، وطبقات الفقهاء ١٧٨- ١٧٩، الفهرست ٢١٩، الكامل في التاريخ ٩/ ١٦٨، تاريخ الإسلام(السنوات ٣٨١- ٤٠٠) ص٢٥٦- ٢٥٧، تاريخ بغداد ١٠/ ٤٦٥، الأنساب ٢/ ٣٤٥.

[فقهاء الظاهرية في المغرب]

فأما بالمغرب، فلم يكن منهم إلا واحدٌ، لكنه كالألف، وفرد يحطم به كل صف، وهو:

[١٠]

أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حَزْم بن غالب بن صالح بن خلف بن مَعْدان بن سفيان بن يزيد، مولى يزيد بن أبي سفيان بن صخر بن حرب الأموي[(١)]

أسد فتح فاه والتقم، وبحر زخر عبابه والتطم، سيلٌ عرم يجتحف ما قدامه،

---

(١) **ترجمته في**: جذوة المقتبس للحميدي ٣٠٨ـ ٣١١ رقم ٧٠٨ وفيه: «علي بن سعيد بن حزم»، ومطمح الأنفُس (القسم الثاني المنشور في مجلّة المورد العراقية ـ المجلّد ١٠ـ العدد المزدوج ٣ و٤/ ٣٥٤ـ ٣٥٧ سنة ١٩٨١ بتحقيق هدى شوكة بهنام)، والمطبوع ٥١١، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسّام، المجلّد ١ق/ ١٦٧ـ ١٧٥، وتاريخ الحكماء ٢٣٢ـ ٢٣٣، والصلة لابن بشكوال ٢/ ٤١٥ـ ٤١٧ رقم ٨٩٤، وبغية الملتمس للضبّي٤١٥ـ ٤١٨ رقم ١٢٠٥، ومعجم الأدباء١٢/ ٢٣٥، والحلّة السيراء لابن الأبار ٢/ ١٢٨، (في ترجمة ابن رشيق)، والمطرب لابن دحية ٩٢، والمعجب في تلخيص أخبار المغرب للمرّاكشي ٣٢ـ ٣٥، والمغرب في حليّ المغرب ١/ ٣٥٤ـ ٣٥٧، والتكملة لكتاب الصلة، رقم ٤٣٢، واللباب ١/ ٢٩٧، وفهرست ما رواه عن شيوخه لابن خير الإشبيلي ٤٨٦، ٤٩٢، ٥١٢، ٥١٧، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٢٥ـ ٣٣٠، ودول الإسلام ١/ ٢٦٨، والعبر ٣/ ٢٣٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٨٤ـ ٢١٢ رقم٩٩، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٤٦ـ ١١٥٥، والمعين في طبقات المحدّثين ١٣٢ رقم١٤٥٤، والإعلام بوفيات الأعلام ١٨٩، ومرآة الجنان ٣/ ٧٩ـ ٨٠، والبداية والنهاية ١٢/ ٩١، ٩٢، والإحاطة بأخبار غرناطة ٤/ ١١١ـ ١١٦،الوفيات لابن قنفذ ٢٤٧، ومقدّمة وتاريخ ابن خلدون ٣٥٧، ٤٦٧، ٥٠١، وفوات الوفيات ٢/ ٢٧١، وتاريخ الخميس للديار بكري ٢/ ٤٠٠، ولسان الميزان ٤/ ١٩٨ـ ٢٠٢، والنجوم الزاهرة ٥/ ٧٥، وطبقات الحفاظ ٤٣٦ـ ٤٣٧، وطبقات الأمم لصاعد ٨٦، وأخبار العلماء ١٥٦، ونفح الطيب ٢/ ٧٧ـ ٨٤، وكشف الظنون ٢١، ١١٨، ٤٦٦، ٦٠٥، ٧٠٤، ١٣٨٤، ١٤١٠، ١٤١١، ١٦١٧، ١٦٤١، ١٦٥٠، ١٧٤٧، ١٨٢٠، ١٩١٤، ١٩٧٥، وشذرات الذهب ٣/ ٢٩٩، ٣٠٠، وإيضاح المكنون ١/ ٣١٩ـ ٣٥٦ و٢/ ٦٢، ٢٧٢، ٣١٩، ٣٥٧، ٤٤٤، ٥٦٩، ٦١٥، ٦٧٥، وهدية العارفين ١/ ٦٩٠، ٦٩١، وفهرست الخديوية، ٢/ ٢٣٦، وكنوز الأجداد لكرد علي ٢٤٥ـ ٢٥٠، وظهْر الإسلام لأحمد أمين ٣/ ٥٣ـ ٦٤، والمجدّدون في الإسلام للصعيدي ١٩٠ـ ١٩٤، وتاريخ آداب اللغة العربية ٣/ ١٠٤ـ ١٠٥، وعلم التاريخ عند المسلمين بروزنثال ٥٤ـ ٥٥، ودائرة المعارف الإسلامية١/ ١٣٦ـ ١٤٤، والخالدون لطوقان ١٣٩ـ =

وريح زعزع ينسف ما جاء أمامه، وجبل لا يأمن من استذرى به أن يقع عليه، /٣٢٤/ وأرقم لا يطمئن راقيه أن يثب إليه. شجاع أعد للحرب، وحسام لا يفل له غرب، ومثقف ما ألف إلا الطعن والضرب. أكل العلماء بلسانه، وأذهب سوء الصنيع بإحسانه، ووطىء الرجال بقدمه، وفل النصال بقلمه، ونكس بعلمه الأعلام، وقطع حيازيم الملوك بالكلام، وكان أمة وحده والسلام.

ولد في الجانب الشرقي من قرطبة من بلاد الأندلس، سلخ شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلثمائة، وأصله من فارس، وجده خلف أول من دخل الأندلس من آبائه، وجده يزيد أول من أسلم من أجداده.

وذكره ابن بسام[1] بكلامٍ ملخصه: إنه تمذهب للشافعي ثم رأى رأي داود بن علي الظاهري، وأبغضه علماء زمانه، وسعوا حتى طرد إلى بادية لبلة، وهو لا يبالي، بل يصنف ويؤلف، ويُشغل ويدارس، وصنف وسق بعير لم يعد أكثرها عتبة باديته، لتزهيد الفقهاء طلاب العلم فيها، حتى أحرق بعضها باشبيلية، ومزقت علانية، وهو لا يزداد إلا بصيرة في نشرها، وجدالاً للمعاند فيها إلى أن مضى لسبيله.

ثم قال: وعلى ذلك كله فلم يكن بالسليم من اضطراب رأيه، ومغيب شاهد علمه عند لقائه، إلى أن تحرك منه بالسؤال بحر علمٍ لا تكدره الدلاء، ولا تقصر عنه الرشاء. قال: ووصفه ابن حيان، ولعمري ما عقه، ولا بخسه حقه.

وقال ابنه أبو رافع بن علي بن حزم: اجتمع عندي بخط أبي من تأليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة.

وقال ابن بشكوال[2]: كان أبو محمد بن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة بعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان، ووفور حظه من البلاغة، والشعر، والسير، والأخبار.

وقال أبو عبد الله بن فتوح: ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء، وسرعة الحفظ، وكرم النفس، والتدين، وما رأيت من يقول الشعر /٣٢٥/ على البديهة

= ١٤٧، ومعجم المؤلفين ٧/١٦ـ ١٧، وانظر مقدّمة كتابه: جمهرة أنساب العرب بتحقيق المرحوم عبد السلام محمد هارون، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٤١ـ ٤٦٠هـ) ص ٤٠٣ـ ٤١٧ رقم ١٦٨.
جمع شعره وحققه عبد العزيز إبراهيم ونشره في مجلة المورد البغدادية بعدديها ٢ و٤ مج٢٦ سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨.

(١) الذخيرة ١/١/ ١٦٧ـ ١٧٥.
(٢) الصلة لابن بشكوال ٢/ ٤١٦.

أسرع منه. وجمعت شعره على حروف المعجم. وكان بينه وبين أبي الوليد الباجي مناظرات وماجريات.

وكان ابن حزم كثير الوقوع في العلماء المتقدمين لا يكاد يسلم أحدٌ من لسانه، فنفرت عنه القلوب، واستقل بفقهاء فتمالأوا على بغضه، وردوا قوله، واجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه، وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه، والأخذ عنه، فأقصته الملوك، وشردته عن بلاده حتى انتهى إلى بادية لبلة، فتوفى بها في شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة.

وفيه قال أبو العباس بن العريف: كان لسان ابن حزم، وسيف الحجاج شقيقين، وإنما قال ذلك لكثرة وقوعه في الأئمة.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب«القواصم والعواصم» وقد حط على الظاهرية: هي أمة سخيفة، تسورت على مرتبة ليست لها، وتكلمت بكلامٍ لم تفهمه، تلقفوه من إخوانهم الخوارج حيث تقول: لا حكم إلا لله، وكان أول بدعةٍ لقيت في رحلتي القول بالباطن، فلما عدت وجدت القول بالظاهر قد ملأ به المغرب سخيفٌ كان من إشبيلية يُعرف بابن حزم، نشأ وتعلق بمذهب الشافعي، ثم انتسب إلى داود، ثم خلع الكل، واستقل بنفسه، وزعم أنه إمام الأمة يضع ويرفع، ويحكم ويشرع، ينسب إلى دين الله ما ليس فيه، ويقول عن العلماء ما لم يقولوه تنفيراً للقلوب عنهم، وخرج عن طريق المشبهة في ذات الله وصفاته، فجاء فيه بطوامّ، واتفق كونه بين قوم لا بصر لهم إلا بالمسائل، فإذا طالبهم بالدليل كاعوا، فيتضاحك مع أصحابه منهم. وعضدته الرئاسة بما كان فيه من أدب، وبشبهٍ كان يوردها على الملوك، فكانوا يحملونه ويحمونه، بما كان يلقى إليهم من شبه البدع والشرك، وفي حين عودي من الرحلة ألفيت / ٣٢٦/ حضرتي منهم طافحة، ونار ضلالهم لافحة، فقاسيتهم مع غير أقران، وفي عدم أنصارٍ، يطؤون عقبي، تارة تذهب لهم نفسي، وأخرى ينكسر لهم ضرسي، وأنا ما بين إعراض عنهم، وتشغيب بهم. وذكر كلاماً في الحطّ على الظاهرية.

وقال أبو محمد عبد الله بن محمد بن العربي: أخبرني ابن حزم أنّ سبب تعلمه للفقه أنه شهد جنازةً، فدخل المسجد فجلس، ولم يركع، فقال له رجل: قم فصلِّ تحية المسجد، وكان ابن ست وعشرين سنة. قال فقمت وركعت، فلما رجعنا من الجنازة جئت المسجد، فبادرت بالتحية، فقال لي: اجلس اجلس، ليس ذا وقت صلاة، يعني بعد صلاة العصر، فانصرفت حزيناً، وقلت للأستاذ الذي رباني: دلني على دار الفقيه أبي عبد الله بن دحون، فقصدته، وأعلمته بما جرى عليّ، فدلني

على«الموطأ» فبدأت به عليه قراءةً، ثم تتابعت قراءاتي عليه، وعلى غيره ثلاثة أعوام، وبدأت بالمناظرة، ثم قال ابن العربي: صحبت ابن حزم سبعة أعوام، وسمعت منه جميع مصنفاته.

وقال أبو مروان بن حيان: كان ابن حزم حامل فنون من حديث، وفقه، وجدل، ونسب، وما يتعلق بأذيال الأدب، مع المشاركة في أنواع التعاليم القديمة من المنطق، والفلسفة، وله كتب كثيرة لم يخل فيها من غلطٍ؛ لجرأته في التسور على الفنون لا سيما المنطق، فإنهم زعموا أنه زل هناك، وضلّ في سلوك المسالك، وخالف أرسطو واضعه مخالفة من لم يفهم غرضه، ولا ارتاض، ومال أولاً إلى مذهب الشافعي، وناضل عنه حتى وسم به، فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء، وعيب بالشذوذ، ثم عدل إلى الظاهر فنقَّحه، وجادل ولم يك يلطف صدعه بما عنده بتعريض، ولا بتدريج، بل يصكُّ به معارضه صكّ الجندل، وينشقه انشاق الخردل، فتمالئ عليه فقهاء وقته، /٣٢٧/ واجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه، وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم من الدنو منه، وطفق الملوك يقصونه ويسيرونه عن بلادهم، وهو في ذلك غير مرتدع، ولا راجع، يبث علمه فيمن ينتابه من بادية بلده من أصاغر الطلبة، يُسمعهم، ويفقههم، ويدارسهم، وكان مما يزيد في شناته تشيعه لأمراء بني أمية ماضيهم وباقيهم، واعتقاده لصحة إمامتهم حتى نسب إلى النصب.

وقال ابن دحية: كان قد برص من أكل اللبان، وأصابه زمانة، وعاش اثنتين وستين سنة إلا شهراً.

وقال اليسع بن حزم الغافقي: أما محفوظ ابن حزم، فبحر عجاج، وماء ثجاج، يخرج من بحره مرجان الحكم، وينبت ثجاجة الفاف النعم في رياض الهمم، لقد حفظ علوم المسلمين، وأربى على أهل كل دين، وكان أولاً يلبس الحرير، ولا يرضي من المكانة إلاَّ بالسرير. مدح المعتمد، فأجاد، وقصد بلنسية، وبها المظفر أحد الأطواد. حدثني عنه عمر بن واجب، قال: بينما نحن عند أبي ببلنسية، وهو يدرس المذهب إذ بأبي محمد يسمعنا ويتعجب، ثم سأل الحاضرين عن شيء من الفقه، فاعترض فيه، فقال له بعض الحضار: هذا العلم ليس من منتحلاتك، فقام وقعد، ودخل منزله، فعكف، ووكف منه، وبل ما كف، وما كان بعد أشهرٍ قريبةٍ حتى قصدنا إلى ذلك الموضع فناظر أحسن مناظرة، وقال فيها: أنا أتبع الحق وأجتهد ولا أتقيد بمذهب(١).

(١) بعدها بياض بمقدار سطرين.

وتوفي بقريته على خليج البحر الأعظم في جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وأربعمائة. وقيل: مات ليومين بقيا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة.

/ ٣٢٨/ ومن شعره قوله من قصيدة[(١)]: [من الطويل]

أَجَلْ هوَ مَغنًى قدْ عفتْهُ الرَّوامسُ ... فهلْ أنتَ فيهِ وَيْبَ غيرِكَ حابسُ
عسى سيُجيبُ الدمعُ إذ أنا سائلٌ ... وهلْ يُرجِعُ اللفظَ الطلولُ الدوارسُ
وفي طيِّ مثنِيِّ الصَّفيحِ على الثَّرى ... سَبَى شَبَهٌ للشكلِ والحُسنِ لابسُ
غريبُ صِفاتِ الحُسنِ إن تَبغِ حُسنَه ... فامنعُ معدومٍ هناكَ المُجانسُ
إذا حُدَّ لم تَحْوِ الحُدودُ جهاتِهِ ... وإن قِيسَ يوماً ضَلَّ فيهِ المُقايسُ
عجبتُ لدهرٍ لا يَني وهوَ طالبي ... بثأرٍ ولا ينفكُّ دأباً يُمارسُ
فأهلاً بَوفدِ الشيبِ إذ جاء وافداً ... وكنتُ وقلبي قبلَ ذا منُه واجِسُ
ولما أتى رُدَّتْ نفوسُ بغيظِها ... ولمْ تنبسطْ نحوي اللحاظُ النواعسُ
تَنَاءينَ عني كالغصونِ وأعرضتْ ... ضواحكُ أقمارٍ وهنَّ عوابسُ
إذا ما تُراميني مفاخرُ معشرٍ ... فأيسرُ فخري للمفاخرِ دايسُ
وإنِّي بعرضي دونَ دينَي مُتَّقٍ ... وإني بُروحي دونَ عِرضيْ مُتارسُ
سَمَا بيَ ساسانٌ ودارا وبعدَهُمْ ... قريشٌ العُلا أعياصُها والعنابِسُ
فما أخرتْ حربٌ مراتبَ سُؤددي ... ولا قعدتْ بي عَنْ ذُرى المَجدِ فارسُ

وقوله من قصيدة قالها، وقد تعصب على بعض أصحابه في وقت بميورقة، فامتد بعض جهالها إلى بعض كتبه، فأحرقها؛ ليشنعوا بذلك؛ ليرد الناس عنه[(٢)]: [الطويل]

فإنْ تحرقوا القِرطَاس لا تحرقوا الذي ... تضمَّنَهُ القِرطاسُ بلْ هوَ في صدري
دعوني مِنْ إحراقِ رَقٍّ وكاغدٍ ... وقولوا بعلمٍ كي يرى الله مَنْ يَدري

وقوله وقد أكثروا عليه تخويف بأس نظرائه، كأبي الوليد وغيره[(٣)]: [الطويل]

/ ٣٢٩/ قالوا تحفَّظْ فإنَّ الناسَ قدْ كثرتْ ... أقوالُهمْ وأقاويلُ الوَرَى مِحَنُ
فقلتُ: هلْ عيبُهم لي غيرُ أنِّيَ لا ... أقولُ بالرأيِ إذ في رأيِهِمْ فِتَنُ

---

(١) من قصيدة قوامها ٤٣ بيتاً نشرها د.إحسان عباس في تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) ص٣٨٥، شعر ابن حزم الأندلسي ص٨٢ـ ٨٣.

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ١/ ١/ ١٧١، طوق الحمامة٩٣.

(٣) من قصيدة قوامها ١٣ بيتاً نشرها د. إحسان عباس في تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) ص ٣٨٢. شعر ابن حزم ص٩٩.

لا أنثني لمقاييس يقالُ بها ... في الدين بلْ حَسْبيَ القرآنُ والسُّنَنُ
دعهمْ يعضُّوا على صُمِّ الحَصَى كَمَداً ... مَنْ ماتَ مِنْ قولِهِ عندي لهُ كَفَنُ
إني لأعجبُ مِنُ شأني وشأنِهمُ ... واحَسْرَتا إنّني بالناسِ مُمتحَنُ
ما إنْ قصدتُ لأمرٍ قطُّ أفعلُهُ ... إلا وطارتْ بهِ الأظعانُ والسُّفُنُ
أما لهمْ شُغُلٌ عنِّي فيشغلهمْ ... أوكلُّهمْ بي مشغولٌ ومُرتهَنُ
كأنَّ ذِكريَ تسبيحٌ بهِ أُمِرُوا ... فليسَ يغفلُ عنِّي منهمُ لَسِنُ
لو بيعَ ذِكري على ما قدْ تكاثرَ مِنْ ... طُلاَّبِهِ لمْ يكنْ يُدرى لهُ ثَمَنُ
إن غبتُ عَنْ لحظِهمْ ماجُوا بغيظِهمُ ... حتى إذا ما رأوني طالعاً سَكَنوا
دعوا الفُضُولَ وهبَّوا للبيانِ لكَي ... يدري مُقيمٌ على الحُسْنى ومُفتَتَنُ

وقوله حين بلغه أنّ أبا الوليد الباجي يتناوله[١]: [من الطويل]

قالوا سليمانٌ يَذُمُّكَ جاهداً ... فقلتُ دعوُه إنَّهُ غيرُ طائلِ
هو المرءُ لا يؤسى لمطلقِ ذِمَّةٍ ... ولا لثناءٍ منُه بُشرى لعاقلِ

وقوله[٢]: [من البسيط]

أنائمٌ أنتَ عَنْ نَصِّ الكتابِ وما ... أتى عَنِ المُصطفى الهادي مِنَ الدينِ
أولى بأجرٍ وتعظيمٍ ومَحْمَدةٍ ... مِنْ كلِّ قولٍ أتى مِنْ رأيِ سحنونِ
هيهاتَ رأي امرىءٍ مِنْ وحيِ خالقِنا ... قياسُ هذا بذا رأيُ المجانينِ
يا مَنْ هدى بهما اجعلني كمثْلِهما ... في نصرِ دينِكَ واكمدْ غيرَ مفتونِ

/ ٣٣٠/ وقوله من قصيدة[٣]: [من الطويل]

وأَلزمُ أطرافَ الثغورِ مَجاهداً ... إذا هَيْعَةٌ ثارتْ فأولُ نافرِ
لألقَى حِمامي مُقبلاً غيرَ مُدبرٍ ... بسُمرِ العوالي والرِّقاقِ البَواتِرِ
أطُاعنُهمْ حتى يوافيَني الرَّدَى ... بضربةِ حَرَّان وطعنةِ ثائرِ
كفاحاً معَ الكفارِ في حومةِ الوَغَى ... وأكرمُ موتٍ للفتى قتلُ كافرِ
ويرحلُ أصحابي وأتْركُ ثاوياً ... طَريحاً لِجِّدي في مَكَرِّ الحوافرِ

---

(١) أخل بها شعره.
(٢) انظر: الصلة لابن بشكوال ٢/ ٤١٧، بغية الملتمس ٤١٧، جذوة المقتبس ٣١٠، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٠٦، ومن قطعة قوامها ٥ أبيات في شعره ص ١٠٠.
(٣) بعض أبياتها في الذخيرة ١/ ١/ ١٧٣ـ ١٧٤ وقد أخل بها شعره.

فيا ربِّ لا تجعلْ حِمامي بغيرِها ... ولا تجعلَنِّي مِنْ قَطِينِ المَقابرِ

وقوله يخاطب قاضي الجماعة بقرطبة أبا المطرف[١] رحمه الله من قصيدةٍ[٢]:

[الطويل]

أَلَمَّ يخالينـي جَلاءَ مُجَرِّبٍ ... على أنَّهُ حقاً بيَ العالمُ الطَّبُّ
أُعيذكَ أنْ ترتابَ في أنِّيَ الذي ... أتي سابقاً والكلُّ ينجرُّ أو يحبُو
أمثلُكَ يعشُو عَنْ مكاني ويَمتري ... بأنِّيَ مِنْ أفلاكِ ذا الأدبِ القُطبِ
أيَخفى عليكَ البدُر ليلةَ تَمَّهِ ... ولمْ تسترْ عنكَ النيازكُ والشُّهبُ
وحاشايَ أنْ يمتدَّ زهوٌ بمنطقي ... وأنْ يستفَّز الحِلَم مِنْ قوليَ العُجْبُ
ولكنَّ لي في يوسفٍ خيْرَ أُسوةٍ ... وليسَ علي مَنْ بالنبيِّ ٱئتَسٰى ذَنْبُ
يقولُ وقالَ الحقَّ والصدقَّ إنني ... حفيظٌ عليمُ ما على صادقٍ عَتْبُ
فلوْ كُسِيَ الفُولاذُ حِدَّةَ خاطري ... تساوى لديهِ اللَّحمُ والحَجَرُ الصُّلْبُ
ولو كانَ للنيرانِ بعضُ ذَكائِهِ ... وفاضتْ عليها لُجَّةُ البحرِ لمْ تَخْبُ
وما اختصَّ عِلْمٌ دونَ علم بِوجهتي ... بلى مسرحي في كلِّها الواسعُ الخِصْبُ
ومالي عَميمٌ لستُ أخشى نَفادَهُ ... بإنفاقِهِ لا بلْ يزيدُ وينصَبُّ
/ ٣٣١/ سموتُ بنفسي لا بمجدٍ هوتَ بِهِ ... مِنَ الزمنِ العدَّاءِ آلاته الحُدْبُ
وما ضرَّ شِعْري أَنْ منُوشهر والدي ... ولمْ تحظَ بي علماً تميمٌ ولا كَعْبُ[٣]
وإنْ شئتَ أخِبارَ الدهورِ فإنَّني ... أنا جامُع التاريخِ مُذْ نَبَتَ الهُضْبُ
سواءَ علي ذِكري قَريبٌ ونازحٌ ... وما حَمَلَتْ أرضٌ ومَنْ ضَمَّهُ التُّرب
يسافرُ علمي حيثُ سافرت ظاعناً ... ويصْحَبُني حيث استقلت بي النجب
أنا الشمسُ في جوِّ العلومِ منيرةَ ... ولكنَّ عيبي أنّ مطلعيَ الغربُ
ولي نحوَ أكنافِ العراقِ صَبابةٌ ... ولا غروَ أنْ يستوحشَ الكَلِفُ الصَّبُّ
هُنالِكَ يدرى أن للبُعدِ قصَّةً ... وأنَّ كسادَ العِلمِ آفتُهُ القُربُ
فيا عجباً مَنْ غابَ عنهمْ تشوَّقوا ... لهُ ودنوُّ المرءِ مِنْ دارِهمْ ذَنْبُ

---

(١) عبد الرحمن أحمد بن سعيد بن بشر بن غرسية، كان والي قضاء الجماعة من سنة ٤٠٧ـ ٤١٩هـ، توفي سنة ٤٢٢هـ.
ترجمته في: الصلة لابن بشكوال ٢/ ٣٢٦ـ ٣٢٨، جذوة المقتبس ٢٧٠، وقوامها ٢٣ بيتاً في شعره ص ١٠٢.

(٢) بعضها في الذخيرة ١/ ١/ ١٧٣ـ ١٧٤، كاملة في ديوان ابن حزم ص ١٦٤.

(٣) منوشهر بن أبرج: ملك فارس، ورد في الشاهنامة للفردوسي.

وقوله من أبيات يصف مقامه مع مناظريه[١]: [من الطويل]

ويوم كحدِّ السيفِ ليسَ بثابتٍ عليهِ جليدٌ لا ولا مُتجلِّدُ
لقيتُ شباهُ وهوَ جمرٌ مؤجَّجٌ وأقلعتُ عنهُ وهوَ فجرٌ مُخلَّدُ

وقوله من أخرى[٢]: [الطويل]

وَدِدْتُ بأنَّ وُدِّي فيكَ منِّي إليكَ مصوَّراً لكَ بالعِيانِ
فتعلمُهُ مُعاينةً كما قدْ علمتَ يقينَ ذلكَ بالمَعاني
وليتَ القلبَ شُقَّ وصِرْتَ فيهِ بجِمسكَ ثُمَّ أطبقَ في المكانِ
فغبتَ عَنِ البريةِ فيهِ طُرّاً ودُمنا هكذا أمدَ الزمان

وقوله[٣]: [من المتقارب]

أحقاً تُرَى أنْ يطولَ المغيبْ إلى بلدٍ نازحٍ شاسعِ
/٣٣٢/ ولم تَرَني استحقُّ الوَداعَ يا لَوُدادٍ مضى ضائعِ
وما لكَ عُذرٌ سِوَى واحدٍ نجوتُ بهِ مِنْ حلى القاطعِ
وكنتُ أعدِّدُ أيضاً على أخيكِ بمولمةِ السامعِ
ولكن إذا الدَّجْنُ غطَّى ذُكاً فما الظنُّ بالقمرِ الطالعِ

وقوله[٤]: [من الطويل]

أياديكَ عندي جَمَّةٌ لا أعدُّها كفاكَ اعتذاراً أنني لكَ عبدُها
أمولايَ قدْ أودَى العتابُ بمهجتي وليسَ سوى الأعتابِ شيءٌ يردُّها

وقوله في الاستعتاب[٥]: [الطويل]

لنا في ذِمام الودِّ ما يوجبُ الرِّضا فيعطفُ مأمولُ ويُرفَعُ مُنحطُ
وللعفوِ شرطٌ في الكرام مؤكّدٌ وما في صوابِ الحُكم أنْ يُنقضَ الشَّرطُ
لقدْ جلَّ ذنبٌ ضاقَ عفوُكَ دُونَهُ على أنَّني ما كانَ لي قبلَهُ سقْطُ
ونافرتَني حتَّى كأنَّ خَلائقي أفاعٍ تَمُجُّ السُّمَّ مُنكرَةٌ رُقْطُ
وما تَكرُه العَتْبَ اليسيرَ سجيَّتي على أنه قدْ عيبَ في الشَّعَرِ الوَخْطُ

---

(١) ديوان ابن حزم ١٧٢. وقد أخل بها شعره.
(٢) أخل بها ديوانه وشعره.
(٣) بيتان منها في شعره ص٩٨.
(٤) أخل بها ديوانه وشعره.
(٥) أخلّ بها ديوانه ، وفي شعره ص ٩٧ أبيات لنفس القطعة.

تـوسَّـطَ إذا عـايـنـتَ أمـراً فـإنَّـهُ ... يُـقـالُ خـيـارُ الأمـرِ أجـمـعُـهُ الـوَسْـطُ

وقوله(١): [من البسيط]

مـا مـثـلُ حـبِّـي لـمـنْ أهـواهُ أعـلـمُـهُ ... ولا كـوحـشَـتِـهِ فـي جـانـبـي مَـثَـلُ

حـاشَـى الـوزيـرَ أبـا مـروانَ إنَّ بِـهِ ... فـيـمـا امـتـحِـنَّـا بِـهِ مـا ضَـمَّـنـي الـسُّـبُـلُ

قـد هـامَ عِـشـقـاً بـدُنـيـاً لـيـسَ يُـعْـجُـبـهـا ... لـقـاً ولـيـسـتْ لـهـا فـي وصـلِـهِ أَمَـلُ

فـرغـبـةٌ بـقـرارِ الـضِّـدِّ يـطـلُـبُـه ... ضِـدٌّفـهـلْ يـلـتـقـي الـضـدانِ يـا رجُـلُ

/ ٣٣٣/ حينا بإعدامِ قاضي المِصْرِ يطلبُها ... نَـعـمْ وبـالـدِّيـنِ إنْ ضـاقـتْ بـهِ الـحِـيَـلُ

يـبُـلُّ بـالـقـطـر فـاهُ عـنـدَ ظـمـأتِـهِ ... فَـلا عـصـوبٌ بـكـفَّـيـهِ ولا بَـلَـلُ

وقوله(٢): [من الطويل]

لـقـدْ بـغـتـتـنـي كـرَّةُ الـبـيـن فَـجـأةً ... بـشـمـسٍ وغُـصـنٍ يـسـتـقـلُّ بِـهِ دِعْـصُ

ومـا كُـنْـتُ أخـشـى قـبـلَ ذا نـفـشـاتِـهِ ... ولـكـنَّ دهـري فـي تـقـلُّـبِـهِ لِـصُّ

خَـفـيـت عَـنِ الأبـصـارِ والـوجـدُ ظـاهـرٌ ... فـأعْـجِـبْ بـأعـراضٍ بَـقـيـنَ ولا شـخـصُ

بـحُـبِّ غـزالٍ قـلـبُـهُ الـصـخـرُ قَـسـوةً ... يُـحـيـطُ بـهِ مِـنْ جـسـمِـهِ نـاعـمٌ رَخْـصُ

أظـنـكَ لـوْ أدركـتَ أيـامَ يـوسـفٍ ... لَـمَـا جـاءنـا إلا بـصـورتِـكَ الـنَّـصُّ

وقوله(٣): [من البسيط]

لـيسَ شـيءٌ في الـدَّهـر أحلَى وأشهى ... مِـنْ عِـنـاقٍ يـكـون يـومَ تـلاقـي

لـيـسَ يـدريْ لـذاذةَ الـعَـيـشِ إلا ... مَـنْ جـرى فـي مـيـادِنِ الـعُـشَّـاقِ

وقوله(٤): [من البسيط]

لا تـشـمتَنْ حـاسـدي إنْ نَـكْـبـةٌ عَـرَضـتْ ... فـالـدهـرُ لـيـسَ عـلـى حـالٍ بِـمُـتَّـرَكِ

ذو الـفـضـلِ كـالـتـبـرِ طَـوراً تـحـتَ مـيـقـعـةٍ ... وتـارةً فـي ذُرى تـاجٍ عـلـى مَـلِـكِ

وقوله(٥): [من الوافر]

لـئـن أصـبـحُـت مـرتـحـلاً بـشـخـصـي ... فَـرُوحـي عـنـدَكـمْ أبـداً مُـقـيـمُ

---

(١) أخل بها ديوانه وشعره.

(٢) أخل بها ديوانه، وفي شعره / القطعة ١٠٨ بيتان لنفس القطعة.

(٣) أخل بها ديوانه وشعره.

(٤) الذخيرة ١/ ١/ ١٧٤، شعره/ القطعة ١٤٣.

(٥) الذخيرة ١/ ١/ ١٧٤، شعره/ القطعة ١٧٢.

ولكنْ في العِيانِ لطيفُ معنًى لهُ سألَ المُعاينةَ الكليمُ

وقوله(١): [من الطويل]

وذي عَذَلٍ فيمنْ سَبَاني حُسْنُهُ يُطيلُ ملامي في الهوى ويقولُ

/ ٣٣٤/ أفي حُسْنِ وجهٍ لاحَ لمْ تَرَ غيرَهُ ولمْ تدرِ غيرَ الجسمِ أنتَ قتيلُ

فقلتُ لهُ أسرفتَ في اللوم ظاهراً وعنديَ ردٌّ لوْ أردتَ طويلُ

ألمْ تَرَ أنِّي ظاهريٌّ وأنَّني على ما أرى حتى يقومَ دليلُ

سمعت وأطعت لقوله تعالى ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(٢)، وسلمت وانقَدْتُ لحديثه عليه السلام: «صل من قطعك، واعفُ عمن ظلمك»(٣) ورضيت بقول الحكماء: كفاك انتصاراً ممن تعرض لأذاك إعراضك عنه، وأقول(٤): [من المتقارب]

تَبَغَّ سِوَاي امرَءاً يبتغي سِبابَكَ إن هواك السِّبابُ

فإنِّي أَبَيْتُ طِلابَ السَّفاهِ وصُنْتُ مَحلِّيَ عمَّا يعاب

وقُلْ ما بدا لكَ مِنْ بَعْدِ ذا وأكثرْ فإنَّ سُكوتي خِطاب

ومن شعره(٥): [من مخلع البسيط]

من ظلَّ يبغيْ فروعَ علمٍ يُروَى ولمْ يدرس منهُ أصلا

فكلُّ ما ازدادَ فيهِ سَعْياً زادَ لعمري بذاكَ جَهلا

وقد نقل ابن الوحيد الكاتب(٦). هذا المعنى من حالٍ إلى حال، وأجاد إذ قال: [من الكامل]

جُهْدُ المفنِّدِ في الزمانِ مُضيَّعُ وإنِ ارتضى أُستاذَهُ وزمانَهُ

كالثورِ في الدولابِ يَسعى وهوَ لا يَدري الطريقَ فلا يزالُ مكانَهُ

قال ابن حيان: ويا لبدائع هذا الحبر علي وغرره! ما أوضحها على كثرة الدافنين لها، والطامسين لمحاسنها! وعلى ذلك فليس ببدع فيما أضيع منه، فأزهد الناس في عالم أهله، وقبله ردي العلماء بتبريزهم على من يقصر عنهم، والحسدُ داءٌ لا دواءَ له(٧).

---

(١) الذخيرة ١/١/ ١٧٥، شعره/ القطعة ١٤٧.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

(٣) فيض القدير، حديث رقم ٥٠٠٤.

(٤) شعره/ القطعة ١١.

(٥) الذخيرة ١/١/ ١٧١، شعره/ القطعة ١٤٥.

(٦) شرف الدين محمد بن شريف المعروف بابن الوحيد، توفي سنة ٧١١هـ. «الدرر الكامنة ٣/ ٤٥٣».

(٧) الذخيرة ١/١/ ١٧٢.

وأورد أبو عبد الله الحميدي أيضاً من شعره قوله[١]: [من الطويل]

/٣٣٥/ هلِ الدهرُ إلا ما لحقْنا وأدركْنا؟ فَجَائِعُهُ تبقَى ولذّاتُه تَفْنَى
إذا أمكنتْ فيهِ مسرَّةُ ساعةٍ تولّت كمرّ الطَّرْفِ واستخلَفَتْ حُزْنا
إلى تَبعاتٍ في المَعادِ وموقفٍ نَوَدُّ لديها أنّنا لِمْ نكنْ كُنَّا
حَصَلْنَا على هَمٍّ وإثم وحَسْرةٍ وفاتَ الذي كنا نَلَذُّ بهِ عَنَّا
حنينٌ لما ولّى وشُغلٌ لما أتى وغمٌّ لما يُرجى فعيشُكَ لا يَهْنَا
كأنَّ الذي كُنا نُسَرُّ بكونِهِ إذا حقّقتْهُ النفسُ لفظٌ بلا مَعْنَى

قال أبو عبد الله الحميدي: وقلتً له يوماً: قال أبو نواس[٢]: [من الخفيف]

عَرِّضَنْ للذي تُحِبُّ بحُبٍّ ثُمَّ دعهُ يَروضُهُ إبليسُ

فقل أنت في طريق التحقيق فقال[٣]: [من الطويل]

أَبِنْ قوْلَ وجهِ الحقِّ في نفسِ سامعٍ ودعهُ فنورُ الحقِّ يسري ويُشرِقُ
سيؤنسهُ رفقاً فينسَى نفارَهُ كما نَسِيَ القيدَ الموثَّقَ مُطلَقُ

ومن شعره أيضاً قوله[٤]: [من الطويل]

أُحاجيكُمُ: مَنْ علّقَ القمرَ القُرْطا؟ وأسألكمْ: مَنْ ألحفَ الغُصُنَ المِرطَا؟
فما جَزَعي إنْ جاوزَ الجَزْعَ ظاعناً ولا ساقطٌ حُزني إذا جَاوزَ السِّقْطَا

ومنها:

وليدةُ سِرِّ المَدحِ تبذَخُ نخوةَ وقدْ عظُمَتْ مَجْداً وقدْ كرُمت رَهْطَا
ولَمْ ترضَ بالجوزاءِ عِقداً ودُملجاً ولا قنعت بالنجمِ شِنْفاً ولا قُرْطا
تقنَّصتُها والعمرُ في عُنفوانِهِ فلا غُصني أحتى ولا لِمَّتي شَمْطَا
وليلٍ غَطَى والنجمُ في الأفق حائرٌ فغطَّى على الأعلام منهُ الذي غَطَّى
/٣٣٦/ وليسَ وشاحي غيرُ عَضْبٍ مُهنَّدٍ أبى حدُّهُ أن يسأمَ القَدَّ والقَطَّا
تشابهَ عزمي والحسامُ وهِمّتي ثلاثةُ أسيافٍ بأمثالِها يُسطَى

وقوله[٥]: [من الطويل]

---

(١) الذخيرة ١/١/١٧٣، شعره/ القطعة ١٧٦.
(٢) في الأغاني ط دار الفكر ٢٢/ ٥٠ لابي حفص الشطرنجي.
(٣) الذخيرة ١/١/ ١٧٤، شعره/ القطعة ١٣٥.
(٤) الذخيرة ١/١/١٧٥ وفيه: إنها لأبي المغيرة، عبد الوهاب بن حزم وقد أخل بها ديوانه وشعره.
(٥) الذخيرة ١/١/١٧٦ـ ١٧٨ وفيه إنها لابي المغيرة أيضاً. وقد أخل بها ديوانه وشعره.

سَرَت مِنْ لِوَى خبْتٍ إلينا تعسَّفُ مَهَامِهَ ذاتِ الجهلِ والجوُّ أكلفُ
تبيتُ بذي الأرْطَى وقدْ باتَ طيفُها لنا صنماً نحنو عليه ونعكِفُ
هَبيْكِ سَرَيتِ الليلَ فرعُكِ أسحَمٌ وثغرُكِ بسّامٌ، ولحظُكِ أوْطَفُ
فأنَّى أطَقْتِ المَشيَ قدُّكِ مائدٌ وردفُكِ رجراجٌ، وخَصْرُكِ أهيفُ
سقى ربعَكِ المألوفَ، حيثُ تصدّعتْ لي الكبدُ الحرَّى، ربيعٌ وصيّفُ
فكمْ ليَ فيهِ مِنْ جنَابٍ وطئتُهُ كريماً فلا آسى ولا أتأسَّفُ
وقدْ شقّقتْ فيهِ الجيوبُ جيوبَها وباتتْ عليها أدمعُ العَينِ تَذْرِفُ
ليالِيَ باتَ البانُ فوقَ كثيبِهِ عليَّ بأنواعِ الجَنَى يتعطَّفُ
إذا ارتجَّ مِنْ عِطْفٍ كثيبٌ مُرجرجٌ تأَوَّدَ مِنْ قَدٍ قضيبٌ مُهفهفُ
يُمَدُّ علينا بالسحابِ سُرَادِقٌ ويُسحبُ فينا للجنائبِ مِطرَفُ
وللهِ درّي ما أَدَرَّ مدامعي إذا سجعتْ وُرْقٌ على الأيْكِ هُتَّفُ
بدا العلمُ الفردُ الذي كنتُ عالماً بهِ، وسرى العَرْفُ الذي كنتُ أعرفُ
يُذكّرُني سُعْدَايَ بالغورِ ما تَنِيْ مساعدةَ إذْ لا صُدوفيَ تَصدُفُ
وللهِ سلْمَى يومَ أهدى سلامَها بذي سَلَمٍ نحوي البنانُ المُطَرَّف
وما ظَبيةٌ أدماءُ أعرُو أراكَها وتعطو وقدْ وافى بَرِيْرٌ وعُلَّفُ
بأحسنَ منها يومَ ريعَتْ لزورَتي فراغَتْ إلى أترابِها تتشَّوفُ
/ ٣٣٧/ وقالتْ: أما تَثنيكَ رِقْبَةُ حارسٍ وأنيابُ ليثٍ في العَرينةِ تَصْرُفُ؟
ودونَ الذي أمّلتَ أجردُ سابحٌ وأسمرُ عرَّاصٌ وأبيضُ مُرهَفُ
فقلتُ لها: بعضَ الذي بكِ، فانثنتْ وأنجزَ ميعاداً بخيلٌ مُسوّفُ
ونلتُ سقاطاً مِنْ حديثٍ وعاقني تنزُّهُ حُرٍّ عَنْ خناً وتعفُّفُ
يُساعدني تحتَ النقابين منظرٌ ويُسعدني تحتَ اللثامينِ مَرشفُ
وركبٍ سروا والليلُ مُرخٍ عليهمُ ستوراً مِنَ الإظلامِ لا تتكشَّفُ
خبطتُ بهم أكنافَهُ ونجومُهُ روائمُ آظارٌ على البدرِ عُكَّفُ
على كل قنعاسٍ كأن ثُغامَهُ ـ وقد سئم الإرقالَ ـ قطنٌ مندَّفُ
هدايا خطوبٍ باتَ ينحرُها السُّرى ولكنَّها مِنْ باطنِ الخُفِّ تَرعَفُ
إلى أنْ أنافَ الصُّبحُ ينفضُ عرفَهُ وطائرُهُ في غُرّةِ الفجرِ يهتِفُ
فما انشقَّ إلا عَنْ مُنادي ابنِ مُنذرٍ نذيراً بصرْفٍ عاقَهمْ عنهُ يَصرف

ويـا رُبَّ مَيْـدانٍ أتـى فـيـهِ سـابـقـاً وغـودرَ منـكـوبـاً هـجـيـبـنٌ ومُـقْـرِفُ
ومـا نـامَ حـتـى لـمَّ مُـفـتـرِقَ الـعُـلا فـهـا هـيَ عِـقـدٌ فـي يـديـهِ مـؤلَّـفُ
إيـاسٌ وبـسـطـامُ بـنُ قـيـس وحـاتِـمٌ وقُـسٌ ولـقـمـانٌ بـنُ عـادٍ وأحـنـفُ
ومـــا هـــذهِ الأيـــامُ إلاَّ مـــقـــاولٌ تـلـتْ سُوراً مِنْ مجدِهِ وهوَ مُصحَفُ
إذا مَضرُ الـحـمـراءُ أدلـتْ بـمـجـدِهـا وجرَّتْ ذيـولَ الـفـخـرِ قيسٌ وخِنْدِفُ
سـمـا لـكَ قـحـطـانٌ بـبـنـيـانِ سُـؤددٍ يـنـيـفُ عـلـى تـلـك الـمـبـانـي ويُـشـرفُ

وقال(١): [من الكامل]

أمـن الـبُـراق الـتـاج بـرقٌ مـا سـرى إلاَّ وردَّ الأفـــقَ مِـــرطـــاً أحـــمـــرا
/٣٣٨/ أتـبـعـتُـهُ نـظـرَ الـمَـشـوقِ بـمـقـلـةٍ لـمْ تـدرِ مـذْ عـهـدُ الأثـيـلـةِ مـا الـكَـرَى
عـايـنـتُـهُ كـالـصَّـقـرِ صـفَّـقَ طـائـراً فـغـدتْ غـرابـيـبُ الـديـاجـي نـفّـرا
وسـلـلـتُ مـن نـارِ الـصّـبـابـة صـارمـاً وجـررتُ مـن وفـد الـتـصـابـي عـسـكـرا
ومـشـيـتُ مـنـسـابـاً فـقُـلْ فـي أرقـم وضـحَ الـنَّـهـارُ لـهُ فـعـادَ غَـضَـنـفـرا
بـتـنـا، وبـاتَ الـمِـسـكُ فـيـنـا واشـيـاً بـمـكـانِـنـا، والـحَـلْـيُ عـنَّـا مـخـبـرا
ودنـتْ بـألـحـاظٍ تُـديـرُ كـؤوسَـهـا فـيـنـا فـنـشـربُـهـا حـلالاً مُـسْـكِـرا
والـلـيـلُ يُـلـحـفُـنـي سَـرابـيـل الـدُّجـى جـهـلاً وقـدْ عـانـقـتُ صُـبـحـاً مُـسـفِـرا
لـو جـئـتـنـا لـرأيـتَ أعـجـبَ مـنـظـرٍ أسـدٌ تـوسَّـدُ كـفَّ ظـبـيٍ أعْـفـرا
ولـقـدْ رأيـتُ مِـنَ الـحِـمَـى أعـلامَـهُ وشـكـكـتُ لـمَّـا شِـمْـتُـهُ مـتـغـيِّـرا
لـم ألـقَ إلاَّ مَـشْـرَفـيـاً أبـيـضـاً مِـنْ دونِـهِ أو زاغـبـيـاً أسْـمـرا
إلاَّ تَـرَى الـمـنـصـورَ تـحـتَ لـوائِـهِ تـلـقَ ابـنَـهُ طـلـقَ الـيـديـنِ مُـظـفَّـرا
أو لا تـجـدْ فـي الـحـفـلِ عـاقـد حَـبْـوةٍ هُـوداً فـإنّـا قـدْ وجـدْنـا حِـمْـيَـرا
أو تـفـتـقـدْ صَـمـصـامَ عـمـرٍو فـي الـوَغَـى فـلـقـدْ سـلـلْـنـا ذا الـفَـقَـارِ مـذكّـرا
لا غـروَ جـئـتُ الـبـحـرَ إذْ بـخِـلَ الـحَـيـا ورأيـتُ يـحـيـى حـيـنَ لـم أرَ مُـنـذرا
فـإذا دعـونـا مَـنْ يُـجـيـبُ لـنـكـبـةٍ لَـبَّـتْ تُـجـيـبُ فـخِـلـتُـهـا سـيـلاً جَـرَى
شـيـمٌ غَـدَتْ قُـرْطَ الـزمـانِ فـلـمْ أنَـمْ حـتـى نـظـمـتُ عـلـيـه شـعـري جـوَهـرا
لـلَّـهِ درُّك والـرمـاحُ شـوراعٌ والـبـيـضُ تـقـطـعُ لأمـةً وسَـنَـوَّرا

(١) الذخيرة ١/ ١/١٧٨ـ ١٨٠ وفيه إنها لأبي المغيرة أيضاً. وقد أخل بها ديوانه وشعره.

ومقامةٍ لكَ في الأعادي قدْ حَمَتْ أيامَ قومٍ قبلَها أنْ تُذكَرا
كانَ اللسانُ بها الحسامَ المُنتضى والمنبرَ العالي الأغرَّ الأشقرا
/ ٣٣٩/ غادرتَ أحشاءَ البُنُودِ خَوافقاً فيها ومُرّانَ الوَشِيجِ مُكَسَّرا
أنسيتنا جذلَ الطّعانِ وعامِراً وعُتيبةً وابنَ الحُبابِ ومُسهِرا
فإذا أتيتُكَ مادحاً لكَ لمْ يجيءْ شِعْري ليسألَ بلْ أتاكَ ليفْخَرا
غيري الذي اتخذَ المدائحَ مكسباً وسِواي مَنْ جعلَ القوافي مَتْجَرا
أنا ما شَعَرتُ لأن أُنبِّهَ خاملا لكنْ لأمنعَ شاعراً أنْ يشْعُرا

قلت: وبنو حزمٍ كلهم سادة نبلاء، وأعيان أجلاء، أشرقوا إشراق النهار، وتدفقوا تدفق البحار.

ومنهم:

[١١]

الوزير أبو المغيرة، عبد الوهاب بن حزم[١]

أحد الوزراء الأعيان، والكبراء اللايثين عمائمهم بالسحاب، قرطس في المعالي، وقرطق باللآلي، وجاء بالسحر الذي ما جاء من بابل، أصاب لَبَّة النحر الذي ما وصل إليه نابل، وكانت بينه وبين أبي محمد مشاجرات استطال فيها لسان الخصام، ورسائل أفتك من مواقع الصمصام.

وقد ذكر ابن بسام[٢] أبا المغيرة فقال: كان ظُبة الحسام، وواسطة النظام، وفارس ميدان البيان، وذات صدر الزّمان حلَّ من زُهر الفضائل، محلَّ السّنان من العامل، والقمر من المنازل ودولة المستظهر عبد الرحمن بن هشام كانت مَهَبَّهُ الذي منه عصف، ومجاله الذي فيه تصرَّف، ألقى إليه زمامه، وأخدمه أيامه؛ ثمَّ عَتب عليه في بعض الأمر، فلحق ببلاد الثغر، فتَسَحَّب على الرمل، تَسَحُّب الهوى على العذل؛ وامتزج بملوك العصر، امتزاج الماء بالخمر، ولو طال مداه لم يذكر معه سواه، ولا

(١) عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم.
ترجمته في: الصلة ٣٦١، نفح الطيب ١/ ٦١٦ـ ٦١٨، ٣٢٠، ١٦٦، ١٧٥ـ ١٨٠، جذوة المقتبس ٢٧٣، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ١/ ١/ ١٣٢، المغرب في حلي المغرب ١/ ٣٥٧، مطمح الأنفس ٢/ ٧٩ـ ٨١، بغية الملتمس رقم ١١١٠. الأعلام ٤/ ١٧٩.

(٢) الذخيرة ١/ ١/ ١٣٢.

اعترف بتفضيله أحبته وعداه.

قال أبو مروان: وكتب عن عدة من الأمراء، ونال حظاً عريضاً من دنياهم، إلا أنه اغتبط شاباً بعد أن ألف عدّة /٣٤٠/ تواليف، وجرت بينه وبين ابن عمه الفقيه أبي محمد بن حزم هنات ظهر عليه فيها أبو المغيرة، وبكَّته حتى أسكته؛ لأنه كان أنبه منه في حظور شاهده، وذكاء خاطره، وكان في زمانه في الجدِّ والهزل صاحب اللواء، في مجالس الأمراء مستفخراً للبيضاء، ممتطياً للشقراء، وتصوّر في قلوب الرؤساء، فأجزلوا أرزاقه، واعظموا صلاته.

قال ابن بسام: وقد أُخرجت من رسائله العميدية، وقصائده اللبيدية، ومما جرى بينه وبين ابن عمه ما يسحر الألباب، ويبهر الشعراء والكتاب.

كتب إليه أبو عليّ بن الرَّبيب القرويُّ رقعة يقول فيها[1]:

«إني فكرتُ في بلدكم أهل الأندلس إذ كان قرارة كل فضل، ومعدن كل طرفة، ومورد كل تحفة، إن بارت تجارة أو صناعة، فإليكم تجلب، وإن كسدت بضاعة فعندكم تنفق، مع كثرة عُلمائه، ووفور أدبائه، وجلالة ملوكه، وصحبتهم للعلم وأهله، ورفعهم من رفعة أدبه، وكذلك سيرتهم في رجال الحرب يقدمون من قدمته شجاعته، وعظمت في الحروب مكانته، فشجع عندهم، بذلك الجبان، وأقدم النبهان ونبه الخامل، وعلم الجاهل، ونطق الجار، وشعر البكيّ، واستنسر البُغاث، وتثعبن الحفّات، وتنافس الناسُ في العلوم، ثمَّ هم مع ذلك في غاية التقصير، ونهاية التفريط، من أجل أنَّ علماء الأمصار دوّنوا فضائل أمصارهم، فخلدوا في الكتب مآثر أقطارهم، وأخبار المُلوك والأمراء، والكُتّاب والوزراء، والقُضاة والعلماء، فأبقوا لهم ذكراً في الغابرين، ولسان صدقٍ في الآخرين؛ وعلماؤكم مع استظهارهم على العلوم، كلُّ امرئ منهم قائمٌ في ظلّه لا يبرح، وثابتٌ على كعبيه لا يتزحزح؛ يخافُ إن صنف أن يعنف، أو تخطفه الطير، أو تهوي به الريح في مكان سحيق، لم يتعب نفساً أحدٌ منهم في مفاخر بلده، ولم يستعمل /٣٤١/ نقشاً في فضائل ملوكه، ولا بلَّ قلماً بمناقب كُتّابه ووزرائه، ولا سوّد قرطاساً بمحاسن قُضاته وعُلمائه؛ على أنّه لو أطلق ما عقل الإغفال من لسانه، وبسط ما قبض الإهمال من بيانه، لوجد للقول مساغاً، ولم تضق عنه المسالك هنالك، ولكن همة كل أحدٍ منهم أن يطلبَ شأو من تقدَّمه من رؤساء العلماء؛ ليحرز قصبّ السبق، ويفوز بقدح ابن مقبل، ويأخُذ كظم

(١) الذخيرة ١/ ١/ ١٣٣ـ ١٤٠.

دغفل، ويصير شجًى في حلق أبي العميثل، فإذا أدرك تلك البغية، وجازه بعد المنية، دفن علمه معه، فمات ذكره، وانقطع خبره، ومن قدّمنا ذكره من علماء الأمصار احتالوا لبقاء ذكرهم، فألفُوا دواوين بقي لهم بها ذكر يتجدّد طول الأبد.

فإن قلت: إنّه كان ذلك من علمائكم، وألفوا كتباً لكنها لم تصل إلينا، فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق؛ لأنه ليس بيننا وبينكم إلا روحةُ راكب، أو دلجة قارب، لو نفث ببلدكم مصدور، لأسمع ببلدنا من في القبور، فضلاً عمن في الدور والقصور، وتلقّوا قوله بالقبول، كما تلقّوا ديوان ابن عبد ربه منكم الذي سمّاه «العقد» على أنه يلحق فيه بعض اللوم، إذ لم يجعل فضائل بلده، واسطة عقده، ومناقب ملوكه يتيمة سلكه، لكنه أكثر وطوّل، وأخطأ المفصل، وأطال الهز بسيفٍ غير مقصل، وقعد به ما قعد بأصحابه من ترك ما يعنيهم، وإغفال ما يهملهم: فأرشد أخاك ـ أرشدك الله ـ إن كانت عندك في ذلك الجليّة، وبيدك فصلُ القضيّة، إن شاء الله تعالى.

فراجعه أبو المغيرة برقعة يقول فيها:

أما بعد، أبقاك الله من حميم صريح الودّ، أهدى تحيته على البعد، فإنَّ الفهم رحم، والأدب ما بين أهله وسائلٌ وذمم. وليس عدم الترائي والعيان، بقاطعٍ للأسباب والأقران /٣٤٢/، ولا تنائي الديار والمنازل، بقادحٍ في الأذمّة والوسائلٍ، والكتاب عوضٌ من الكلام، والتواصل بالنفوس لا بالأجسامٍ، وما زلت أتنسَّم ذكرك، فأتوهم قدرك، وأسمع خبرك فأرى حُبرك، حتى أرادت الأيام كشف السر، ورفع الستر: فتوقفت على الصحيفة التي ظاهرها ديباج مرقوم، وباطنها لؤلؤٌ منظوم، أو وشيٌ محكوك، وذهبٌ مسبوك؛ فرأيت صورة الأدب باهرة المرأى والعيان زاكية المخبر والامتحان شاهدةً لك بأذلق لسان، وأصدق بيان، أنّك أبو عذرتها أو مالك جملتها، وواحد فنونها، ووارد معينها، وقادمة جناحها، وصبا رياحها، فسألت سؤال العالم، وبحثت بحث اليقظان المتغافل، وادَّعيت الحيرة، وأنت أهدى في تلك الفلا من فارط القطا، لتعلم أين المُخطىء والمصيب، وكيف الجواب والمجيب: والله يُوفق من المراجعة لما يرضيك، ويكون وفق أمانيك، وما أجهل أنّي على نفسي ابتهل بهذا الدعاء، لمن أسرَّ حسواً في ارتغاء.

فأوّل ما قدمت في كتابك ما يُقدّمه ذو الفضل والنبل من ثناء على بلدنا وأهله، ووصفت الجميع على اختلاف طبقاتهم، وتباين درجاتهم، من آرائهم التي نحوها، وعلومهم التي وعوها، بأوفر الأقسام، واحتلالهم من ذلك على الغارب، والسنام: حتى عارض الجبان الأسد، وناطح الجوزاء الجلمد، وناطق الأعجم الفصيح،

وبارى الجاهل العالم، وجارى القاعد القائم، تحاسُداً على [الفضائل]. هذا معنى كلامك لم أورد ألفاظه، وإن أصبت أغراضه، إشفاقاً من أن أفصح كلامي به، وأدلك على قصور التي تجتلبه، فأكون كمن جمع بين الشبه والذهب، وقرن الدر إلى المخشلب، ثم قلت: إن ذكر الفتى عمره الثاني، والميت المجهول لا الفاني؛ فمن من هالك أثاره كاشفةٌ عيانه، وواصفةٌ /٣٤٣/ قدره وشأنه، وجن أثوابه كفنه، وجهله جننه، وهؤلاء الذين انتصبت في وصفهم جياد مدحك، وهتكت ظلامهم بغرَّة صبحك، على غير هذا الرأي، وبخلاف هذا المذهب قائلون.

فولّيت في حيّز وعزلت وارتفعت في حال ونزلت، وأتيت بغاية المحال، وهو إثبات الضدّين في حال، ثم زدت في التعليل، وبالغت على الاحتجاج باعتمادك تكذيب من قال: إن الذي قلته لو ارتفع، والذي قاله غيرك لو وقع، لكان قربُ المسافة التي هي شوط جارٍ، بل غمضةُ سارٍ، توجب حلَّ الشك، وانجلاء الإفك؛ فعجبت من أمنك مراجعاً لا يقصد في أدب المقابلة قصدي، ولا يعقد على سانح أخوّتك عقدي؛ يجعل جوابك قول القائل: [من الوافر]

لقدْ أَسمعتَ لو ناديتَ حيّاً ... ولكنْ لا حياةَ لمنْ تُنادي

وغفراً غفراً لهذا العقوق؛ وخذه بإزاء قولك: ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾[1] ، وعلى كل فقد نادينا لو أسمعنا، وطرنا لو وقعنا: وما أشبهنا بالغربية التي خيرها يدفن وشرها يعلن، يتعب أحدنا نفسه، ويرهف حسه، ويعارض السيف بفهمه، والبحر بعلمه، والنار بذكائه، والزمان بمضائه، ونتائج فكره محجوبة، وبناتُ صدره غير مخطوبة.

وفي فصل منها:

ولو لم يعلم لنا خبر، ولا ظهر منا أثر، وبقينا لا يعلم مكاننا، إلاَّ بإخراج قسمة الأقاليم لنا، والحاجة في الجغرافيا إلى ذكر صنعنا، لكان عذرنا في التقصير عن اشتهار الفضل لائحاً، وإن كان نهجنا إلى أخذه والعلم به واضحاً؛ وإن كان كتب بإطلاق قولك هذا قد جاهرتنا ـ وحقّك ـ بالظلم مجاهرة أنا أعجب كيف /٣٤٤/ إنقاذ كريم طبعك لها، وأعجب أيضاً من بخوعي لك، ووقوفي عن الانتصاف منك، وأنا أعلم أنَّ عندكم لنا تواليف تطيرون بها، وأشهد بتقصير أربابها فيها: وإنَّ ودّاً عقل لك لساني، ولم يجر إلاَّ بما تؤثره وتختاره بناني، لودٌ يفضح الرّوض في حزنه،

---

(١) سورة الحج: الآية ٣١.

برائق حسنه، وبرضوى في هضبه، بثقل وزنه، ونوء السماك في هتنه، بوابل مزنه. وما هي إلا شيعة قديمةٌ فيكم أهل الجهة الظاهرة أعلامها، الباهرة علومها وأفهامها.

ثم خرج أبو المغيرة في رسالته هذه إلى التطويل، وبالغ في الاحتجاج بفصول هي عادلة عن هذه السبيل، وختمها بذكر جملة من تواليف أهل الأندلس، أضربت عن تسميتها لشهرتها»[1].

ومنه قوله:

فعفى تلك الآثار ما سال من عذره، وطمس ليل اللحية ما كان أشرق من نهاره؛ لا جرم لقد بقيت خيلانٌ كالأثار الدالة على الديار، والحلي السقيط، المخبر عن بين الخليط؛ وإذا تأملتها وقد اشتمل الشعر عليها، وزحف من كل جانب إليها، ذكرت قول أبي الطيب: [من الخفيف]

بِرسُومٍ كأنَّهنَّ نُجومٌ ... في عِراصٍ كأنَّهنَّ لَيالي

قال ابن بسام: وأبو المغيرة في دعابته هذه كما في فصلٍ كتبه أبو عبد الرحمن ابن طاهر إلى ابن عبد العزيز مع غلام وسيم، يقول فيه:

هذا الفتى كما تراه يطلب خدمة، وبه حشمة، ويزعم أنّه يحمل حمله، ويؤتي كلَّ حينٍ أُكله: وقدماً عهدتك تحنُّ إلى هذه العصافير، فإنها حمرُ الحواصل، صفر المناقير»[2].

ولأبي المغيرة من أخرى[3]:

«أعزّك الله، في الاحتماء حسمُ الداء، ولا عدوَّ للإنسان إلا نفسه، ولا حية ولا عقرب إلا جنسه، وليس في الحيوان أخبث في ذاته من الإنسان؛ فالاحتراس كلَّ الاحتراس، والمعاشرة الجميلة للناس، فأبصر /٣٤٥/ وحسن سريرتك، ولا تلدغن من جحر مرَّتين، واذكر المثل السائر في اللاعب بين وتدين؛ والعاقلُ من حمله كلُّ بلدٍ، ونفق عند كلّ أحد، وأعقل منه من عرف الناس، ولم يعرفوه، فاستراح من أجنبي متكلّف، أو قريب غير منصف، ولم يفتقر إلاّ إلى ربّه، ولم يأنس إلا بنور لبّه.

ومن أخرى:

والأرضُ قد نشرت ملاءها، وسحبت رداءها، ولبست جلبابها، وتقلّدت

(١) الذخيرة ١/١/١٣٨-١٣٩.
(٢) إلى هنا من الذخيرة ١/١/١٤٠.
(٣) الذخيرة ١/١/١٥٣-١٥٥.

سخابها، وبرز الورد من كمامه، واهتز الروض لتغريد حمامه؛ والأشجار قد نشرت شعورها، وهزت رؤوسها، والدنيا قد أبدت بشرها، وأماطت عبوسها؛ وكأن بها قد أطلعت من كل ثمرٍ ضروباً، وأبدت من جناها منظراً عجيباً: وإن كُنّا لا نُشارك في تلك إلا بالعيان لا باللّسان، وبالطرف لا بالكفّ، ونناله بالاختلاس لا بالأضراس، والدهر قسمٌ من أقسام اللذة، وصنفٌ من أصناف الشهوة: [من الوافر]

شهدنا إذ رأيناهم فإنّا على اللّذاتِ في الدنيا شُهُودُ

وحالي حالٌ للسقام بها اتصال، وللصحة عنها انفصال، يعين على ذلك ضعف البنية، وفساد الأهوية، والتخليط في الأغذية: وبعض صلاحها بل كُله تعجيلك مطالعتي بحالك؛ لأسكن إليها إلى ما أوثره من ذلك، وشفّع لي بخبر فلان، واشرح [لي] أين بلغ من تكسبُّه، وحيث انتهى من تطببِّه، وكيف ظروفه وخزائنه، ولعوقاته ومعاجنه، وهل ينفذ طبُّه، وينفق بختجه وحبُّه؛ وصف لي ما يقوله على الماء، ويبديه من الأدواء، وأهد إليّ ما يُنمقُه من المقال، على الكبد والطحال، ويرقّشه من الكلام في الفالج والزكام، ومعرفة الحلال والحرام، والفلج عند الجدل والخصام».

/٣٤٦/ «وله من أخرى[1]: خاطب بها أبا محمد بن حزم، قال ابن بسام: أثبتُّ منها بعض الفصول فراراً من التطويل، وافتتحها ببيتي أبي نواس: [من الطويل]

ألا لا أرى مثلَ امترائيَ في رَسْمِ توهمُهُ عيني ويرفضُهُ فَهْمِي

أتتْ صورةُ الأشياءِ بيني وبينَهُ فظنّي كَلاَ ظَنٍّ وعلمِي كَلاَ عِلْمِ

وقفتُ ـ كلأك الله ـ وأنت عينُ التمام، وعلم الأعلام على كتاب عنوانه باسمك أسمال، كأنه طللٌ بالٍ: فكلّما هززته هوّم، أو سألته استعجم: معنًى كصدى الإنسان، ولفظٌ كمنهجات الأكفان؛ وأغراضٌ لا ندبَ فيها بسهم مقرطس، وإظلامٌ لا وضح فيه لصبحٍ متنفس، ورطانةٌ تمجُّها الأسماع، وتجتويها الطباع، فأقمتُ متلبّداً، وعدتُ على نفسي وقريحتي متردداً، فقالتا: أفق أيُّها الإنسان، لست بالنبي سليمان. متى وعدناك أن نفهمك كلام الحكل وسرار النمل؟ ألم نسلك بك في شعاب الكلام فتغلغلت؟ ألم تسر في صحرائه فأوغلت؟ ألم تجرِ في ميدانه فسبقت؟ ألن تنر في ظلمائه فأشرقت؟ هل أحسست بنكول جنان، أو قصور لسان، فيما نظمت كالعقود،

(١) الذخيرة ١/١/١٦١ـ١٦٦.

على ترائب الفتاة الرّود، ونثرت كالنجوم، في صفحة الليل البهيم؟ قلت: بلى. قالتا: فأعرِضْ عن رطانة الزطّ، وصفير البط، ولا تعج على طلل بائد، ودارٍ قد أتى الله بُنيانها من القواعد طاعنتين. فقلت: أسرفتما ، إنّ كاتب الصحيفة لندرة الزمان، ولعالم نوع الإنسان، إلاّ أنه ربما كذب العنوان، ونحل ذلك الهذيان، فأعدت النظر، فإذا بك أبا محمد صاحبه. كتاب بني على الظلم العبقري، والبهتان الجليّ، ومكابرة العيان، ومدافعة البرهان، قد طمس الله أنواره، وأظهر عواره، فجاء كالفلاة العوراء، لا ماء ولا شجر، والليلة الظلماء، لا نجم ولا قمر.

/٣٤٧/ وفي فصل منها:

فاستقصرت من دفع إليَّ كتابك، فقلت: من لي بمثل غاشيتك من هذه العصابة، وبأشباه الملمين بك من تلك البابة، ونسيت أبا محمدٍ حاشيتك وشيعتك، التي صرت رئيس مدارسهم، وكبير أحراسهم؛ تحدّثهم عما كان فيهم من العبر، وتخبرهم بما تعاقب عليهم من الصفا والكدر؛ فتارةً عن السامري والعجل، وتارةً عن القمل والنمل، وطوراً تبكيهم بحديث التِّيه، وطوراً تضحكهم بقوم جالوت وذويه؛ حتى كأن التوراة مُصحفك، وبيت الحزّان معتكفك، وأنا بمعزل، وأنت تُحدثُ؛ وتقول وتعجّبت من حرصي، ونسيت نفسك أبا محمد، حين قطعت البيداء تبلُّك السماء، وترعدك الجرباء، في وقت يكمن فيه الحيوان، وأحقُّها بالكمون نوع الإنسان، لترث حياً قائماً على حاله، مالكاً لما له، يدعو الله عليك، أن استطلت عمره، ونعيت إليه نفسه.

وفي فصل منها:

ومن ظريف ما في كتابك قولك: أقصدها وأناخها، ومن أين نفذ بصرك، حتى همزتها همز عامر بن الطُفيل قرنه في سواد الليل، وما أظنّك جعلتها إلاَّ تميمة لتلك القطعة الكريمة، امتثالاً لقول القائل: [من الكامل]

مـا كـانَ أحـوجَ ذا الـكـمـالِ إلـى ... عَـيْـبٍ يُـوَقِّـيـهِ مِـنْ الـعَـيْـنِ

ومن لك بأن نصبر عليك، ونتأنّى بك، وهذا الجواب كما تراه ابن الوقت، ونتيجة الساعة، ونفثة من لا يخرج له الكلام عن طاعة، ومن تشغله عن التفاسير كلف السلطان، وتثقله أعباءُ الزمان، كاد ينتقش في ظهر كتابك قبل وصوله بيدي: [من الوافر]

فـقُـلْ فـيـمـا يـجـنُ عـلـيـهِ لـيـلٌ ... ويـمـضـي فـي صِـنـاعـتِـهِ نَـهـارُ

/٣٤٨/ هنالكَ تظهرُ الآياتُ حتى ... يُقال تناثَرَ الفلكُ المُدارُ

فراجعه أبو محمد برقعةٍ قال فيها:

سمعت وأطعت لقوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[1] وسلّمت وانقدت لحديثه عليه السلام: «صل من قطعك، واعف عمّن ظلمك» ورضيت بقول الحكماء: «كفاك انتصاراً ممّن تعرّض لأذاك إعراضك عنه» وأقول: [من المتقارب]

تَبَغَّ سِواي امرأً يبتغي ... سِبابكَ، إنَّ هواك السبابُ

فإنِّي أَبيتُ طِلابَ السَّفاهِ ... وصُنْتُ محلِّيَ عمَّا يُعابُ

وقلْ ما بدا لكَ مِنْ بَعْدِ ذا ... وأكثِرْ فإنَّ سُكوتي خِطابُ

وأقول: [من الطويل]

كفانيَ ذِكرُ الناسِ لي ومآثري ... وما لكَ فيهِمْ يا ابنَ عمِّيَ ذاكرُ

عدوِّي وأشياعي كثيرٌ كذاكَ مَنْ ... غدا وهوَ نفَّاعُ المساعي وضَائرُ

وإنِّي وإنْ آذيتَني وعققتَني ... لَمُحتمِلٌ ما جاءني منكَ صابرُ

فوقع أبو المغيرة على ظهر رقعته: قرأت هذه الرقعة العاقّة، فحين استوعبتها، أنشدتني: [من مجزوء الرجز]

نَخْنَخَ زيدٌ وسَعَلْ ... لمَّا رأى وقعَ الأسلْ

فأردتُ قطعها، وترك المراجعة عنها، فقالت لي نفسٌ قد عرفت ذكاءها: تالله لأقطعنها إلاَّ يده! فاثبتُّ على ظهرها ما يكون سبباً لصونها، وقلت: [من المتقارب]

نعقْتَ ولمْ تدرِ كيفَ الجوابُ ... وأخطأتَ حتى أتاكَ الصوابُ

وأجريتَ وحدَكَ في حَلْبَةٍ ... نأتْ عنكَ فيكَ الجيادُ العِرابُ

وبتَّ مِنَ الجهلِ مستنبحاً ... لغيرِ قِرًى فأتتْكَ الذئابُ

/٣٤٩/ فكيف تبينتَ عُقبى الظلوم ... إذا انتفضتْ بالظلوم العُقاب

لَعَمْرُكَ ما لي طباعٌ تُذمُّ ... ولا شيمةٌ يومَ مجدٍ تُعابُ

أُنيلُ المُنى والظُّبا سَخَّطٌ ... وأعطي الرضا والعوالي غضابُ

وأقول: [من الطويل]

وغاصبِ حَقٍّ أوبَقَتْهُ المقادرُ ... يُذكِّرني حاميمَ والرمحُ شاجرُ

غدا يستعيرُ الفخرَ مِنْ خِيم خصمِهِ ... ويجهلُ أنَّ الحقَّ أبلَجُ ظاهرُ

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

أَلَمْ تتعلَمْ يا أخا الظلمِ أنني بِرُغمكَ ناهٍ مُنذ عشرٍ وآمرُ
تُذِلُّ ليْ الأملاكُ حُرَّ نفوسِها واركبُ ظهرَ النَّسرِ والنَّسرُ طائرُ
وأبعثَ في ظهرِ الزمانِ شوارداً تألفهمْ وهيَ الصعابُ النوافرُ
فإن أثوِ في أرضٍ فإنِّيَ سائرٌ وإنْ أنأَ عَنْ قومٍ فإنِّيَ حاضرُ
وحسبُكَ أنَّ الأرضَ عندَكَ خاتَمٌ وأنَّكَ في سطحِ السلامةِ عاثرُ
ولا لومَ عندي في استراحتِكَ التي تنفَّسُ عنها والخطوبُ فواقِرُ
فإنَّيَ للحِلفِ الذي مرَّ حافظٌ وللنزغةِ الأولى لحاميمَ ذاكرُ
هنيئاً لكلٍ ما لديهِ فإنَّها عطيةُ مَنْ تُبْلَى لديهِ السَّرائرُ»[1]

وكذلك من هؤلاء الأسرة الغراء، والدوحة النضراء:

[١٢]

الوزير عمرو بن مذحج[2] أبو الوليد ابن عمه

وهما قمرا السماء، وفرقدا الظلماء، وظبتا الحسام، وتتُمَّتا الأقسام، ومشعر الحجيج، ومنظر الربيع البهيج.

قال ابن بسام: وأبو الحكم منهما في وقتنا شقيق الوفاء، وخاتمةُ من حمل هذا الاسم من النجباء، وكان نادرة الوقت لمن اتخذ الإحسان قبلة، وحجّةُ على من / ٣٥٠/ جعل النقصان جبلّة، إذ عن كلّ قوسٍ من الفخر نزع، وفي كلِّ أفقٍ من علوِّ القدر طلع. أول ما نشأ بدر فلك، ومسحة ملك، قلّما عنّ لبصرٍ إلا راقه، ولا أصلح ذكره في قلب بشرٍ إلا راقه، وإياه يعني الوزير أبو الحسن بن السيد البطليوسي، وقد غلب على لبّه، وأخذ بمجامع قلبه، عجباً منه وإعجاباً به: [من الطويل]

رأى صاحبي عَمْراً فكُلّفَ وصفَهُ وحمَّلني مِن ذاكَ ما ليس في الطوقِ
فقلتُ لهُ عمرٌو كعمرٍو فقالَ لي صدقتَ ولكنْ ذاكَ شبَّ عَنِ الطَّوقِ

وفيه أيضاً يقول الوزير أبو محمد بن عبدون من جملة أبيات: [من الكامل]

يا عمرُو ردَّ على الصدورِ قلوبَنا مِنْ غيرِ تقطيعٍ ولا تحريقِ

---

(١) إلى هنا من الذخيرة ١/١/١٦٦.
(٢) أبو الحكم، عمرو بن مذحج بن حزم الإشبيلي.
ترجمته في: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٢/٢/٥٨٨-٥٩٨، المغرب في حلي المغرب ١/ ٢٣٨، نفح الطيب ٣/ ٤٧١.

وزُرِ الثريا وهيَ بحرُ كواكبٍ لولا العقوقُ لقلتُ بالعَيُّوقِ
وأدرِ علينا مِنْ جلالك أكْؤُساً لم تألُ تُسكِرُنا بغيرِ رحيقِ

وفيه يقول أحدهما: [من مجزوء الخفيف]

قل لعمرو بنِ مَذْحِجِ خابَ ما كنتُ أرتجي
شاربٌ مِنْ زَبَرْجَدٍ ولمَّى مِنْ بنفسجِ

فلما همَّ ليلهُ بنهاره، ودبَّ على سيف وجنته فرندُ عذاره، راع المجد بحزم كرم، وأسرة سيف وقلم، ممّن سارى نجومَ الليل، وأمل صهوات الخيل، وعلى ذلك كلِّه فلم ينس مكارم الأخلاق، ولا خلا ذكرهُ من قلوب العشاق، وله في الأدب سبق سلفٍ، ومنه بيتُ شرف، وله شعرٌ مطبوع قلّما يغبّه البديع، وقد أتيتُ بفصول، تشهد له بالتفضيل.

فمن ذلك ما أجاب به أبا محمد بن عبدون لما كتب إليه أبياتاً يقول فيها: [الطويل]

/ ٣٥١/ سلامٌ كما هَبَّتْ من الحَزْنِ نفحةٌ تَنفَّسَ قبلَ الفجرِ في وجهِها الزهرُ
مِنَ الوارفِ الفينانِ وشَّتْ بُرودَه ذراعٌ مِنَ الليثِ، الثريا لها شِبْرُ
وإلاّ يدٌ حزميةٌ مذحجيةٌ تقشَّعَ عنها مَذْحجٌ فانهمَى عمرُو
فجادَ على تلكَ الأجارِع والرُّبَى رواعدُهُ [وعدٌ] وبارقُهُ بشر
أبا حسن أبلغْ سلامَ فَمِي يَدَيْ أبي حسنٍ وارفُقْ فكلتاهما بحرُ
ولا تنسَ يُمناكَ التي هيَ والندى رضِيعا لبانٍ لا اللُّجَينُ ولا التِّبرُ

فراجعه بأبيات منها: [من الطويل]

أتى النظم كالنظم الذي تزدهي به عروسٌ من الجوزاء إكليلها البدرُ
تجلّت لنا منه بخطّك رقعةٌ هي الروضةُ الغَنَّاءُ كلّلها الزهرُ
تحيَّرَ ذهني في مجاري صِفاتِهِ فلمْ أدرِ شعرٌ ما بِهِ فُهْتُ أو سِحْرُ
فإنْ قلتُ شعرٌ فالقلوبُ شعارُهُ وإنْ قلتُ سحرٌ فهو سحرٌ ولا كفرُ
أرى الدهرَ أعطاكَ التقدُّمَ في العُلا وإنْ كانَ قدْ وافى أخيراً بكَ الدهرُ
لئنْ حازتِ الدنيا لكَ الفضلَ آخراً ففي أُخرياتِ الليلِ ينبلجُ الفجرُ

ومنه قوله في صديق له سقط عن دابةٍ وَوُثِئتْ رجله يسمى باسمه. [من الطوبل]

لقدْ أسرعتْ فيهِ العُيون وإنما جميلُ دفاعِ اللهِ عنكَ التمائمُ
وما أنتَ إلا البدر طارتْ بسرحهِ عُقابٌ لها الريحُ الخَريقُ قوادمُ
ولا غروَ أنْ طافتْ برجلك وَثْبَةٌ لها المجدُ خفَّاقُ الجناحينِ حائمُ
فقدْ تَرْجُفُ الأفلاكُ في دورانِها وتنقضُّ أعلامُ النجومِ العواتمُ

ومنه قوله فيه أيضاً من أبيات: [الطويل]

/٣٥٢/ أضمرتُ فيكَ صَبابتي فَوَشَى بها دمعٌ فَكْلتُ بهِ صحيفة مضمر
من ذا يفرِّقُ بيننا وجلالُنا مُتكافىءٌ في المنتمَى والعُنصرِ

في أبي العلاء زهر بن عبد الملك: [من الطويل]

ضَعِ الرَّحلَ في حمصٍ بأيمنِ طائرٍ ووالِ اصطناعَ الخيرِ فيها وظاهرِ
وهبتُ فؤادي للبشيرِ بأوبةٍ سليماً ولمْ أبخلْ عليهِ بناظري

فيه: [من الكامل]

يا جالياً وجهَ السيادة واضحا ومقلِّباً طَرْفَ النباهَةِ طامِحا
صَيِّرْ مِجَنَّكَ صفحتَي قمرِ الدُّجَى وسِنانَ رايتِكَ السِّماكَ الرامِحا

فيه وقد جاز البحر معه: [من الخفيف]

يا ابنَ زُهرٍ طأ الثُّريَّا عَبيراً وحصى البيدِ لؤلؤاً وعَقيقا
وتلقَّ الهواءَ وهوَ طليقٌ كمُحيّاكَ حينَ تلقى الصَّديقا
ما تَرَى الرِّيحَ كيفَ هَبَّتْ رُخاءً لكَ بعدَ الهبوبِ رِيحاً خَريقا
وصَحَا البحرُ هيبةً لكَ لما جئتَهُ سالكاً عليهِ طَريقا
غمرتُهُ مِنْ يديكَ بحارٌ صاحَ مِنْ وجهها الغريقَ الغَريقا
فَرَّقَ اللُجَّ منكَ حينَ استطارتْ منهُ أحشاؤه فَريقاً فَريقا
جُزْهُ يا ابنَ الكرامِ أرضاً ذلُولاً أو فَقُدْهُ إن شئتَ طِرفاً عَتيقَا
وانتضي الحزمَ حيثُ كنتَ حُساماً واصحَبِ اللُّجَّ حيثُ كنتَ رفيقا
وتفيأْ عُلاكَ ظِلاً ظَليلاً وتنشَّقْ ذِكراكَ مِسكاً فَتِيقا

إلى أبي الوليد ابن عمه: [من البسيط]

/٣٥٣/ لا غرو أنْ بعُدتْ دارٌ مُصاقِبَةٌ بنا وجَدَّ بنا في الحَضْرةِ السفرُ

فمِحجَرُ العينِ لا يلقاهُ ناظرُها وقد توسَّعَ في الدنيا بهِ النظرُ

ومن أبناء هذه القبيلة، وشعراء هذه البيئة الأصيلة، ابن عمه:

[١٣]

أبو الوليد [محمد] بن يحيى بن حزم[(١)]، ابنا حزم

أحد أعيان الأدب، وأحلى الناس شعراً، لا سيما إذا عاتب، أو عتب، جعل هذا الغرض هِجِّيْرَاه، فقلّما يتجاوزه إلى سواه، وكلما أبدى فيه وأعاد، أحسن ما شاء وأجاد، وفي كلّ معنى أكثر مما يمكن، ولكن رأيته في باب العتاب يعلن بأمره، ويُعرب عن ذات صدره. [من الطويل]

أتجزعُ مِنْ دمعي وأنتَ أَسلتَهُ ومِنْ نارِ أحشائي ومنكَ لهيبُها

وتزعمُ أنَّ النفسَ غيرَكَ عُلِّقتْ وأنتَ ولا مَنٌ عليكَ حبيبُها

إذا طلعتْ شمسٌ عليَّ ببلدَةٍ أثارَ الهوى بينَ الضلوعِ غُرُوبُها

وقال أبو الوليد: [من الطويل]

وطارحَكَ الواشونَ عنِّيَ سلوةً مُغالطةً هيهاتَ ذاكَ بعيدُ

وكيفَ سُلُوِّي عَنْ هَوَاك وإنَّهُ ليبلِي فُؤادي وهوَ فيهِ جديدُ

إذا ما ثناهُ اليأسُ عنكَ لوتْ بهِ علائقُ حبٍّ فيكَ ليسَ تبيدُ

بلى إنْ عَرَتْنِيْ فترةُ الصبرِ هزَّني تذكُّرُ أيامي بكُمْ فأعُود

[وقال وهي من حسنات شعره، وآيات ذكره]: [من المتقارب]

وكمْ ليلةٍ أَلطَفَتْ بالمُنى فقُمتُ أبادرُ الطافَها

بشمسٍ إذا ما تأملتَهَا رددتَ على الشمسِ أوصافَها

/٣٥٤/ بفترةِ لحظٍ كأنَّ الكَرى أعانَ عليها وإنْ خافَها

وإنِّي وإنْ عفتُها مُعلناً لأعذلُ في السرْ مَنْ عافَها

وهبَّتْ علينا صَباً رطبةٌ وقدْ عابَثَ الطلُّ أعطافَها

وقدْ بثَّها الروضُ هجرَ الحَيَا فَجرَّتْ على النَّورِ أطرافَها

وخيلُ الظلامِ أمامَ الصباحِ والرَّكْضُ قدْ ضَمَّ أجوافَها

---

(١) أبو الوليد. محمد بن يحيى بن حزم الإشبيلي.
ترجمته في: الذخيرة ٢/٢/٥٩٨ـ٦١٥، المغرب ١/٢٣٩، نفح الطيب ١/٦٣٦، ٣/ ٤٧٠.

وقـدْ فـضَّـضَ الـفـجـرُ أذيـالَـهـا ... وزادَ فـذهَـبَ أعـرافَـهـا
وكـابـرتِ الـبـدرَ شـمـسُ الـضُّحَـى ... فـمـدَّتْ عـلـى الأرضِ أكـنـافَـهـا
وغـاضـبـتِ الـسُّـحْـبُ فـيـهـا الـريـاحَ ... فـصـرَّتْ مِـنَ الـغـيـظِ أخـلافَـهـا
وذكَّـرنـي بـادراتِ الـحِـمـامِ ... حَـمَـائـمُ تـنـدُبُ أُلاَّفَـهـا

وقوله: [من الكامل]

كـمْ قـلـتُ فـيـكَ مـعـرِّضـاً ومُـصـرِّحـاً ... أكـذا عـلـقْـتَ ضَـلالـةً بـفُـلانِ
ومُـنـيـتَ مِـنْ خُـلـطـائِـهِ بـعـصـابـةٍ ... خَـلَـطَـتْ بـهِ شـبُـهَـاً مـن الـبـهـتـان
هـيـهـاتَ لـولا غُـنـجُ لـحـظِ مـحـمـدٍ ... مـا كـنـتُ نُـهـزةَ أعـيـنِ الـغِـزلانِ
ولـقـدْ بـعـثـتُ عـلـى الـسُّـلُـوِّ لـوَ انَّ لـي ... قـلـبـاً يـطـاوعُـنـي عـلـى الـسُّـلـوان
لَـجـعـلـتُ ثـوبَ الـصـبـرِ فـيـهِ بـصـيـرةً ... وثـنـيـتُ عَـنْ عـلـمٍ إلـيـهِ عِـنـانـي
ونـبـذتُ حِـلْـمـي والـتـفـتُّ إلـى الـصِّـبـا ... ويـدُ الـعَـفـافِ تـضـمُّ مِـنْ أردانـي
لـلـهِ أيـامٌ عـلـى وادي الـقُـرى ... سَـلَـفَـتْ لـنـا والـدهـرُ ذو ألـوانِ
إذْ نـجـتـنـي فـي ظـلِّـهِ ثَـمَـرَ الـمُـنـى ... والـطـيـرُ سـاجـعـةٌ عـلـى الأغـصـان
والـشـمـسُ تـرمُـقُ مِـنْ مـحـاجـرِ أرمـدٍ ... والـظـلُّ يـركـضُ فـي الـنـسـيـم الـوانـي
/٣٥٥/ والـراحُ تـأخـذُ مِـنْ مَـعـاطـفِ أَغـيـدٍ ... أخـذَ الـصـبّـا مـن عِـطْـفِ غُـصـن الـبـانِ
حـتـى إذا ضـربَ الـظـلامُ رُواقَـهُ ... وخَـشِـيـتُ فـيـهِ طَـوارقَ الـحَـدَثـان
مِـلْـنـا نُـؤمِّـلُ غـيـرَ ذلـكَ مـنـزلاً ... والـراحُ تُـقـصِـرُ خـطـوَنـا فـتُـدانـي
ويـرومُ قـولَ أبـي الـولـيـدِ ورُبّـمـا ... [كُـتـبـتْ] مـكـانـةَ لامـهِ الـوَاوَانِ
ثـمَّ احـتـلـلْـنـا والـوُشـاةُ بـمـعـزِلٍ ... وقـدِ الـتـقـتْ فـي جَـفْـنِـهِ سِـنَـتـان
والـبـدرُ يـرمـيـنـي بـمُـقـلـةِ حـاسـدٍ ... لـو يـسـتـطـيـعُ لـكـانَ حـيـثُ يَـرانـي
حـتـى إذا نـشـرَ الـسـرورُ بـسـاطَـهُ ... وطـوى بـسـاطَ شـكـيَّـتـي لأوانِ
أهـوى يـقـبِّـلُ راحـتـيَّ تـودُّداً ... ويـشـدُّ عَـقْـدَ بَـنـانِـهِ بـبـنـانِـي
ويـقـولُ إشـفـاقـاً عـلـيَّ ورحـمـةً ... مـتـلـجـجَ الألـفـاظِ بـعـدَ بـيـانِ
هـاكَ اغـتـنْـمـهـا مِـنْ زمـانِـكَ خُـلْـسـةً ... تَـشـفِـي غـلـيـلَ فـؤادِكَ الـهَـيـمـانِ

فـلـثـمـتُ فـاهُ والـتـزمـتُ عـنـاقَـهُ ويـدُ الـوصـالِ عـلـى قـفـا الـهِـجـرانِ
ومَـرَقْـتُ مِـنْ ضِـمـنِ الأعـادي عِـفَّـةً والـلـيـلُ مـشـتـمـلٌ عـلـى الـكِـتـمـانِ

وقوله: [من الطويل]

وفي ساعـدي حُلوُ الشمـائلِ مُـترَفٌ لَـعُـوبٌ بـيـأْسـي تـارةً ورَجـائـي
أطـارحُـهُ حُـلـوَ الـعـتـابِ وربّـمـا تـغـاضـبَ فـاسـتـرضـيـتُـهُ بـبـكـائـي
وفي لـحظـة مِنْ سَوْرَةِ الـكـأس فـترةٌ تَـمُـتُ إلـى ألـحـاظِـهِ بـولاءِ
وقـدْ عـابـثـتْـهُ الـراحُ حـتـى رَمَـتْ بِـهِ لـقًّـى بـيـن ثِـنْـيَـيْ بُـرْدَتـي ورِدائـي
على حاجةٍ في النفسِ لوْ شئتُ نلتُها ولـكـنْ حـمـتْـنـي عِـفّـتـي وحَـيـائـي

قال ابن بسام: قوله: «وفي لحظة من سورة الكأس»...البيت، مما فتن أبو الوليد /٣٥٦/ فتنة السامري، بل سحر سحراً لا تتعاطاه الحبال ولا العصي.

وقوله: [من الطويل]

ومِـنْ عَـجَـبٍ أنَـي إذا رُمـتُ سَـلـوةً وجـدتُ هـواهُ آخـذاً بـعِـنـانـي
أبـا قـاسـمٍ خـذْهـا شـكـايـةَ واجـدٍ كـمـا وجَـدَ الـمـقـصـوصُ لـلـطـيـرانِ

وقوله: [الطويل]

وكـمْ أمّـلـوا لا بُـلِّـغـوا فـيـكَ خـطـةً وحـاشـاكَ مـنـهـا والـحـديـثُ يـطـولُ
فـصـكَّـتْ لـسـانـي يـعـلـمُ اللهُ سـكـتـةٌ لـهـا فـي جَـنـانـي زَفـرةٌ وعـويـلُ
وسـدَّ طـريـقَ الـلـحـظِ دمـعٌ كـأنـمـا تَـشَـحَّـطَ مِـنْ جَـفْـنَـيَّ فـيـهِ قـتـيـلُ

وقوله: [من البسيط]

وبـاحـثٍ عـنْ غَـرامـي فـيـكَ قَـلـتُ لـه عَـنِّـي إلـيـكَ فـلا عـيـنٌ ولا أثـرُ
ويـلـيَ عـلـيـك وويـلـي مِـنْ تـبـذُّلِـهِ وطـالـمـا صُـنـتُـهُ لـو سـاعـدَ الـقَـدَرُ

وقوله: [من الكامل]

ولـقـدْ قـنـعـتُ فـلا قـنـعـتُ بـزورَةٍ ولـقـدْ نـجـوتُ فـلا نـجـوتُ مُـسـلـمـا
فَـأَبـحـتُ سـرْحَ الـلَّـهـوِ مُـرتـادَ الـهـوى ومـنـعـتُ طـيـرَ الـوجـدِ أنْ يـتـرنَّـمـا[1]

---

(١) بعده بياض بمقدار ٥ أسطر.

/٣٥٧/ فصل

وقد ذهب جماعة من العلماء إلى عدم الاعتداد بأهل الظاهر في الإجماع والاختلاف، وهو قول ذهب إليه أبو إسحاق الإسفراييني، وأبو بكر الرازي، وابن أبي هريرة، والجويني وغيرهم.

وقال أبو عمرو بن الصلاح في فتاويه: الاعتداد بداود في الإجماع وفاقاً وخلافاً مما وقع فيه الاختلاف منا ومن غيرنا، فذكر الأستاذ أبو إسحاق أن أهل الحق اختلفوا فذهب الجمهور منهم إلى أن نفاة القياس لا يبلغون منزلة الاجتهاد، ولا يجوز توليتهم القضاء، وكذلك نقل نحوه عن ابن أبي هريرة.

وقال الجويني: ما ذهب إليه ذوو التحقيق أنَّا لا نعد منكري القياس من علماء الأمة وحملة الشريعة، فإنهم أولاً مُباهتون على عنادهم فيما ثبت استفاضةً وتواتراً، وأيضاً فإن معظم الشريعة صادرة عن الاجتهاد والنصوص لا تفي بالعشر من أعشار الشريعة، فهؤلاء ملتحقون بالعوام. وكيف يدعون مجتهدين، ولا اجتهاد عندهم.

وقال أبو بكر الرازي: لو تكلم داود في مسألة حادثة في عصره، وخالف فيها بعض أهل زمانه لم يكن خلافاً عليهم، ثم قال: ولأجل ذلك لا يعد خلافه أحد من الفقهاء، ولم يذكروه في كتبهم؛ فقد انعقد الإجماع على اطراحه وترك الاعتداد به، والجمهور من العلماء على الاعتداد بقول أهل الظاهر في الإجماع والاختلاف.

وقال أبو العباس ابن تيمية: جمهور الفقهاء يذكرون داود وأصحابه في جملة الفقهاء الذين يعتد بهم في الإجماع والنزاع كما ذكرهم أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء، وهذا هو المعروف عند أصناف أهل العلم والمصنفين فيه من أهل الأصول والفقه والحديث من أصحاب أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد.

وقال القاضي عبد الوهاب المالكي /٣٥٨/ وحكي عن قومٍ أنهم قالوا: لا يعتد في الإجماع بخبر الواحد والقياس، وهذا ليس بصحيح.

وقال أبو العباس القرطبي وحكي عن قومٍ إنه لا يعتد بخلاف من أنكر القياس فذكر كلام القاضي عبد الوهاب، والله أعلم.

* * *

وبهذا الفصل تم ذكر الفقهاء من المذاهب الأربعة،
وأهل القول بالظاهر بالجانبين الشرقي والغربي إلى آخر حين.
وبه تمَّ هذا السفر من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.
ويتلوه إن شاء الله تعالى في السفر السابع.
وأما من حفظ ألسنة العرب، وسعى في تحصيل لغاتها واضطرب.
وبالله التوفيق ومنه نستمد الإعانة على التحقيق.
والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد
وآله وصحبه الطيبين الطاهرين.
حسبنا الله ونعم الوكيل[(١)] .

(١) وجاء في آخر مخطوطة أحمد الثالث رقم ٦/٢٧٩٧ ما نصّه:
«الحمد لله كثيراً، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، ورضي الله عن أزواجه أمهات المؤمنين الطيبين الطاهرين، وعن التابعين وتابع التابعين، وعنا وعن والدينا والمسلمين.
والحمد لله رب العالمين، حسبنا الله ونعم الوكيل.
وافق الفراغ من نسخه في الليلة المباركة الخامسة من شهر ذي قعدة الحرام في الثلث الأخير من الليل، سنة ثلاثة وتسعين وسبعمائة، أحسن الله عاقبتها.
على يد أقل عبيد الله وأحوجهم إلى معونته، علي بن...... محمد السيد بلداً، الشافعي مذهباً، غفر الله له ولوالديه، ولمن يدعُ له بالمغفرة.

وإن تجد عيباً فسدّ الخللا ... فجلَّ من لا عيب فيه وعلا
والحمد لله على ما أولى ... فنعم ما أولى ونعم المولى
سيبلى الكفّ مني في التراب ... ويبقى الخط بعدي في الكتابِ
فيا ليت الذي يقرأ كتابي ... يدع لي بالخلاص من الحسابِ»

مصادر ومراجع التحقيق

- **الأئمة الاثنا عشر**: شمس الدين محمد بن طولون (ت ٩٥٣هـ) تحقيق د. صلاح الدين المنجد ـ طبعة ١٩٥٨م.
- **أخبار العلماء بأخبار الحكماء**: الوزير جمال الدين، أبو الحسن، علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ) طبعة القاهرة.
- **أخبار العبّاس وولده**: مؤلّف مجهول ـ تحقيق د. عبد العزيز الدوري ود. عبد الجبار المطلبي ـ طبعة بيروت.
- **أخبار القُضاة**: القاضي وكيع محمد بن حيّان (ت ٣٠٦هـ) طبعة عالم الكتب، بيروت.
- **أخبار مصر**: لمحمد بن علي بن ميسر ج٢/ ط القاهرة ١٩١٩.
- **أخبار مصر**: للمسبحي، محمد بن عبيد الله، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط القاهرة ١٩٧٨.
- **أخبار النحويين البصْريين**: أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (ت ٣٦٨هـ) تحقيق د. فريتش كرنكو ـ المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٣٦.
- **أُسْد الغابة في معرفة الصحابة**: علي بن أبي الكرم محمد المعروف بابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ) ـ طبعة طهران.
- **الأسماء والصفات**: البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ).
- **الإصابة في تمييز الصحابة**: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ـ طبعة مصر ١٩٣٩.
- **أعيان العصر وأعوان النصر**: لصلاح الدين، خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) تحقيق: علي أبو زيد وآخرين، ط مركز جمعة الماجد، ودار الفكر ـ دمشق ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- **أوراق من ديوان أبي بكر محمد بن داود الأصفهاني**: دراسة وتحقيق: د. نوري حمودي القيسي، ط بغداد ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**: لإسماعيل باشا ابن محمد أمين الباباني البغدادي. ط استانبول ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م وما بعدها.

- **الأغاني**: أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ) طبعة مؤسسة جمّال ببيروت، المصوَّرة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٣.
- **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**: الأمير هبة الله بن ماكولا (ت٤٥٧هـ) ـ نشره المعلمي اليماني ـ حيدر آباد ـ الدكن ١٩٦٢م.
- **الأمالي**: أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت ٣٥٦هـ) ـ تقديم: محمد عبد الجواد الأصمعي ـ طبعة دار الكتاب العربي ببيروت المصوَّرة عن طبعة دار الكتب المصرية.
- **أمالي المرتضَى، (غُرر الفوائد ودُور القلائد)**: الشريف المرتَضَى علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت ٤٣٦هـ) ـ تحقيق: محمد أبو الفْضل إبراهيم ـ طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٦٧.
- **أمراء دمشق في الإسلام**: خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ـ تحقيق: د. صلاح الدين المنجد ـ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٥٥م.
- **إنباه الرُواة على أنباه النُحاة**: الوزير جمال الدين، أبو الحسن، علي بن يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ) ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥م.
- **الانتقاء في فضل الثلاثة الفقهاء**: مالك والشافعي وأبي حنيفة: ـ يوسف ابن عبد البر القرطبي (ت٣٦٤هـ) ـ ط القاهرة ١٩٥٠م.
- **الأنساب**: الإمام أبو سعد، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢هـ) ـ تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، ط مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **أنساب الأشراف**: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذُري (ت٢٧٩هـ) ـ (الجزء الثالث) ـ تحقيق عبد العزيز الدوري ـ منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت١٩٧٨. (الجزء الخامس): نشره غويتن ـ طبعة القدس ١٩٣٦.
- **الأنساب المتّفقة**: أبو الفضل، محمد بن طاهر المعروف بابن القيسراني (ت٥٠٧هـ) ـ تحقيق دي غويه ـ طبعة المثّنى ببغداد.
- **الأوزاعي وتعاليمه الإنسانية والقانونية**: د. صبحي المحصاني ـ بيروت ١٩٧٨.
- **البداية والنهاية في التاريخ**: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ـ طبعة بيروت، الرياض ١٩٦٦م.

- **بغية الطلب**: في تاريخ حلب: لابن العديم، الصاحب كمال الدين، عمر بن أحمد بن أبي جرادة، تحقيق: د. سهيل زكار ـ ط دار الفكر ـ بيروت [دت] .
- **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضّبّي (ت٥٩٨هـ) ـ ط دار الكاتب العربي ـ القاهرة ١٩٦٧م.
- **بغية الوُعاة في طبقات اللُّغويين والنُّحاة**: جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت٩١١هـ) ـ مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٦م.
- **البيان المُغْرِب في أخبار الأندلس والمغرب**: ابن عذارى المراكشي ـ نشره ج . س. كولان، وليفي بروفنسال ـ طبعة دار الثقافة، بيروت.
- **البيان والتبيين**: أبو عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ: طبعة دار الفكر للجميع، بيروت ١٩٦٨.
- **تاج التراجم**: لقاسم بن قطلوبغا الحنفي. ط ليبسيك ١٨٦٢.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**: السيد محمد مرتضى الحسيني الزّبيدي، ط وزارة الإعلام، الكويت.
- **التاج المكلَّل من جوهر مآثر الطراز الآخر والأول**: أبو الطيّب، صدّيق بن حسن القنوجي ـ طبعة بمباي ١٩٦٣م.
- **التاريخ**: يحيى بن مَعين، أبو زكريا، يحيى بن مَعين بن عون بن زياد المرّي الغَطَفَاني (ت ٢٣٣هـ) ـ تحقيق د. أحمد محمد نور سيف ـ منشورات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ـ مكة المكرمة ١٩٧٩.
- **تاريخ أبي زُرْعَة**: أبو زُرْعَة عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي ـ رواية أبي الميمون بن راشد ـ تحقيق شكر الله بن نعمة الله القوجاني ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٠م.
- **٢ـ تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)**: د. إحسان عباس.
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ) ـ نشره حسام الدين القاسي ـ القاهرة، ثم تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط دار الكتاب العربي ـ بيروت ط٣/ ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- **تاريخ بغداد**: الحافظ أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) ـ طبعة محمد أمين الخانجي ـ مطبعة السعادة بمصر ١٩٣١م.
- **تاريخ بيروت والأمراء البُحْتُريّين**: صالح بن يحيى (توفي في القرن التاسع الهجري) ـ تحقيق فرنسس هورس وكمال الصليبي ـ طبعة المشرق، الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٧.

- **تاريخ التراث العربي**: فؤاد سزكين، الترجمة العربية، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ١٩٨٣م.
- **تاريخ جُرْجان**: أبو القاسم، حمزة بن يوسف السهمي ـ طبعة حيدر آباد ـ الدكن ١٩٥٠م.
- **تاريخ الحكماء (مختصر الزَّوْزَني المسمَّى بالمنتخبات الملتَقَطات من أخبار الحكماء)**: جمال الدين، أبو الحسن، علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ) ـ نشره ليبرت ـ لَيْبزغ ١٩٠٣م.
- **تاريخ الخلفاء**: جلال الدين، عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت٩١١هـ) ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ طبعة السعادة بمصر ١٩٥٢.
- **تاريخ خليفة بن خياط**: خليفة بن خيّاط، أبو عمر شباب العصفري (ت٢٤٠هـ) ـ تحقيق د. أكرم ضياء العمري ـ طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٧.
- **تاريخ الرسل والملوك**: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبعة دار المعارف بمصر.
- **التاريخ الصغير**: الإمام أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) ـ طبعة الهند ١٣٢٥هـ.
- **تاريخ علماء الأندلس**: أبو الوليد، عبد الله بن محمد بن يونس الأزدي المعروف بابن الفَرَضي (ت٤٠٣هـ) ـ طبعة القاهرة ١٩٦٦.
- **التاريخ الكبير**: الإمام أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ) صحّحه: عبد الرحمن بن يحيى اليماني، ط حيدر آباد ـ الدكن ١٣٦٢هـ.
- **تاريخ مدينة دمشق**: الحافظ أبو الحسن علي بن حسن المعروف بابن عساكرالدمشقي (ت٥٧١هـ) ـ نسخة خطّية بدار الكتب الظاهرية، دمشق رقم ٣٣٨٧، ونسخة خطيّة بدار الكتب المصرية، رقم ١٠٤١ تاريخ ـ تيمور، ونسخة مصوّرة تراجم من اسمه «عبد الله» ـ نشرها مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٨م، وط دار الفكر ـ بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- **تاريخ الموصل** : أبو زكريا، يزيد بن محمد الأزدي (ت٣٣٤هـ) ـ تحقيق د. علي حبيبة ـ القاهرة ١٩٦٧.
- **تاريخ واسط**: أسلم بن سهل الرزّاز الواسطي المعروف ببحشل (ت ٢٨٠هـ)، تحقيق د. كوركيس عواد ـ مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٧م.

- **تاريخ ابن الوردي**: لعمر بن المظفر بن الوردي، ط مصر ١٢٨٥هـ، ثم بيروت١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م.
- **تاريخ اليعقوبي**: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح اليعقوبي (ت٢٨٤هـ) ـ منشورات دار صادر بيروت.
- **تبيين كذب المفتري**: لابن عساكر، ط دمشق ١٣٤٧هـ.
- **تذكرة الحُفّاظ**: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ) ـ طبعة حيدر آباد ١٩٥٥ـ ١٩٥٧م.
- **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**: لابن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر (ت٧٧٩هـ) تحقيق: د. محمد محمد أمين، ط الهيئة المصرية ـ القاهرة ١٩٨٢م.
- **تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل**: عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) ـ تحقيق عبد الرحمن بن يحيى اليماني ـ طبعة حيدر أباد ١٩٥٢.
- **تقريب التهذيب**: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاّني (ت٨٥٢هـ) نشره عبد الوهاب بن عبد اللطيف ـ بيروت ١٩٧٥.
- **التكملة لوفيات النقلة**: إملاء الحافظ زكي الدين، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري.
- **تهذيب الأسماء واللغات**: أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ) ـ طبعة بيروت.
- **تهذيب التاريخ الكبير (تاريخ دمشق)**: الحافظ أبو الحسن علي بن حسن المعروف بابن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ) ـ هذّبه عبد القادر بدران ـ طبعة دار المسيرة، بيروت ١٩٧٩.
- **تهذيب التهذيب**: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ـ طبعة حيدر آباد ـ الدكن ١٣٢٥ وما بعدها.
- **الثقات**: محمد بن حبّان البُسْتي (ت٣٥٤هـ)، ط حيدر آباد ـ الدكن.
- **الجامع الصغير**: جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت٩١١هـ).
- **جذوة المقتبس في ذكر وُلاة الأندلس**: أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتّوح بن عبد الله الأزدي الحُمَيْدي (ت ٤٨٨هـ) ـ طبعة مصر١٩٦٦.
- **الجرح والتعديل**: عبد الرحمن بن أبي حاتم بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي (ت٣٢٧هـ) ـ طبعة حيدر آباد الدكن ١٩٥٣م.

- **الجمع بين رجال الصحيحين**: أبو الفضل محمد بن طاهر القيسراني (ت٥٠٧هـ.) ـ طبعة حيدر آباد ـ الدكن ١٣٢٣هـ.
- **جمهرة أنساب العرب**: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ) ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٧.
- **الجواهر المُضيَّة في طبقات الحنفية**: محمد بن أبي الوفاء القرشي الحنفي (ت ٧٧٥هـ) ـ طبعة حيدر آباد ـ الدكن ١٣٣٢هـ.
- **حُسْن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**: جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت٩١١هـ.) ـ طبعة القاهرة ١٢٩٩هـ.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: الحافظ أبو نُعَيْم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ـ طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧م.
- **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب**: عبد القادر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ طبعة القاهرة ١٩٦٦.
- **خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: صفيّ الدين الخزرجي الأنصاري ـ طبعة مصر ١٣٢٢م.
- **الدارس في تاريخ المدارس**: لعبد القادر النعيمي الدمشقي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٦٧ ـ ١٣٧٠هـ.
- **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**: لابن حجر العسقلاني، ط حيدر آباد ـ الدكن ١٩٤٥ـ ١٩٥٠م.
- **درة الحجال في أسماء الرجال**: لأحمد بن محمد، ابن القاضي، ط الرباط.
- **دُول الإسلام**: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ـ تحقيق: فهيم شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم ـ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٤م.
- **ديوان أبو الأسود الدؤلي (ت٢٧٥هـ)**: صنعة أبي سعد الحسن السكري، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م
- **ديوان رؤبة بن العجّاج**: رؤبة بن العجّاج (ت٤٤٥هـ) ـ نشره وليم ابن اللورد البروسي، سنة١٩٠٣.
- **ديوان الإمام الشافعي (محمد إدريس ت ٢٠٤هـ)**: جمع وشرح: محمد عبد الرحيم، ط دار الفكر ـ بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م

- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (المالكي)**: لابن فرحون، ط مصر ١٣٢٩، ١٣٥١هـ.
- **ديوان شعر ذي الرمة (غيلان بن عقبة العدوي)**: مراجعة وتقديم: زهير فتح الله، ط دار صادر- بيروت ٢٠٠٤.
- **ديوان الصرصري**: دراسة وتحقيق: فراس عبد الرحمن أحمد النجار، رسالة ماجستير ـ العراق، ط رونيو ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- **ديوان المعاني**: أبو هلال العسكري ـ طبعة مكتبة القدسي، القاهرة١٣٥٢هـ.
- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**: لعلي بن بسّام الشنتريني الأندلسي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، ط دار الثقافة ـ بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- **ذِكْر أخبار أصبهان**: الحافظ أبو نُعَيْم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) ـ نشره سنن درزنج ـ طبعة ليدن ١٩٣١م.
- **ذيل تاريخ بغداد**: لابن النجار، أبي عبد الله، محمد بن محمود بن الحسن البغدادي (ت٦٤٣هـ)، ط حيدر آباد ـ الدكن.
- **الذيل على العبر**: لأبي المحاسن، محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني (ت٧٦٥هـ) تحقيق: أبو هاجر، محمد السعيد بن البسيوني زغلول، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٥هـ.
- **رجال السند والهند إلى القرن السابع**: القاضي أبو المعالي أطهر المباركبوري ـ طبعة دار الأنصار بالقاهرة ١٣٩٨هـ.
- **رجال الطوسي**: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) ـ نشره محمد صادق آل بحر العلوم ـ المطبعة الحيدرية بالنجف ١٩٦١م.
- **الرد على المتعصب العنيد**: لابن الجوزي، أبي الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت ٤٩٧هـ) تحقيق: محمد كاظم المحمودي، ط بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م
- **رسالة محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعي**: أحمد بن محمد بن أحمد الموصلي المعروف بابن زيد (ت٨٧٠هـ) ـ نشره شكيب أرسلان، القاهرة ١٩٣٣.
- **رفع الإصْر عن قَضاء مصر**: شمس الدين، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ) تحقيق حامد عبد الحميد ـ نشرته وزارة الثقافة والإرشاد بمصر، ١٩٦١.

- **روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات**: ميرزا محمد باقر الموسوي الخُوانساري ـ طبعة إيران ١٣٦٧هـ.
- **زهر الآداب وثمر الألباب**: للحُصَري، تحقيق: علي محمد البجاوي ـ طبعة مصر ١٩٥٣م.
- **السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد**: الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) ـ تحقيق ودراسة محمد بن مطر الزهراني ـ طبعة دار طيبة، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- **سِيَر أعلام النبلاء**: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ) ـ تحقيق جماعة بإشراف شعيب الأرناؤوط ـ طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١.
- **شَذَرات الذَهَب في أخبار مَن ذهب**: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ) ـ منشورات دار الآفاق الجديدة ببيروت، المصوَّرة عن الطبعة المصرية ١٣٥١هـ.
- **شرح مقامات الحريري**: للشريشي، أحمد بن عبد المؤمن (ت٦٣٠هـ) ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ مطبعة المدني بمصر ١٩٧٣.
- **شعر ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)**: جمع وتحقيق عبد العزيز إبراهيم، مجلة المورد البغدادية ع٢ و٤/ مج ٢٦ لسنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- **شعر الفقيه الشاعر عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (ت٩٨هـ)**: جمع وتوثيق ودراسة: د. إبراهيم صبري محمود راشد، ط دار الصحابة ـ طنطا ـ مصر ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- **الشعر والشعراء**: أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، طبعة دار الثقافة ببيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- **صفة الصفوة**: جمال الدين أبو الفرج المعروف بابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ـ تحقيق: محمود فاخوري ـ خرّج أحاديثه محمد روّاس قلعه جي ـ طبعة حلب ١٣٩٣هـ.
- **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم**: لابن بشكوال، خلف بن عبد الملك، ط الدار المصرية ١٩٦٦م.
- **الضعفاء الصغير**: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ) (ملحق بالتاريخ الصغير) ـ تحقيق محمود إبراهيم زايد ـ طبعة حلب ١٣٩٦هـ.
- **الضعفاء والمتروكين**: الحافظ أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي: (ملحق بالضعفاء الصغير للبخاري) ـ تحقيق محمود إبراهيم زايد ـ طبعة حلب ١٣٩٦هـ.

- **طبقات الشعراء المحدثين**: ابن المعتزّ: ـ تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج ـ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٥٦.
- **طبقات الفقهاء**: أبو إسحاق الشيرازي الشافعي (ت٤٧٦هـ) ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ طبعة بيروت ١٩٧٠.
- **طبقات الفقهاء (الحنفية)**: لطاش كبري زاده، ط الموصل ١٨٥٤.
- **طبقات القراء = غاية النهاية.**
- **الطبقات الكبرى** : محمد بن سعد المعروف بكاتب الواقدي (ت٢٣٠هـ) ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ طبعة دار صادر، بيروت ١٩٥٧، ١٩٥٨م.
- **الطبقات الكبرى، المُسَمّاة (لواقح الأنوار في طبقات الأخبار)**: أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشافعي المصري المعروف بالشعراني، طبعة البابي الحلبي، مصر ١٩٥٤.
- **طبقات المدلّسين** : أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).
- **طبقات المعتزلة**: أحمد بن يحيى بن المرتضَى ـ تحقيق سوسنة ديقلد ـ فلزر ـ طبعة بيروت ١٩٦١.
- **طبقات المفسّرين**: محمد بن علي بن أحمد الداودي (ت٩٤٥هـ) ـ تحقيق علي محمد عمر، طبعة القاهرة ١٩٧٢.
- **طبقات المفسرين**: للسيوطي، ط ليدن ١٨٣٩م.
- **طبقات النُّحَاة واللُّغويّين**: أبو بكر محمد بن الحسن الزَّبيدي (ت٣٧٩هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٣.
- **عبد الرحمن الأوزاعي شيخ الإسلام**: طه الولي ـ طبعة دار صادر، بيروت ١٩٦٨.
- **العِبَر في خبر مَن غَبَر**: شمس الدين، محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ) ـ تحقيق د. صلاح الدين المنجد وفؤاد السيّد، طبعة الكويت ١٩٦٠ـ ١٩٦٦.
- **العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك**: لأبي الحسن علي بن الحسن الخزرجي الأنصاري.
- **العِقْد الفريد**: أبو عمر، أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي (ت٣٢٨هـ) ـ تحقيق الأساتذة: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري ـ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ مصر ١٩٥٢م.
- **العِقْد الثمين في تاريخ البلد الأمين**: تَقيّ الدين محمد بن أحمد بن علي القاسي

المكي المالكي (ت٨٣٢هـ) ـ تحقيق فؤاد سيد ومحمد طاهر الطناحي ـ القاهرة ١٩٥٩ـ ١٩٦٩م.

- **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب**: أحمد بن علي الداودي الحسني ـ تحقيق: د. نزار رضا ـ طبعة دار مكتبة الحياة. بيروت.
- **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسيرَ**: أبو الفتح، محمد بن أبي عمرو محمد المعروف بابن سيّد الناس (ت٧٣٤هـ) ـ طبعة مكتبة القدسي، القاهرة١٣٥٦٥هـ.
- **عيون الأخبار**: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوَرَي (ت٢٧٦هـ)، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٥.
- **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**: موفّق الدين، أبو العباس، أحمد بن القاسم بن أبي أُصَيبْعة السعدي الخزرجي (ت٦٦٨هـ) ـ طبعة دار الثقافة بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، وط دار الحياة ـ بيروت.
- **غاية النهاية في طبقات القراء**: محمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ) ـ تحقيق أتو بدتزل وبرجستراسر ـ القاهرة ١٩٣٣ـ ١٩٣٧م.
- **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**: محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت٧٠٩هـ) ـ طبعة دار صادر، بيروت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.
- **الفهرستْ**: محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم (ت٣٨٠هـ)، طبعة مصوَّرة عن طبعة أوربة بتحقيق فلوجل ـ مكتبة خيّاط، بيروت ١٩٦٤م.
- **فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنَّفة في ضروب العلم وأنواع المعارف**: أبو بكر، محمد بن خير بن عمر بن خليفة الإشبيلي (ت٥٧٥هـ) نشره فرنستسكه قداره زيدين وخليان رباره طرغوه ـ طبعة سرقُسْطَه ١٨٩٣ (مصوَّرة دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٩).
- **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**: لمحمد بن عبد الحي اللكنوي، ط مصر ١٣٢٤هـ.
- **فوات الوفيات**: محمد بن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ) ـ تحقيق د. إحسان عباس، طبعة دار صادر، بيروت ١٩٧٣ـ ١٩٧٤.
- **القاموس المحيط**: مجد الدين، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي (ت٨١٧هـ) ـ مصوَّرة دار الفكر، بيروت.
- **قُضاة قرطبة وعلماء إفريقية**: أبو عبد الله الخشني ـ طبعة القاهرة ١٣٧٢هـ.

- **قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان**: لكمال الدين، أبي البركات، المبارك ابن الشعّار الموصلي (٦٥٤هـ)، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .
- **القند في ذكر علماء سمرقند**: لنجم الدين، عمر بن محمد بن أحمد النسفي (ت ٥٣٧هـ) تحقيق: يوسف الهادي، نشر: مركز التراث المخطوط، طهران ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م
- **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب السّتّة**: شمس الدين، محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨ هـ) ـ نشره عزّت علي عيد عطيّة وموسى محمد علي الحوشي ـ طبعة القاهرة١٩٧٢م.
- **الكامل في التاريخ**: عز الدين، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، طبعة دار صادر، بيروت ١٩٦٥.
- **اللُّبَاب في تهذيب الأنساب**: عزّ الدين، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، طبعة دار صادر، بيروت.
- **لسان الميزان**: أحمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، طبعة حيدر أباد ١٣٢٩هـ.
- **المجروحين من المحدّثين والضعفاء والمتروكين**: محمد بن حبّان البُستْي (ت٣٥٤هـ) ـ نشره محمود إبراهيم زايد ـ طبعة حلب ١٣٩٦هـ.
- **المحبّر**: رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السُّكّري، عن أبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ)، صحّحته د. إيلزه ليختن شتيتر، مصوَّرة دار الآفاق الجديدة ببيروت عن طبعة حيدر آباد ـ الدكن ١٣٦١هـ.
- **المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي**: انتقاء: الذهبي، ط بغداد ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م.
- **المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء)**: لعماد الدين، إسماعيل أبي الفدا، ط مكتبة المتنبي ـ القاهرة
- **مراتب النَّحْويين**: أبو الطيّب، عبد الواحد بن علي اللُّغَوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبعة القاهرة ١٩٥٥م.
- **مِرآة الجنان وعبرة اليقظان في حوادث الزمان**: أبو محمد، عبد الله اليافعي (ت٧٦٨هـ) ـ طبعة حيدر آباد ـ الدكن ١٣٢٨.

- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**: علي بن الحسين المسعودي (ت٣٤٦هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ القاهرة ١٩٥٨.
- **المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار**: لابن الدمياطي، أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسيني (ت٧٤٩هـ) ط حيدر آباد ـ الدكن.
- **مشاهير علماء الأمصار**: محمد بن حِبّان البُسْتي (ت٣٥٤هـ) ـ نشره: م. فلا يشهم ـ طبعة القاهرة ١٩٥١م.
- **المشتبه في أسماء الرجال**: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)ـ تحقيق: علي محمد البجاوي ـ طبعة القاهرة ١٩٦٢.
- **المصايد والمطادر**: محمود بن الحسين، أبو الفتح المعروف بكشاجم (ت٣٦٠هـ)، تحقيق د. محمد أسعد طلس ـ طبعة بغداد ١٩٥٤.
- **مطمح الأنفس**: للفتح بن خاقان، ط الجوائب ١٣٠٢هـ.
- **المعارف**: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَري (ت٢٦٧هـ) ـ تحقيق د. ثروت عُكاشة ـ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٩م.
- **معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)**: أبو عبد الله، شهاب الدين، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ) ـ نشره د.مرجليوث ـ القاهرة ١٩٣٦ـ ١٩٣٨.
- **معجم البلدان**: أبو عبد الله، شهاب الدين، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ)، طبعة دار صادر، بيروت.
- **معجم بني أميّة**: د. صلاح الدين المنجد، طبعة دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٠.
- **معرفة علوم الحديث**: الإمام الحاكم، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري (ت٤٠٥هـ) ـ تحقيق: د. السيد معظّم حسين ـ مصوَّرة المدينة المنوَّرة ١٩٧٧ عن طبعة حيدر آباد ـ الدكن.
- **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**: شمس الدين، محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد سيّد جاد الحق ـ طبعة دار التأليف بمصر ١٩٦٩م.
- **المعرفة والتاريخ**: أبو يوسف، يعقوب بن سفيان الفسوي (ت٢٧٧هـ) ـ تحقيق: د. أكرم ضياء العمري ـ طبعة وزارة الأوقاف العراقية، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٧٤ـ ١٩٧٦م.
- **المُغْني في الضعفاء**: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: د. نور الدين تمر ـ مصوَّرة ببيروت [د. مط، ت].

- **مفتاح السعادة ومصباح السيادة**: لطاش كبري زاده، ط حيدر أباد ـ الدكن ١٣٢٩هـ.
- **مقاتل الطالبيين**: أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت٣٥٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر ـ طبعة القاهرة ١٩٤٩.
- **مقدّمة فتح الباري في شرح صحيح البخاري**: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ.) ـ طبعة القاهرة.
- **المقفى الكبير**: لتقي الدين، أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- **المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور**: لتقي الدين، أبي إسحاق، ابراهيم بن محمد الصيرفيني (ت٦٤١هـ) ضبط نصّه: خالد حيدر، ط دار الفكر ـ بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م
- **مناقب أبي حنيفة**: الإمام الموفَّق بن أحمد المكّي الخوارزمي (ت٥٦٨هـ)، نشره: محمد حيدر الله خان الداراني الحنفي، صوّرته دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤٠١هـ، عن طبعة حيدر آباد ـ الدكن
- **مناقب أبي حنيفة**: الإمام الموفَّق بن أحمد المكّي الخوارزمي (ت٨٢٧هـ) مُلْحَق بالذي قبله.
- **المُنْتَخَب من كتاب ذيل المُذّيَّل**: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٧م.
- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**: لابن الجوزي، جمال الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، ط حيدر آباد ـ الدكن ١٣٥٧هـ.
- **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**: لابن تغري بردي ـ تحقيق: محمد محمد أمين، ط دار الكتب المصرية ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م وما بعدها.
- **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شِعرهم**: الحسن بن بِشْر الآمدي (ت٣٧٠هـ) ـ نشره: د. ف كرنكو ـ طبعة القدسي بالقاهرة.
- **موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي**: جمعها: د. عمر عبد السلام تدمري ـ طبعة المركز الإسلامي للإعلام والإنماء، بيروت ١٩٨٤.
- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ـ القاهرة ١٩٦٣م.
- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**: جمال الدين، أبو المحاسن، يوسف بن

تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)ـ تحقيق: د. تحقيق د. إبراهيم السامرائي ـ بغداد ١٩٥٩م

- **نزهة الألباب في الألقاب**: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، نسخة خطيّة بدار الكتب المصرية رقم ٣٣٦ مصطلح الحديث.
- **نسب قريش**: مَصْعَب بن عبد الله بن الزبير (ت ٢٣٦هـ) ـ تحقيق ليفي بروفنسال ـ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٥٣.
- **نَكْت الهميان في نَكْت العميان**: صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (ت٧٦٤هـ) ـ نشره: د. أحمد زكي ـ القاهرة ١٩١١م.
- **نهاية الأرب في فنون الأدب**: شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت٧٣٣هـ) ـ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٣م.
- **نور القَبَس المختصر من المقتبس**: للمرزباني ـ اختصار: الحافظ أبي المحاسن، يوسف بن أحمد (ت٦٧٣هـ) ـ تحقيق رودلف زلهايم ـ المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٤م.
- **هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**: لإسماعيل باشا البغدادي، ط استانبول ١٩٥١ ـ ١٩٥٥م.
- **الوافي بالوفيات**: صلاح الدين، خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ببيروت .
- **الوزراء والكُتَّاب**: محمد بن عبدوس الجهشياري (ت٣٣١هـ) ـ تحقيق: مصطفى السَّقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ـ طبعة البابي الحلبي بمصر ١٩٣٨.
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: أبو العباس، شمس الدين، أحمد بن خلّكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس ـ طبعة دار الثقافة بيروت.
- **الوفيات**: لمحمد بن رافع السلامي الدمشقي، تحقيق: عبد الجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٨٥م.
- **الولاة والقضاة**: أبو عمر، محمد بن يوسف الكِنْدي المصري (ت٣٥٠هـ) ـ نشره: رفن كَست ـ مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨.

* * *

فهرس المحتويات

MASĀLIK AL-ʾABṢĀR FĪ MAMĀLIK AL-ʾAMṢĀR

by

Šahābuddīn Ibn faḍlullah al-ʿUmari

Edited by

Kāmil Salmān al-Jubūri

Volume VI

